فكر وإبداع

إصدار علمي جامعي متخصص محكم

إشراف: أ . د / حسن البنداري



- الرسول (ﷺ) في طفولته.
- الشباب المتلقي: بين ثقافة العولمة والثقافة العربية.
- الخصائص البنائية والثقافية لتنظيم المستقبل.
- التوحد مع سارق نار المعرفة وانسان ما بعد الحداثة.
- صوت الآخر: قراءة في نماذج من الشعر السعودي.
- العلاقة بين تقنيات السيكودراما والمسرح.
- التعويض في النحو والصرف.
- تدريبات على العود (ذو الرقبة الطويلة).
- أسلوب الأداء الغنائي عند فيروز.

الجزء الثامن عشر

مارس ٢٠٠٣



رابطة الأدب الحديث

قواعـد النشـر بالإصدار

- يقبل إصدار فكر وإبـداع نشر المواد وفقا للاعتبارات التالية:

١ - أن تكون المواد المرسلة إلى الإصدار - مبتكرة ولم يسبق نشرها.

٢ - تخضع المواد للتحكيم النوعى المتخصص.

٣ - يخطر الإصدار الكتاب بقرار صلاحية المواد أو عدمها.

٤ - لا يقبل الإصدار المواد المنشورة أو المقدمة إلى جهات أخرى.

٥ - البحوث والدراسات التى يرى المحكمون تعديل مواضع فيها - ترد إلى أصحابها لتنفيذ ملاحظات المحكمين لكى تأخذ طريقها إلى النشر.

٦ - الإصدار غير ملزم بإعادة الأصول المرسلة إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

المواد المنشورة بالإصدار تعبّر عن آراء أصحابها فقط

فكر وإبداع

إصدار متخصص

يعنى بنشر بحوث ودراسات جامعية محكمة
تصدر عن: رابطة الأدب الحديث

* * *

رابطة الأدب الحديث تسعى إلى:

- ترسيخ مفاهيم البحث العلمي،
- والكشف عن الباحثين المتميزين.
- وتنمية قدراتهم الفكرية والبحثية.
- والمشاركة في تحديد معالم ثقافتنا المعاصرة.
- وعقد حوارات متنوعة مع كافة الاتجاهات والسبل الجديدة.
- والتوفيق العادل بين الصبغة التراثية والصيغة الحداثية.

رابطة الأدب الحديث
٦ شارع بنك مصر - القاهرة.
ت: ٣٩٣٤٦٩٥

لوحة الغلاف
عبد الوهاب عبد المحسن

فكر وإبداع

إصدار علمي جامعي متخصص محكم

يعنى بنشر بحوث ودراسات علمية محكمة

يصدر عن : رابطة الأدب الحديث

القاهرة : ٦ شارع بنك مصر

ص. ب ٤٦ بريد محمد فريد ت : ٢٩٣٤٦٩٥

رئيس مجلس إدارة الرابطة: أ. د. محمد عبد المنعم خفاجي

فكر وإبداع

المراسلات: توجه باسم المشرف على الإصدار أ. د. حسن البنداري

القاهرة مصر الجديدة ـ روكسي، شارع أسماء فهمي كلية البنات ـ جامعة عين شمس

تليفون: ٥٨٥٤٦٦٣ ـ ٥٨٥٦٦٢٢

الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية

١٦٥ ش محمد فريد ـ القاهرة ت: ٣٩١٤٣٣٧

الجزء السابع عشر

مستشارو الجزء الثامن عشر

أ.د. أحمد طاهر حسنين
أ.د. أحمد كشك
أ.د. أحمد مختار عمر
أ.د. اعتماد علام
أ.د. حسين نصار
أ.د. رتيبة الحفنى
أ.د. زين نصار
أ.د. سامية الساعاتى
أ.د. سعد يسى
أ.د. سهير عياد
أ.د. سهير فضل الله
أ.د. سونيا عقداوى
أ.د. صبرى إبراهيم السيد
أ.د. صفاء الأعسر
أ.د. طه وادى
أ.د. عبد الحكيم حسان
أ.د. عبد الغفار هلال
أ.د. عبد الوهاب المسيرى
أ.د. علياء شكرى
أ.د. فاطمة موسى
أ.د. فضيلة فتوح
أ.د. مارسيل رمزى
أ.د. ماهر شفيق فريد
أ.د. محمد السعيد جمال الدين
أ.د. محمد بلتاجى
أ.د. محمد حماسة عبد اللطيف
أ.د. محمد عبد الحميد سالم
أ.د. محمد عبد المنعم خفاجى
أ.د. محمد على الكردى
أ.د. محمد عنانى
أ.د. محمد فتوح أحمد
أ.د. محمد نبيل غنايم
أ.د. منى عبد الهادى
أ.د. نبيل راغب
أ.د. نفيسة عليش
أ.د. نورية الرومى

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية الجزء الثامن عشر (مارس ٢٠٠٣)

عزيمة .. وتواصل

د. حسن البنداري

يواصل إصدار فكر وإبداع مسيرته العلمية والأدبية بهذا الجزء الثامن عشر (مارس ٢٠٠٣) - بعزائم قوية اتفقت على إمداد المتلقي ببحوث علمية جادة ، ذات معارف نوعية تسهم فى إنضاج وعيه ، وتشكيل قدرته على مواكبة المنجزات العلمية المختلفة.

ويشتمل هذا الجزء (الثامن عشر) على أحد عشر بحثاً . تسعة منها باللغة العربية ، والثان باللغتين الفرنسية والإنجليزية.

أما البحوث العربية فهى (الرسول ﷺ فى طفولته) للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ، و(الشباب المتلقى بين ثقافة العولمة والثقافة العربية) للدكتورة اعتماد علام ، و(الخصائص البنائية والثقافية لتنظيم المستقبل) للدكتور محمود مصطفى ، و(التوحد بين سارق نار المعرفة وإنسان ما بعد الحداثة) للدكتورة هدى العقاد ، و(صوت الآخر : قراءة فى نماذج من الشعر السعودى) للدكتور عبد الله بن محمد العضيبى ، و(العلاقة بين تقنيات السيكودراما والمسرح) للدكتورة فاطمة يوسف ، و(التعويض فى النحو والصرف) للدكتورة ليلى عبد السميع.

وأما البحث الفرنسى فهو : وصف المكان فى رواية (الباب الضيق) لأندريه جيد .. دراسة لمعانى ودلالات المكان للدكتورة منيرة مصطفى ، وأما البحث الإنجليزى فهو : تحقيق الذات والحب .. دراسة فى رواية (غرور وكبرياء) لجين أوستن ، للدكتورة جيهان المرجوشى.

وجميع هذه البحوث تؤكد على اعتقادنا بضرورة تطوير أدوات الباحث الأكاديمى ، وتقوى من رغبتنا المتفائلة المستمرة فى رقى البحث العلمى خاصة .. والنشاط الثقافى بوجه عام.

والله تعالى الموفق إلى الصواب ...

الموضــــوع		الصفحة
افتتاحـــية الجـــزء الـــثامن عشـــر : عزيمة وتواصل.	د. حســـن البنداري.	٥

المادة العربية ..

الرســــــــــول ﷺ فى طفولـــــــــــته.	د. محمد عبد المنعم خفاجى.	٩
الشـــباب المتلقى بين ثقافة العولمة ، والثقافة العربية.	د. اعـــتماد عـــلام.	٢١
الخصـــائص البنائـــية والثقافـــية لتنظـــيم المستقبل.	د. محمـــود مصـطفى.	٦٣
الـــتوحد مع سارق نار المعرفة وإنسان ما بعد الحداثة.	د. هـــدى العقـــاد.	١٤٧
صـــوت الآخر : قراءة فى نماذج من الشعر السعودى.	د. عبد الله محمد العضيبى.	١٦٩
العلاقـــة بـــين تقنـــيات الســـيكودراما والمســـرح.	د. فاطمـــة يوســـف.	١٩٥
الـــــتعويض فى الـــــنحو والصـــــرف.	د. ليـــلى ســـلام.	٢٢٩
تدريـــبات عـــلى العـــود (ذو الرقـــبة الطويلـــة).	د. عـــبد المنعم خليل.	٢٨١
أســـلوب الأداء الغـــنائى عـــند فـــيروز.	د. ماجدة عبد السميع.	٣٠٩

المادة غير العربية ..

La description de l'espace dans " La Porte Etroite " d'André Gide : Etude Sémiotique. 1
Dr. Mounera Mustafa
وصف المكان فى رواية (الباب الضيق) لأندرية جيد. د. منيرة مصطفى.
Love and identity in Jane Austen's Pride and Prejudice. 51
Dr. Gehan Al-Margoushy
تحقيق الذات والحب . دراسة فى رواية (غرور وكبرياء) لجين أوستن. د. جيهان المرجوشى.

المادة العربية

* البحث
* المقال النقدى

الرسول (ﷺ) فى طفولته

د. محمد عبد المنعم خفاجى*

- ١ -

فى بيت كريم ، ومن أبوين كريمين ، عبد الله بن عبد المطلب ، وآمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، ولد محمد صلوات الله عليه ، يوم الاثنين الثانى عشر من شهر ربيع الأول من عام الفيل ، وقيل ثانى ربيع الأول ، وقيل ثالثه. والثانى عشر هو أرجح الآراء ، وعليه الجمهور.

كان عبد الله سيد شباب بنى هاشم حسباً ونسباً وشرفاً ومجداً . وكانت آمنة بنت وهب أفضل فتاة فى قريش شرفاً وطهراً وسؤدداً . والتقى النور بالنور ، فولد " محمد " (ﷺ) ، وتقول آمنة : أمرت أسميه " أحمد "(١) ؛ ولكن جده عبد المطلب سماه " محمداً " . ورأت آمنه ليلة ميلاده نوراً أضاءت به قصور " بصرى " فى الشام ، حتى رأتها(٢).

توفى والده عبد الله وأمه حامل به . وقيل : توفى بعد مولد الوليد العظيم بشهرين . وقيل : قبل ميلاده بأكثر من شهرين(٣) ، وختنه جده وصنع له مأدبة تفوق الوصف(٤). وحمل عبد المطلب الوليد اليتيم ، ودخل به الكعبة ، وقام يدعو الله ويشكر له ما أعطاه ، وعاد بالوليد إلى أمه فدفعه لها.

---

* أستاذ الأدب العربى بجامعة الأزهر

وكانت النبوءات قد تواترت بميلاد النبى المنتظر الذى بشرت به الأنبياء والرسل والكتب المنزلة من قبل ، ويروى خليفة المنقرى ..قال : سألت محمد بن عدى ، كيف سماك أبوك " محمداً " ؟! قال :

سألت أبى عما سألتنى عنه فقال : خرجت رابع أربعة من بنى تميم ، أنا أحدهم وسفيان ابن مجاشع وزيدٌ بن عمرو بن ربيعة ، وأسامة بن مالك من خندف ، نريد ابن جفنة الغسانى (ملك غسان) ، والتقينا فى الطريق براهب فى دير ، سألنا عن أنفسنا ، فقالنا : نحن من خندف ، فقال لنا : أما إنه سيبعث فيكم وشيكاً نبى هو خاتم النبيين ، واسمه " محمد " ، فلما انصرفنا من عند ابن جفنة – الملك الغسانى – وصرنا إلى أهلنا ، ولد لكل رجل منا ولدٌ فسماه " محمداً ".

– ٢ –

وأول من أرضعه أمه ، ثم أرضعته ثويبة الأسلمية أياما ، وهى جارية أبى لهب ، فأعتقها لما بشرته بولادة ابن عبد الله ، وكانت ثويبة تأتى إلى رسول الله (ﷺ) بعد زواجه من خديجة فيكرمها هو وخديجة ، وكان (ﷺ) يبعث لها بعد الهجرة بالصلة والكسوة حتى ماتت ؛ ونما محمد (ﷺ) ولما قارب العام التمس له جده الرضعاء ، وحدثت حليمة بنت أبى ذؤيب السعدية أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير هو عبد الله بن الحارث ، ترضعه ، فى نسوة من سعد بن بكر ، تلتمس الرضعاء ، فى سنة جدب وقحط لم تبقى لنا شيئاً ، قالت حليمة : فخرجت على مطية لنا ، وعندنا ناقة لنا والله ما تجود بقطرة ، وما ننام ليلتنا من صبينا الذى معنا ، من بكائه من الجوع ، وما فى ثديى ما يغنيه ، وما فى ناقتنا ما يغذيه ، ولكنا كنا نرجو الفرج

، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء ، فما من امرأة إلا وقد عرض عليها " محمد " (ﷺ) فتأباه إذا قيل لها أنه يتيم ، إذ كنا نرجو المعروف من أبى الصبى ، وكنا نقول يتيم ، ما عسى أن تصنع أمه وجده ، فكنا نكره أخذه لذلك ، فما بقيت امرأة قدمت معى إلا أخذت رضيعا غيرى ، فلما أجمعنا العود ، قلت لصاحبى – زوجى – والله إنى لأكره أن أرجع بين صواحبى ولم أخذ رضيعا ، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه ، قال لى زوجى لا عليك إن تفعلى ، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة ، فذهبت إليه فأخذته ، إذ لم أجد غيره ، ورجعت به إلى رحلى ، فلما وضعته فى حجرى جاد ثدياى بما شاء من لبن ، فشرب حتى روى ، وشرب معه أخوه حتى روى وما كان ينام قبل ذلك ، فقام زوجى إلى ناقتنا فدرت باللبن ، فحلب منها ما شاء وشرب وشربنا معه حتى امتلاءنا ريا وشبعا ، فبتنا بخير ليلة ، وأصبحنا ، فقال لى زوجى اعلمى يا حليمة أنك أخذت نسمة مباركة ، فقلت . والله إنى لأرجو ذلك وركبت آتانى (مطيتى) وحملت الطفل عليها معى ، فوالله لقطعت ناقتنا مسافات ما يقدر على قطعها شىء من فواره دوابهم ، وقد قدمنا منازلنا من بلاد بنى سعد(٦) وما أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها ، وكانت غنمى تأتى إلى حين قدمنا به معنا شباعا ، فنحلب ونشرب وما يحلب إنسان قطرة لبن حتى كان القوم يقولون لرعاتهم ما بالكم . اسرحوا حيث يسرح راعى بنت أبى ذؤيب ، فتجىء أغنامهم جياعا ، وتعود غنمى شباعا

ولم تزل حليمة ترى من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتان من عمر اليتيم معنا ، وفصلته ، وكان ينمو فوق ما ينمو الغلمان فقدمنا به على

لمه ونحن أحرص شىء على مُكثه فينا .. لما كنا نرى من بركته .. فكلمنا أمه ، قلت لها : لو تركته عندى فإنى أخشى عليه وباء مكة ، ولم أزل بها حتى ردته معنا ، فرجعنا به إلى ديارنا - ديار بنى سعد - ، فرأت حليمة بمقدمه معها النماء والخير والبركة.

- ٣ -

وكان " محمد " (ﷺ) الطفل يخرج مع إخوانه أولاد الحارث بن عبد العزى بن سعد بن بكر بن هوازان ، وهم : عبد الله بن الحارث ، وضمرة بن الحارث ، والشيماء ، وأنيسة ، يغدون ويروحون فى ديار بنى سعد(٧) التى عاش فيها " محمد " (ﷺ) نحواً من أربع سنوات.

وفى يوم من أيام عمره المباركة وهو فى الرابعة .. جاء أخوه ضمرة بن الحارث يعدو ويقول لأبويه : (فيما رواه ابن هشام فى السيرة) أدركا أخى القرشى قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعاه فشقا بطنه(٨) ، قالت حليمة : فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائماً ممتقعاً وجهه فالتزمته وقلنا له : مالك يا بنى ؟ قال جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعانى وشقا بطنى ، تقول حليمة فرجعنا به إلى خبائنا فقال لى أبوه : يا حليمة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب ، فالحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به ، فاحتملناه وقدمنا به على أمه.

فقالت : ما أقدمك يا حليمة ، وقد كنت عليه حريصة وعلى مكثه عندك ، فقالت حليمة : نعم قد بلغ الله بابنى وقضيت الذى على ، وتخوفت الأحداث عليه فأديته عليك كما تحبين ، قالت الأم : ما هذا شأنك يا حليمة أصدقينى

خيرك ؛ فلم تدعنى حتى أخبرتها ، قالت آمنة : أتخوفت عليه الشيطان ؟ قالت : نعم ، قالت : كلا .. والله ما للشيطان عليه من سبيل ، وإن لإبنى هذا لشأناً . رأيتُ حين حملت به أنه خرج منى نورا أضاء به قصور " بُصرى " من الشام ، دعيه عنك وانطلقى راشدة[٩].

مكث " محمد " (ﷺ) فى ديار حليمة من بنى سعد أربعة أعوام على الصحيح ، وردته حليمة إلى أمه وهو ابن خمس سنين فكأنها أخذته وهو ابن عام ، ولم تره بعد ذلك إلا مرتين .. حين زواجه بخديجة ، ويوم حنين.

– ٤ –

عاش " محمد " (ﷺ) طفلاً فى مكة مع حنان أمه ورعاية جده عبد المطلب ، فكان يجلس معه على فراشه الذى كان يعد له عند الكعبة ، وكان بعض أعمامه يحاول أن يمنعه من الجلوس فيقول له : دعوا إبنى فإن له لشأناً ، ويجلسه بجواره على الفراش ويمسح ظهره بيده ، ويسره ما يراه يصنع[١٠] ، وكان يوصى بركة الحبشية (أم أيمن) فيقول لها : يا بركة لا تغفلى عنه فإن أهل الكتاب يزعمون أن ابنى نبى هذه الأمة[١١].

وهكذا عاش " محمد " (ﷺ) مع أمه فى رعاية جده محفوفاً برعاية الله وحفظه ، ولما بلغ السادسة[١٢] من عمره كان الحادث الأكبر فى حياة " محمد " (ﷺ) وهو موت أمه آمنه بالأبواء بين مكة والمدينة على مسافة ثلاثة عشر ميلا ، ولقد كانت آمنة وفية لذكرى زوجها عبد الله والد "محمد" (ﷺ) الذى توفاه الله إلى رحمته بالمدينة وهو عائد من رحلة تجارية له ، قدم منها من الشام .. وفى الطريق مرض فعرج على أخواله بالمدينة من بنى عدى بن النجار

فتوفى هناك وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وابنه " محمد " (ﷺ) ابن تسعة أشهر على الأرجح.

ماتت آمنه بعد زوجها ودفنت بالأبواء ورجعت أم أيمن بمحمد إلى مكة بعد خمسة أيام من موت أمه[12] فعاش فى رعاية جده عبد المطلب. وفى الثامنة من عمر " محمد " (ﷺ) توفى الجد الذى كان قد أوصى ابنه أبا طالب " بمحمد " (ﷺ) لأن أبا طالب وعبد الله أخوان لأب ولم ، أمهما فاطمة بنت عمرو المخزومى ، فكفل أبو طالب ابن أخيه وصار هو الذى يلى كل أموره ، فكان معه كأحد أبنائه ، وكان أبو طالب فقيرا فأثرى وكثر ماله ببركة " محمد " (ﷺ) اليتيم.

ولما بلغ " محمد " (ﷺ) الثانية عشرة من عمره خرج مع عمه أبى طالب إلى الشام فى قافلة لتجارة قريش ، حيث أخذه عمه معه ، وقال : والله لأخرجن به معى لا يفارقنى ولا أفارقه.

وفى " بُصرى " بالشام لقى أبو طالب بحيرى الراهب (أحد أحبار اليهود) فتحدث معه ، وكان مما قاله بحيرى له : ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود وإنه لكائن لابن أخيك شأن عظيم[13].

- ٥ -

نشأ الطفل اليتيم " محمد بن عبد الله " (ﷺ) على مكارم الأخلاق ورفيع الصفات ، ولا عجب ، فقد قال رسول الله (ﷺ) : " أدبنى ربى فأحسن تأديبى " وقال تعالى فى كتابه الكريم .. " وإنك لعلى خلق عظيم "[14] ، ومنذ صغره لم يقرب من صنم ولم يجلس عند صنم ، وحين قال بحيرى الراهب

لمحمد (ﷺ) وهو بالشام فى الثانية عشرة من عمره : " أسألك باللات والعزى " رد عليه " محمد " (ﷺ) : لا تسألنى باللات والعزى ، فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضى لهما[١٥] .. وما كان " محمد " (ﷺ) يذهب فى حاجة لجده عبد المطلب إلا ونجح فيها ، خرج حيدة بن معاوية فى الجاهلية معتمرا فإذا هو بشيخ يطوف ويقول ..

رد إلى خالقى محمداً يا رب رد واصطنع عندى يدا

قال حيدة : من هذا ؟ قالوا : شيخ قريش وسيدها عبد المطلب ، له إبل كثيرة فإذا ضل منها شىء بعث فيها بنوه يطلبونها ، فإذا أعيى بنوه بعث ابن ابنه وقد بعثه فى ضالة أعيا عنها بنوه ، وقد أحبس عنه ، فما برحتُ حتى جاء " محمد " (ﷺ) وجاء بالإبل[١٦].

وعن ابن عباس قال : كان إذا أكل عيال أبى طالب جميعا أو فرادى لم يشبعوا ، فإذا أكل معهم " محمد " (ﷺ) شبعوا. وكان إذا أراد أن يغذيهم قال : كما أنتم حتى يحضر ابنى ، فيأتى " محمد " (ﷺ) فيأكل فيفضلون من طعامهم ، وإن لم يكن معهم لم يشبعوا ، وإن كان لبنا شرب أولهم ثم العيال فيشربون فيروون عن أخرهم[١٦].

ويقول على بن أبى طالب : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : " ما هممت بشىء مما كان أهل الجاهلية يهمون به إلا ليلتين ، كلاهما عصمنى الله منهما ، قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن فى رعاية غنم[١٦] أهلنا : أبصر لى غنمى حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الفتيان ، فدخلت حتى جئت أول دار من دور مكة فسمعت عزفا بالمزامير ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : تزوج فلان بفلانة ،

فجلست أنظر وضرب الله على أذنى ، فوالله ما أيقظنى إلا مس الشمس ، فرجعت إلى صاحبى .. ثم قلت له ليلة أخرى : أبصر لى غنمى حتى أسمر بمكة ، فلما جئت مكة سمعت مثل الذى سمعت .. فجلست أنظر ، وضرب الله على أذنى فوالله ما أيقظنى إلا مس الشمس ، فرجعت إلى صاحبى.

كان رسول الله (ﷺ) فى طفولته لا يقرب من صنم ولا يحب أن يراه.

وعن ابن عباس قال : حدثتنى أم أيمن قالت : كان (بوانة) صنماً[١٧] يحضره قريش يوماً فى السنة ، وكان أبو طالب يحضره مع قومه وكان يكلم رسول الله (ﷺ) أن يحضر ذلك العيد مع قومه .. فيأبى ، حتى رأيت أبا طالب غضب عليه ، ورأيت عماته غضبن عليه يومئذ أشد الغضب ، وجعلن يقلن : إنا نخاف عليك مما تصنع أبداً من اجتناب آلهتنا ، وجعلن يقلن : يا " محمد " ما تريد أن تحضر لقومك عيداً ، ولا أن تكثر لهم جمعاً ، فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ما شاء الله أن يغيب ، ثم رجع إلينا مرعوباً فزعاً ، فقالت عماته : ما دهاك ؟ قال : إنى خشيت أن يكون بى لمم ، فقلن : ما كان الله ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك ، فما الذى رأيت ؟! قال : أنى كلما دنوت من صنم منها تمثل لى رجل أبيض طويل يصيح بى : وراءك يا " محمد " لا تمسه ، قالت : فما عاد إلى عيدٍ لهم حتى نبيء[١٨].

وقال رسول الله (ﷺ) : رأيتنى فى غلمان قريش ننقل الحجارة لبعض ما يلعبون ، كلنا قد تعرى وأخذ إزاره فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة ، فإنى لأقبل معهم كذلك وأدبر إذ لكمنى لاكم ، ما أراها لكمة وجيعة .. ثم قال لى : شد عليك إزارك ، وفى رواية ابن سعد قيل له : استتر .. وهو

غلام[19].

- ٦ -

وهكذا كان شأن " محمد " (ﷺ) طفلا ، وهكذا عاش " رسول الله " (ﷺ) اثنى عشر عاما فى طفولته ، بين الخلق الرفيع والأدب الكريم ، والسمو النفسى والروحى العظيم ... صلى الله عليه فى الأولين ، وصلى عليه فى الآخرين ، وصلى عليه إلى يوم الدين ...

المصادر والمراجـع

١- ٨٩/١ الوفا بأخبار المصطفى ، ٢٠١/١ السيرة النبوية لابن كثير

٢- ٩٤/١ الوفـا ، ١٦٠ بشـائر النـبوة الخاتمـة د/ رؤوف شـلبى (مجمـع البحوث الاسلامية ١٩٨٨).

٣- ٢٢١/١ العقد الثمين للفاسى ، وقيل أن عبد الله توفـى بعد أن أتـى علـى رسول الله (ﷺ) ٢٨ شهراً (١ : ٥٧٩ الطبرى).

٤- ١ : ٣٥ زاد المعاد.

٥- ٤٦/١ الوفا ، ٤٣٤/٤ فتح البارى ، ١٧٨ بشائر النبوة الخاتمة.

٦- ديار واسعة جنوب غربى الطـائف تشتمل علـى قرى صغيرة متجاورة الـدار الحمـراء - اليعاقيـب - اللهـوب - المغـاورة- صـلـى - مخلـد - الصناع - أهل مرزوق - الغراب - الضباعين وغيرها.

٧- راجع مجلة المنهل السعودية بجدة عدد عام ١٣٧٤هـ مقال للاستاذ / أحمد على بعنوان " ذكريات فى بلاد بنى سعد قوم حليمة السعدية ، وفى هذه البلاد جبال السروات العالية ".

٨- حدث شق بطن الرسول (ﷺ) أربع مرات : المرة الأولى هى هذه وهو فى ديـار بنى سعد ، والثانية وهو فـى العاشرة من عمره ، والثالثة عند نزول الوحـى عليه ، والرابعة ليلة أسرى به ، ويقص أبو هريرة قصة شق بطن رسول الله (ﷺ) وهو ابن عشر سنين وأشهر فيما رواه عن رسول الله (ﷺ) : إنـى لفى صحراء وإذا بكلام فوق رأسى ، وإذا رجل يقول لرجل : أهو هو ؟ قـال : نعم .. فاستقبلانى بوجوه لم أرها لخلق قط ، وأرواح لم أجدها لخلق قط ، وثياب لم أرها على أحد قط (الدلائل لأبى نعيم).

٩- ١٦٥/١ ابن هشام ، ١٣٤ أعلام النبوة للماوردى ، ١٩٧ بشائر النبوة الخاتمة ، وراجع كتاب محمد فى طفولته وصباه للطفى جمعة ص ٩٥.

١٠- الخصائص الكبرى ٢٠١/١.

١١- الوفا بأخبار المصطفى ١ : ١٢٠.

١٢- على ما تذكره أكثر كتب السيرة ، وفى مقدمتها ابن هشام (١ : ٥٥) ويجعلها ابن بكار أربع سنوات ٢٦٣/٢ البداية والنهاية .. ويروى المسعودى أن وفاة آمنة كانت وهو فى السابعة من عمره (١٧١/٢ مروج الذهب) وكان رسول الله (ﷺ) ابن تسعة أشهر أو سبعة أو شهرين ، وقيل أن عبد الله مات وطفله فى بطن أمه لم تضعه بعد (١ : ١٤٦) ودفن عبد الله فى دار النابغة.

١٣- ص ١٣٣ من كتاب " أم النبى " للشناوى ، دار ابن لقمان . وراجع كتاب

١٤- " أبو النبى " لمحمد فوزى الصادر عن دار الأنصار ص ١٤٣ و ١٤٤

١٥- ٤ سورة القلم.

١٦- الخصائص الكبرى للسيوطى تحقيق النشرتى وآخرين ١٩١ و ١٩٢.

١٧- ١٣٩/١ الوفا.

١٨- وكان النبى (ﷺ) يشتغل فى رعاية الغنم ، ويقول صلوات الله عليه : ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم ، فقيل له : وأنت .. قال : نعم . رواه البخارى.

١٩- أى ومعه أصنام صغيرة ، وهو الكبير بينها.

٢٠- ١ : ٢٢١ الخصائص الكبرى.

٢١- ١٥٧/١ الطبقات الكبرى.

الشباب المتلقى
بين ثقافة العولمة والثقافة العربية
رؤية تحليلية

أ.د. اعتماد محمد علام *

مقدمة :

إذا كان المجتمع الإنساني إبان القرن الماضي ظل يعانى من تداعيات النزاعات الإستراتيجية والصراعات الأيديولوجية الدولية ، فإنه مع بداية القرن الحادى والعشرين يواجه هيمنة العامل الثقافى الذى يشكل جذريا البنى الاقتصادية والسياسية . وتنفرد الولايات المتحدة الأمريكية بالهيمنة في ظل الانفتاح العالمى بما تملكه من إمكانيات تقنية ومادية وعسكرية هائلة ، وتستخدم الثقافة باعتبارها مدخلاً أساسياً لتحقيق هذه الهيمنة.

إن القضية الثقافية الهامة داخل الانفتاح العالمى الراهن والمستقبلى تنهض على مبدأ الإملاء والفرض على الآخر (الأضعف) وليس من خلال الحوار الثقافى بمفهومه العلمى والحضارى . ويتبنى أنصار العولمة تحت زعم "ثقافة العولمة " أو : عالم بلا حدود ثقافية " - سياسات وخطوات عدة لفرض النموذج الثقافى الغربى بشتى الوسائل ومنها استخدام القوة . ودليل هذا التوجه نلمسه حاليا من خلال جهود تتبناها منظمات دولية تدعو إلى تضييق الفجوة بين الثقافات والتوصل إلى أسس قوية للتفاهم الثقافى واستخدام المؤتمرات الدولية

* أستاذ علم الاجتماع، ووكيل شئون الدراسات العليا والبحوث، بكلية البنات - جامعة عين شمس.

التى تنادى بحقوق الإنسان، إضافة إلى الرحلات والبعثات الدراسية الاستكشافية لعـدد من الباحثين ورجال الإعلام من المتخصصين في تاريخ وتراث وثقافات الشعوب بهدف تحقيق هذا الغرض .

أيضـا يسـتخدم الغرب السياحة الثقافية بوصفها آلية من آليات العولمة الثقافـية الـتى تحقـق أهداف المشروع الحضارى الغربى . ويحاول دعاة هذا المشـروع تقلـيص دور الدولـة وإلغاء الخصوصية، وذلك من خلال اختراق الثقافات الوطنية باستخدام التدفق المعلوماتى في ظل السماوات المفتوحة وإحياء ثقافـة الأقلـيات ومن ثم ظهور أشكال جديدة من الصراع ، الأمر الذى يتطلب بالضـرورة وقفـة جادة ومتأنية مع الذات لحماية الأجيال الشابة وهى الشريحة الأكثر استهدافا من وراء ما يعرف بالعولمة الثقافية . حيث يمثل الشباب المتلقى أكـبر نسبة من إجمالي سكان الوطن العربى . فضلا عن كونهم مصدر الطاقة والقدرة على العمل والإنتاج . كما أن منهم قادة المستقبل والمسئولين عن إدارة التوجـيه الـثقافى المنتظر في الغد القريب داخل المجتمع العربى . ولكن لماذا ينصب الاهتمام على توجيه معطيات الثقافة العالمية إلى فئة الشباب خاصة، أن الإجابة على هذا السؤال نجدها فى استقراء الأدلة التاريخية.

يمـثل الشباب دائما قوى الرفض والتحرير وتجسيد القيم الاجتماعية . كما أنهم أكثر فئات المجتمع رغبة في إحداث التغير والتطور والتمرد على كل مـا هـو قديـم كما أن الشباب يخضعون منذ عقود قليلة مضت لتناقضات في عـالمهم يعكـس بصدق ما يتصف به العالم من تناقضات وعدم اتزان (ليله، ٢٠٠٠ : ٤٢) ، لاسـيما خلال عملية العولمة الرأسمالية الحالية التى تصطبغ في ظاهرها بالأمركة وثقافتها التى تحاول فرض الأمر الواقع حتى على شعوب

الـــدول الغربـــية الأوربية المتقدمة ولعل ثورة الطلاب في فرنسا عام ١٩٦٨ والحـــركات المناهضــــة للعولمة من قبل فئة الشباب في مختلف مناشط الإنتاج والإضرابات المتكررة في بعض البلدان ضد أنظمة حاكمة بسبب انتشار الفساد بها دليل قوى على فعالية هده الفئة الشبابية من شرائح السكان .

مـــع زيادة الانفتاح الثقافي والاجتماعي يكون السؤال الذي يزداد إلحاحا على الباحث العربي هو : ما موقف الشباب العربي من ثقافة العولمة ؟ وما مدي اقتناعه بثقافته العربية وقدرتها على التعامل مع التداعيات الثقافية للعولمة ؟

إن الـــتدفق المعلومـــاتى عـــبر شبكة الإنترنت بات يهدد ثوابت الثقافة العربـــية لدى فئة المتلقين لاسيما الشباب منهم، وجد الشباب أنفسهم بين ثقافتين: الأولـــى متأصلة فى وجدانهم وسلوكياتهم منذ الطفولة؛ والثانية ذات بريق أخاذ تقدم المعرفة فى جميع المجالات دون قيود، هذا التغير الحادث فى المناخ الثقافى يعـــيد صياغة التفاعل بين المتلقى والمعرفة. كما تتحدد درجة استجابات التلقى لـــدى الشـــباب خاصـــة تبعاً لمتغيرات وسيطة كما يراها علماء الاجتماع. فمن المـــنظور السوسيولوجى تتأثر استجابات المتلقى بمحددات اجتماعية مثل السن، الـــنوع، المســـتوى التعلـــيمى، المستوى الاقتصادى، والمهنة، ويمكن تصنيف المتلقيـــن بالمنظور التحليلى على متصل افتراضى Continuum وفقاً للاستجابة لـــثقافة العولمة. حيث يقع على طرفه الأول فئة المتلقين المنبهرين بهذه الثقافة. وعلى النقيض تقع على طرفه الثانى فئة المتلقين الرافضين لهده الثقافة ويتجهون نحـــو الانكفـــاء السلبى على ثقافتهم التقليدية. وما بين الطرفين تتفاوت استجابة المتلقين تبعا للمحددات الاجتماعية التى أشرت إليها.

إن تفشى ثقافة (الماك) ومحاكاة فئة من الشباب العربى لنظيره الغربى فـــي الأزياء والسلوكيات إنما تعكس وتولد ثقافة شباب ذات مظاهر غريبة تدعو للتســاؤل و الدراســة . إذ إن مـــا نراه يدل على وجود فجوة ثقافية بين ما هو مكتســب وما هو موروث . ويثار سؤال يتعلق بالحاجة إلى إحداث تحول ثقافى مقصــود أو الحاجة إلى منظومة قيم اجتماعية جديدة ؟ و هل في الثقافة العربية مـــا يغنى النفس عن إحداث تحول ثقافى مقصود ؟ وهل يوجد تغيب ثقافى لدى الشــباب العربى يتعلق بعروبته ؟ وما السيناريوهات المطروحة للمحافظة على الثقافة العربية التي أراها – مثلما يتفق معى الكثير من الباحثين العرب – الحائل المــانع أمام الهيمنة الثقافية الغربية؟. وسوف تنقسم المناقشة في هذا البحث إلى المحاور التالية :

حــول مفهــوم الثقافة، ثقافة الشباب، الثقافة المضادة لدى الشباب، ثقافة العولمـــة، الثقافة العربية بين العالمية والتنوع الثقافى، الثقافة العربية كموروث شــعبى يشــكل الهوية، رؤى المثقفين العرب حول أوضاع الثقافة العربية لدى الشباب والسيناريوهات.

أولاً : حول مفهوم الثقافة :

يرجع الفضل الأكبر وتنسب الريادة في الاهتمام بالثقافة وتحديد مفهومها إلى عالم الأنثروبولوجيا – السير أدوارد برنيت تيلور Sir Edward Burnett Tylor (١٨٣٢ – ١٩١٧) مـــن خـــلال كتابه عن الثقافة البدائية Primitive Culture فـــي عـــام ١٨٧١ . إذ نجد أن جميع التعريفات الحديثة حول الثقافة تـــنطلق من فكر تيلور عن أنها تكتسب بالتعلم والتدريس داخل المحتوى الكلى للجماعـــة فالـــثقافة لا تورث جينيا بل تنتقل من جيل إلى جيل عبر الاتصالات

الاجتماعية بين الشباب والأطفال . وأن الثقافة بالضرورة كل مركب، وأن كل جانب من حياتنا كبشر يتأثر بها في تعريف تيلور للثقافة نجده يكاد يدمج مفهوم الثقافة بمفهوم الحضارة أو جعل الأخير مرادفاً للأول . يعرف تيلور الثقافة بقوله " الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة ، والمعتقد ، الفن ، والأخلاقيات، والقانون ، والتقاليد، إضافة لأى عادات يكتسبها الفرد باعتباره عضواً في المجتمع (Spicer, 1974:72).

وظيفياً ، يمكن استخدام الثقافة في تحليل الجماعات الاجتماعية الإنسانية سواء في علاقتها بالجماعات الأخرى أو في علاقتها بالبيئة الطبيعية . فالثقافة نسق معرفة يرتبط بعلاقات بينية متداخلة مع أنساق أخرى كالنسق الاقتصادى والنسق السياسى . وأن الثقافة تمثل آلية تكيف قادرة على مواجهة أوضاع جديدة وتطور من نفسها تبعاً لهذه الأوضاع . وأن الثقافة لا تعتمد بشكل كلى على التعليم والانتقال من الآباء إلى الأبناء . ففى دراسة هامة قامت بها مارجريت ميد Margaret Mead (١٩٧٠) على المجتمع الأمريكى المعاصر أشارت إلى تحول هام في العلاقات الثقافية بين الآباء والأبناء . إذ أصبح الأبناء مدرسين ومعلمين لآبائهم لاسيما داخل المجتمعات التي تشهد تسارعاً في معدل التغير الاجتماعي . ويرجع سبب هذا إلى أن الشباب يكونون أسرع في تكيفهم من الكبار مع التغير وتداعياته . وأن الثقافة رغم تمسكها القوى بالأنماط التقليدية تتسم بالمرونة التي تمكنها من مواجهة أوضاع جديدة خلال مسيرة الحياة الإنسانية (Spicer, 1974: 94).

الثقافة الفرعية:

يشير هذا المفهوم إلى ثقافة أي شريحة معلومة داخل أي مجتمع إنسانى. وتعتبر الثقافة الفرعية Subculture جزءاً من الثقافة الكلية للمجتمع إلا أن

الأولى تختلف عن الأخيرة في اللغة والعادات والقيم والمعايير الاجتماعية أما تحديـد مدى هذا الاختلاف بينهما فإنه لا يزال غير محدد حتى الآن من جانب العلمــاء. ابتداء من أواخر الثمانينيات تتصاعد انتقادات علماء الاجتماع وعلماء الإعــلام نحو جدوى الارتباط بين الطبقة والثقافة الفرعية فى ظل الدور الفاعل للوســائط المعلوماتية والإعلامية، وظهور ما يعرف بثقافات الإعلام Media Cultures الــتى يقدمهــا التلــيفزيون على وجه الخصوص. حيث تؤثر هذه الـثقافات فــى تعدد أساليب الحياة بين العامة من جراء تنوع أنماط الاستهلاك الإعلامى (Mackey-Kallis, 1945:595) . بالمثل تلعب هذه الثقافات دورا فــى إعــادة تشــكل ثقافات فرعية أخرى لجماعات داخل المجتمع (الجماعات العرقية، المهنية، الشبابية والخارجة عن القانون).

ثانياً : ثقافة الشباب .

ضمن الإطار العام لتعريف الثقافة الفرعية تعرف ثقافة الشباب Youth Culture بالــثقافة الفرعــية لصــغار الســن من أفراد المجتمع الذين تختلف معاييرهم وقيمهم وأدوارهم بشكل واضح عن غيرهم من الأفراد داخل المجتمع. وتوجــد ثقافــة الشباب في جميع المجتمعات إلا أنها تتباين فيما بينها من حيث الدرجة قياساً بالثقافة السائدة داخل كل مجتمع(Encyclopedia, 1974 : 313) رغم أن جميع الأفراد منذ مولدهم يمرون خلال حياتهم بعملية متماثلة من النمو البيولوجى ومتشابهة إلى حد ما من حيث التربية والتنشئة إلا أن تعريفات الثقافة لدى الشباب تتباين إلى حد كبير .

وإذا أردنــا تعريف " الشباب " فلا يجب أن نتوقف عند البعد البيولوجى وحــده بــل يجــب أن يشتمل التعريف على البعدين الاجتماعي والثقافى . فعند

علمـــاء الاجـــتماع ، تتحدد مرحلة الشباب وفق ما يطرأ من تغيير على الوضع الاجتماعي والأدوار الاجتماعية للفرد خلال مراحل نموه ونضوجه . ويرون أن مـــرحلة الشـــباب تـــبدأ مع قيام المجتمع بتأهيل الفرد لاحتلال وضع اجتماعى وممارســـة دوره في مسيرة التنمية . ثم تنتهى هذه المرحلة عندما يتمكن الفرد ذاته من احتلال هذا الوضع وممارسة الدور الذي تم تأهيله من جانب المجتمع . ويـــرى علمـــاء الاجتماع أن طول فترة مرحلة الشباب أو قصرها تتباين بتباين السياقات الاجتماعية (سلامة، ٢٠٠٢ : ٩٠).

إذا كان داخل كل مجتمع إنساني تتحدد فترة الشباب بمرحلة عمريه فإن ثقافـــة الشـــباب تأخذ بدورها في التشكل والنمو خلال هده المرحلة . وتنمو هده الثقافة داخل أي مجتمع ينهض فيه تقسيم العمل على متغير العمر بشكل أساسى.

يمكن قياس التغير الاجتماعي بدرجة عدم الاستمرارية بين ثقافة الكبار وثقافـــة الصغار في السن . وفى ظل ما يشهده المجتمع الإنساني – من تغيرات راديكالية في مجال الأيديولوجيات والمعرفة والمعلومات والتقنية وأشكال الهيمنة وتداعياتها على جميع أنساق المجتمع فإن ما يعرف بالثقافة المضادة لدى الشباب Youth Counter Culture تتصاعد راديكالياً وإن تباينت في مدلولاتها وقوتها بين مجتمع إنساني وآخر (Cottle,1974:570).

ثالثاً الثقافة المضادة لدى الشباب :

ظهر تعريف الثقافة المضادة منذ منتصف الستينيات من القرن العشرين المـــيلادى يضـــيف شـــكلا خاصـــا من ثقافة الشباب يتمثل في رفض المعايير الأساسية والقيم المحورية في الثقافة السائدة لصالح الاستمتاع الأكبر من جانبهم بمتع الحياة ولذاتها وهذا النوع من الثقافة الشبابيه يكتسب سمة العالمية وابتدأ

ظهوره في المجتمعات الصناعية الغربية . وكانت أولى مؤشراته الدالة عليه في الخمسينيات بانتهاج الشباب لمنطق الوجودية في الملابس والسلوك ثم ظهور جماعة الهيبز Hippies واعتناق أعداد ليست بالقليلة من الشباب الغربى لقيم هذه الجماعة .

إن الثقافة المضادة لدى جمهور من الشباب تعكس أحسا سهم بالاغتراب عن قيم وتوقعات الثقافة السائدة داخل المجتمع لاسيما المعايير التى تحكم نوع الملبس والسلوك بين الذكور والإناث ، وشرعية العلاقات بين الأفراد داخل المجتمع .

سوسيولوجيا ، نقول إن ظهور الثقافة المضادة لدى الشباب جذب إليه بقوة أنظار علماء الاجتماع الغربيين المهتمين بدراسة الظاهرة الاجتماعية التى لم تتنبأ بها النظرية الاجتماعية التى سادت خلال الخمسينيات من القرن العشرين. حيث كان اهتمام النظرية بالشباب من خلال عمليات التنشئة في ظل معايير وقيم مقبولة وسائدة . كما اهتم الفكر الاجتماعى الماركسى بالعمال وليس بالأطفال في نقده للمجتمع الرأسمالى .

شغلت ظاهرة الثقافة المضادة لدى الشباب اهتمام الكثيرين من علماء العلوم الاجتماعية . إذ يرى روزاك Roszak أن الثقافة المضادة تؤكد على الاستمتاع بالحياة واللهو في مواجهة ازدياد الرسمية والروتين القاسى في التعامل بين الأفراد .

أما شارلز ريش Charles Reich فيرى أن الثقافة المضادة تنتج من إدراك الصغار للفجوة بين حالة المثالية لجيل الوالدين وممارستهم الفعلية في حياتهم .

كما أشرت انفاً إلى رأى مارجريت ميد ، فإنها تربط بين ظهور الثقافة المضـــادة والتداعيات الخطيرة للتغير التقني على المجتمع . فالصغير يكبر في عـــالم تكـــون المعـــرفة لدى والديه قليلة . ولأول مرة في تاريخ البشرية تكون المعرفة لدى الأبناء أكثر بكثير عن والديهم ويصبحون معلمين لهما . من ثم قد لا توجـــد نقطة أو مساحة التقاء بين ثقـــافة الآبـــاء وثقـــافة الأبناء . أو بمعنى أدق ، يتضـــاءل إلى حد كبير انتماء الأبناء لقيم الآباء . وتصف مارجريت ميد هـــذه الحالـــة بأنها مثل وجود أبناء ليس لديهم آباء ووجود آباء ليس لديهم أبناء . (Encyclopedia of Sociology, 1974 : 60-61)

عندما تتخذ الثقافة المضادة بقيمها ومعاييرها لدى الشباب موقف الرفض الصـــريح للثقافة السائدة في المجتمع ذاته ، حينئذ تكون العلاقة الارتباطية بين الاثنين من حيث علاقة الفرع بالأصل محل جدل كبير . وتعتبر ثقافة الجماعات الأصـــولية فـــي بلدان العالم المختلفة والحركات الطلابية في أوروبا خلال فترة الستينيات نموذجاً للثقافة المضادة (الجوهرى، ١٩٩٨ : ١٦) .

تعكس الثقافة المضادة لدى الشباب ما يتصف به الانفتاح العالمى الراهن مـــن مشـــكلات نفســـية وثقافـــية لديهم نظراً لحالة القلق والحيرة داخلهم عندما يحـــاولون البحث عن إجابة لسؤال هام يدور حول الوجود الإنساني وما الهدف مـــنه . فالمجـــتمعات الصناعية المتقدمة استطاعت خلال مراحل تقدمها التغلب علـــى مشاكل الندرة في توفير الإشباع للحاجات الضرورية وبعد أن كانت هذه المشاكل وراء إضرابات العمال وتمردهم انتقلت الرغبة منهم بالتغيير ومناهضة العولمـــة الثقافـــية إلى الطلبة والمثقفين . وأصبحت المشكلات ذات طابع نفسى وثقافى . وظهـــرت شعارات جديدة مثـــل " ثورة الشباب " و " الثورة الثقافية "

(الببلاوى، ١٩٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩) فالولايات المتحدة الأمريكية مثلاً تحاول أن تصبغ عملية العولمة بالنموذج الأمريكي المهيمن بقيمه ومعاييره علي دول العالم لاسـيما دول العالم النامي. ماذا حدث – و لا يزال – يحدث لشبابها. ولعل ما أذكره الآن يكشف الجانب السلبي للهيمنة الثقافية ويدق ناقوس الخطر في الوقت ذاتـه للشـعوب العربـية لإعطـاء المزيد من الاهتمام للشباب العربي وثقافته الفرعية.

يذكر شيللر أن هناك إجماعا بين العلماء الأمريكيين علي ارتفاع النسبة المئوية للساخطين بين الشباب الأمريكي لاسيما الشباب الحاصل عل تعليم فوق المتوسط بسبب دوافع الكسب التجاري الذي يروج له مجتمع (الإعلام– الترفيه).

وكشـفت دراسـة تم ارسالها إلي لجنة رئيس الاضطرابات في جامعة كاليفورنيا أن " نسبة تتراوح بين ثلث ونصف الطلاب في الوقت الحاضر يمكن إدراجهم في فئة الساخطين " وأن " الأغلب الأعم من طلبة الجامعة يؤمنون بأن نوعـا مـن المواجهـة أو التحدي هو شيء ضروري وفعال فيما يتعلق بتغيير المجـتمع . وأن " ثلاثـة أرباع الطلبة يوافقون علي الرأي القائل إن الولايات المتحدة هي أساساً مجتمع عنصري".

أيضـا مـن جـراء استخدام البرمجة بالكمبيوتر التي تشهدها الصناعة الحديـثة تسـتلزم من الشباب والفتيات العاملين داخل المؤسسات أن يتصرفوا بخضوع وامتثال . حتى هذا المطلب ينسحب علي الطلبة الذين يتدربون داخل الجامعـات الأمريكـية ذات الاتجاه المعولم. ويبلغ عدد هؤلاء الطلبة ٧ ملايين طالـب أمريكـي تكرس بداخلهم من خلال البرامج المخططة الامتثال المهارى التقنـي. إلا أن الطـلاب يرفضون أن يساقوا كالقطيع. ويصف ثيودور روزاك

Theodore Roszak رفـض الشباب الأمريكـي لـروح الخضوع والامتثال المفروضـين علي المجتمع بفعل التقنية " بالثقافة المضادة " (شيللر، ١٩٩٩ : ٢١٤) وإذا كان هذا - مجازا - حال مجتمع الولايات المتحدة الأمريكية والتي تحـاول مـن خلال عملية العولمة الهيمنة- في مجال المعلومات والأفكار على مجـتمعات أخـري لاسيما المجتمعات النامية ومن بينها المجتمع العربي فكيف يكـون حالنا وهل يستطيع المجتمع العربي - مثلا - أن يواجه فرض النموذج الثقافـي الأمريكـي بكل وسيلة ممكنة لديه ؟ وهل لدي الثقافة العربية ما يحقق التفاعل الناجح مع الهيمنة الثقافية (مجازا) ؟ وما حال الآليات التي تستعين بها الـثقافة العربية في دعم منظومة القيم العربية لدى شباب الأمة العربية ؟هذا ما سنحاول الإجابة عليه من خلال الفقرات التالية

رابعا: ثقافة العولمـة:

تتباين أراء المفكرين حول القصد من ثقافة العولمة إذ يرى الفريق الأول أن يسـود العـالم نمـوذج ثقافى واحد هو النموذج الغربي وبالأخص النموذج الأمريكـي وقيمه، من جهه أخرى يرى الفريق الثاني من المفكرين أن الثقافات المختلفة سوف تظهر في ترتيب هرمي من منطلق تعريف للثقافة بأنها " نموذج كلـي لسـلوك الإنسـان ونتاجه المتجسد في الكلمات والأفعال وما تصنعه يداه وتعـتمد علـى قدرة الإنسان في التعلم ونقل المعرفة للأجيال التالية . وأن هذا الـتعريف للثقافة قد يجعلها قادرة علي أن تسود العالم (المنهالي، ١٩٩٩: ٨) أمـا أصـحاب الـرأى الثالـث حول تجليات ثقافة العولمة ففى قولهم رجاحة ويدعمونه بأدلة - واتفق معهم فيما ذهبوا إليه من زعم - أن هذه الثقافة لا تلغى

الخصوصـــية الثقافـــية بـــل قد تؤكدها وتدعمها. ويبررون هذا الرأى بالشواهد والأسانيد الأتية:

١- إن ثقافـــة الأمة تعمل بصورة تلقائية وأحيانا بتدخل إرادي من أهلها بما يحافظ على خصوصيتها ومقوماتها الأساسية (حجازى، ١٩٩٩: ١٤٠)

٢- إن الـــثقافة جـــزء لا ينفصـــل من الإنسان ذاته والثقافة القومية صناعة صاحبها. وإذا ما حدث تفاعل بين الثقافة القومية والوافدة فالاعتقاد القوى أن الأولى قد تستعير أو تغير من بعض مظاهرها كما يتغير طلاء المنزل - أما جوهر الثقافة فأبعد من أن يتغير بسهولة.

٣- إن الأمة التى تمتلك ثوابت ثقافية وثقة في النفس وقاعدة معلوماتية قوية يصعب على ثقافة العولمة المصنوعة أن تهددها أو تغيرها.

وشواهد هذا القول موقف فرنسا من عملية العولمة. فعندما وقعت اتفاقية الجات وأباحت حرية التجارة الدولية وكل شيء في مجتمعها فإنها استثنت ثقافتها فـــلا بأس بها ولا تقبل لها هدما أو تشويها. بالمثل تطورت اليابان ودول جنوب شرق آسيا وفتحوا الأسواق للتجارة العالمية. وحققت هذه الدول إنجازات مذهلة في مجال المال والاقتصاد دون أن تسمح بالمساس بثقافتها.

حول استجابة حكومات الدول لثقافة العولمة نجد أنها تتباين وفقا لعوامل سياسية واقتصادية. ويمكن أن تصنف دول العالم من حيث مدى استجابتها لثقافة العولمـــة إلـــى ثلاث مجموعات لأغراض التحليل فقط. حيث يمكن إدراج دولة بعينها ضمن مجموعة أو مجموعتين (المنهالى، ١٩٩٩ : ١٥-١٦)

المجموعة الأولي:

تضم الدول التى ترفض ثقافة العولمة لكونها غروا حضاريا. وينظرون إلـــى ثقافـــتهم القومـــية باكتفائها حضاريا وليست في حاجة إلى الثقافة العالمية الوافـــدة. ويسود مجتمعات هذه المجموعة النزعة للخصوصية الثقافية والحرص علـــى محلـــية الثقافة. من ثم تدخل في صراع مع الانفتاح العالمى من المنظور الأمريكي. وتضم هذه المجموعة دول الصين وإيران وكوريا الشمالية وكثيرين من دول العالم.

دول المجموعة الثانية:

رغـــم أن الثقافة الأمريكية تعتبر امتداداً للحضارة الغربية إلا أن الدول الغربية تعرض عن التأثير الثقافى الأمريكي. فموقفهم لا يعتبر قبولا كاملا لهذا التأثـــير. وتضم هذه المجموعة فرنسا وعدد مس الدول الأوربية. ويمكن إضافة الهند إلى دول هذه المجموعة.

دول المجموعة الثالثة:

تضـــم الـــدول الـــتى انصهرت في الثقافة الأمريكية بكل قيمها المادية والمعنوية. وتعتبر إسرائيل أوضح مثال على هذه المجموعة. كما يمكن أن تضم هذه المجموعة كوريا الجنوبية.

وإذا حاولنا أن نصنف الدول العربية والى أى المجموعات الثلاث يمكن أدراجهـــا فانه يصعب هذا نظرا لعدم وجود مشروع حضارى عربى متكامل أو واضح المعالم (المنهالى، ١٩٩٩ · ١٥-١٦).

مــن مــنظور الفكر الإنساني يمكن أن اتفق مع الرأى القائل بضرورة المحافظة على الخصوصية الثقافية العربية مع إمكانية أن تتفاعل وتتداخل الثقافة العربــية مــع ثقافــة العولمة. وما هذا بجديد على الثقافة العربية التى سبق أن تفاعلت مع غيرها من الثقافات. ان التفاعل والتداخل لا يمنعان وقوع الاختلاف بيــن الثقافتيــن. أيضا يجب أن نضع نصب أعيننا ونحن على طريق المحافظة على الهوية والقومية، ألا ننسى الآخر وفلسفته التى تنهض عليه خطته للهيمنة.

خامساً: الثقافة العربية بين العالمية والتنوع الثقافى

يعرف المسدى الثقافة العربية بشكل شامل بأنها مناط الشخصية العربية ومستودع قيمها ووعاء حكمتها وحقيقة هويتها الحضارية. وتتصف بالخصائص والمــزايا العديدة إذ إنها ثقافة إنسانية أصيلة شاملة لمظاهر المادة والروح وذات عراقة تاريخية. وتتميز هذه الثقافة بقيم فكرية عالية وقيم الحق والعدل والمساواة واحــترام المعرفة. بالإضافة إلى أن الثقافة العربية ثقافة تمثل الثقافات الأخرى دون إذابة أو ذوبان. كما تتفرد هذه الثقافة بجهاز لغوى ليس له مثيل في السعة والمرونة (على، ٢٠٠١: ١٢٨).

تتألف الثقافة العربية من مصادر ثقافية ثلاثة هي:

١- ثقافة الأمة العربية الأصيلة التى تشمل من عناصرها اللغة، الشعر، النثر، الأمثال، القصص، الحكايات، التنجيم...الخ

٢- ثقافــة الديــن الإســلامي (الثقافة الغالبة) وتتأسس على كتاب الله الحنيف (القرآن الكريم) وتفاسيره، والسنة الشريفة المطهرة وعلم الحديث النبوى،

وعلم المبادئ الدينية وعلم الفقه، وقواعد اللغة العربية، وعلم البلاغة وغير ذلك من العلوم.

٣- الـثقافات الدخـيلة المتمـثلة في الثقافة الفارسية والثقافة الهندية والثقافة اليونانية والثقافة الرومانية (تشانج هونج، ٢٠٠٢ :٩٨) وقداسهمت الثقافة العربية بنصيب وافر في تطور المجتمع الإنساني. وكان للعرب والمسلمين شـأن عظيم وباع كبير في تلوين حضارات العالم، كما كان الإسلام سباقا فـي الدعـوة للانفـتاح العالمى منذ خمسة عشر قرنا من الزمان (أمين، ١٩٩٩ :١١٢) وطـبق الإسلام في هذه الدعوة الانفتاح العالمى بمفهومه الحضـارى المتفـتح. ومـا كان هدفه الهيمنة كما يحدث الآن من ثقافة الغرب. ودليل هذه العظمة في منهجية الإسلام التى قامت على أن الإسلام لـم يفـرض نموذجه على أي أمة من الأمم بل إنه احتواها واستفاد منها جمـيعا واحتضنها تحت دفء جناحيه. لهذا ضم الانفتاح العالمى في ظل الإسلام العرب والأتراك والفرس والروم والأحباش والهنود دون أن يؤثر سـلبا فـي هويـتهم. وبدلا من أن يسعى إلى نفى الهوية كما تفعل الثقافة الغربية الموفدة في ظل العولمة الآن، أعطى الإسلام هذه الشعوب العقيدة الصـحيحة الـتى أنقذتهم من التخبط في غياهب الجهل والشرك إلى نور الحق وعقيدة التوحيد.

وقام الانفتاح العالمى في ظل الإسلام على تعليمات الحق سبحانه وتعالى اقتناعاً وتنفيذا والتزاما من جانب المسلمين الذين انطلقوا من الجزيرة العربية في بـادئ الأمـر. فالإسلام الحنيف دعا إلى مفهوم الانفتاح العالمى من نور الآية الكـريمة فـي قوله سبحانه وتعالى بسم الله الرحمن الرحيم" يا أيها الناس إنا

خلقـناكم مـن ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقـاكم" (سـورة الحجـرات : ١٣). في هذه الآية الكريمة دعوة للمسلمين إلى الانفتاح على العالم والتفاعل وفتح الحوارات مع جميع الشعوب دون تمييز.

وفـيما يـتعلق بالحـرية والمسـاواة الـتى يتشـدق بها دعاة الغرب ويسـتخدمونها ستارًا يخفى وراءه العنصرية والرغبة في الهيمنة على الشعوب لاسـيما شعب المجتمع العربى بثرواته، نقول لهم إن الإسلام جاء محررا للبشر مـن كل عبودية لغير الله جل شأنه. جاء الإسلام ليعلن أن جميع الناس سواسية كأسـنان المشـط. من ثم لا يبغى بعضهم على بعض ولا يتسلط بعضهم على بعض. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختم رسائله إلى الملوك والقياصرة بالآيـة الكريمة **(يا أهـل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله) (آل عمران : ٦٤)** (القرضاوى، ١٩٩٥ : ٣٢٢ - ٣٢٣).

أيضا فإن الأصل في الشريعة الإسلامية أن الأفراد أحرار فيما يمتلكونه ويسـتهلكونه مـن الطـيبات الـتى أحلها الله. وأن الأصل مقيد بعدم الإضرار بالمصلحة العامة أو بالمصلحة الخاصة. وتعتبر الحرية في عملية التوزيع داخل الاقتصـاد الإسلامي إلى جانب العدل الركيزتين الأساسيتين. والرؤية الإسلامية للحـرية شاملة جامعة. إذ ينسحب مفهوم الحرية على الأعمال والأفكار وحفظ الكـرامة والتنافس الشريف والإنفاق دون إسراف أو تقصير والادخار، وحرية التبرع والتورث والكسب والتملك. إلا أنه مسئول أمام خالقة سبحانه وتعالى عما فعـل بهذه الحرية. ولا تكون المسئولية أمام الله جماعية بل بصورة فردية. كما

قـــال عز وجل "يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون" (سورة النحل ١١).

"وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا" (سورة الاسراء ١٣ - ١٤)

فمـــا سبق يؤكد على ما تتمتع به الثقافة العربية المزودة بهدى الإسلام ومعايـــيره وقـــيمه وأخلاقياته من عالمية متفتحة وإمكانية التفاعل والتداخل مع ثقافات أخرى وافدة.

سادساً: الثقافة العربية كموروث شعبى يشكل الهوية :

إن دور الموروث الثقافى العربى في عملية التنشئة للأبناء بات إشكالية هامـــة إذا مـــا ربطناه بنمو الهوية بل وحماية الشباب المتلقى من سلبيات ثقافة الانفتاح، ومن أجل فهم هذه الإشكالية والرؤى حولها من جانب المثقفين نرى أن نعـــرض فيما يلى لما تتصف به الثقافة العربية حاليا بوصفها السياق العام الذى يحكم ويشكل عمليات التنشئة داخل المجتمع العـــربى.

تتشكل ثقافة الشباب عبر وسائط التنشئة الاجتماعية المتعددة من الأبعاد والمظاهر الآتية:

١- التعارض القائم بين الموروث الثقافى الإسلامي الذى يتم إكسابه للشاب منذ نعومـــة أظفاره ابتداء من مرحلة الطفولة المبكرة داخل الأسرة وما تقدمة وسائل الإعلام المرئية خاصة من قيم تتناقض مع قيم هذا الموروث. ولأن احتمالات سيطرة الإعلام المرئي أقوي بكثير من دور الأسرة وأساليبها في غـــرس القيم العربية الأصيلة لدى الناشئة . فالأم أو الجدة - علي سبيل

المثال تستخدم قص الحكايات علي مسامع الطفل إضافة لما يتعلمه سواء بالمشـــاهدة أو بالغرس من جانب الوالدين للقيم لاسيما القيم الدينية. ويلعب الموقف دوراً كبيراً في اكتساب الطفل للقيم. ولكن كما يقول علماء النفس ســرعان ما ينسى الطفل لاسيما في مراحله الأولي لهذا الموقف. فما بال قضـــاء هذا الطفل ساعات طويلة أمام جهاز التلفاز أو ألعاب الفيديو يتلقى ويرى في آن واحد. بل يشارك في أداء اللعب بالكمبيوتر.

٢- التراجع الواضح في دور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية كما يتراجع بالمــثل دور المدرسة. بينما يتعاظم دور الرفاق ووسائل الإعلام المرئي خاصـــة فـــي تكريس قيم بعينها. وفي سن الشباب تلعب المعلوماتية عبر شبكات الإنترنت دوراً خطرًا في تبنى هؤلاء الشباب لأطر معرفية وثقافية حديـــثة قـــد تدفـــع الكثير منهم للإعراض عن الموروث الشعبي الأصيل تدريجـــياً. ويصبح الأمر بالغ الخطورة أن ينفصم الشباب في ثقافتهم عن جوهر الثقافة العربية.

٣- محاولـــة تفـــريغ مفهوم الذات العربية الإسلامية لدى الشباب العربي بفعل المواجهـــات غير المتكافئة في مجال تثقيفهم من مراحل طفولتهم المبكرة بيـــن وســـائط تنشـــئة تقلـــيدية حديثة. ومصادر عالمية تستخدم الصوت والصورة والإبهار والمعلومة المتنوعة في تدعيم قيم بعينها.

٤- القصـــور الواضـــح فـــي تكاملـــية عملية التنشئة الاجتماعية في المجتمع العربـــي؛ فبيـــنما ينصـــب الاهـــتمام في التنشئة علي توفير الاحتياجات الفســـيولوجية كالطعـــام والشـــراب للأطفال فضلا عن توفير الاحتياجات الاجتماعـــية والنفســـية كالشـــعور بالأمان والحنان والانتماء فإن الاهتمام

بالاحتياجات الثقافية للطفل والتي تدخل في تربيته عقليا ووجدانيا حاليا لا تحظــى إلا بالنذر اليسير من جانب القائمين على التنشئة وعادة ما يكون الخــيال أو الابتكار من جانب الطفل مرفوضاً من قبل والديــه رغــم أن علمــاء النفس يرون أن من أهــم خصائص الطفل ولعه باكتشاف عالمه المحيط به حيث يراه مدهشــاً ومثيراً . ويدفعه إحساســه وخياله نحو هذا الاكتشاف (ريان ، ٢٠٠١ : ١٨٢ – ١٨٣).

٥- إن وســائط التنشئة التقليدية لاسيما المدرسة ما عادت ترسخ اللغة العربية في أذهان الناشئة بشكل واضح فمنذ الاحتكاك بالثقافة الغربية لاسيما خلال القــرن العشرين – بدأت حملات الهيمنة لهذه الثقافة مستعينة بالإرسليات التبشــيرية وإنشــاء المــدارس الأجنبية التي تعزز من ثقافتها مما أوجد ازدواجــية ثقافــية بين الشباب المتلقى داخل المجتمع الواحد.والتوسع في إنشــاء الجامعات الأجنبية إلي جانب الجامعات الحكومية. وقد أحدث ذلك تحولا في عناصر التراث المادي وغير المادي .

٦- رغــم التحديات التي تواجه الموروث الثقافي خلال مراحل التنشئة وحتى بلــوغ الناشــئة سن الشباب ، فإن من أهم خصائص هذا الموروث قدرته علــى المرونة في البحث عن البدائل والآليات لمواجهة هذه التحديات بما يضمن لقيمه ومعاييره أن تظل تشكل سلوك ومعايير الشباب وعلي ضوء مــا عرضنا له بإيجاز غير مخل – في بيان قوة الموروث الثقافي العربي يصــبح الجانب الأولي بالمناقشة هو المواجهة بين الثقافة التقليدية والثقافة الوافــدة بما يجيب في النهاية حول إمكانية التفاعل والتداخل بين الثقافتين دون إخــــلال بــالموروث الثقافي . وأجريــت الكثيــر من الدراســات

الأنثروبولوجـية حـول المـوروث الثقافي في مصر. على سبيل المثال، أجريت دراسة هامة في حي بولاق بمدينة القاهرة على عينة من المنشآت تعمـل فـي مجـال إنـتاج أو بيع أطعمة وسلع استهلاكية بهدف دراسة الاسـتهلاك والثقافة التقليدية كرد فعل للمنشآت الاستهلاكية التقليدية تجاه توسع الشركات متعددة الجنسيات في افتتاح فروع لها في مصر.

وتحـاول الدراسـة التعرف على رد فعل الثقافة التقليدية تجاه الأشكال الجديدة للاستهلاك الرأسمالي .هذا من حيث معرفة مدي احتفاظ المنشـآت المحلية بالخصوصية الثقافية لها . أيضا هل تفضي المواجهة بيـن الثقافتين إلي صياغة جديدة للمنشآت التقليدية نظرياً ، حينما تواجه الـثقافة التقلـيدية خطـراً فإنها تحاول البحث عن بدائل للتكيف مع أو لمواجهـة الخطـر ليس من أجل تحقيق استمراريتها بل والمنافسة مع الوافد الثقافي الجديد.

خلصـت الدراسـة إلي نتائج هامة ما يهمنا من خلالها في هذا البحث الأمور الآتية (عبد الحميد، ٢٠٠٢ : ٣٤٦، ٣٥٧-٣٦١) :

أ-تخـدم عناصر الثقافة الشعبية السائـدة في الحـي استمرار الأهالي (الأطفـال – شـباب – كـبار) في اللجوء إلي منشآت الاستهلاك التقلـيدية سـواء في مجال الطعام أو التسوق التجاري أو الترفيهية . وأن مـا يقـدم لهـم يشبع حاجتهم الثقافية وتتفق ومستوي معيشتهم وطبيعة دخولهم الشهرية.

ب-إعـادة الإنـتاج إلى جانب إحداث تغيير طفيف في المضمون دون الأضـرار بالهوية والخصوصية الثقافية التقليدية. مثل إعادة الطلاء

للمنشـــات وعمل الديكورات والجماليات الشكلية من حيث الإضاءة والـــذوق مثلما تكون عليه سلسلة المطاعم الغربية والأمريكية التي تجتذب الشباب اليها . كما بدأت المحلات المطورة في اتباع أساليب مماثلـــة لمثـــيلاتها الغربـــية في عملية التسويق من تسويق وخدمة التوصيل للمنازل.

٧- مـــن المســـلمات في عمليات التنشئة الاجتماعية أن التربية القومية للناشئة تســـتلزم توفـــر بيـــئة تحقق داخل هؤلاء الرؤية الواضحة والمتنامية نحو مجتمعهم والاكتساب السليم لموروثهم الثقافي دون ضبابية أو زيف.

سابعاً: رؤي المثقفين العرب حول أوضاع الثقافة العربية لدي الشباب:

منهجـــيا إذا حاولنا أن نتعرف علي رؤي المثقفين العرب حول أوضاع الـــثقافة العربية لدي الشباب فإنه ينبغي تناول حال المثقفين العرب وتوجهاتهم . والبيئة الاجتماعية العربية ومالها من خصائص ثقافية وسياسية تؤثر علي الرؤية الفكرية للمثقفين وتوجهاتهم وتطلعاتهم . وهل يستطيع المثقفون العرب أن يفعلوا للشـــباب المتلقى شيئاً مؤثرًا يزيل عنهم الضبابية الثقافية وحالة القلق التي تسود عـــالمهم الحالي ؟ وإن الشباب العربي لا يحتاج إلي مناعة أخلاقية لأن موروثة الثقافي التقليدي يحميه . إن ما يحتاجه الشباب هو كيفية استخدامه للعقل في فهم مـــا يـــدور حوله . وفي حاجة إلي مناعة فكرية وعقلية وعلمية. وحتي تكتمل منهجيتنا في التعرف علي رؤي المثقفين العرب فإن علينا أن نضع أمامنا عدداً من المسلمات تحدد إطار المناقشة والمسلمات هي :

١- أن الـــثقافة فـــي ذاتها ليست طرفا في التفاعل بل إن المتحاورين باسمها كالدول والمنظمات والأفراد هم الذين يمثلون هذا الطرف

٢- أن الانفتاح العالمي بمفهومة الحالي آت لاريب فيه بالنسبة للمجتمع العربي، وإن المجتمع الأوربي الآن يطبق هذا الانفتاح مع وضع قيود من جانب دولة كفرنسا علي البعد الثقافي منه حرصا علي موروثها الثقافي إضافة إلي دول جنوب شرق آسيا في مقدمتها الصين واليابان .

٣- رفض مقولة تقسيم الإنسان – بطريقة تعسفية إلي مادة وروح. لأن التطور العلمي يتطلب قيما إنسانية عليا كالصدق والصبر والتضحية .

٤- المشاركة الجماهيرية في بناء الثقافة العربية القادرة على المواجهة والتصدى للهيمنة الغربية لا تزال محدودة.

٥- أن الثقافة أمانة في أعناق المثقفين.

٦- أن الثقافة نصر كبير لقيم العدل والجمال والخير والحق.

٧- أن المعنى الحديث للثقافة من منظور وظائفها وأدوارها أصبح غاية وليست وسيلة فحسب. من ثم لم تنجح الثقافة العربية منذ أكثر من قرن حتى اليوم في صنع حداثتها .

١ـ حال المثقفين العرب :

إن القصد من اهتمامى بحال المثقفين العرب هو محاولة تشخيص الواقع الفعلى بماله وما عليه لفئة المفكرين منهم . ففي القاموس الحديث لعلم الاجتماع ، يعرف المثقفين Intellectuals بهؤلاء الأفراد، داخل مجتمع ما، الذين يناط بهم تطوير الأفكار الأصلية ويشغلون بالأنشطة الفكرية الإبداعية ، ويمثل المثقفون شريحة إبداعية صغيرة من الانتلجنسيا Intelligensia التى تضم الحكام المثقفين أو القيادات الثقافية التى تستعين بمقتضى الشريحة الأولى

من المفكرين المبدعين .الانتلجنسيا كتعريف شامل جميـــع الأفراد المتعلمين المحترفين Professionals والذين يشغلون وظائف إدارية داخل المجتمع . وأن يكـــون لدى هؤلاء الأفراد رؤية فكرية ولديهـــم درجة من الوعي بأنفسهم كفئة اجتماعـــية متميزة (Theodorson and Theodorson, 1969 : 210). في الكـــتابات العربـــية ، نجـــد استخدام الانتلجنسيا والمثقف كاصطلاح درج على استعمالهما عند الحديث عن المفكرين . إلا أن كلمة intellectuals هى الغالبة عند ذكر هؤلاء لأنها أدق في المعنى والتعبير، ويمكن أن تنسحب على المفكرين الذين يقبضون على زمام الأمور السياسية وشئون الحكم وعلى المفكرين بعامة حتى تميزهم عن المثقفين عامة وهم أكبر فئة على الإطلاق.

يعـــرف أهـــل الفكـــر علـــى أنهم الذين يتعاطون الأفكار خلقاً واقتباساً وتـــرويجاً . ولـــيس من الضرورى أن يكون أحدهم محترفاً بل يلزم أن يكون شخصية عامة قادرة على مخاطبة الغير بغرض التأثير فيه . ومن أمثلة هؤلاء الكاتب والشاعر والروائى والصحفى والفنان والخطيب والأستاذ الجامعى .

ومـــن منظور سوسيولوجى، ليس شرطاً أن يكون المفكر مبدعاً فقط بل ينحســـب التعريف على كل من له القدرة على التأثير في الآخر سواء من خلال الـــنقل أو التنسيق أو التحرير أو الاقتباس أو إعادة التركيب للأفكار . من ثم لا يكون المثقفون داخل المجتمع مجموعة متجانسة ،بل يجب أن ينظر إليهم سواء مـــن حيث الوظائف أم الأهداف والتوجيهات والأيديولوجيات كفرقاء متعددين . إلا أنهم من منظور فكرى بمثابة البيئة التى يستقطف منها القادة السياسيون داخل المجتمعات . من هذا التعريف الإجرائى يندرج من وجهة نظرنا – تحت مظلة المفكرين العرب - من هم في وضع السلطة والحكم ومن هم خارجها . وقبل أن

نعرض للعلاقة بين الفئتين من المثقفين نتفق ابتداء على فكرة أساسية مفادها أننا لا نقصـــد النقد من أجل النقد بل المسلك الفكرى لدى هؤلاء وقدرته على وضع بـــرنامج إصلاحى وتجديدي قومى قادر في التأثير على الشباب العربى في ظل معطـــيات الواقع العالمى غير المستقر وتداعياته السلبية على المجتمع العربى . وإن الاهتمام بشباب اليوم لأن منهم قادة الغد . فضلاً عن أن هذه الفئة التى تمثل القلـــب الـــنابض ومصدر الأمل للمجتمع العربى هى الأكثر استهدافاً من جانب سلبيات ثقافة الانفتاح العالمى الحالية . لهذا أرى أن المسئولية الكبرى في تحقيق المسلك الفكرى الاصلاحى والتجديدى يقع على عاتق المفكرين المستقلين الذين يركـــزون عصـــارة فكـــرهم نحو أفراد المجتمع . وتتضاءل لدى هذه الفئة من المفكريـــن مصـــالحهم الخاصـــة أمام عظمة وجلال هدف توجيه أفكارهم ذات الجدوى نحو شباب المجتمع. ولأن للأفكار أجنحة كما يقولون – فلو ساد مجتمع مـــا قـــيد علـــى الحـــريات فليس بمستغرب أن يضل شباب هذا المجتمع الفكر المستنير عبر الوسائط الإعلامية المتعددة الآخذة في التنامى بشكل غير مسبوق في ظل عصر السماوات المفتوحة .

فـــي اعـــتقادنا أن تحقيق المسلك الفكرى الصحيح يتطلب من المفكرين العرب أن يقيموا تفاعلاً فكرياً مع الثقافات الآخرى بدلاً من الانكفاء على اجترار الماضـــي والـــتعالى على الثقافات الأخرى . هذا الهدف لا يعنى إطلاقا التنكر للثوابت القيمية الدينية في الثقافة العربية بل ينطلق منها ليحافظ عليها من خلال:

١- تحديـــد الرؤية الدينية – دون مساس بالثوابت – تحديداً عقلياً واجتماعياً مـــنطلقاً مـــن مرجعية عالمية الثقافة العربية – كما ناقشناها سابقاً . ومن الطبـــيعى أن تـــثار قضـــايا ثنائـــية الإسلامية والعلمانية ، وثنائية الثورة

والدولـــة، وقضـــية اقتباس الديمقراطية من النموذج الغربى في مجتمعنا العـــربى ، وقضية الحرية وارتباطها بالفكر العربى ، ونوعية العلاقة بين الفكر الحر والحاكم أو الصفوة الحاكمة .

٢- كى يكون التحديد عقليا وممكناً وقادراً على الحوار الفاعل مع ثقافة الآخر يجـــب أن نعـــى جـــيداً معطيات عقيدتنا التى تعظم قيم المساواة والحوار والشورى .

٣- احـــترام الاخـــتلاف الفكـــرى والعقائدى في سياق من التعددية وممارسة الديموقراطية.

المثقف العربي : الواقع والتحديات :ـ

رغـــم الاعتراف بما حققته الثقافة العربية على يد المفكرين العرب في تحديـــد هويتها وإثبات قدرتها على التنافس في عالم متغير بل وبمحاولة الثقافة العربـــية الدفاع عن اللغة العربية فإنها لا تزال مستغرقة في بناء ذاتها داخلياً . ولا تـــزال تواجـــه معوقات من جانب المفكرين العرب أنفسهم من حيث طرق تفكيرهم ومصادر مرجعيتهم وتباين إيديولوجياتها وعدم وحدة صفوفهم وهشاشة محاوراتهم ، والانفصال عن الجمهور بالرأى والتبصير لأسباب كثيرة (الخطيب ١٩٩٩ : ٢٣٥) .

ففـــى الوقـــت الـــذي يشـــكل الانفتاح العالمى من خلال عولمة الإعلام والاتصـــال تهديـــدا للتعددية الثقافية وطمس الهوية الثقافية للأمم ، فإن أشد ما تعانـــيه الثقافة العربية لدى الشباب أنفسهم ما يرونه من تباين في آراء المفكرين العـــرب بيـــن فـــريق يـــنادى بالمحافظة على الثقافة العربية وفريق ثان ينادى

بالليبرالية. وبين الفريقين رؤى غير واضحة المعالم – إن جاز القول – تحاول إيجاد مخرج لأزمة هذين الفريقين.

ففى رؤى المفكرين الأصوليين يجب الحفاظ على نقاء العالم وثباته في مواجهـــة التحديث الحالي الذي يحمل في طياته تشويشاً لفهم وإدراك الحكمة من خلـــق العـــالم وهـــذا مـــا يطلـــق عليه المفكرون الإسلاميون .: السنن الكونية والأصـــوليات الدينـــية وغير الدينية . وأن الانفتاح العالمى الحالي يؤمن بنسبية الأشـــياء ممـــا يهدد الفكر الأحادى والمؤمن بمطلق .وكما هو معلوم في ذاكرة الأمـــة العربـــية أن قضية خصوصية النسبية الثقافية كانت جوهر الاهتمام لدى الكثـــير مـــن المفكريـــن في بحثهم للعلاقة بين الهوية العربية والانفتاح العالمى الحالـــي . إلا أنهـــا ليست وليدة هذا الانفتاح بل ترجع إلى صراع قديم ابتدأت مقدماته حديثاً عند الالتقاء بالثقافة الغربية منذ القرن التاسع عشر الميلادى، ولعل مـــن أمـــثلة الصـــراع أو الوفاق بين الثقافتين قضية حقوق الإنسان . إذ يحدد هالـــيداى أربـــــع استجابات لها في نهـــج التعامل معهـــا هـــى: الاستيعاب ، الـــتملك ، الخصوصـــية، والمواجهـــة. وقد يضاف إلى الاستجابات الأربـــع عـــــدم الـــتوافـــق (إبراهـــيم : ١٩٩٩ : ١١٥) ورؤية المفكرين الاسلاميين ترســـخ مقولـــة إن الانفـــتاح العـــالمى الحالي يمثل في جوهره مشروعا غربياً للهيمـــنة. مـــن خـــلال هذا الرأى يتم تحليل وفهم ومقاومة هذا الانفتاح . واهتم المفكـــرون الإســـلاميون بمـــا أسموه تحديات فكر الغرب ونموذجه الحضارى. وأنتجـــت المكتبة الإسلامية الكثير من المقالات والأبحاث ترد في مجملها على شـــبهات حول الإسلام . ومحاولة هؤلاء المفكرين إثبات قضيتين هما : شمولية الإســـلام وإنســـانيته المـــتفردة مقابل التأكيد على أزمة الحضارة الغربية بسبب

الإفراط في المادية والبعد عن الأخلاق والقيم. وينتقد حيدر إبراهيم هذا الاهتمام والتركيز الذي يبدو واضحا في الربط بين الإسلام والعولمة من منظور سوسيولوجى فى أنه يفتقر إلى الدقة . فالإسلام نصوص، والعولمة عملية وصيرورات قبل أن تكون نظرية أو خطاباً معرفياً . وأن الأولى عند هؤلاء المفكرين الاهتمام بالفرد المسلم وكيف يفهم الإسلام ويمارسه عملياً بدلاً من التوقف عن الرد على الشبهات حول الإسلام (إبراهيم، ١٩٩٩ : ١١٠ ، ١١١).

وتبدو قوة هذا الاتجاه فى الإسلام مستمدة استمراريتها وقدسيتها من واقع المجتمع العربى على امتداد تاريخه لاسيما من عمليات التنشئة وانتماء الفرد العربى للإسلام .بحيث يصبح الانتماء للدين والمجتمع العربى معاً جزءاً من كيان الفرد وطبيعته . وربما يفسر هذا التوجه الإسلامي في عملية التنشئة الاجتماعية – انعدام الاضطهاد الدينى في تاريخ المجتمعات الإسلامية الذى ينم عن عدم الحاجة إليه بسبب قلة حوادث الارتداد إضافة إلى إمكانية تعايش المذاهب والآراء المختلفة والتسامح المتبادل بينها (شلق ، ١٩٩٠ : ٥٤).

على صعيد أخر يموج المجتمع العربى بأيديولوجيات غير إسلامية تمثل الاتجاه الليبرالى الذي يرجع أصوله إلى الصدام التاريخى بين الثقافتين العربية والغربية ومدى تأثر الأولى بالثانية لاسيما منذ الاحتلال الغربى للمنطقة العربية في القرن التاسع عشر .ومن أهم المحطات التاريخية فترة محاولة التوفيق بين تيار الإصلاحية الإسلامية وتيار الليبرالية الغربية (من أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين) . وكيف أثر الخطاب الفكرى في الشباب العربى حينئذ تمثل هذه الفترة مرحلة تحد واجهت الشرق العربى والإسلامي ولا تزال تداعياتها مستمرة في ظل تبنى المفكرون لأفكار السياسة

والأيديولوجـيات كالاشتراكية التي تتبناها بعض الدول العربية والرأسمالية في دول أخرى .

الشـق الأول مـن الخطـاب الفكـرى ، الجواب الذي حمله ليبراليون علمانيون تماثلوا كلية مع التجربة الليبرالية في الغرب . ويدعو هذا الخطاب إلى القطـيعة شبه الكاملة مع الماضي الإسلامي المعاش في حاضرهم والمتمثل في حالة استبداد سلطانى وقمع للحريات ولا يزال لهذا الخطاب الذي تمت صياغته في المراحل الأولى بين السيطرة الاستعمارية في الشرق العربى الإسلامي حتى يومنا هذا سواء من حيث المنهج أم العقلية أم السياسية (كوثرانى، ١٩٨٩ : ٨).

يعلـق كويلريـنج على هذا الخطاب الفكرى بقوله إن هذا الخطاب كان يمـثل أحـد العوامل التي أثرت في موقف العرب تجاه حضارة الغرب إذ دعا أصـحاب هذا الرأى من المفكرين إلى ضرورة اتباع سياسة التخلى عن التقاليد والعقـائد العربـية والاندفاع نحو الغرب اندفاعا كاملا كوسيلة وحيدة تجعل من العـرب دولـة حديثة . وإن المفكرين الذين تبنوا هذا الاتجاه كانوا قليلى العدد وكان تأثيرهم ضئيلاً على مستوى المجتمع العربى (أمين ، ٢٠٠٢ : ٢١٠) .

مـن جهـة أخرى تبنى المفكرون المدافعون عن الثقافة العربية خطابا نهـض على عدم الاعتراف بتفوق الثقافة الغربية على الثقافة العربية كنوع من الدفـاع عن النفس وإن كان هؤلاء المفكرون يقدمون القومية الإسلامية الشاملة على الثقافة العربية في انتقادهم لنظم الغرب . وإن من بين هؤلاء المفكرين من تبنى الدعوة إلى الخلافة الإسلامية (أمين ، ٢٠٠٢ : ٢١١) .

أمـا العلاقة بين الفريقين الأصولى الإسلامي والليبرالي فلا تزال غير مرضية وتصل الخصومة بينهما إلى حد القطيعة وكما يقول نبيل على فإن كل

فــريق يضـــع شروطاً مسبقة للحوار تنسف لنظيره قواعد انطلاقه . وأصبحت معاركنا الثقافية ما بين الضجيج وتصفية الحسابات (على ، ٢٠٠٢ : ٣٥).

إذا أخذنـــا بــدور الفكـــر الليبرالى في إحداث حركة التغيير – المجتمع التونســـى – كمـــثال : نقول أنها حدثت بفضل حركة الشبان التونسيين والحزب الدســتوري بـــزعامة الثعالـــبى والحزب الدستوري الجديد بقيادة بورقيبه وأن المفكريـــن الممثلين للنخب السياسية يصنفهم عالم الاجتماع التونسى عبد الباقى الهرماســـى فـــى ثلاثـــة تيارات هم : العلماء الدينيون ، التحديثيون الليبراليون ويمـــثلهم بورقيـــبه والنقابيون الراديكاليون ويمثلهم أحمد بن صالح (الذوادى، ١٩٩١ : ١٥٦) ولا تـــزال إشـــكالية الحداثـــة مع الموروث الشعبى الإسلامى العربى للشعب التونسى غير محسومة .

أيضاً ينتقد الجابرى موقف المفكرين العرب والخصومة بينهم ويسأل : لمـــاذا لا يـــرى الكثيرون منهم نهضة عربية أو إسلامية إلا في غيبة الآخر أو إلغائـــه ، ويعقـــب علـــى هذا نبيل على مستطرداً بقوله " يحدث ذلك في عصر الحوار عبر الإنترنت . فهل نستسلم إلى ما يشيعه الآخرون عنا من أننا نفضل المونولوج على الديالوج سواء بين أهلنا أو مع غيرنا ؟

ويضيف نبيل علي منتقداً هذا الوضع ويتساءل : وإلى متى وفي عصر تكنولوجيا المعلومات يظل كبار مفكرينا ومديرينا متشبثين بمقاعدهم ومواقعهم ؟ وكـــيف سمحنا لأنفسنا أن نترك مبدعينا أثمن موارد صناعة الثقافة لقمة سائغة لفئران المكاتب المنتشرين في بعض إدارات مؤسساتنا الثقافية ؟ وكيف ارتضينا أن يـــنوب عـــنا غـــيرنا في صناعة صورة ثقافتنا وصورتنا بالتالي ؟ فالمعجم المفهـــرس لألفـــاظ القـــرآن الكـــريم قام به مستشرق ألمانى والمعجم المفهرس للأحاديث النبوية قام بها مستشرق فرنسى الخ " (على، ٢٠٠١ ٣٥-٣٦).

كـيف يمكـن أن يري المفكرون الثقافة العربية لدي الشباب إذا وضعنا بعين الاعتبار حالة المفكرين والسياق الثقافي العام للمجتمع العربي :

١- يعـيش العـرب ثقافة مجتمعية أقل ما توصف به الازدواجية الثقافية التى ترفض الالتقاء أو الحوار بين اطرافها .

٢- مـا يمـثله الإنترنـت للشباب من ملجأ معرفي متدفق ومتنوع المعلومات يعرض للعرب بشكل غير أخلاقي دون أن يجد الشباب من جانب المفكرين العـرب مـا يعـبر عن مساندتهم في رفض الإهانة المقصودة لكل ما هو عربـي. ولأن الشباب العربي هم أحوج فئات المجتمع طلبا للتوجيه وتقديم الرؤية الواضحة حول ماضيه وحاضره ومستقبله . ويواجه شبابنا ازدواجية فـي التعامل معه بين ضرورة تكيفه مع ثقافة المجتمع الكبير وبين الامتثال للتراث الاجتماعي الثقافي . إضافه إلي ما تقدمه شبكة الإنترنت من تزييف الوعي لدي الشباب العربي خاصة فيما يعرضه حول العرب وثقافتهم .

ثامناً: السيناريوهات:

السيناريو الأول : الانغلاق الثقافى :

يتبنى هذا السيناريو السلفيون الذين يدعون إلى بناء نموذج عربى مماثل للـنموذج القديـم. وتظهر مؤشرات هذا الاتجاه بين الشباب فى الزى والمظهر وآراء حول المرأة ودورها وحريتها.

السيناريو الثانى : تقمص حضارة الغرب :

يتبنى هذا السيناريو فريق من المفكرين العربى أبهرتهم إنجازات الغرب وحضارته الحديثة. ويرى أنه على ثقافتنا العربية الأخذ بالنموذج الغربى كنظام جديد عالمى.

يظهـــر هذا السيناريو دلالات خاصة بين الشباب وتشبه بعضهم بالثقافة الغربية فى المأكل والملبس والسلوكيات والعادات التى لم تألفها الأمة العربية فى سابق عهدها.

السيناريو الثالث: المواجهة والصدام مع الآخر :

ينطلق دعاة هذا السيناريو من مقولة عدم وجود اتفاق بين الثقافة الغربية الغارقـــة فـــى الماديات والمهملة للقيم الإنسانية والثقافة العربية التى تدعم القيم الانسانية الأخلاقية. ونظراً للتعارض فى المقومات الأساسية بين الثقافتين تسعى كل منهما للقضاء على الأخرى وفرض هيمنتها عليها.

السيناريو الرابع : التفاعل والتداخل :

يؤمـــن دعاة هذا السيناريو بامكانية التفاعل الإيجابى بين الثقافة العربية وثقافة الانفتاح العالمى بحيث تستطيع الأولى تطويع ما تراه مناسباً لشبابها ومن ثـــم إعادة صياغته بمـــا يحافظ على الهوية الثقافية والخصوصية الأصيلة لها. ومـــن قـــراءة ذاكـــرة الأمة العربية الإسلامية نجد أنها نجحت فى هذا الصدد واســـتفادت مـــن ثقافات أخرى وطوعتها لخدمة الثقافة الاسلامية العربية. وكى يـــتحقق هـــذا الســـيناريو الـــرابع - والـــذى اعتقد أنه الأهم والأفضل - فمن الضرورى توفر شروط عدة حتى يتحقق الهدف الأساسى وفتح الطريق الرحب أمام الشباب العربى لبناء مستقبله.

إن تحديـــد هذه الشروط مرتهن بالقدرة العملية الحالية التى عليها الثقافة العربية ممثلة فى مفكريها وشبابها والسياق الاجتماعى السياسى الاقتصادى الذى يحـــتوى علـــى هـــذه القدرة. وأن أول الشروط وأهمها على الاطلاق أن يكون

الـــتفاعل متكافــئاً ســـواء على مستوى الاتجاه أو التأثير المتبادل، ولابد للثقافة العربيـــية مـــن قـــوة تساندها وتحميها. وهنا تبدأ المرحلة الأولى من السيناريو المنشود أن نتعرف على واقع قوة الثقافة العربية مقابل قوة ثقافة الانفتاح العالمى الحـــالى التى تستخدم الآليات الآتية لضمان قوتها وفرض هيمنتها على الثقافات الأخرى عامة.

١- احـــتكار التقنـــية ومصادرها ومعرفتها (know how) وكيفية تشغيلها (Do how) بما يخدم المصالح الاقتصادية لصناع هذه الثقافة من جهة، ولفرض ما يشاءون من أنماط على الناقل للتقنية والمستفيد من منتجاتها على مستوى المجتمع العربى.

٢- الحرص على تفوق الحضارة الغربية واعتبارها النموذج المثالى لتحقيق الـــتقدم والتنمية الشاملة من خلال التأثر بآليات مختلفة فى الفكر العربى والتشـــكيك فـــى القـــدرة الذاتية للعرب وأنها سبب التخلف الاجتماعى للمجتمع (بركات: ١٩٩٩، ١٤٨-١٥٠).

٣- التوســـع فـــى إنشـــاء مؤسسات غربية تعليمية وتبشيرية وخيرية داخل المجـــتمع العربى على امتداده مما يعمق الازدواجية الثقافية بين الشباب ولمصلحة ثقافة الغرب. وهذا من خلال تبادل الزيارات والمهام العلمية والبحثـــية والمعسكرات الصيفية فى بعض الدول الغربية. وما قد يسفر عـــن التوســـع فى هذا الاتجاه من التشجيع على الهجرة للغرب خاصة هجـــرة العقـــول المبدعة وحرمان مجتمعها من الانتفاع بها فى التنمية والتطور.

٤- الاستخدام المخطط مسبقا للمعلوماتيه والإعلام من حيث النوع وطريقة العرض التى تعتمد على الإبهار والإثارة لدى الشباب العربى بما يتوقع معه إعادة تشكيل وعيه القومى العربى أو تزييف الوعى لديهم.

٥- ربط المصالح الاقتصادية لدى فئة اجتماعية متنامية الحجم داخل المجتمع العربى بمصالح الغرب من خلال التوسع فى الوكالات التجارية لشركات عالمية أغلبها غربية فى مصادرها الأصلية.

٦- تقديم المساعدات المالية الضخمة التى تشجع على عمل بحوث تخدم انتشار الثقافة الغربية وتحدث الفرقة العرقية داخل المجتمع الواحد مثل قضية الأقليات.

ولاستنهاض الثقافة العربية لدى الشباب فى مواجهة الهيمنة الثقافية الغربية فمن الضرورى الاستخدام والتوظيف الأمثل للقوة المادية فى مجال العلم والتقنية. وفى رأيى يمكن تحقيق هذا من خلال وحدة اقتصادية عربية تتغاضى عن الخصومات والاختلافات بين النخب السياسية العربية – العربية. فالدول العربية لديها مقومات هذه الوحدة، كما أن لديها وحدة اللغة والثقافة والدين إضافة لما لديها من الثروات الطبيعية الهائلة. ويمثل هذا الشق المادى من السيناريو المقترح.

أما الشق غير المادى من السيناريو المقترح فيهدف إلى تهيئة المجتمع العربى ليصبح مجتمع معلومات وإلا فإن المستقبل سيفضى إلى معاناة هذا المجتمع من مخاطر "مجاعة المعرفة" إلى جانب "مجاعة الغذاء". ومن الممكن الاستفادة من التجربة اليابانية فى هذا الصدد وكيف بلغت إلى ذروة التقنية والمعلوماتية مع حفاظها الدائم على ثقافتها التقليدية وكيف أن اليابان ترجع

تطورهــا المذهل فى مجال التقنية والمعلوماتية إلى كفاءة نظام التعليم الأساسى عندها (على، ١٩٩٤ : ٣٨٣).

فــيما يختص بالواقع العربى الراهن لعملية التنشئة ودورها فى تكريس الــثقافة العربــية لدى الشباب، نقول إنه غير مهيأ بشكل كامل لاعتبارات عدة أهمهــا ارتفاع نسبة الأمية التقليدية (عدم الالمام بالقراءة والكتابة) بفعل عوامل ثقافــية واقتصادية متداخلة. من ثم فإن افتقاد المعرفة الحديثة لدى القائمين على التنشئة لا يمكنهم من غرس قيم التحديث لدى أبنائهم كما لا يقدرون على التفكير السليم فى مستقبلهم أو توقعاتهم نحوه. من ثم يظهر الشرط الضرورى الأول فى الشــق غــير المادى للسيناريو المقترح فى اعتبار محو الأمية التقليدية فريضة دينية قبل أن تكون وطنية.

فــيما يتصل بالتعليم يتعاظم ضرورة الشرط الثانى المتمثل فى الاهتمام بالتربية الإسلامية الصحيحة التى تنهض على الأسس الآتية :

١- ضــرورة الجمــع بين علوم الدين وعلوم الدنيا بحيث لا يغنى أحدهما عن الآخر كما لا ينفصم أحدهما عن الآخر فى تربية الشباب العربى.

٢- الــتعريف العملى بالإسلام باعتباره أساس النظام فى العالم دون فخر نظراً لقدرته على تنظيم العلاقة بين المسلمين بعضهم البعض ومع مجتمعهم. كما يــنظم الإســلام علاقــة المجــتمع الإســلامى الواحد مع المجتمعات غير الإسلامية.

٣- ضرورة أن يعكس التعليم العربى المتغيرات العالمية وتفسيراتها وظواهرها. وخصائص الانفتاح العالمى الحالى وملامحه وخصائصه وموقع العرب منه.

ويكون الهدف من وراء هدا تعليم الأبناء كيفية التعامل مع الآخر والمواجهة الصحيحة لتجليات الانفتاح العالمى بكافة صورها. ومن الطبيعى أن يتطلب تحقيق هذا الهدف البدء بالمدرسين من خلال برامج تدريبية وتأهيلية بما يمكنهم من فتح حوار مع الأبناء فى الفصول الدراسية وخارجها لا سيما أن هؤلاء لديهم آليات معرفية تمنحهم ثقافات ومجالات معرفية متنوعة بفضل شبكة المعلومات الدولية. لهذا ينهض السيناريو المقترح فى مجال التربية على تبنى فكرة التربية التوقعية التخطيطية. إن هذا النوع من التربية يولد لدى الشاب حصانة ضد الارتجالية الضارة ليتلمس مستقبله فى معطيات حاضره وقدرته على التحكم فيها بالعلم والمعرفة (البهواشى، ١٩٩٨: ١٩٤ -١٩٦).

إن التربية التوقعية التخطيطية تتضمن إلى جانب الغايات الأساسية الثلاث للتربية الممثلة فى اكتساب المعرفة، والتكيف مع المجتمع، وتنمية الذات والقدرات الشخصية تتضمن بعدا تربوياً رابعاً ألا وهو ضرورة إعداد إنسان العصر لمواجهة مطالب الحياة فى ظل الانفتاح العالمى الحالى. وقد صاغ التقرير الأخير لمنظمة اليونسكو "التعليم ذلك الكنز المكنون" الأهداف الأربعة على النحو التالى : تعلم لتعرف، تعلم لتعمل، تعلم لتكون، وتعلم لتشارك الآخرين (على، ٢٠٠٢: ٣٠٧).

يتمثل الهدف الثانى فى تبنى التربية التوقعية التخطيطية فى التأكيد على الهوية العربية لدى الناشئة وحمايتها وعزلها عن عمليات التهميش من جانب ثقافة الانفتاح العالمى. وتحقيق هذا الهدف من خلال إكساب الناشئة التفاعل والعطاء العلمى والتقنى. وهنا يلتقى الشق المادى مع الشق غير المادى فى

السيناريو المقترح. إذ إن التفاعل والعطاء الإبداعى فى مجال العلم والتقنية لدى الشـــباب يتطلب استثمارات مالية وجهود علمية عربية تساند دعم القدرة الثقافية المنشود تكريسها لدى هؤلاء الشباب. ومن هذه الجهود المطلوبة بناء الصناعات التعليمـــية المعلوماتـــية التى تمكن المعلم العربى من متابعة ما يحدث من تطور عـــالمى فى مجال التعليم، مما يتيح له القدرة على التواصل المعلوماتى المستمر مع الآخر.

ومما يجدر التنويه عليه فى هذا الصدد أن واقع الصناعات التعليمية فى الوطـــن العـــربى متواضـــعة جداً ومن ثم غير قادرة على تأكيد الهوية العربية وتكريس الثقافة العربية لدى الشباب العربى. إذ تشير الاحصاءات الرسمية إلى أن ســـكان الوطـــن العـــربى الذى يمثل حوالى ٥% من سكان العالم لا يتعدى منـــتجاته الثقافـــية بالنسبة للعالم (٠,٨%) فى الكتب، ومواد الطباعة (٠,٦%)، وتوزيع الصحف (١,٤%) وانتاج الأفلام (١٨%) ومقاعد السينما لا تتعدى (٤) لكـــل ألـــف (من السكان) وأجهزة الراديو (٢,٨%) وأجهزة التلفزيون (٢,٨%) (محمود، ١٩٩٨: ٢٦٤).

يستكمل السيناريو المقترح بعده الثالث ممثلاً فى الفكر العربى والحاجة إلى دور جديد للمفكر العربى فى عصر المعلوماتية. والبديل الذى اعتقده الوحيد الأنفـــع للأمـــة العربية يتمثل فى أن يعيد المفكر العربى غرس العنصر الدينى بشـــكل أكـــثر منهجـــية فى بنيته الفكرية أولاً، ثم يكون هذا الاطار منطلقاً نحو مخاطـــبة الشـــباب العـــربى بأسلوب يجذبه ويثير اهتمامه فيما يتعلق بالقضايا المستجدة المرتبطة بالعلاقة بين الدين والثقافة والمعلوماتية.

يتجلى الدور الجديد للمفكر العربى فى تفعيل تواجده الفكرى المؤثر فيما يختص بالبرامج الثقافية العلمية التقنية بما يهدف إلى جعل هذه البرامج تخاطب جميع مستويات فئات المجتمع العربى. بمعنى أن يتراوح مضمون الرسالة العلمية بين التبسيط العلمى والتثقيف الفكرى فيما يتعلق بالجوانب الآتية:

١- ربط العلم بحياة الفرد والمجتمع.

٢- إبراز كيفية مساهمة العلم فى حل المشكلات القائمة.

٣- إلقاء الضوء على تجارب العلماء والخبراء العرب فى المجالات العلمية والتقنية.

٤- التصدى لمظاهر الجهالة وأدعياء العلم وأشباه العلميين.

٥- إبراز الجوانب السلبية فى المجتمع وحياة الأفراد بسبب عدم اتباع الأساليب العلمية.

٦- طرح التداعيات للثورة المعلوماتية والتقنية للمناقشة وتبسيط الأفكار حول قضايا مثل الديموقراطية والبيروقراطية والعمالة المنتجة وصراع الأجيال، والتغير فى منظومة القيم (على ، ٢٠٠١ : ٣٩٤- ٣٩٥)

٧- إعطاء المزيد من المساحة فى الرسالة الاعلامية - المرئية خاصة - لعلاقة الدين بالمتغير المعلوماتى. الأمر الذى يلقى بمسئولية كبيرة على مفكرى العرب من رجال الدين أن ينتقوا الأدوات والمنهاج الملائم فى مخاطبتهم شباب الأمة بما يتفق وثقافة الانفتاح العالمى الحالى.

المراجـــــع :

أولاً : المراجع العربية

(١) ابراهـــيم، حيدر، "العولمة وجدل الهوية الثقافية" عالم الفكر، المجلد ٢٨ العدد أكتوبر/ديسمبر ١٩٩٩، ص ص ٩٥ - ١٢٢.

(٢) البـــبلاوى، حـــازم، علـــى أبواب عصر جديد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (مكتبة الأسرة دار الشروق) ١٩٩٧.

(٣) البهواشـــى، الســـيد عبد العزيز، "نحو تربية عربية وقائية من مخاطر الـــنظام العالمى الجديد: دراسة تحليلية" ورقة مقدمة فى المؤتمر العلمى الســـنوى السادس كلية التربية - جامعة حلوان ١٢ - ١٣ مايو ١٩٩٨ (نحـــو تعليم عربى متميز لمواجهة تحديات متجددة) المجلد الثانى ص ص ١٦٩ - ٢٠٩.

(٤) الجوهـــرى، محمـــد "ورقـــة عمـــل فى موضوع ملاحظات نقدية على دراســـات الـــثقافة والشخصية" ورقة قدمت فى الندوة الخامسة، الأبعاد الاجتماعـــية للشخصـــية المصرية، قسم الاجتماع كلية الآداب ومركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة ٩-١٠ مايو ١٩٩٨.

(٥) الخطيـــب، حســـام، "أى أفق للثقافة العربية وأدبها فى عصر الاتصال والعولمـــة؟"، عالم الفكر المجلد ٢٨ العدد أكتوبر/ ديسمبر ١٩٩٩، ص ص ٢٢٧ - ٢٦٠.

(٦) الـــذوادى، محمـــود، "تقرير عن ندوة: "المغرب العربى وما حدث من تحولات فى العالم" المستقبل العربى العدد ١٤٥، ١٩٩١، ص ص ١٧٢ - ١٧٥.

(٧) القرضاوى، يوسف، دور القيم والأخلاق فى الاقتصاد الاسلامى، مكتبة وهبه، القاهرة ١٩٩٥.

(٨) المنهالى، عمر سعيد عبيد، "الأبعاد الثقافية للعولمة: دراسة حالة الامارات" ورقة قدمت فى ندوة رؤية الشباب للعولمة ١٤ – ٢٥ نوفمبر ١٩٩٩. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة.

(٩) بركات، محمود، "التبادل اللامتكافىء بين الثقافتين العربية والغربية" المستقبل العربى العدد ٢٤١، مارس ١٩٩٩، ص ص ١٤١ – ١٥١.

(١٠) بريشى، محمد "حاجتنا إلى علوم المستقبل" المستقبل العربى، العدد ١٤٤ ، فبراير ١٩٩١ ص ص ٢١ – ٥١.

(١١) تشاينج، هونج، "تطور الثقافة العربية الاسلامية فى ظل العولمة" شؤون عربية العدد ١١٠ صيف ٢٠٠٢ ص ص ٩٥ – ١٠٨.

(١٢) حجازى، أحمد مجدى، "العولمة وتهميش الثقافة الوطنية: رؤية نقدية من العالم الثالث"، عالم الفكر المجلد ٢٨ العدد أكتوبر/ ديسمبر ١٩٩٩. ص ص ١٢٣ – ١٤٦.

(١٣) ريا، آيات، "التربية الجمالية للطفل" مجلة الطفولة والتنمية العدد الرابع، المجلد الأول شتاء ٢٠٠١ ص ص ١٨١ - ١٩٣.

(١٤) سلامة، حسن، "الشباب وحركات التمرد" الديموقراطية ٦، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، الأهرام ربيع ٢٠٠٢ ص ص ٨٩ - ١٠١.

(١٥) شلق، الفضل، "الاجتهاد وأزمة الحضارة العربية" الاجتهاد العدد الثامن السنة الثانية صيف ١٩٩٠، ص ص ٥ – ٦٣

(١٦) شيللر، هربرت أ. المتلاعبون بالعقول الاصدار الثانى، ترجمة عبد السلام رضوان، عالم الفكر العدد ٢٤٣، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب. الكويت. مارس ١٩٩٩

(١٧) عـبد الحمـيد، آمـال، "الاسـتهلاك والثقافة التقليدية" التراث والتغير الاجـتماعى : الكـتاب الأول الاطـار الـنظرى وقـراءات تأسيسية، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية - كلية الآداب جامعة القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، ص ص ٣٤٥ - ٣٦٧.

(١٨) علـى، نبيل، الثقافة العربية وعصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الـثقافى العـربى، عـالم المعرفة العدد ٢٧٦، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر ٢٠٠١.

(١٩) علـى، نبـيل، العـرب وعصر المعلومات، عالم المعرفة العدد ١٨٤، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ابريل ١٩٩٤.

(٢٠) كوثرانى، وجيه، "أفكار باحثة عن سمات حضارية فى المشروع العربى الاسـلامى"، المستقبل العربى العدد ١٣٧، ٧، ١٩٩٠، ص ص ٢٦ - ٣٦.

(٢١) كورانـى، حبيب أمين، "تفاعل الفكر الاسلامى بالفكر الغربى فى البلاد العربية". كويلرينج (تحرير)، الشرق الأدبى مجتمعه وثقافته ترجمة عبد الرحمـن محمد أيوب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢، ص ص ٢٠٠ - ٢٣٩.

(٢٢) لـيلة، علـى "تـآكل الرفض الشبابى: تأملات مع بداية ألفية ثالثة" فى الشـباب ومستقبل مصرى، أعمال الندوة السنوية السابعة لقسم الاجتماع كلـية الآداب جامعـة القاهرة ٢٩ - ٣٠، أبريل ٢٠٠٠ تحرير محمود الكردى، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية جامعة القاهرة ص ص ٤١ - ٦٠.

(٢٣) محمـود، عـبد اللطيف، "الاستثمارات فى الصناعات التعليمية كمدخل لـتطوير نظـم التعليم العربية فى القرن القادم : دراسة مستقبلية" ورقة مقدمـة فـى المؤتمر العلمى السنوى السادس - كلية التربية - جامعة

حلـوان ١٢ - ١٣ مـايو ١٩٩٨ (نحـو تعليم عربى متميز لمواجهة تحديات) المجلد الثانى ص ص ٢١٠.

ثانياً المراجع الأجنبية :

(1) Cottle, Thomas, "Youth Culture" in the Study of Society, the Dushkin Publishing Group, Inc., Guitford, Connecticut, 1974, pp. 568-591.

(2) Mackey-Kallis, Susan, "High Culture Versus Popular Culture" in Frank N. Magill (Ed.), International Encyclopedia of Sociology Vol. 2, Salem Press Inc., New York, 1995, pp. 594-497.

(3) Spicer, Edward, "Culture in the Study of Society, the Dushkin Publishing Group, Inc., Guilford, Connecticut, 1974, pp. 72-97.

(4) Theodorson G. and Theodorson A., A Modern Dictionary of Sociology, A Division of Harper and Row, Publishers New York, 1969.



الخصائص البنائية والثقافية لتنظيم المستقبل
دراسة مقارنة لثلاثة تنظيمات بيروقراطية
في قطاع الخدمات

د. محمود مصطفى كمال(*)

مقدمة :

إن من أبرز التحديات التي تواجه دراسات التنظيم في القرن الحادى والعشرين تغير مفهومات التنظيم والتطور السريع لنظرية التنظيم واللذان ارتبطا بالتحولات العالمية وتزايد أهمية إدارة المعرفة والمعلومات ودرجة التنوع ومعايير المسؤولية الاجتماعية . ولم يعد مقبولاً الاهتمام ببعد دون الآخر من أبعاد التنظيم ومن ثم ضرورة الاهتمام بكل من الأبعاد البنائية والسياقية بما في ذلك الأبعاد الثقافية والبيئية .

وإذا ما كان مفهوم البناء وعناصره يحظى بدرجة من الاتفاق بين الباحثين خاصة وأنه احتل مكانة مبكراً في اهتمامهم فإن مصطلح الثقافة التنظيمية قد دخل إلى التراث الأكاديمى حديثا منذ أن تناوله بيتجرو في مقال له عام ١٩٧٩ (Hof-stede , 1990:236) وإن كان قد استخدم معناه من قبل تحت مسمى المناخ التنظيمى عام ١٩٦٤ ثم مفهوم الثقافة المشتركة . واستمر استخدام هذه المصطلحات إلى أن دخلت في اللغات الأوربية الأخرى وانتشرت.

لقد قدم كل من تيرنر Turner ١٩٧١ ، والديرج وكرومبى Crombie ١٩٧٤ وهوفستيد Hof-stede ١٩٨٠ ، ١٩٨١ معالجات ملحوظة لمفهوم الثقافة التنظيمية وذلك إضافة إلى بعض كتابات أليين Allen ١٩٧٦ وجيفرسون ١٩٧٩ وبيكر ١٩٨٠ ، وأوشى Ouchi ١٩٨١ وكيندى وكرافت ١٩٨٢ . (Allaire ,1984: 199) إلا أن هذا المفهوم قد تناوله البعض بعدة أشكال ارتباطا بالتحولات العالمية الراهنة ؛ فاستخدمه ألفين توفلر في صدمة المستقبل في ضوء ما أسماه مرحلة الأدهيروقراطية ، ثم مفهوم الثقافة الموحدة في ظل الإدارة اليابانية ، وثقافة الثقة عند فوكوياما والذي

(*) أستاذ علم الاجتماع المساعد بقسم الاجتماع ـ كلية الآداب جامعة المنيا

تناول فيه أشكال الثقة في التعامل بين الأفراد من خلال المؤسسات الاجتماعية، أو إدارة المستقبل عند جونتر فورتليه والذي تناوله من خلال تحليل عدد من المقالات حول إجراءات تنظيم المستقبل عند جيوفانى آنيلى ، أو موقع التنظيمات الحكومية خاصة وبعد الدولة عامة عند أنتونى جيدنز في الطريق الثالث.

ومن ناحية أخرى جاء مصطلح ثقافة تنظيم التعلم ليعكس اتجاهاً نحو التطور في ثقافة تنظيم المستقبل كما عبر عنه نور Knorr وتايلور Taylor ١٩٩٥ ، وجيم ستيوارت Stewart ١٩٩٧ وأخيراً عند دافت Daft ٢٠٠١ . وتزامنت معها مصطلحات التنظيم المفتوح عند ستراتى Strati ٢٠٠٠ والتنظيم المتجدد عند بيتجرو Pettigrew ٢٠٠٠.

وتؤكد جميع المعالجات السابقة على وجود عدد من المؤشرات لبناء التنظيم وثقافته في مرحلة التحولات الكوكبية ، تلك المؤشرات التي تتطلب بالضرورة عدداً من التغيرات الهيكلية في بنية تلك التنظيمات لتحقيق الملاءمة. ويعنى ذلك أن الكتابات المعاصرة (Inglehart & Baker, 2000: 19-51) تتوقع تغيراً في الأبعاد البنائية والثقافة التنظيمية التقليدية -على الرغم من تأكيد بعضها على استمرارية بعض خصائصها- في ظل التغيرات العالمية خاصة ما ينعكس منها على العلاقات البيتنظيمية عبر الثقافات ، وتغير دور الدولة والوظائف المنوطة بها . ولعل ذلك يتطلب البحث عن مدى توافر إرهاصات تلك الخصائص في مواقع التنظيمات وتصور قياداتها لتلك الخصائص الملائمة للمستقبل وإمكانيات التغيير.

وعلى هذا يتناول تقرير البحث الراهن ما يلي :

أولا – مشكلة البحث وأهميتها

ثانيا – المفاهيم الأساسية :

١- البناء التنظيمي

٢- الثقافة التنظيمية.

ثالثا – الأبعاد البنائية والثقافية لتنظيم المستقبل "رؤية تحليلية للإطار والخصائص.

رابعا- منهجية الدراسة.

خامسا- عرض وتحليل نتائج الدراسة الميدانية :

١-خصائص عينة الدراسة

٢- تنظيمات الدراسة في ضوء خصائص تنظيم المستقبل

سادسا- مناقشة النتائج العامة .

أولاً : مشكلة البحث : أسباب اختيارها وتساؤلاتها وأهميتها :-

يكشف تحليل تراث الدراسات السابقة في مجال التنظيم عن عدد من محاولات فهم التباينات التنظيمية في ضوء تباينات الأبعاد البنائية والثقافية لتلك التنظيمات . وامتدت إلى دراسة قيم الرؤساء والمرؤوسين واتجاهاتهم ، وقضايا الرضا عن العمل والعوامل المرتبطة بالتعليم والمشاركة والاندماج وأفضلية العمل وقضايا الاغتراب والروح المعنوية . وفي الوقت ذاته اتجهت بعض الدراسات لتناول العلاقة بين الثقافة التنظيمية والفعالية التنظيمية (Linstead ,1992: 332) مع دراستها في إطار سياقات تاريخية اجتماعية اقتصادية مع توضيح علاقات القوة السائدة ودراسة العلاقة بين الثقافة التنظيمية والإنتاجية سعياً نحو الوقوف على آليات التحسين مثل التدريب والتكنولوجيا . (Teck ,1992: 592) إلا أن هناك الكثير من القضايا التي لم تحتل الاهتمام ذاته وتحتاج إلى دراسات أخرى خاصة تلك التي ترتبط بالممارسة اليومية للبيروقراطيين وقضايا الولاء والانتماء وتباين مفهوماتها خاصة في ظل التحولات المجتمعية والكونية وانعكاساتها .

إن كثيراً من جهود البحث التنظيمي العالمي تكشف عن تأثيرات واضحة للثقافة على بناءات التنظيمات وعملياتها ، إلا أن هذه المحاولات قد ارتكزت على ثقافة المجتمع وانعكاساتها على التنظيمات ولم تتجه نحو الخصائص الثقافية للتنظيمات ذاتها (Allaire & Firsirotu ,1984:199). بل واتجهت كثير من الدراسات والكتابات إلى معالجة الأبعاد البنائية منفصلة عن الأبعاد الثقافية على الرغم من التأثير المتبادل فيما بينهما.

وعلى الرغم من أن عدداً من الكتابات تناولت بشكل منفصل غير متكامل الملامح البنائية والثقافية لتنظيم المستقبل ، إلا أن بؤرة اهتمامها وتركيزها قد تباينت وفقا للمنظورات التي انطلقت منها . كما أن تلك الدراسات لم تكتمل من الناحية الميدانية ولم تحاول إلا في حالات نادرة وفي ضوء أبعاد غير متكاملة أن تتناول مدى توافر تلك الخصائص المستقبلية للتنظيم البيروقراطي .ومن ناحية أخرى تكشف متابعة الباحث عن تغيرات بارزة في الشركات والمؤسسات العالمية مثل زيروكس وفيات وكومباك وأمريكان اكسبريس نحو تلك الخصائص وبعض المحاولات التي بدأت في مصر نحو مشروعات الحكومة الإلكترونية مع استمرار بعض المعوقات البنائية والثقافية . ومن ثم تدخل الدراسة الراهنة ضمن ما يمكن أن يطلق عليه صياغة سيناريوهات المستقبل باعتبارها إحدى مداخل دراسات المستقبل والتي تأخذ في اعتبارها توقع الأحداث في ضوء القوى الدافعة لها والمنطق

الكامن وراءها وموقف تلك الأحداث عند نقطة زمنية محددة وفي ظل ظروف معينة (Farey & Randall, 1998: 9-11)

وعلى هذا فإن ندرة الدراسات المصرية والعربية التي تتناول التنظيمات بأبعادها وقضاياها من خلال رؤية مستقبلية ، مع التحولات التي طرأت على الشركات والمؤسسات العالمية ومحاولات البيروقراطية المصرية نحو اللحاق بتلك المؤسسات العالمية تدفع جميعها إلي البحث عن تحليل خصائص تلك المؤسسات العالمية في ضوء الوضع الراهن والوضع المستقبلي، ومدى توافر تلك الخصائص في البيروقراطية المصرية .

من هنا تتحدد مشكلة البحث فيما يلي :-

ما خصائص تنظيم المستقبل وما مدى توافر تلك الخصائص في التنظيمات البيروقراطية المصرية ؟

وتندرج تحت هذين التساؤلين التساؤلات الفرعية التالية :

- ما الخصائص البنائية والثقافية لتنظيم المستقبل؟
- ما درجة توافر تلك الخصائص في بعض التنظيمات البيروقراطية المصرية في قطاع الخدمات؟
- هل تتباين تلك التنظيمات فيما يتصل بدرجة هذه الخصائص ؟
- ما العوامل البنائية والثقافية المؤثرة سلبا أو إيجابا في درجة هذه الخصائص؟

ومن ثم يتجه البحث الراهن نحو تحقيق الهدفين التاليين:

١- تحليل تراث الدراسات والكتابات التي عالجت قضايا التنظيم من خلال رؤية مستقبلية سعياً نحو تحديد خصائص تنظيم المستقبل .

٢- محاولة تحديد واقع بعض التنظيمات البيروقراطية في قطاع الخدمات والعوامل المفسرة لحالة البيروقراطية المصرية في ضوء تلك الخصائص.

إن تحديات المستقبل سوف تنعكس على تلك التنظيمات البيروقراطية وبرامجها المختلفة ، وتظهر هذه التحديات في ظل الاقتصاد العالمي ومنطق المنفعة وتسارع تكنولوجيا المعرفة وثقافة الحاسب وانعكاساتها ، وشبكات المعلومات وانعكاسها على دور الدولة القطرية، بل وظهور عدد من

الجماعات والتنظيمات الجديدة وانعكاساتها على درجة التناغم القومي" . (Chareonwong & Chuch 2000) ومن هنا تظهر الحاجة إلى معرفة مدى قدرة التنظيمات البيروقراطية الراهنة على الاستجابة لتلك التحديات ، وهل ستتراجع أمام تلك القوى أم أنها ستحاول تعديل أبعاد بناءاتها وثقافتها ؟

وعلى هذا تظهر أهمية البحث الراهن فيما يلي :

١- محاولة تناول خصائص تنظيم المستقبل في ظل التغيرات الكوكبية وهي دراسات لم تنل اهتماما من الباحثين في مجال دراسات التنظيم خاصة في المجتمع العربي ،وعلى هذا تمثل دراسة القضايا والأبعاد التنظيمية من خلال رؤية مستقبلية محاولة لتحديد الملامح الدينامية للبيروقراطية الجديدة ، أو ما بعد البيروقراطية الفيبرية .

٢- محاولة الربط بين مستقبل تلك التنظيمات وواقعها الراهن . ومن ثم تعطى مثل هذه الدراسات القدرة على جذب الاهتمام نحو قوى المقاومة الثقافية بما في ذلك القيم والممارسات والمتوقع استمرارها على الرغم من التغيرات الثقافية والبنائية .

٣- الاسهام في تحديد موقع التنظيمات البيروقراطية على هذا المتصل الذي يتضمن الخصائص التقليدية وخصائص ما بعد البيروقراطية وفى الوقت ذاته الاسهام فى تحديد موقع التنظيمات البيروقراطية المصرية على خريطة التنظيمات العالمية التى تتصف بتلك الخصائص ، وفي الوقت ذاته الاسهام في وضع نواة استراتيجية للتنمية التنظيمية والتغلب على الفجوة بين واقع تلك التنظيمات والخصائص التنظيمية المستقبلية . وترجع أهمية هذا الاسهام إلي أن التحولات الكوكبية تتطلب تغيرات مجتمعية وتنظيمية في الوقت ذاته .

إن القضية ليست هي توسيع نطاق دور تلك التنظيمات البيروقراطية أو تقليصه في ظل التحولات في دور الدولة ووظائفها ودور القطاع الآخر ، إنما القضية في محاولة التغيير نحو خصائص جديدة تلائم تلك التحولات أو ما يطلق عليها العولمة .

ثانيا : المفاهيم الأساسية في البحث :

تتحدد المفاهيم الأساسية للبحث الراهن في البناء التنظيمي ، الثقافة التنظيمية ، تنظيم المستقبل.

١- البناء التنظيمي :

لقد تناول كثير من الرواد الخصائص البنائية للتنظيم ، ولعل أبرزهم فيبر Weber وليتويك Litwak وميرتون Merton وأدرى Udy وهيدى Heady وبارسونز Parsons وبيرجر . ولعل من أبرز الخصائص البنائية التي طرحت في معالجتهم تسلسل السلطة وتقسيم العمل والمؤهلات الفنية والأساليب الإجرائية وقواعد العمل وهي الخصائص التي احتلت اهتمام عدد من رواد دراسات التنظيم بعد ذلك . (Hall, 1962 : 295-302) وفى الوقت الذي تناول فيه فيبر ارتباط تلك الأبعاد بالفعالية تناولها جولدنر وميرتون في ضوء النتائج المعوقة وظيفيا للبناء البيروقراطي خاصة عند معالجتهما الاعتماد الشديد على القواعد والتوترات المرتبطة باستخدامها .(Katz, Kahn, 1978 : 267-268)

لقد شاع استخدام هذا المفهوم في مجال التحليل التنظيمي مع عام ١٩٦٠ وبداية السبعينيات ، ولقد أعطى الاهتمام به مع دراسة البيئة التنظيمية فرصة أوسع لمعالجة قضايا البناء بشكل أوسع مدى.(Hall, 1983 : 53-56) وإذا كان بيرو ١٩٧٩ قد أعطى اهتماما كبيرا على هذا البعد البنائي فإن الديرش Aldrich لم يعط أي شكل من أشكال الاهتمام بتلك الخصائص البنائية.

لقد قدم بلاو ١٩٧٤ تعريفا مبسطا للبناء التنظيمي والذي يشير إلى توزيع للمواقع الاجتماعية التى تؤثر على علاقات الأدوار فيما بين الأعضاء . ويرى بلاو أن هذا التعريف يتضمن تقسيم العمل وتدرج السلطة والقواعد المرتبطة بأداء العمل والمؤهلات المرتبطة باحتلالها.أما جرين ، وود فلقد أشارا إلى البناء التنظيمي فى ضوء وجود مجموعة من المقومات التنظيمية التي تدعم التشابه وسمة القابلية للتجديد والتطور ومن ثم فلا يأخذ شكلا ثابتا وقد يخضع للتغير ، أما البعض الآخر مثل كامنز Kamens فيرى أن البناء التنظيمي يمثل أسطورة أو خرافة .

ومن الملاحظ أن كثيرا من المعالجات للأبعاد البنائية لم تأخذ "الفرد" في اعتبارها منطلقة في ذلك من نظرية التنظيم ومبتعدة عن السلوك التنظيمي وذلك على الرغم من تفاعل الخصائص البنائية والفردية كما يظهر في العلاقة بين الحجم والتعقيد من ناحية ودرجة التجديد من ناحية أخرى.

وفى الوقت الذي قدم فيه هؤلاء الرواد تحليلاتهم للأبعاد البنائيـــة دون ربطها بمتغيرات أخرى قدم عدد من الباحثين معالجاتهم لتلك الأبعاد في ضوء تأثيرها على عملية اتخاذ القرار .(Oldman, Hackman, 1981 : 66-81) أما ريتشارد دافت فلقد قدم تمييزا بين الأبعـــاد البنائيـــة – والتـــي تعكـــس الخصائص الداخلية للتنظيم وتتمثل في درجة الرسمية والتخصـــص وتقســـيم العمل إلى مجموعات فرعية ، تدرج السلطة ، المركزيـــة والنزعـــة المهنيـــة والتدريب ومعدلات الوظائف – والأبعاد المرتبطة بسياق التنظيم مثل الثقافـــة بعناصرها والتكنولوجيا والبيئة والأهداف العامة. (Daft, 2001 : 17-18)

لقد انعكست تلك المحاولات في وضع تعريفات للأبعاد البنائية تعكـــس أشكال تلك البناءات. ولعل أبرز هذه الأعمال ما قدمه ماكس فيبر حول النمـــط المثالي للبيروقراطية متضمنا تدرج السلطة وتقسيم العمل والعمالـــة المـــاهرة الفنية وقواعد محددة للعمـــل ونســـق للمكافـــآت.(Hall, 1983 : 53-56) (Gerth & Mills, 1970 : 196-203) . وعلى الرغم من أن هـــذا النمـــط يؤدى كما يرى فيبر إلى الفعالية والكفاءة ، إلا أن واقع البيروقراطية تتضمـــن الصرامة والطقوسية فى ممارسات موظفيها . وخضعت تلك الخصائص للنقـــد والتحدي في ضوء الواقع وهى تخضع الآن إلى العديد من أوجه النقد والتحليل والمراجعة في ضوء التحولات العالمية وتراجـــع دور الدولـــة وانعكاســـات العولمة عليها.

أما بارنز Burns وستوكر ١٩٦١ فلقد تقدما خطوة رئيسية أخـــرى نحو تحليل الأشكال التنظيمية المزدوجة حيث عرضا ما يسمى بالنمط الآلـــي القريب من فيبر ، والعضوي الذي يقف على طرف نقيض ، ومن ثم تحدثـــا عن البناء الشبكي لتحقيق الضبط وإعادة توصيف وتحديـــد الأعمـــال بشـــكل مستمر وتدفق تيار المعلومات . ومن ثم ربطا بين التنظيم والبيئة ، بل وفيمـــا بين الوحدات في ضوء استخدام التكنولوجيا ؛ وهى تلك المحاولة التي تمثـــل بدايات للرؤية المستقبلية للبناء التنظيمي والتي أكدها كل من لورانس ولـــورش فيما بعد ١٩٦٧.

أما هيج Hage فلقد قدم منظورا آخر حيث تناول الأشكال التنظيميـــة على متصل يبدأ بأعلى درجات المركزية والرسمية والتعقيد والتدرج وينتـــهي بأقلها ، وربط بينها وبين الإنتاجية والتجديد والكفاءة وحاول انطلاقا من ذلـــك بناء نظرية كاملة حول تلك الأبعاد البنائية عام ١٩٨٠

أما ريتشارد دافت (٢٠٠١) فلقد قدم معالجة تعكس تصنيفا للأشـــكال

البنائية التنظيمية مثل البناء الوظيفي ، والجغرافي القائم على أساس ارتباطه بالعملاء وتوزيعهم ، والمصفوفي Matrix والذي يتضمن في داخله معالجة عدد من الأبعاد السابقة ، والمزدوج ومن ناحية أخرى حاول إجراء مقارنة فيما بين الأشكال البنائية التقليدية والأشكال التقليدية المستقبلية بل تناول ميكانيزمات التنسيق التي تتطلب استخدام أنساق المعرفة والمعلومات والروابط الأفقية والرأسية.

وبصفة عامة يمكن القول أن تراث دراسات التنظيم في مجال معالجة الأبعاد البنائية تركز بالدرجة الأولى على بعدين أساسيين هما تقسيم العمل والتخصص وتدرج السلطة والأدوار المرتبطة بها ، في الوقت الذي قدمت فيه معالجات أخرى توصيفا لتوزيع تلك الأدوار ولقواعد المنظمة لها .

وعلى هذا يعرف الباحث البناء التنظيمي بأنه تلك العلاقات والأهداف التنظيمية والتي تظهر في أشكالها التقليدية الرئيسية : تقسيم العمل والتخصص وتنوع الأدوار وتدرج السلطة وما يرتبط بها من أنساق القواعد والجزاءات بأنواعها ، وتقع هذه الخصائص على متصلات تبدأ بأعلى درجة من الصرامة والثبات وانتهاءً بأعلى درجة من المرونة والتكيف لواقع المجتمعات المتغيرة.

٢ - الثقافة التنظيمية : المفهوم والنظريات :-

لقد أثبت مفهوم الثقافة التنظيمية فائدة كبيرة باعتبارها وسيلة للتوجهات المتعددة نحو النشاط التنظيمي . ولقد خضع هذا المفهوم لتطورات عديدة بدءً من مسمى المناخ التنظيمي إلى ثقافة تنظيم المستقبل مروراً بثقافة الثقة والثقافة الموحدة وثقافة تنظيم التعلم . كما تناوله العديد من الكتاب المنتمين إلى مدارس متنوعة بدءًا من الدراسات الأنثروبولوجية وانتهاء بالدراسات السوسيولوجية إضافة إلى الدراسات السياسية والنفسية والسياسية بفروعها حتى أصبح من المفهومات البينية.

وعلى الرغم من أن مصطلح الثقافة التنظيمية من المصطلحات الحديثة نسبياً إلا أن معالجات الباحثين لمفهومه تدور حول عدد من الأبعاد المشتركة موضحة مضموناتها ومستوياتها ووظائفها . فيرى سميريش Smireich أن هذا المفهوم يوجه الاهتمام نحو الرمزية والمعرفة والقيم والتي يتحقق من خلالها المعنى المشترك في الواقع الاجتماعي. (Coombs et al ,1992:60)

أما ستيفن روبنز Robbins فيرى أن الثقافة التنظيمية تشير إلى نسق من المعاني المشتركة بين الأعضاء يميز التنظيم عن التنظيمات الأخرى ، كما

أنها تعتبر مركباً من الخصائص المشتركة التي تتمثل في المبادرة الفردية والسماح بالمخاطرة والتوجيه وتدعيم الإدارة للعاملين ونسق الضبط والهوية ونسق المكافآت والمعايير التي يستند عليها والنقد المفتوح ونمط الاتصال (Robbins, 1992: 253) .

وقد عالجه البعض الآخر في ضوء ما أسموه بالفهم الرمزي للتنظيمات إضافة إلى البعد السلوكي لها خاصة عند تيرنر Turner ١٩٩٢ وريتشارد دافت Daft . فلقد تناول تيرنر الثقافة التنظيمية في ضوء اللغة المستخدمة أو الكلمات التي ترتبط بسياقات الفعل (اللغة الاصطلاحية) والرموز المادية ونمط السلوك (المخاطر ، المحافظ ، التسلطي ، المشارك ، الفردي ، الجماعي ، وهوية التنظيم) ثم انعكاس هذه الأبعاد على كل من التوحد والتماسك التنظيمي . أما دافت فقد ميز بشكل واضح مستويين من مستويات الثقافة التنظيمية : الأول ظاهر ويتمثل في الأزياء والرموز المادية والسلوك الفعلي للعاملين والاحتفاليات ، الثاني : كامن يتمثل في القيم والمعتقدات وطرق التفكير . ويؤدى كل من هذين المستويين إلى تحقيق الاندماج فيما بين العاملين ، وفيما بين التنظيم والبيئة المحيطة (Turner, 1992:46-47) (Daft ,2001: 314) .

ولم يبتعد لينستيد Linstead عن هذين التعريفين كثيرا حيث تناول بعدين يتمثل الأول في المعاني والقيم ، والثاني في الممارسات اليومية للعاملين، إلا أنه أضاف إليهما معالجة تلك الأبعاد في إطار سياقات تاريخية واجتماعية واقتصادية إضافة إلى تأكيده على الدور البارز لأعضاء التنظيم وإبداعاتهم باعتبارهم صناعاً لتلك الثقافة (Linstead & Grafton, 1992: 332) فهي لا تنتقل من جيل إلى آخر من أعضاء التنظيمات ويقفون منها مستقبلاً أو ناقلاً وإنما يضيف كل جيل إليها بل ويعدلون في بعض خصائصها .

ولقد انعكس هذا الفهم التاريخي الاجتماعي للثقافة التنظيمية على الممارسة اليومية لها ؛ فتبنت الإدارة اليابانية مفهوم الثقافة التنظيمية الموحدة التي يقصد بها مجموعة الأفكار الفريدة للمؤسسة ومعايير عملها التي تكونت عبر السنوات وتم تداولها حتى أصبحت تقليدا متبعا ، وتتكون من خلال الاحتكاك والتدريب والاجتماعات اليومية (حاتم ، 1990:57)

لقد تباينت التعريفات السابقة في درجة تركيزها على بعض أبعاد الثقافة التنظيمية ، فبينما تناولت بعض التعريفات البعد الظاهر متمثلا في اللغة والرموز المادية والسلوك (تيرنر ١٩٩٢) أكد البعض الآخر على البعدين

الظاهر والكامن معاً (دافت ٢٠٠١ ، ولينستيد ١٩٩٢ وروبنز ١٩٩٢).

ومن ناحية أخرى فلقد كشفت عن وجود دور وصفي وتقييمي للثقافة التنظيمية بل واعتبارها آلية تؤدى إلى تحقيق الاندماج الداخلي والخارجي وظهور الهوية التنظيمية والرؤية المشتركة ، وبل وارتباطها بكل من الإنجاز والالتزام والفعالية .

واستمرارا لمعالجة الثقافة التنظيمية تناولتها تلك التعريفات في ضوء فكرة المتصلات حيث يمكن فهم بعض خصائصها في ضوء البعد السلبي والبعض الآخر في ضوء البعد الإيجابي ، ذلك الفهم الذي يمنح الفرص للباحثين لتناول الأبعاد التقليدية والمستقبلية لها.

لقدانعكست المعالجات التي أعقبت التمييز بين الأنساق الاجتماعية والأنساق الثقافية في العديد من النظريات التي تناولت مفهوم الثقافة التنظيمية . فجاءت المدرسة الوظيفية التي انطلقت من إسهامات مالينوفسكى ورادكليف براون ثم بارسونز ونظرته لوجود أهداف محددة للتنظيمات وسلزنيك وبينيس واللذان أوضحا وجود احتياجات للتنظيم تتفاعل مع البيئة المحيطة . ومن ثم يمكن النظر إلى التنظيمات في ظل هذه المدرسة على أنها أنساقٌ قيمية فرعية لنظام أكبر وأوسع مدىً تعكس قيم المجتمع في الوقت ذاته.

والواقع فإن هذا لا يعنى أن ما ينعكس على بناءات التنظيم وثقافته يتمثل في الثقافة المجتمعية فقط وإنما يمتد إلى الثقافة السياسية وما يمكن أن يطلق عليه الثقافة الإدارية .ولعل هذا يدفع بالقول أن تغير الثقافة التنظيمية وخصائصها التقليدية يرتبط بالضرورة بالتغيرات الثقافية المجتمعية العامة لكن الرؤية التنظيمية العبرقطرية قد لا تتطلب الانتظار حتى تحدث تلك التغيرات المجتمعية.

أما المدرسة التكيفية الإيكولوجية فتنظر إلى التنظيمات باعتبارها أنساقاً ثقافية اجتماعية تأخذ أشكالا متباينة وتحاول أن تتكيف مع خصائص البيئة المحيطة بها . ونتيجة لهذه العلاقات التبادلية بين التنظيم والبيئة تظهر مجموعة من القيم والأبعاد الثقافية الأخرى وهى تتفق في ذلك مع ما جاء من أفكار بارسونز وبارنارد وسيلزينك . ومع هذا فإن المدرستين الوظيفية والإيكولوجية تختلفان في مدى أهمية القيم المجتمعية حيث تنظر الأولى إليها باعتبارها عاملاً محددا في حين تنظر إليها الأخرى على أنها أحد العوامل المؤثرة على التنظيم.

وإذا ما كانت كل من المدرستين الوظيفية والإيكولوجية أبرزت البعد القيمي من الثقافة التنظيمية فإن المدرستين الإدراكية والرمزية قد أضافتا إلى معالجة الثقافة التنظيمية باعتبارها مركبًا من الإدراكات والمعاني والرموز المشتركة التي تحدد مدى المعرفة والاعتقادات المتوافرة لدى أعضاء التنظيم ومدى ابتعادها أو اقترابها من القبول المجتمعي لها . ومن ناحية أخرى أكدت المدرسة الرمزية أن الثقافة التنظيمية نتاج للعقل وأنساق من المعاني المشتركة ؛ تلك التصورات التي تأثرت بمفهومات الواقع الرمزي للمجتمع عند بارسونز ومفهوم المعنى عند فيبر . ومن ثم فإن التنظيم ربما يطور من خلال تاريخه وسياقه الاجتماعي الثقافي والقيادات المتتابعة له والتكنولوجيا المستخدمة نسقاً خاصاً من الرموز والمعانى المشتركة والتي تساعد على توضيح التزام أعضائه وترشيد هذا الالتزام.

وعلى هذا لا ينظر إلى مؤسسى هذه التنظيمات باعتبارهم حاملين لبعض جوانب التنظيم البنائية والتكنولوجية وإنما باعتبارهم مبدعين أو على الأقل أنهم ساعدوا على تشكيل بعض الرموز والأيديولوجيات واللغات والمعتقدات والطقوسيات الخاصة بالتنظيم الذي يعملون به . لذا يرى البعض "أنه طالما كان هؤلاء المؤسسون متباينين في خصائصهم وقدراتهم ، فإن التنظيمات التي ينتمون إليها تتصف بدرجات متباينة من القيم والمعايير والأدوار والتوقعات المشتركة والتي تنعكس بدورها على وجود نمط بنائي تنظيمي معين" (Allaire & Firsirotu 1984, :199-209). وإذا ما كانت المدرستان الإدراكية والرمزية قدمتا تفسيرا لعملية تشكل نسق الرموز والمعاني المشتركة كأبرز مكونات الثقافة التنظيمية فلقد قدمت كل من المدرسة التاريخية الانتشارية والنظرية المؤسسية تفسيرات لحالة التحول والجمود الثقافي التنظيمي على التوالي. لقد أكدت المدرسة التاريخية الانتشارية على بعدين أساسيين للتحولات الثقافية والبنائية :

- أن الأشكال والبناءات والعمليات التنظيمية تعكس الظروف التاريخية التي تشكلت من خلالها تلك التنظيمات وتطورت .
- أن الظروف المكانية والزمانية المرتبطة بميلاد التنظيم ربما تقود وبشكل قوى إلى تبنى التنظيمات قيمًا وأيديولوجيات معينة تنعكس على بنائه وعملياته وتتجه أبعد مدى عن مجرد الضرورات الوظيفية والتكيفية .واستنادا على هذا المنطلق يفترض أن التنظيم يختلف في قيمه عن قيم المجتمع المحيط به نظرا لتباين الظروف التاريخية المشكلة له .

أما النظرية المؤسسية فتحاول تفسير حالة جمود البناءات والقيم التنظيمية في مواجهة القوى والبرامج الهادفة لتغييرها . ومن ناحية أخرى تفترض أن التنظيمات تكتسب صفاتها المؤسسية من خلال المثل العليا المجردة المشتركة في المجتمع مثل المنافسة والتقدم والفعالية. وأخيراً فإنها تفترض أن التنظيمات تسعى أو تميل نحو الإذعان للنماذج المؤسسية والابتعاد بدرجة كبيرة عن التباينات وذلك لتحقيق شرعيتها والمزايا التنافسية لها مع التنظيمات الأخرى .(Sauer et al, 1997: 221) وإذا ما كانت هذه النظرية تتفق مع المدرسة التكيفية في أن التنظيمات تعكس قيم المجتمع ومعتقداته إلا أنها تتباين مع النظرية الرمزية في مدى توافر التجديد ودور القيادة التنظيمية في إحداث التغير وإكساب التنظيمات ثقافة خاصة مُميزة، ومن ثم تتجه نحو القوالب الجامدة التي قد لا تستطيع في ضوئها توضيح دور الضغوط الداخلية والخارجية وتأثيرها على مشكلات التكيف . من هنا فإن شرعية التنظيمات لا تأتى من خلال الإذعان لنماذج أو قوالب مؤسسية جاهزة ومفروضة من أعلى وإنما تتحقق من موافقة القاعدة على القرارات التنظيمية بل وعلى الأشخاص الذين يصدرونها.

وتكشف قراءة وتحليل مقولات المدارس والنظريات السابقة عن أنها تتباين فيما بينها وفقا لما تؤكد عليه من العوامل الكامنة وراء تشكيل تلك الثقافات أو بناء النسق الاجتماعي والثقافي للتنظيم أو الخصائص البنائية والثقافية لها .

إن تحليل التعريفات والنظريات السابقة التي تناولت الثقافة التنظيمية يسهم في صياغة التعريف المقترح لهذا المصطلح والعوامل الكامنة وراء تشكيل تلك الثقافة وتفسيرها ودرجة تغيرها .

وعلى هذا يمكن القول أن الثقافة التنظيمية تشير إلى ذلك المركب من الأبعاد والرموز الظاهرة والكامنة والمتمثلة في مجموعة المعارف والمعتقدات والقيم والاتجاهات والسلوكيات المشتركة ذات الطبيعة التراكمية والتي تنعكس في مجموعة الخصائص والأساليب آلتي تميز التنظيم عن التنظيمات الأخرى وتؤدى دورا وصفيا وتقييمياً وتسعى نحو تحقيق الاندماج والظهور والرؤية المشتركة لأعضائه .

ويعكس هذا التعريف المقترح مجموعة من الشروط الضمنية تتمثل في الآتي :

- يجب تحديد هذه الخصائص على متصل يبدأ بالدرجة الدنيا وينتهي

بالعليا ، وتحديد موضع التنظيم في ضوء كل خاصية ومن ثم تتشكل الصورة المركبة للثقافة التنظيمية .

- أن هذا المفهوم يعكس إدراك العاملين لوجود تلك الخصائص ودرجاتها وليس تفضيلهم لها . ومن ثم على الباحثين التمييز بين الواقع والتفضيل وما يترتب على ذلك من أساليب دقيقة في القياس ، وذلك على الرغم من أنه يعتبر مصطلحا وصفياً وتقييميا في الوقت ذاته .

- أن تناول الثقافة التنظيمية على متصل يعكس وجود ثقافة تنظيمية عامة وعدد من الثقافات الفرعية داخل التنظيم ، وقد يظهر ما يسمى بالثقافة السائدة وعدد من الثقافات الفرعية الأخرى . ومن ناحية أخرى قد يظهر ما يسمى بالثقافة القوية والتي تعني اشتراك أكبر عدد من العاملين في القيم الرئيسية ودرجة عالية من الالتزام بتلك القيم ، أو التي تعكس على حد تعبير ويلكنز Wilkins قدرا منخفضاً من التعقيد وعدم اليقين مع القدرة على التكيف (Wilkins ,1983: 479) .

ومن ناحية أخرى فإن التحليل السابق يكشف عن أهمية البعد القيمي والتكنولوجي عند دراسة الأبعاد الثقافية للتنظيم ، كما ظهرت لدى أصحاب المدرسة الوظيفية ، أصحاب المدرسة التكيفية على التوالي .

إنّ تغير الخصائص البنائية والثقافية التنظيمية يرتبط بالتغيرات البنائية والثقافية المجتمعية وكذلك التغيرات الثقافية العالمية عبر القطرية ، إلا أن هذه التغيرات التنظيمية قد تتطلب عدم الانتظار طويلاً حتى تتحقق التغيرات العامة.

ومن ناحية أخرى فإنّ الخصائص البنائية والثقافية للتنظيم تتشكل وتتراكم عبر تاريخ طويل ومن ثم فإنها تثير معادلة صعبة بين الانتظار حتى تتحقق التغيرات المقصودة من ناحية ومواجهة التغيرات الثقافية العالمية التي تتدفق بعمق وبسرعة فائقة من ناحية أخرى . إضافة إلى هذا خطورة تحقيق التغييرات بشكل جذري ثوري خاصة وأنها اندمجت في نمط الشخصية التنظيمية العامة أو الهوية القومية . ومع هذا فإن تغييرها ليس مستحيلاً خاصة وأنها تمثل خريطة مكتسبة وليست موروثة.

ومن ناحية أخرى يكشف العرض السابق عن وجود عدد من الخصائص البنائية والثقافية التي ترتبط بتنظيم المستقبل تتمثل في الولاء استنادا على المنفعة المتبادلة والرؤية والمعاني المشتركة ، والتفاعلات

التعاونية أو ما يطلق عليها العمل الفريقي والإبداع والتجديد والتنافسية ؛ تلك الخصائص التي قد تتكامل مع ما تطرحه كتابات ودراسات الباحثين في مجال دراسات التنظيم ذات الرؤية المستقبلية.

ثالثا : **الأبعاد البنائية والثقافية لتنظيم المستقبل** :

الإطار والخصائص .

لقد كشف تحليل مفهومي البناء والثقافة التنظيمية والمدارس التي عالجتهما عن عدد من الخصائص البنائية أبرزها تقسيم العمل والتخصص وتدرج السلطة وتنوع الأدوار والعمل في شكل مجموعات ، ثم مجموعة من الخصائص التي تعكس قيما وسلوكا في الوقت ذاته مثل الولاء والثقة . وعلى الرغم من أن البعض اعتبر استخدام تكنولوجيا المعلومات على أنها بعدا يرتبط بسياق التنظيم ، إلا أن هذه الخاصية ترتبط بتدفق المعلومات ونسق الاتصالات والذي يرتبط بأداء الأدوار سواء رأسيا أو أفقيا.

ويحاول الجزء الراهن تحليل مفهوم تنظيم المستقبل بأبعاده إضافة إلى تحليل الكتابات والدراسات التي تناولت هذه الأبعاد من خلال رؤية مستقبلية.

لقد استخدم مصطلح تنظيم المستقبل بعدة صياغات تعكس في مجملها متطلبات التحولات العالمية الراهنة ، وذلك على الرغم "من أن الاهتمام بدراسات المستقبل عموما قد بدأ عند نهاية الحرب العالمية الثانية والانطلاق فيها مع أول السبعينيات" (مغاوري وآخرون، 1991 : 47) فجاءت هذه الصياغات بمعاني ثقافة الأدهيروقراطية وثقافة تنظيم التعلم والتنظيم المتجدد .

إن معالجة بعض النظريات والنماذج لأفكار التنظيمات الجديدة مثل الموضوعية والرشد لم تمنع البعض الآخر من معالجتها بشكل غير مباشر لسمات تنظيم المستقبل وثقافته . ولقد ظهر ذلك لدى أصحاب المدرسة البنائية الوظيفية في وجود القيم المشتركة التي تجمع أعضاء التنظيم مع تباينها فيما يتصل بسرعة التغير والتحول ، ثم المدرسة التكنولوجية عند ووكر Walker وودوارد Woodward التي ترى أن التكنولوجيا هي العامل الحاسم الذي يحدد البناء التنظيمي مع الأخذ في الاعتبار الأبعاد الاجتماعية والنفسية ."وهذا ما أكدته أيضا مدرسة العلاقات الصناعية عند دانلوب ، كما أكدته مدرسة النسق الاجتماعي الفني عند ترست Trist وبامفورث Bamforth ورايز Rice والتي تنظر إلى التنظيمات باعتبارها أنساقا مفتوحة تتكون من عناصر

لجتماعية وتكنولوجية تتعاظم العلاقة بينها" (Strati ,2000: 35-36) .

ثم جاءت مرحلة أخرى احتوت على مجموعة من الدراسات التي تبلورت حول عدد من القضايا المرتبطة بالأشكال التنظيمية الجديدة ، إلا أنها انطلقت أيضا من الأطر النموذجية والنظرية عند ماكس فيبر ومارش وميرتون وسيلزنيك وبندكس وجولدنر ودراسات لورانش ولورش وبيرو وبلاو وودوارد (Pettigrew, 2000: 3-12) .

ولقد ظهرت هذه القضايا في الأشكال التنظيمية التالية :

- المؤسسات الكوكبية حيث التكنولوجيات المتغيرة وتكنولوجيا المعرفة والمنافسة العميقة وما أدت إليه من تحول الأهداف التنظيمية من النزعة الاقتصادية إلى إضافة القيمة . ولقد ظهر ذلك بدرجة كبيرة في دراسة العلاقات التنظيمية في البناء الكوكبى في أعمال بارتليت Bartlett ١٩٩٠ ، ونوهاريا Noharia ١٩٩٣.
- المؤسسات المعرفية في ظل اقتصاد المعرفة والنظر إلى التنظيم باعتباره منتجا للمعرفة "والتي تناولها دراكر Drucker في دراسته عن التحول في العلاقة بين إنتاج المعرفة وإنتاج الثروة الناتجة عن مطالب الراسمالية المعاصرة . ويسعى هذا المنظور إلى تجميع كافة أشكال المعرفة لدى صغار العاملين أو الجماعات الفرعية داخل التنظيم لتسهم معا في الحلول التنظيمية ، حتى أن بعض الباحثين أرجع الفشل التنظيمى إلى عدم إمكانية حراك المعرفة خاصة ما ظهر لدى سبندر Spender ١٩٩١ ، ١٩٩٤ والدور الجديد للتنظيم في إكساب المعرفة وتكوينها" (Pettigrew, 2000: 27-29) .
- العلاقات الشبكية بين التنظيمات انطلاقا من أن الاعتمادية المتبادلة بين التنظيمات تمثل شرطاً حيوياً لاستمراريتها .

إضافة إلى ذلك ما تناوله ستيوارت كليج (Clegg, 1991: 203) حول الأبعاد التنظيمية للحداثة وما بعد الحداثة والتي تمثلت في التحول من التخصص والتسلسل وعدم التمكين وعدم المرونة والأساليب قصيرة المدى والفردية وعدم الثقة ، إلى الانتشارية وآليات السوق والتمكين والمرونة والأساليب طويلة المدى والجمعية والثقة، وما قدمه ميشيل ريد Reed (Reed, 1991:24-31) حول نقد المجتمع المنظم عند بريثوس من خلال منظوراته الثلاثة والتى تضمنت منظور ما بعد الحداثة

وانتشار فعاليات نظام اجتماعي تسوده التكنولوجيات الفائقة والمتقدمة.

وامتدادا لتلك المرحلة جاء الاتجاه الذي يمثله بيتر سنج Peter Senge ليدافع عن قيام التنظيمات بتطوير القدرات والمهارات حتى يمكن الوصول إلى ما يمكن تسميته تنظيمات التعلم . وتتصف هذه التنظيمات " بتوفير فرص عمل مستمرة وتدعيم الاستقصاء والحوار وتشجيع العمل الفريقي والوصول إلى رؤية مشتركة وتوسيع نطاق السلطات" (Fewick, 1996) والربط بين التنظيم والبيئة المحيطة (Marquardt, 1995:217-226). ومن ناحية أخرى تسعى تلك التنظيمات باستمرار نحو امتداد قدراتها على تشكيل مستقبلها انطلاقا من الافتراض الذي يرى أهمية التعلم المستمر لتحسين الإنجاز التنظيمي والتوجه نحو المستقبل . بل وارتباط هذا التعلم بالعمل الفريقي وتعلم آلياته وانعكاسه إيجابا على التجديد .(Fowler, 1998: 220-231)

والواقع فإن هذا لن يتحقق إلا إذا تم تخفيف أو رفض النزعة السلطوية التقليدية والتسلسل الصارم لنسق الأوامر والضبط ويصبح التفكير في القرارات وتنفيذها على كافة المستويات وليس عند مستويات بعينها دون غيرها.

ويرى سنج Senge أن نمو واستمرار ما يسمى بتنظيم التعلم يتحقق من خلال عدة موجات تتمثل في إزالة المعوقات البيروقراطية ودعم المبادرات وتدريب النوعية ، ثم تشجيع الطرق الجديدة للتفكير وأن يصبح التعلم مؤسسياً وجزءاً من حياة المديرين والعاملين على حد سواء. وبالطبع يؤدى هذا إلى ظهور الرؤية المشتركة والعمل مع نماذج عقلية والعمل الفريقي والتفكير النسقي والتي تمثل في مجموعها خصائص لتنظيم المستقبل وملامح ثقافته . وهذا ما ظهر في دراسة ستيلا Stella عن الثقافة التنظيمية الناجحة (Stella 1997,) وتحليلات سنج وكلارك عن تنظيمات التعلم (Smith, 1998:90-91) (Clark, 1996: 417-420).

إن هذا التحول والتطور في الدراسات التنظيمية لم يأت من فراغ وإنما جاء انطلاقا مما تفرضه التحولات العالمية من تساؤلات حول مستقبل أدوار الدولة ومن ثم شكل البيروقراطية الملائم لتلك الأدوار المتغيرة . (يسين،1999 :87) (تيرنر ،2000 : 19) ومن ناحية أخرى فإن كل عصر من العصور ينتج الشكل الذي يوافق إيقاعه من التنظيمات ، حيث تنتقل المعلومات خلال القنوات المختلفة بسرعة فائقة وتتوالى التغييرات التكنولوجية بشكل يجعل من الضروري استحداث كافة التنظيمات أو تعديلها للاستجابة

الفورية لتغييرات المستقبل.

ومع أهمية التفسيرات التي تناولت وضع التنظيمات البيروقراطية وارتباطها بتغير الدولة إلا أن دور الدولة في المستقبل والثقافة التي تحكمه لا يتم مناقشته في ضوء تدخلها أو عدم تدخلها وإنما في نوع هذا التدخل والطرق المستحدثه التي يمكن أن تستخدمها في ذلك ودرجة هذا التدخل . إن استمرارية دور الدولة مع تغير وظائفها يمثل أساساً للمحافظة على الهوية القومية مع أهمية الاستجابة بنائياً للعولمة والاتجاه نحو مزيد من اللامركزية ورفع الكفاءة الإدارية ودرجة المنافسة وتحسين الخدمات مع المحافظة على الشرعية إضافة إلى أهمية التغييرات الثقافية الملائمة.

وسواء استمر دور الدولة أو تغيرت وظائفها أو انسحبت أمام موجات التغير العالمى، فإن ذلك يكشف عن ضرورة توافر عدد من الخصائص أو المهارات الجديدة والمتعاظمة مثل التنافس والسرعة والمرونة والثقة وتغير طبيعة الأعمال وأنماطها وسلم المراتب أو ما يمكن أن يطلق عليه أبعاد بنائية وثقافية جديدة لتنظيم المستقبل ، تلك التي يتناولها الباحث في الجزء التالى :

١- تسطيح التسلسل والتقسيم المتغير للعمل :

لقد تناول علماء دراسات التنظيم من أمثال ماكس فيبر وليتويك Litwake وميرتون Merton وأودى Udy وهيدى Heady وبارسونز Parsons وبيرجر Berger خصائص التنظيم الرسمي خاصة خاصيتى تسلسل السلطة وتقسيم العمل القائم على التخصص ، إلا أنه قد توجد بعض الصعوبات في استمرار الأشكال التقليدية لسلم المراتب حيث انتظار المستويات الدنيا موافقات المستويات العليا مع صعوبة الحراك الرأسى أو الأفقى وفقاً لبعض المواقف الطارئة خلال ممارسة العمل البيروقراطى.

ومن هنا يتوقع البعض تحول التقسيم الرأسى للعمل إلى تقسيم أفقى ومن ثم تقسيم العمل على فرق داخل الأقسام أو المشروعات ، (Hesselbein, 1997:140) بل ويرى البعض الآخر أن التقسيم الأفقى للاختصاصات سوف يزول إلى حد ما خاصة عند محاولة حل بعض المشكلات التي تتطلب تكاملا . (توفلر، 1990 : 151) ومن ناحية أخرى يتعرض الموظف للتدريب المستمر والأفقى بحيث يمر على كافة الأقسام بداخل التنظيم حتى يصبح متخصصاً -بعد عشر سنوات- في كافة أعمال المؤسسة وليس في نطاق عمل واحد ، (حاتم، 1990 : 24) ولعل هذا ما

تحققه الإدارة اليابانية وبعض التنظيمات المصرفية في دول أخرى في الوقت الراهن . والواقع فإن التقسيم الأفقى للعمل لن يقف عند حد الوحدات الفرعية وإنما يمتد ليتضمن عدداً أكبر من جمهور المصالح أى عدداً أكبر من مجرد المالكين والوحدات الفرعية ، إضافة إلى الشركات والشبكات التي تشترك في خصائصها مع التنظيمات الأصلية.

ومن هنا سوف يصبح لتلك التنظيمات وحدات خاصة بالعلاقات الدولية لإمكانية منح تراخيص الاستخدامات للبرامج أو تسويق السلع والخدمات الوطنية ومن ثم سوف يتجه تقسيم العمل في بعده الثانى إلى بناء على المستوى العالمى أو المستوى الاقليمى ويخضع كل منها إلى سيطرة وتوجيه وحدة محددة.

إنّ تقسيم العمل لن يقف عند أساس الاختصاصات وتغيرها وإنما سوف تتغير في ضوء أساس النوع . والواقع فإن الفكر التنظيمى لم يهتم كثيراً بتقسيم العمل داخل التنظيمات على هذا الأساس النوعى وتباينات بناءات القوة القائمة على هذا الأساس ، وعلى الرغم من أن هذه المعالجات تظهر في بعض الدراسات التجريبية إلا أنها لم تظهر بشكل بارز أو تنعكس في نظريات التنظيم ، ومن ثم يؤكد البعض "أن التنظيمات ليست ذكورية أو أنثوية وإنما محايدة وليست لها صلة بمتغير النوع" (Strati, 2000:116) .

ويبدو أن هذا الاتجاه عند ستراتى يجد دعماً من بعض أطر دراسات النوع (Ely& Meyerson, 2000 : 110) سواء ذلك الذي ينطلق من التيار الليبرالى للنظرية السياسية والذي يفترض أن الأفراد يرتفعون وينخفضون بناءاً على استحقاقاتهم ، أوالثانى الذي يركز على المعوقات البنائية لتجنيد المرأة وتقدمها.

إن التحول نحو تنظيم المستقبل وسيادة خصائص التنافسية وأسسها الموضوعية والتي سوف يسعى إليها المهيمنون على التنظيمات المتعددة الجنسيات أو التنظيمات التابعة للدول القطرية سوف يؤدي إلي انخفاض درجة الفجوة النوعية ويصبح للمرأة القدرة على الدخول في التنافس على المواقع التنظيمية المختلفة وإعادة تقسيم العمل بعدالة على الأقل ، إذا ما طورت سمات ومهارات ملائمة ، أما إذا ما استمرت المعوقات البنائية المتمثلة في بناءات الفرصة والقوة المتاحة والتي تتحدد وفقاً للخصائص الذكورية والموروثات الثقافية التقليدية الأخرى فإن الاحتمال الثانى سوف يصبح أكثر سيادةً حيث يصعب على تقسيم العمل النوعى أن يتسم بالعدالة إن لم يكن

متحيزاً ضد المرأة.

إن التغلب على تلك التقسيمات النوعية المتحيزة والتي من المتوقع أن تتغير في ظل تنظيم المستقبل يمكن أن يتحقق من خلال عدة آليات :

- استبعاد إنتاج تقسيمات عمل نوعية في التنظيم من خلال نماذج نوعية للمهن والتسلسل والقوة والتبعية.
- إعادة صياغة وتشكيل الرموز والتصورات وأشكال الوعى التي تبرر أو تدعم تلك التقسيمات النوعية.
- إعادة توجيه تفاعلات المرأة مع المرأة ، والمرأة مع الرجل ، والرجل مع الرجل في عدد من الأنماط التي تثبت السيادة أو التبعية وتنتج تآلفات أو استبعادات.
- صياغة رؤية مشتركة سواء حول العمل وطبيعته أم الفرص المتاحة داخل التنظيم.

أما من ناحية التسلسل الهرمى فمن المتوقع أن يتم تسطيح تلك التدرجات وتكسير الحدود فيما بين المواقع سعياً نحو تحقيق التكامل الرأسى والأفقى للمعرفة ، كما أن التكامل الرأسى يركز في هذه الحالة على دعم القدرات والمهارات . ولقد ظهرت بعض هذه الأفكار في بعض الدراسات الرائدة مثل دراسات مارشال ماير عن بناءات السلطة في التنظيمات البيروقراطية حيث أكدت ارتباط هذا التعدد في المستويات الإشرافية بتفويض السلطة إلى المستويات الأدنى بسرعة وإمكانية الوصول إلى القواعد والمعلومات بسهولة.

وعلى الرغم من احتمالية استمرارية بعض أشكال التدرج إلا أن ميكانيزمات التنسيق ستصبح أكثر إلحاحاً وضرورة في التنظيم الجديد (Pettigrew , 2000:8) .ومن ناحية أخرى فإن شكل التدرج هذا سوف يرتبط تغيره ويتأثر بمدى مقاومة نمط الثقافة السياسية للمجتمع وطبيعة نمط الإنتاج وما يحدث فيهما من تغيرات ؛ فنموذج الفعالية المستبد يتبع النمط المثالى الرشيد عن ماكس فيبر وشكل التسلسل الذي يحقق الفعالية في رأيه ، بينما يظل نموذج التسلسل المزدوج كما في الاتحاد السوفيتي السابق مرتبطاً باعتبارات سياسية اجتماعية عامة. أما نموذج المجتمع الهيدروليكي فيعكس قوة هائلة لطبيعة التدرج فيه كما أن القدرة على تغييره تتطلب وقتاً أطول حيث اندماج السلطوية والإذعان في الثقافة السياسية.

ويبدو أن التحولات السريعة من نموذج إلى آخر تحتاج إلى تفسيرات عديدة خاصة إذا ما أدركنا مرور عدد من المجتمعات بعدد من هذه النماذج خلال فترات تاريخها مع ثبات بعض الخصائص نسبياً ، وانعكاسات ذلك على التحولات في دور الدولة أيضا.

ومن ناحية أخرى قد تظهر مشكلات تسطيح التدرج خاصة عند وجود نمطين من السلطة : سلطة القوة مثل الكاتب على الكاتب أو الكاتب على العميل ، وسلطة المعرفة التي تمثل سلطة المهنى المتخصص مثل الخبير أو الطبيب والأخصائى على العميل ، ومن ثم تتجه مشكلات التسطيح إلى تدرج القوة في هذه الحالة أكثر من سلطة المعرفة.

إن أشكال التقسيم الجديد سواء الأفقية أم الرأسية سوف تنعكس على آلية العمل ذاتها حيث تتكون فرق عمل مؤقته لحل مشكلات محددة ثم يتم حل هذه الفرق بعد إتمام العمل المطلوب ، ويطلق عليها تنظيمات مؤقته باستمرار ومن ثم تحطيم المفهوم التقليدى للتنظيم كبنية ثابتة بشكل أو بآخر. (توفلر ،1990: 138) ، وقد يدعم هذا التقسيم الاندماج التنظيمى لأن فرق العمل قد تتشكل من وحدات وأقسام متباينة ، لكن تبقى الحاجة إلى قدرات هائلة على التنسيق واختيار الخبرات والمهارات المتكاملة. ويترتب على هذا ضرورة توافر مهارات التنسيق لدى الرؤساء أكثر من مجرد إصدار الأمر(*) ، ويترتب على هذا تكامل خاصيتى التدرج والتقسيم في ظل التنظيم الجديد.

٢ـ العمل الفريقى ووضوح الأدوار :

يفترض العمل الفريقى وجود هدف مشترك ومن ثم مجموعة من المهارات والخبرات المتباينة المتكاملة في الوقت ذاته سَعياً نحو تحقيق هذا الهدف.

ومن هنا يميز البعض بين كلمة الفريق كاسم والفريق كصفة . ففي الوقت الذي تعنى فيه كلمة فريق كاسم تجمعاً من الأفراد يعملون بشكل تعاونى وتختفي فيه التوترات والصراعات. (Stewart, 1997:123) فإن كلمة

(*) طبقت شركة فيات العالمية هذا الاتجاه وأطلقوا عليه أسلوب تخطيط الهندسة المتوافقة ، ويطلق على هذا الأسلوب وحدة التكنولوجيات الأولية وهى عبارة عن فريق يضم (٥٠- ٧٠) شخصاً كل منهم مسؤول عن عملية متجانسة أو منتج معين ، وفي الوقت ذاته يتمتع بالاستقلالية وحرية الحركة والرقابة الذاتية.

الفريق كصفة تعني مجموعة من الخصائص تستخدم للإشارة إلى حالة أو وصف تقديري لجماعة من الجماعات حيث يؤكد هؤلاء "نحن نحتاج إلى أن نعمل كفريق وليس كأفراد" ومن ثم فهو نتاج للتعاون والتكامل.

إلا أن هذا الاستخدام للمصطلحات قد يعكس خلطاً في مفاهيمها فالعمل الفريقي ليس مجرد تجمع من الأفراد وإنما قد يكون هذا التجمع تجمعاً فعالاً أو غير فعال. وإذا ماكان مصطلح الفريق يستخدم للإشارة فقط إلى عمل الجماعات بشكل تعاوني لإنجاز هدف مشترك يصبح التعاون والهدف المشترك شرطين أساسيين للقول بكلمة الفريق ولا يمكن الحديث عنه بدون هذين الشرطين ، إضافة إلى هذا فإنه يتطلب توافر قاعدة أساسية من وضوح الأدوار سواء وضوح الموظف على الأدوار التي يقوم بها أو أدوار الآخرين أفقيا ورأسيا في الوقت ذاته .إن العمل الفريقي والرؤية المشتركة كخصائص لتنظيم المستقبل لا تعنيان عدم إمكانية الإبداع والتجديد والاستقلالية ، وإنما سوف ينظر تنظيم المستقبل إلى تفوق أحد العاملين بالتنظيم في أداء عمل ما وابتكاره شيئاً أو إجراءً أو آلية عمل باعتباره نتاجاً لجهود مشتركة بينه وبين فريق عمل تعاون معه بل ومع العمال الذين ساعدوه على هذا الابتكار والتنظيم الذي وفر له الفرصة والمناخ العام الذي أتاح له الرؤية والتفكير.

ومن ناحية أخرى فإن مفهوم العمل الفريقي لن يقتصر مداه على المستوى المحلي وإنما سوف يمتد لما يمكن أن يطلق عليه فرق العمل الكوكبية والتي تتشكل من مجموعات عمل تنتمي إلى دول متعددة. وتقوم تلك الفرق بعدد من الوظائف سواء للوصول إلى معدلات إنجاز عالية أم مساعدة تنظيماتها التابعة لها على الاستجابة لاحتياجات الأسواق المحلية وتفضيلات مستهلكيها مع الاندماج في التغيرات العالمية.

إلا أن هذا العمل الفريقي قد تعرض إلى تفسيرات متباينة سواء في فلسفة هذا العمل أو البواعث المؤدية إليه أو نتائجه. ومن هنا تعرضت العديد من النظريات إلى مفهوم كل من الجماعات الفعالة وفرق العمل والأسس التي تستند عليها. (Stewart, 1997:86-104) فلقد انطلقت نظرية الجماعة من ضرورة توافر عدد من الخصائص للقول بفاعليتها كفريق عمل مثل وجود أهداف واضحة مشتركة ، وسهولة نسق الاتصال ونمط قيادة مشارك، وتوزيع خاصية التأثير بين الأعضاء والتعبير عن الصراع صراحة وإمكانية الحل المعلن له بدلاً من كمون هذا الصراع والمناقشة المفتوحة للقرارات والتوصل المشترك لها والعلاقات البيشخصية التي تعكس الدور الهام للأفراد

كأجزاء أيضاً مع التقييم المستمر لهذا الأداء . أما النظرية الأخرى فهى تلك التي تركز على حاجات الأفراد مثل الانتماء والانتساب والقوة والتأثير بحيث يشعر كل فرد أن لديه القدرة على التأثير في أحداث الفريق وعمله والعلاقات الودية بين الأفراد . أما نظرية الفرق الفعالة فتستند على عدة افتراضات تتمثل في ضرورة وجود مجموعة من الوظائف التي يسعى الفريق لإنجازها من خلال أدوار تكاملية داخل الفريق وأن كل عضو من أعضائه يتبنى القيام بدور ما استناداً على قدراته ومهاراته بل ونمط شخصيته. إلا أن هذه الأدوار كما يرى بيلبين Belbin يجب أن يتحقق بينهما التوازن.

إن هذا الشكل من أشكال العمل سوف يحقق في المستقبل عائداً قيمياً واستراتيجياً هاماً. فسوف يعطى هذا الشكل أولاً الفرصة للتعرف على وجهات نظر الآخرين وآرائهم ويؤدى إلى غرس قيمة الحوار فيما بين مستويات وأطراف فرق العمل . ومن ناحية أخرى يؤدى إلى تبادل المواقع حيث يصبح الرئيس مرؤوساً والعكس صحيح في مواقف أخرى. كما أن هذا الفريق سوف يصبح أكثر مرونة وقدرة على توقع التغير والاستجابة إليه ، وأكثر مهارة في حل المشكلات وأكثر قدرة على تنفيذ مشكلات التغير.

ومن ناحية أخرى فإن تكرارية تكون فرق العمل عبر فترة طويلة تمثل أساساً لتكون ما يسمى بالرؤية المشتركة على مستوى التنظيم ، والتي تشير إلى مجموعة أفكار فريدة للتنظيم ومعايير عمله والتي تبلورت وتكونت عبر السنوات الطويلة وتم تداولها حتى أصبحت تقليداً متبعاً في هذا التنظيم. وتأتى هذه الرؤية من خلال الاحتكاك والتدريب والاجتماعات بل والتجمعات التلقائية. (حاتم، 1990: 57).

إنّ تلك الرؤية المشتركة تؤدى إلى تكوين هوية لأعضاء التنظيم و توليد درجة عالية من الالتزام وتعظيم درجة استقرار النسق الاجتماعي التنظيمى وتوجيه وتشكيل السلوك التنظيمى : (Smircich, 1983:346) ، كما تؤدى إلى درجة عالية من الولاء التنظيمى. (Werther, 1988:28) ولكن تلك الرؤية لا تقتصر على أبعادها الماضية وإنما تتحقق حول الوضع الراهن للتنظيم وما يجب أن يكون عليه بل ومجموعة القيم التي تشكل الثقافة المشتركة في نهاية الأمر. لكن تظل القضية تتمثل في تحديد عدد الأفراد المشاركين في تلك الرؤية لأنه كلما تزايد هذا العدد كلما دعم تلك الرؤية المشتركة بل وإذا اشتركوا في صنعها فإن ذلك سوف يؤدى إلى أن تصبح رؤية القائد هى رؤيتهم المشتركة في الوقت ذاته . ومن ناحية أخرى فإن

استجابة القائد لأفكار واتجاهات أعضاء التنظيم تمثل ضرورة محورية لتحقيق تلك الرؤية والتي بدونها تصبح تلك الرؤية مجرد أحلام واهية لا تتحقق على أرض الواقع.

ومن ناحية ثالثة فإن تدعيم فرق العمل هذه تؤدى إلى إنجاز أدوار متكاملة والتي يمكن أن ينظر إليها باعتبارها استراتيجية لمواجهة إدارة التنظيم لأشكال الصراع غير الوظيفي ولدعم الثقة المتبادلة . وبكلمات أخرى فإن محاولة توفير فرص عمل مشتركة بين الأطراف المتصارعة والمواجهة المباشرة للمشكلات واستخدام أطراف أخرى للتدخل تمثل آليات فعالة لمواجهة الصراع وفي الوقت ذاته مؤشراً لما يمكن أن نطلق عليه ثقافة تنظيم المستقبل أو ثقافة التميز أو الثقافة التنظيمية الفعالة.

وعلى الرغم من أهمية العمل الفريقى في تحقيق عدد من المهارات وفرص الحوار والرؤية المشتركة ومواجهة الصراعات ، إلا أن الدول النامية قد تواجه عدداً من العقبات أمام الإفادة من هذه الخاصية أو الوصول إليها من قبل.

ولعل من أبرز هذه العقبات عدد من الأوضاع الاجتماعية الاقتصادية وانعكاساتها على ثقافة التنظيم الجديد حيث أن "غالبية مؤسسات التنشئة لا تنمى ولا تشجع قيم العمل الجماعى والتسامح وقبول التنوع والاختلاف وغير ذلك إضافة إلى التأثير السلبى لانتشار الأمية على تلك القيم. (قنديل، 2000 : 38) . ومن ناحية أخرى فإن سيادة المعتقدات المرتبطة بتعاظم الولاءات الذاتية والسلطوية والتي تدعم ميل الأفراد نحو الانجاز الفردى والتخوف من الاندماج في العمل الفريقى سوف ينعكس بالضرورة سلباً على فعالية تكوين هذا النمط..

وبقدر ما تواجه فرق العمل المحلية هذه العقبات فسوف تتعرض فرق العمل العالمية أيضاً إلى عدد من التحديات لعل أبرزها قدرة قادتها على التكيف واحتواء القيم الثقافية للآخر والتكامل معه بسهولة ويسر في ظل عالم التغيرات السريعة. ومن ثم تظهر الحاجة إلى قدرة قادة هذه الفرق سواء المحلية أم الدولية على مواجهة تلك العقبات وتنظيم البرامج الملائمة.

٣- الولاء نحو العملاء والمهنة :

لقد اتجهت دراسات الولاء إلى تناوله باعتباره اتجاهاً تارة وسلوكاً تدعيمياً تارة أخرى أو ما يوصف بالالتزام أو التوحد ، لكن ظلت كثير من

الممارسات البيروقراطية التقليدية تربطه بالبعد الإيجابي ولم تنظر إليه في ضوء البعد السلبي أو المحطم أحياناً للتنظيم.

وإذا ما كانت بعض الدراسات قد أكدت مدى أهمية توافر بدائل للعمل ربط البعض الآخر بين الولاء ودرجات الرضا والضبط الذي يتحقق من خارج الأفراد أي من قبل التنظيم ذاته وكما يتحقق في البيروقراطية الصارمة. (Withey & Cooper, 1992:232- 233) إضافة إلى أنه يرتبط بكل من طبيعة تقسيم العمل وتسلسل السلطة وطبيعة العمل وتغيره.

لقد جاء هذا واضحاً حينما ربط ماكس فيبر الولاء والتعهدات بالالتزام بالشكل التقليدي للبيروقراطية وتوجهه نحو التنظيم بصفة عامة والسلطة البيروقراطية بصفة خاصة، ومع تباين تلك الولاءات تتباين أشكال تلك السلطة وأسس شرعيتها. وإذا ما كان بارسونز قد أكد على تعددية الولاءات بتعددية الانتماءات داخل المجتمع الواحد ، واستناداً إلى ما أشار إليه ماركس من تغير الانتماءات بتغير المرحلة وحالة التطور فإن طبيعة الولاء في ظل التنظيم الجديد سوف تتغير.

ومع هذا تمثل مداخل التبادلية المحدثه في دراسة الانتماء والولاء التنظيمي أقرب المداخل لتفسير شكل الانتماءات والولاءات الجديدة ؛ حيث تقوم هذه المداخل على افتراض علاقة تبادلية بين هذا الانتماء والولاء والمنفعة المتبادلة بين كل من الفرد والتنظيم الرسمي الذي يعمل بداخله وربط هذا الانتماء بالمقابل المادي. وهذا ما قد يتفق مع ما جاء به ماكس فيبر من قبل.ويعبر بعض الباحثين عن تلك العلاقة بما أسموه " الانتماء المحسوب والذي يشير إلى رغبة الفرد في البقاء والعمل داخل تنظيم بعينه لما يقدمه من مكاسب تفوق ما تقدمه تنظيمات عمل أخرى" (علام، 1994 : 263).

ويبدو أن هناك اتفاقاً بين كل من ماكس فيبر وهربرت سيمون ومارش ومداخل التبادلية المحدثه على أهمية المكاسب بما في ذلك الرواتب في تحقيق الانتماء التنظيمي وتفسيره. ومن ثم فإن أشكال الولاءات والانتماءات الأخرى مثل الولاء للمهنة يصعب تفسيرها في ظل تلك النظريات.

إن تغير نوع القطاع الذي تتبع إليه التنظيمات من حكومي إلى خاص ودخول شركاء أجانب واتساع نطاق دور المؤسسات العابرة القارات سوف ينعكس على نمط الولاءات التنظيمية ، "حيث يتحول العاملون في منشآت تعمل بإشراف شركاء أجانب بولائهم سريعاً نحو اعتماد الأسس الثقافية لهؤلاء

الشركاء". (الامام، 1999: 90) ويظهر هـذا بـالطبع فـي تـأثير اللغـات المستخدمة وقيم العمل التي يتبناها هؤلاء بل ودور ثقافة القائمين على البرامج التدريبية بصفة عامة ، إضافة إلى تأثير عوامل الاغتراب إذا ما كان بعـض هؤلاء يعملون في دول أجنبية في ظل ظروف العمل والأجور الأعلى مقـابل ندرة التخصصات والانضباط العالى.

وفي ظل هذه التغيرات والعوامل المفسرة لها سـوف تظـهر أنمـاط جديدة للولاء بما في ذلك شكل الولاء المتغير . فطبيعة تقسيم العمـل بشـكله الجديد ونتيجة لتكون مجموعات عمل مؤقتة باستمرار تضم فـي عضويتـها أعضاء غرباء بعضهم عن البعض الآخر ومن تخصصات متباينة مع سـرعة تنقل الأفراد من مجموعة إلى أخرى سوف تؤدى إلى انتقال الولاء من التنظيم إلى أفراد المهنة أو التخصص ذاته . إن هذه الحالة تتطلب توافر المـهارات اللازمة لإقامة علاقات سريعة ووثيقة في الوقت ذاته وتحمل فقـد علاقـات العمل التي تكونت عبر سنوات طويلة بل وفقد علاقات الجوار ، ولعل هـذا يرتبط أيضا بطبيعة المجتمعات الحديثة حيث تصبح الروابط أقل استقرارا بـل وبطبيعة دينامية الاقتصاد الرأسمالى ومن ثم انعكاسه علـى إمكانيـة إقامـة علاقات دائمة مع زملائهم . (فوكوياما، 1993 :282)

إن حالة اليقين في ضمان العمل وفرصته سوف تنعكس أيضا علـى تغير أنواع تعاقدات الولاء من الشكل القديم إلى الشكل الجديد وبيـن الإدارة أو صاحب العمل من ناحية والعاملين من ناحية أخرى. (Kelly, 1998) فإذا ما كان العقد القديم والتقليدى يتمثل في تحقق الولاء عند توافر فرصـة العمـل وضمان استمراريته ، ففي ظل ظروف العقد الجديد سوف تتحكم المصلحـة الذاتية وارتباطها بطبيعة الفرصة وتغيرها المستمر وليس مجرد النظر إليـها باعتبارها فرصة وحيدة مدى الحياة. وقد يختلف هذا الرأى عما جاء به كـل من جاى بيترز ومدخل التنظيمات المتعاظمة حيث وصف الأول علاقة الـولاء التنظيمى بأنها علاقة بين ثقافتين : ثقافة سائدة ومسيطرة وهى ثقافـة الإدارة وثقافة خاضعة وهى ثقافة المستهلك والموظف الذي قد يتوافـق مـع الـولاء التقليدى فقط ، في حين يؤكد المدخل الآخر على أن تحقيق الحد الأمثل مـن انتمائية الفرد للتنظيم وأهدافه وقيمه يتأتى من تعاظم هيمنة التنظيم الرسـمى على أعضائه في محيط العمل وحياتهم الاجتماعيـة. (Peter, 1984: 50) (علام، 1994 : 264).

ومع أهمية مثل هذا الرأى في بعض مراحل التحول إلا أن الولاء فـي

ظل طبيعة التنظيمات الجديدة لن يرتبط بقضايا الجبرية والإذعان أو الاختيار من طرف واحد وإنما سوف تحدده المصالح المشتركة ويثير العديد من القضايا الجدلية. فالموظف الذي يعمل في إطار هذا التنظيم سوف يسعى إلى إبراز ولائه للمهنة أولا ثم سوف يحدد درجة ولائه بمقدار ما يعود عليه من مكانة أو استمرارية في العمل. كما أن الملاك سوف يسعون للحصول على هذا الولاء في ضوء تنفيذ العمل بدرجة عالية من الجودة أو تحقيق الدور كما يرون هم وبما يحقق أعلى عائد وأقل تكلفة. وعلى هذا فسوف تنعكس المصالح المتبادلة بين الطرفين على التعرض للجبر والإلزام غير المباشر لتحقيق هذا الشكل الجديد من الولاء خاصة في ظل التنظيمات التي تحكمها العوائد المادية وفي ظل غياب البدائل.

ومن ثم فقد تفقد وجهة النظر المرتبطة بتأثير الضبط الصارم - والقائلة بإمكانية تحقيق الضبط والسيطرة من خلال رئيس صارم سعيا لتحقيق الولاء - مصداقيتها. ويسعى البعض الآخر إلى محاولة تخفيف حدة المصالح المشتركة ودور العوائد المادية واستخدلم محاولة تحقيق اندماج الأفراد في فريق العمل تحقيقا لولائهم لتلك المجموعات ومن ثم إلى التنظيم ككل.

ومن ناحية ثالثة فإن تغير النمط التقليدى للسيادة الحكومية على البيروقراطية وتنظيماتها وسعى الشركاء نحو تحقيق معدلات ربحية عالية سوف يؤدي إلي أن يصبح العميل محور اهتمام هؤلاء الشركاء . ومن ثم فإن تقييم العملاء للسلع والخدمات بشكل مباشر أو غير مباشر من خلال الاستخدام يمثل معيارا لاستمرارية الموظف والذي يسعى بدوره لأن يستدمج مطالب واحتياجات وآراء العملاء . ومن ثم يتحول ولاء الموظف من الاتجاه نحو المؤسسة والرؤساء إلى الولاء إلى العملاء حتى أن بعض الدراسات جعلت الاهتمام بالعميل جوهر مقاييس الجودة النوعية. (Hodjetts, 1998: 61-88) ولقد ظهرت أهمية تحول تلك الولاءات إلى الشكل الجديد "في عدد من الشركات العالمية حتى أنها أطلقت ما يسمى الإدارة بالعملاء وظهر ذلك جليا في شركات أمريكان إكسبريس ومجموعة كومباك للحاسبات ومتاجر شيتز Sheetz . ولقد أبرزت هذه الشركات أهمية التركيز علي مطالب العملاء وطرح فرص الاستماع لأصواتهم والنزول إلى مواقعهم وتحديد نوعية العميل المستهدف من خلال آليات متنوعة ، تلك الاستراتيجيات التي انعكست على تحسين الموقف التوزيعى والمالى لهذه الشركات" . (توفيق، 1998: 23-21)

إن الدراسات السابقة تؤكد على عدة مؤشرات لقياس الانتماء التنظيمى

مثل التكامل بين أهداف وقيم كل من الفرد والتنظيم ، وبذل قصارى الجهد من قبل الفرد لتحقيق أهداف التنظيم ، وإصرار الفرد على استمرارية عضويته بالتنظيم الرسمى. إلا أنه في ضوء التغيرات العالمية مع أشكال التنظيمات الجديدة فإن مثل هذه المؤشرات تحتاج إلى إضافة وإعادة صياغة حيث ستحتل الولاءات للمهنة والعملاء وفرق العمل المؤقتة ومدى ما يعرضه التنظيم من مكاسب والانتماء إلى ملاك التنظيم مكانة بارزة مقارنة بالانتماء إلى التنظيم ككل بشكله التقليدى.

٤- التكنولوجيا والمعلوماتيه :

يحتل بعد استخدام التكنولوجيا بما في ذلك تقنية المعلومات أحد الأبعاد المحورية للتنظيم الجديد. ولعل ذلك يرتبط بنمط التنظيم المستقبلي والبيئة المفتوحة والسعى نحو تحسين الإنتاجية والإنجاز والمنافسة التي تتطلب سرعة الأداء وجودة الإنتاج والخدمات في الوقت ذاته ، كما يرتبط ذلك باتساع النطاق الجغرافي المحيط باستخدامات التنظيم البيروقراطى في المستقبل ونمط الإدارة عن بعد.

ولقد عالج الباحثون في دراسات التنظيم العديد من القضايا التي يثيرها استخدام التكنولوجيا ومتطلبات هذا الاستخدام وآثاره . وبرزت في هذا المجال العلاقة بين التكنولوجيا والبناء التنظيمى خاصة مع بدء عمليات إعادة الهيكلة وادخال التغييرات في الهياكل الوظيفية لاستيعاب تقنيات الحاسب الآلي الجديدة في مرحلة ما بعد الفوردية ، ويترتب على ذلك انحسار الطبقة الوسطي التي كانت تقوم بوظيفة التنسيق .

إن انعكاسات استخدام تكنولوجيا الاتصالات السريعة على الأبعاد البنائية للتنظيم وما ترتبط به من قيم مثل المشاركة والمرونة قد خضعت لتباين في نتائج تلك الدراسات ؛ حيث أوضحت بعض الدراسات أن هناك علاقة طردية بين إدخال الحاسب الآلى واستخدامه في تلك التنظيمات ودرجة اللامركزية في اتخاذ القرارات ، في حين وجدت الدراسات ذاتها – في بعض التنظيمات– أن تلك التنظيمات أصبحت أكثر مركزية ، كما وجد البعض أن بيئة العمل كانت عاملا وسيطا.

ومن ناحية أخرى"فلقد كشفت بعض المسوح عن أن ٣٥% من مديرى الأعمال أكدوا أن استخدامات التكنولوجيا تدعم قدرتهم على التغلب على دهشتهم من استخدامات الحاسب والابتكار والمرونة والثقة بل وقدرتهم على التعلم. (Sullivan, 1994: 25- 30) كما أوضحت دراسة أخرى "أن

الاتصالات الهاتفية وانتشار الحاسبات الآلية تؤدى إلى تحقيق تغيرات رئيسية في موضع العمل داخل الدول وفيما بينها". (Huws, 1999) ولقد كشفت تلك الدراسة أن هناك عددا من العوامل ترتبط بالمعدلات العالية أو المنخفضة من العمل من خلال الهاتف ؛ ولعل أبرز هذه المتغيرات تكلفة المعلومات ومتاحيتها وتكنولوجيا الاتصال إضافة إلى تباين القطاعات المهنية والتحضر وبناء حجم أسرة العامل والإطار النظامى القومى "إضافة إلى استخدام التلفاز في نشر المعلومات وتسويق المنتجات والخدمات خاصة في ظل اقتصاديات السوق وتغيرات العولمة." (Alkinson & Mort, 1997:3).

وعلى الرغم من ذلك فلقد أثارت علاقة استخدامات التكنولوجيا والأساليب المتقدمة في الاتصال بسوق العمل كثيرا من الجدل خاصة ما ارتبط منها بانعكاسات تلك الاستخدامات على حالة البطالة ومعدلاتها و نمط تركيب العمالة ذاته ومن ثم زيادة الطلب على ذوى المهارات الفائقة وانخفاض الطلب على العمالة منخفضة المهارة. (عبدالفتاح، 1996 :142) إضافة إلى هذا أوضحت أحدث الدراسات المسحية عن آخر التطورات التقنية واتجاهاتها في كل القطاعات تشير إلى أن عالما يكاد يخلو من العمال يقترب بخطى حثيثة وقد يتحقق قبل الدخول في النقاش حول دلالاته العريضة أو تحمل تأثيراته. (ريفكن، 2000 : 155) ولن يقتصر هذا التأثير على طبقة العمال وانما سوف يمتد إلي الطبقة الوسطي وتآكلها خاصة مع قيام الحاسبات بعدد من وظائف التنسيق التي كانت تلك الطبقة تقوم بها في التنظيمات التقليدية. ولعل هذا الجدل يرتبط بانعكاس استخدامات الحاسب وإمكانية التحكم الكامل في المصانع بل وأداء المؤسسات الخدمية.

ومن ناحية أخرى فإن استخدامات تكنولوجيا المعلومات في العصر الراهن وتقدمها بدرجات متعاظمة في المستقبل تعكس قضايا مثل الخصوصية ؛ وتظهر هذه القضية خاصة بعد انفجار البيانات الرقمية وسيولتها وإمكانية وصول الأفراد إلى معلومات متعددة حول الآخرين سواء كأفراد أو قيادات تنظيمية (كيت ، ترجمة شهاب،1999 :41-14) وقد ينعكس هذا على حقوق الملكية الفكرية أو مدى سرية عمليات اتخاذ القرارات التنظيمية أو التخطيط أو الاستراتيجيات. ومن ثم يؤدى إلى متطلبات إجرائية قانونية جديدة أو برامج حماية وتشفير لتلك البيانات.

إضافة إلى هذا فسوف تنعكس تلك الاستخدامات على كل من نمط العلاقات التنظيمية وطرق أداء الخدمات الحكومية ونمط إدارتها بل وعلى

قيمة الحرية والاختيار لدى المستفيدين من تلك الخدمات.

إن استخدامات الهواتف والحاسبات الآلية فائقة السرعة والربط بينها سوف تؤدى إلى إيجاد ما يسمى بشبكة الاتصالات والتي تنعكس على شبكات المعلومات. وعلى هذا فمن المتوقع أن لا تستمر مقولة أن الوحدات الكبرى تهزم الوحدات الصغرى وإنما الوحدات الأسرع هي التي تهزم الوحدات الأبطأ. ويرتبط هذا بالضرورة بسرعة المعلومات وقدر عالى من المرونة وحرية التصرف للمستويات الدنيا مع توافر القدرة على إنتاج الأفكار الخلاقة وحل المشكلات بطرق متباينة وأساليب قياس مقننة ودقيقة. (Daft, 2001) إن هذه الشبكات ليست مجرد تشابك تكنولوجى أو سرعة آلية وإنما هى تشابك البشر من خلال التكنولوجيا؛ تشابك وترابط من نوع جديد بين المعارف والإبداعات ومهارات هؤلاء العاملين في تلك التنظيمات. ويؤدى هذا بالضرورة إلى إيجاد أنماط جديدة من الثروة وأشكال جديدة من التفاعل والتطور الاجتماعي وقد يؤدى إلى درجة عالية من العزلة البشرية المباشرة. إلا أن هناك رأيا آخر يرى أهمية استخدامات تكنولوجيا المعلومات وانعكاسها إيجابيا على العمل الفريقى والتعاوني وإيجاد الرؤية المشتركة (ريفكن، 155: 2000) ومن ثم تخفيض درجة العزلة المباشرة. (Mankin, 1996:7)

ومن ناحية أخرى فإن تلك الاستخدامات سوف تنعكس على نمط العلاقات التنظيمية حيث تتعاظم وتنتشر العلاقات الشبكية بدلا من العلاقات أحادية الاتجاه عبر التدرج الهرمى ، إضافة إلى تضييق الفجوة بين التنظيم الرسمى وغير الرسمى.

وعلى هذا يصبح التردد على مكان العمل عن بعد ظاهرة عادية. وقد ينظر البعض إلى هذا الموقف في ضوء العزلة الاجتماعية وانعكاس هذه النتيجة على شكل التفاعلات الاجتماعية والعلاقات بل وقد يقف عقبة في وجه أداء بعض الخدمات التي تتطلب مقابلات الوجه للوجه. وإن كان ذلك سوف ينعكس على المستفيدين أو المستهلكين فإن موقع العمل الثابت في ضوء التنظيم التقليدى سوف يتغير ؛ فيمكن بذلك للمدير أو الرئيس أن يعقد اجتماعاته أو مراجعته لأداء الأعمال عن بعد بل والدخول إلى بنوك المعلومات لدعم آليات العمل واستخدام الخبراء إضافة إلى فريق العمل من خلال هذه الشبكات. وبالضرورة سوف يتدخل نمط الملكية خاصة عند سيادة الشركات والمؤسسات عابرة القارات أو متعددة الجنسيات في إبراز أهمية نمط الإدارة عن بعد لتلك التنظيمات أو المشروعات التابعة لها.

ومن ناحية أخرى فإن طرق أداء الخدمات الحكومية سوف تتعدل وفقا لانتشار الآلية وشبكات المعلومات حيث تتحول الحكومات إلى ما يطلق عليه الحكومات الإليكترونية ؛ أى تطوير الخدمات الحكومية بحيث تؤدى إلكترونيا من خلال الشبكات(*) . (دلاور، 1999 : 47) وإذا ما كان هذا الشكل يحقق الربط بين الخدمات الحكومية من جهة والعملاء من جهة أخرى إلا أن تحققه يتطلب عددا من المقدمات الضرورية التي تمثل عبئا على الدول خاصة النامية منها بل وعلى أفراد المجتمع ذواتهم. إن هذا التغيير يتطلب قدرا هائلا من التمويل سواء لإنتاج الآليات المرتبطة بتلك الخدمات الجديدة أو برمجتها أم لتدريب العاملين عليها وإنشاء مراكز لها. ومن ناحية أخرى فإنها تتطلب نوعا خاصا من ثقافة استخدام التكنولوجيا الجديدة التي قد تستغرق سنوات عديدة لغرسها أو اكتسابها. لكن تظل قضية الاستخدام تقع بين الإجبار والاختيار ، فإذا ما كانت تعالج في ضوء الاختيار تصبح ضرورة مراعاة ملاءمة هذا الاستخدام للإمكانات المتاحة ولحاجات المجتمع ونمط العمالة. أما إذا ما كانت إجبارية بمعنى أن تفرضها ظروف التحولات العالمية تصبح المشكلة أكثر تعقيدا.

إن تقديم الخدمات بهذا الشكل سوف ينعكس على كل من فرص الاختيار الخدمى والسلعى بل وعلى قيم الحرية وأداء التنظيمات السياسية في الوقت ذاته ؛ فتقديم الخدمات بهذه الطريقة سوف ينعكس على أحد أبعاد التغير الديموقراطى حيث تعطى للإنسان المعاصر فرصا للاختيار لا حصر لها في كافة أوجه الحياة (التعليم – الصحة وغيرها) ويؤدى هذا إلى ظهور ما يسمى ثقافة الاختيار إضافة إلى ثقافة المشاركة والمنافسة باعتبارها ثقافات تعبر عن التغيرات العالمية المستقبلية.

ولا يتوقف هذا البعد الديموقراطى عند المستهلك ونمو ثقافة الاختيار ، وإنما يمتد إلى العاملين بتلك التنظيمات حيث يمكن لكل عامل الوصول إلى المعلومات الحقيقية بل وسرعة وصوله إليها ومن ثم درجة عالية من لا تركز

(*) بدأ بالفعل استخدام وسائط التكنولوجيا الحديثة في عدد من المجالات خاصة الإعلامية والتعليمية والاقتصادية بل والقطاعت السيادية ؛ مثال ذلك تستخدم الوسائط الالكترونية في مجال التعليم كمصادر المعلومات مثل المكتبة الالكترونية وتلك الوسائط التي تستخدم كأدوات تعليم وتوصيل مثل المؤتمرات المسموعة والتفاعلية المرئية وشبكات الخدمة الخاصة.. إلخ.

السلطة وتوزيع القوة وبالتالى مشاركة واسعة في عمليات اتخاذ القرارات التنظيمية ، "وهو ما عبر عنه مانكين Mankin وبيكسون Bikson بتغير الديناميات السياسية التنظيمية". (Mankin et al, 1996:245) أو ما عبر عنه كل من ماهونى Mahony وبارلى Barley بلامركزية اتخاذ القرارات وانخفاض الحاجة إلى الإدارة الوسطى.(**Mahony & Barley, 1999:141**).

بل وقد يتعدى هذا من مجرد الحرية وفرص الاختيار الخدمى والإنتاجى إلى فرص الاختيار السياسى بل والتمثيل السياسى دونما حاجة إلى التصويت بشكله التقليدى. فيمكن بذلك حساب اختيارات المصوتين واستطلاع رأيهم مباشرة إلكترونيا مما يؤدى إلى تراجع دور الوسيط السياسى وخفض تكلفة عمليات التصويت وإجراءاته واستبعاد كافة اشكال تدخل السلطات التنفيذية بتنظيماتها في العمليات الانتخابية.

إن عصر المعلوماتية واستخدام التكنولوجيا لا يتطلب مجرد إحداث تغييرات أحادية وإنما رفع مستوى التدريب واكتساب مهارات الاتصال وسرعة تدفق المعلومات والقدرة على الإبداع والتعامل مع التغيرات التكنولوجية الجديدة. أو بمعنى آخر سيادة ثقافة المشاركة والمنافسة مندمجة مع ثقافة المعلوماتية والتكنولوجيا.

ه- الثقة الإيجابية :

تعتبر الثقة بعدا أساسيا من أبعاد الثقافة التنظيمية المستقبلية . وتشير الثقة إلى "إيمان وإخلاص في المقاصد والأفعال لشخص أو جماعة بما لا يهدد الآخرين فيما يتصل بحقوق ومصالح الآخرين في العلاقات التبادلية. أما عدم الثقة فيشير إلى اعتقاد شخص ما بأن مقاصد الطرف الثانى ودوافعه للعمل ليست كما تظهر في الغالب وأنه غير أخلاقى وذو دوافع خفية. ومن ثم ينظر إلى هذا الشخص على أنه غير مقبول ويهدد الآخرين في التركيبات التنظيمية". (Carneval, 1995: 20).

وتظهر حالة الثقة أو عدمها على عدة مستويات سواء فيما بين العاملين أو فيما بين العاملين والإدارة أو فيما بين العاملين والعملاء ، كما تظهر في توزيع الأدوار وحرية التصرف وتقبل الفكر النقدى وعلاقات التنافس وتحمل المسئولية وهى خصائص ثقافة المستقبل. أما حالة عدم الثقة فتمثل إحدى أبرز الأزمات التنظيمية وتظهر في ضعف المصداقية وعدم شرعية السلطة التنظيمية خاصة والسياسية عامة.

والثقة بهذا المعنى ليست ثقة في نطاق التنظيم فقط وإنما تعكس ثقافة مجتمعيه. ولقد أبرز كتاب الثقة لفرانسيس فوكوياما ذلك حينما أرجع التقدم إلى توافر أو عدم توافر مقومات ثقافية في علاقات المجتمع وهى مقومات الثقة وليس إلى اعتبارات مادية فقط.

وعلى هذا فإن التحولات في التنظيمات البيروقراطية ليست مجرد تحولات في وظائف الدولة أو التحول من القطاع الحكومى والقطاع العام إلى الخاص أو تطوير الأدوات، وإنما وجود خلفية ثقافية مجتمعية تتمثل في المبادرة وتحمل المخاطر والثقة وحرية التصرف وتحمل المسئولية والمعلوماتية وتزايد دور مؤسسات المجتمع المدنى والتعاون فيما بينها وبين المؤسسات الحكومية المستمرة.

ولعل هذا يرتبط بتفسير ماكس فيبر وتمييزه بين البروتستانتية القائمة على قيم العمل والادخار والعمل التطوعى والكاثوليكية ، كما يظهر هذا في بحث فوكوياما حول الخلاف الثقافي بين الدول المعاصرة ، وتوضيح بيرفيت لجو الثقة والتسامح الذي ساد هولندا في فترة من تاريخها وقبول إنجلترا لفكرة المخاطرة. كما ظهر ذلك في العلاقات الأسرية الصينية والتجمعات الحرفية اليابانية. (الببلاوى، 1999 : 190).

إن الثقة بهذا المعنى تثير العديد من القضايا ارتباطا بعائدها المادي والاجتماعي ، فلقد دافع فوكوياما عن تلك القيمة في كتابه الثقة (فوكوياما،1998 :319-314) ؛ حيث ربط بينها وبين دعم العمل الفريقي والتدرب على عدد كبير من المهام ونظام التصنيع المتقشف واقامة علاقات عمل أكثر فعالية وإرضاء خاصة كما ظهر من ناحية في حالتي اليابان والمانيا وكلاهما مجتمع تسود فيه درجة عالية من الثقة وفي الولايات المتحدة الأمريكية كحالة بينية معقدة من ناحية أخرى. وعلى هذا تظهر الثقة بدرجات متباينة وفقا لنمط العلاقات والترابط الاجتماعي ودرجة الفردية .

ومع أهمية هذا الرأى الذي طرحه فوكوياما فقد تتباين فعالية الثقة وفقا للأهداف التي يسعي أطراف العلاقة التنظيمية إلي تحقيقها وتفسيرهم وتبريرهم لتبنيهم تلك القيمة . إن الثقة ليست إجبارية ؛ إنها اتجاهات وتوقعات تعطى من شخص لآخر أو لآخرين بشكل تطوعى واختيارى بعد التحقق من استحقاق الطرف الثانى لهذه الثقة. إلا أن هذا الموقف قد لا يعكس بالضرورة ثقة إيجابية فقد يرى البعض أن من نتائج هذه الثقة تحمل المزيد من الأعمال التي كان من الممكن تجنبها دون هذه الثقة. وعلي هذا تصبح الثقة بهذا المعنى

استراتيجية جزئية من قبل الرئيس والتي يطلق عليها التشبع القراري. ويقصد بها تكليف المرؤوس بأعمال أكثر من طاقته أو لا يرغب في القيام بها. وتتحقق نتائجها العكسية إذا تم إدراكها بهذا المعنى من قبل الطرفين. ومن ناحية أخرى قد لا يتحقق معنى الثقة -في ضوء التكليف بمزيد من الأعمال - إذا ما كان الهدف منه تحقيق أقصى عائد واستخدام العاملين في تلك التنظيمات.

ومن هنا ترتبط الثقة بنمط القيادة التنظيمية ، فتتجه القيادة التقليدية إلى تحطيم درجة الثقة حيث يكونوا مدفوعين بدوافع القوة الذاتية وذلك لرغبتهم في تحقيق الولاءات الشخصية لهم وتعظيم قدراتهم الخاصة واستبعاد هذا الهدف عن المرؤوسين. أما القيادة الفعالة في ظل ثقافة المستقبل فتتجه بالضرورة نحو تخفيض درجة استخدام القوة وإيجاد الرؤية المشتركة للمرؤوسين وتحقيق مصداقيتها والاتصالات المفتوحة التبادلية ودرجة مشاركة فعاله. وينعكس هذا بالضرورة على وجود درجة عالية من الثقة المتبادلة.

إن الثقة المتبادلة بهذا المعنى إدراكا وسلوكا تنعكس إيجابيا على ارتفاع درجة الفعالية وتحمل المسئولية والمخاطر والفكر المفتوح والقدرة على التعلم وتقبل الفكر النقدى. ولن يقتصر ذلك كما هو متوقع على الصفوة الإدارية وإنما سوف يمتد إلى باقى مستويات التدرج والمواقع الأفقية.

٦- نسق موضوعى ومفتوح للجزاءات والعمل فيما وراء التعاقد :

يعتبر نسق الجزاءات ذى أهمية خاصة في تحقيق طاعة السلطة وقبولها سواء كان ذلك بشكله الإيجابى أم السلبى ، المباشر أو غير المباشر. وقد جاء ذلك واضحا عند ماكس فيبر وهربرت سيمون وبارنارد الذي تناول بالتحديد أهمية أسلوب البواعث وخلق الظروف القهرية وترشيد الفرصة وانعكاسها على الإذعان. وإذا ما كان سيمون قد أكد على أهمية الجزاءات الاجتماعية إضافة إلى الجزاءات المادية فإن ماكس فيبر - في نموذجه الكلاسيكى والذي انعكس على كافة أشكال البيروقراطيات بثقافتها التقليدية - قد اهتم بالضمان المادى أو التعويض المادى - الراتب - بالدرجة الأولى.

إلا أن الممارسة التنظيمية قد كشفت عن تراجع الدور الذي يؤديه الراتب في ضمان الطاعة والولاء المستمرين والفعليين ، كما كشفت عن تراجع أهمية التهديدات المستمرة بالعقاب أو الوعود بالمكافآت غير المشروطة أو المنجزة.

لقد أوضحت البيروقراطية الكلاسيكية في ظل خاصية القواعد واللوائح وجود مجموعة من النشاطات والمسئوليات التي يلتزم بها الموظف ويمثل التعهد بالالتزام بتنفيذ تلك المسئوليات مقابلا للتعويض المادى الذي يحصل عليه أو للاستمرار في تلك الوظيفة. ومع هذا فإن المنافسة فيما بين الموظفين وظهور قاعدة الحراك المتكرر وتغير فرص العمل كما ونوعا سوف يدفع هؤلاء العاملين في ظل ثقافة جديدة إلى أن يعملوا أكثر مما هو موجود -كحد أدنى- في توصيفات وظائفهم أو مواقعهم في تدرج السلطة .

وعلي هذا يسهم الأعضاء بدرجة أكبر مما هو متوقع منهم رسميا (أى إسهامات غير عادية) بل والبحث عن العمل بدرجة أكبر من انتظاره وبدرجة أكبر مما هو مطلوب أو متوقع منهم ؛ وذلك كنوع من السعى نحو أشكال الجزاءات الإيجابية بدرجة أكبر.

وفي ظل الثقافة التنظيمية المتغيرة تصبح استمرارية العمل بموقع ما ولفترة متواصلة – كنوع من الجزاء الإيجابي – غير مقبولة ، كما أن الراتب الثابت الذي يقضى على كل فرصة من فرص الإبداع والتجديد وتحمل المسئولية أو المبادرة والعمل فيما وراء التعاقدات يتراجع أمام آلية الأجر المتغير وربطه بالأداء ومعدلاته سواء في مجال الإنتاج أو الخدمات. ولعل هذا ما عبر عنه بيدلر Pedler 1991 بمرونة نسق المكافآت وفقا للتغيرات الموقفية وظروف التغير التنظيمى. (Stewart, 1997: 19) إضافة إلى ذلك ما يرتبط به من أشكال المكافآت الأخرى.

لقد ظهرت الانطباعات الشخصية والروابط العائلية أسسا رئيسية في ممارسة السلطة التقليدية والكارزمية عند ماكس فيبر وشاع استخدامها في كثير من التنظيمات خاصة في الدول النامية . إلا أن أسس المنافسة والصراع وندرة فرص العمل والمهارات والقدرات المطلوبة والتوجه نحو سيطرة الشركات والمؤسسات العالمية وسعى المسيطرين عليها نحو مزيد من الجودة والربحية سوف تؤدى إلى تعظيم الأساس الموضوعى في التوظيف وتقييم دور الأداء والإنجاز التنظيمى النهائى.

إن المكافآت في ظل الثقافة الجديدة تصبح أكثر متاحية بدرجة كافية نوعا وكما ، والربط بين ما تم تخصيصه من حوافز ومكافآت وجزاءات سلبية وما يتم تحقيقه من إنجاز. وبصفة عامة توافر ما يمكن أن يطلق عليه العدالة التوزيعية للجزاءات بأبعادها المختلفة أو اللاتساوى في توزيع تلك الجزاءات استنادا على تباين الجهود والمهارات والقدرات ومن ثم الإنجاز النهائى

للأدوار.

لكن العدالة التوزيعية لن تتوقف عند حد إجراءات التعويض المادى بمفهومه التقليدى "الراتب" وإنما سوف تظهر في عالمنا المعاصر وفي ظل المداخل الجديدة كيفية التعويض عن المعرفة ؛ أى دفع مقابل المعرفة ونموها وتطويرها.إن هذه فلسفة ترتبط بالأساليب الجديدة لتصميم العمل والتي تؤكد على نمو العاملين وتنميتهم، وفي ظل هذا التغير يتم تعويض العاملين في ضوء عدد ونوع وعمق المهارات التي يطورونها سواء كانوا يستخدمونها طول الوقت أم بصفة موقفية.

إن نسق الجزاءات الجديد سوف يحتوى استخدام الأجور الموقفية والتعويض عن النمو المعرفي والإبداعى والأساس الموضوعى في التقييم والمكافآت والتهديدات الحاسمة والفعلية.

٧- التنافسية :

تمثل قيمة التنافسية عنصرا رئيسيا في التنظيم الجديد وتتعاظم أهميتها في ظل سياسات التشغيل الجديدة القائمة على أساس المهارات والقدرات والانتقاء وعدم اليقين في الوصول إلى فرص عمل والتوجه نحو العميل . والتنافس "مصطلح يستخدم لوصف موقف يندمج فيه الأفراد أو التنظيمات في إطار عملية من النضال الفعال سعيا نحو تأمين نصيب لهم في المورد النهائى سواء كان هذا المورد ماديا مثل الثروة أو رمزيا مثل المكانة أو الهيبة". (Coombs et al, 1992:63). وذلك على الرغم من رؤية البعض (Thayer,1973:3) انتهاء خاصيتى تدرج السلطة والتنافسية في ظل المستقبل ومع حدوث الثورة التنظيمية التي تسعى إلى تخفيض درجة التوتر الناتجة عن خاصية التنافس . إلا أن الواقع يتردد في قبول هذا الرأى الأخير حيث لن يختفي الصراع ولا المنافسة طالما تباينت المصالح والأهداف والفرص المتاحة مع تباين قدرات وإمكانات الأشخاص والتنظيمات بل والدول.

وعلى هذا فإن استثارة الابتكارات والتقييم المستمر للعاملين وفقا للمهارات والقدرات والنمو المعرفي والمهارى ودخول العميل عنصرا أساسيا في عمليات تقييم العاملين والخدمات والسلع تصبح عوامل رئيسية في ثقافة التنافسية والتي يمكن النظر من خلالها إلى التنافس على أنه ظاهرة ثقافية لا تتدعم إلا بدعم المناخ الثقافي المحيط بها. فبدون أخذ العميل وتفضيلاته في

الاعتبار لن تتحقق التنافسية ويتراجع التقدم في مجال الخدمات والسلع التي تجذب هؤلاء.

ومن ناحية أخرى سوف ترتبط التنافسية –ويتعاظم ذلك مستقبلا– بالذاتية وتوزيع القوة في المجتمع وأسسها. وعلى هذا يمثل الاقتراب والسيطرة على مصادر القوة بأنواعها حافزا أساسيا على التنافس ويصبح حضور الدورات التدريبية واكتساب مهارات جديدة وتحقيق التقدم والنمو المعرفي والسعي نحو اكتساب أو الوصول إلى مواقع ذات مكانة عالية وتجنب الجزاءات السلبية وتحقيق معدلات عالية من التقديرات المادية والمكانية مؤشرات أساسية للتنافسية ومدعمة لها في الوقت ذاته. وتضيف دراسات أخرى (Benglsson, 1998:4- 10) أهمية عدد من المتغيرات المرتبطة بالمستوى التنظيمي خاصة الظروف البنائية وعملية التنافس ذاتها فتتدخل بالتالي متغيرات بناء التكلفة ودرجة التكامل الرأسي وعمق وكثافة البحوث والتطوير والقدرة على التنبؤ بالسلوك التنظيمي وعنصر الوقت.

إن خاصية التنافسية لن تتوقف عند حد الوحدات الصغرى أو مستوى الأفراد داخل التنظيمات ، وإنما سوف تظهر الحاجة إلى تكامل سياسات المنافسة المحلية من خلال برامج على مستوى الدول لحماية وتشجيع حيوية المنافسة في السوق العالمي.ومن ثم يظهر شكل جديد من أشكال التنافسية على مستوى التنظيمات والشركات حيث يتطلب التعاون رأسيا مع المنتجين والعملاء وأفقيا مع المنافسين السابقين ، بل إن هذا التعاون سوف يؤدى دورا هاما في دعم الابتكار ومن ثم مزيد من التنافس.

٨ـ القيادة التحولية والكوكبية :

لقد احتل نمط القيادة مكانا بارزا في الفكر الإداري ودراسات التنظيم على السواء. فلقد عرف في الإدارة المصرية القديمة في شكل تركز السلطات والتنسيق في الوقت ذاته ، كما عرف في الإدارة الصينية في شكل نظم الامتحانات وتحديد المواهب والقدرات وإبراز كونفوشيوس لعناصر الأسلوب الإداري الواعي. ثم أسهمت الإدارة اليونانية في وضع أسس الديموقراطية مع عدم أهمية توافر مؤهلات معينة أو توافر الخبرة لدى الرؤساء ، ولعل هذا ما يختلف مع الإدارة الرومانية التي اشترطت الخبرة الطويلة . أما الإدارة العربية فلقد اشترطت توافر سمات خاصة لدى القادة ترتكز على البعد الأخلاقي إضافة إلى الخبرة وأهمية تفويض السلطة. (كنعان ، 1985 : 55-25)

وفي الوقت الذي ركزت فيه النظريات الكلاسيكية في الإدارة على أهمية التدريب ونطاق الإشراف تباينت منظوراتها حول الحاجة إلى تفويض السلطة ، أما النظريات الحديثة فلقد أكدت في معالجتها للإدارة على أهمية القدرات والمهارات الخاصة بالتنسيق وإقامة العلاقات الإنسانية .

أما على مستوى الممارسة فلقد شاع التصنيف الثنائي : القيادة الديكتاتورية والقيادة الديموقراطية والتي تظهر فيها قدرة صاحبها على تحقيق الاندماج وتفهم المشكلات وإشباع حاجات المرؤوسين وتحقيق المشاركة وتفويض السلطة. ومع أهمية هذا الدور الذي احتله نمط القيادة في التنظيم عبر التاريخ وفي ظل أنماط متباينة من النظم البيروقراطية ، إلا أنه سوف يحتل مكانة فائقة في ظل التحولات العالمية الراهنة نحو الكوكبية. ومن ثم سوف يظهر ما يسمى بالقيادة الموقفية (Hesselbein, 1997:265-273) – ليست بالمعنى التقليدى– وإنما ذلك الذي يحدد أسلوب إدارته للتنظيم في ضوء احتياجات الموقف وليس في ضوء خلفية القائد ويخضع في ذلك لمستوى استعداد التابعين واستجابتهم للتوجه والدعم. كما سوف يظهر ما يسمى بالقائد الكوكبى والذي تتوافر لديه القدرات العالية بالوعى بالذات وبقدرات التنظيمات العالمية الأخرى وإمكاناتها واسترجاع الخبرات والمعلومات وقابليته للتعلم المستمر والمرونة والسرعة في الاستجابة. وتحقيق التغيير والابتكار والحوار والمنافسة مع الآخر والقدرة على عبور القارات بخدماته وسلعه وأفكاره.

وقد يظهر أيضاً ما يطلق عليه نمط القيادة منخفضة التكاليف وهى نمط من القيادة يتواءم مع متطلبات المرحلة الراهنة من التغيرات العالمية سواء في استخدامات التكنولوجيا أو تدفق المعلومات والأنشطة المعرفية الأخرى. (Daft, 2001: 247) ومن ثم فإن هذا النمط يتجه نحو استخدام تكنولوجيا المعرفة خاصة في تسهيل اتخاذ أعلى مستويات القرارات الاستراتيجية وتشخيص المشكلات وحلها . ومن ناحية أخرى يؤدى إلى درجة عالية من تحقيق الاعتمادية التبادلية والروابط فيما بين التنظيمات وتكسير الحواجز بين أقسام التنظيم الواحد بل يتجه نحو استخدام شبكات الحاسبات التي تؤدى إلى نقل وتدفق البيانات من وحدة إلى أخرى بل وتنظيم إلى آخر ومن دولة إلى أخرى.

أما في مرحلة التحولات الراهنة فتظهر القيادة التحولية والتي من المتوقع أن تؤدى دوراً بارزاً في خلق رؤية مشتركة للمستقبل المرغوب لهذه التنظيمات التي تعمل بها والتي تعكس في الوقت ذاته عدم إمكانية استمرار

أنماط البناءات والعمليات والأنشطة التقليدية. ومن خلال هذه الرؤية سوف تزداد درجة التنافسية ورؤى الحرية والمساواة والمسئولية والسعي نحو إرضاء العميل . ومن ناحية أخرى تؤدى دورا في تعبئة الالتزام التنظيمي الفعال خاصة من خلال تكوين التآلفات سعيا نحو العمل كفرق وليس كأفراد . لكن هذا الالتزام يتطلب بالضرورة قدرا من نسق الجزاءات العادل سواء المادى منه أو المعنوى ومن ثم تصبح مهمة هذه القيادة هى القدرة على الربط بين نسق الجزاءات والعمل الفريقى وتحقيق الالتزام الفعال.

ولن يتحقق هذا الالتزام مستقبلا إلا من خلال تمكين المرؤوسين وتزويدهم بالقوة والمعرفة التي تمكنهم من تخطى العقبات مثل القواعد والإجراءات الجامدة والتي تحد من حرية تصرفهم . ولعل هذا التمكين يؤدى في المستقبل إلى تحرير طاقات الأعضاء ودفعهم إلى المشاركة على كافة المستويات ، إلا أنها تظل مشاركة موضوعية ورشيدة وفقا للمهارات والقدرات المتاحة.

ومع التحولات العالمية وضرورة توافر مهارات خاصة لمن يتصدى إلى إدارة التنظيمات ذات الخصائص الكونية تظهر أهمية خصائص القيادة الكوكبية (Larry, 1997) (Black et al, 1999: 22-37) والتي تتميز بحب البحث والتقصي وتوافر منظور محدد في إدارة التنظيمات ومن ثم القدرة على الاتصال مع الآخر والتكاملية وقدرة خاصة ومهارات فريدة على إدراك الفرص المتاحة عالميا وتعبئة الموارد الكاملة واستثمارها من خلال نسق معرفي متكامل.

ولعل ما يميز القيادة التحولية والكوكبية عن نمط القيادة الموقفية التقليدية أنها سوف تتجه نحو تغيير القيم التقليدية وإحلال قيم المخاطرة والتعلم وشراكة المعرفة والتوجه نحو استخدام الرموز لدعم هذه القيم وممارستها وإعادة توزيع القوة والمكانات داخل التنظيم. ولذا لن ترتبط هذه الآليات بالأشخاص وإنما سوف تتجه نحو دعم استقرار تلك الأنماط ومن ثم تحقيق ما يمكن أن يطلق عليه مؤسسية التغيير.

إن فعالية هذا النمط في ظل التحولات العالمية سوف تواجه بعدد من العقبات خاصة في الدول النامية . وتظهر هذه العقبات في عدم قبول النظم السياسية السائدة لهذا النمط المتحول ومناخ محدودية وعدم المشاركة بل وطبيعة التركيب الطبقى وانعكاساته على اختيار القيادات ، إضافة إلى سيادة المركزية وتعدد مستويات التنظيم وتعقد الإجراءات وعدم وفرة المعلومات

تارة وعدم متاحيتها تارة أخرى.

إن القيادة بهذا المعنى السابق ليست مجرد ممارسة للضبط وإنما تمثل قدرة على إدارة منظومة تجمع في خيوطها نمط حرية لتقسيم العمل والتدرج وقدرة على تحقيق التنافسية والولاء للعميل في ظل مناخ تسوده الثقة وعدالة الجزاءات والتوزيع.

ويكشف التحليل السابق عن عدة مقدمات ونتائج في الوقت ذاته يمكن تحديدها فيما يلى :

- أن خصائص تنظيم المستقبل التي بدأت في الانتشار بدرجات نسبية تتمثل في مجموعة من الخصائص البنائية والثقافية وهى تسطيح تدرج السلطة والتقسيم المتغير للعمل وسيادة شكل العمل الفريقى والنسق الموضوعى والمفتوح للجزاءات والقيادة الكوكبية بمهارات ملائمة ، ثم الولاء نحو العميل والمهنة والاستخدام الواسع للتكنولوجيا وتقنية المعلومات والثقة الإيجابية والتنافسية والعمل وراء التعاقد ودرجة وضوح الأدوار وتنوعها.
- تمثل تلك الخصائص أحد السيناريوهات المطروحة للتنظيم ، ذلك السيناريو الذي يرتبط بتغير دور الدولة وتعاظم تأثير التحولات العالمية الراهنة وانتشار الشركات متعددة الجنسيات ، كما أنه يتطلب لتحققه في الواقع التنظيمى عددا من الشروط أبرزها تغير ملامح الثقافة التقليدية العامة بما تحتويه من أشكال الولاءات التقليدية وقيم الذاتية والقيادة المحلية والاستناد على العامل البشرى ، كما أنه يتطلب تحقيق برامج متجدده للتعلم والتدريب ودعم ثقافة التكنولوجيا وتوفير التمويل الواسع لغرسها وطنيا واستخدامها.
- أن بعض هذه الخصائص قد بدأت بالتحقق بالفعل في عدد من الدول والتنظيمات ولها جدور معينة . ولذا فمن المتوقع أن تنتشر أولا في الدول المتقدمة والتنظيمات متعددة الجنسيات . ومن ناحية أخري تظهر بشكل تدريجي في القطاعات الحكومية مع استبعاد انعكاسها -في ضوء بعض الخصائص وليس كلها- على بعض القطاعات السيادية مثل القوات المسلحة والشرطة والخارجية ، كما أنها قد تتحقق أولا بدرجات نسبية – سواء من حيث الانتشار أو الفعالية – في بعض الخصائص دون الأخرى خاصة استخدام التكنولوجيا وتقنية المعلومات في تلك القطاعات.

- تنعكس هذه الخصائص وتظهر آثارها على عـــدة مســتويات : فعلــى مستوى الدولة سوف تتغير درجة أدوارها وأســلوب تدخلــها ودرجــة سيادتها خاصة الاقتصادية وما يترتب عليها وطرق أدائـــها لخدماتــها. ومن ناحية أخرى سوف تؤدى انتشارية هذه الخصـــائص إلـــى زيـــادة الفجوة النوعية ومزيد من التهميش لبعض شرائح المجتمع خاصة المـرأة والفقراء وذلك في ظل مجموعة من المتغيرات الوسيطة مثل الموروثات الثقافية التقليدية ونمط توزيع الأدوار وموقف الآخر وضعف الفـــرص البنائية المتاحة وتزايد منطق القـــوة خاصـــة قـــوة الـــثروة والمعرفـــة والتكنولوجيا.

وعلى الرغم من أنه من الممكن أن تدخل المرأة مجال المنافسة في ظـــل قيام التنظيم الجديد على أساس الاســـتحقاق والمؤهـــلات الموضوعيـــة والمهارات ، إلا أن هذا الموقف يظل رهنا بـــالتغلب علـــى المعوقـــات البنائية المتمثلة في بناءات الفرصة والقوة والمعوقات الثقافية المتمثلة في نمط تلك الموروثات التي تدعم الخصائص الذكورية وتقسيم العمل علـــى أساسها .

- يعتبر نمط العلاقات غير الرسمية في شكله الجديد وحالـــــة الاغـــتراب النسبى من القضايا المطروحة في ظل هذا التنظيم . ومن هنا تبرز حالة من ضعف العلاقات الاجتماعية المباشرة (وجها لوجه) فيما بين العاملين بعضهم والبعض الآخر وفيما بين العاملين والإدارة وذلك مـــــن خـــلال تأثير خاصية العمل الفريقى وعدم ثبات تقسيم العمل وإمكانية التنقل فيما بين الوحدات وفيما بين التنظيمات بل وفيما بين الـــدول واســتخدامات تكنولوجيا الاتصال في إدارة تلك الشركات متعددة الجنسيات على نطـــاق واسع وآلية تقديم الخدمات الحكومية . ومن ناحية أخرى تنعكـــس هـــذه الخصائص على نمط العلاقات والأدوار الأسرية وإعادة توزيعها . ومن ناحية ثالثة تظهر عدة عقبات أمام أداء بعض الخدمات والتـــي تتطلـــب مقابلات الوجه للوجه أو استمرارية أدائها بعيدا عن المكون التكنولوجـــى للبناء التنظيمى.

أما الاغتراب بعناصره : فقـــدان الســيطرة واللامعياريـــة والعزلـــة الاجتماعية يمثل حالة تظهر مؤشراتها بدرجـــات نســبية ومتفاوتـــة نتيجـــة للخصائص الجديدة للتنظيم . فقد يبدو دور الفرد وكأنه غير مترابط عضويـــا مع البناء الكلى للأدوار في ظل التنظيمات المعقدة . وفي ظل التغير والتنقـــل وعدم ثبات تقسيم العمل تظهر حالة من حالات الانعزال الاجتماعي خاصـــة

عن مجتمعه والثقافة التي يحملها . ومن ناحية أخرى فإن الاقتراب من مراكز المعلومات وصنع القرار في ظل توافر مهارات خاصة سوف يضيق من فرص الاغتراب في ضوء عدم الاقتدار أو فقدان القوة ، في حين تعكس سيادة التنظيمات الكبرى وقرارات ملاك الشركات منطق القوة خاصة قوة الثروة والمعرفة والتكنولوجيا ، ومن ثم تهميش شرائح معينة من المجتمع خاصة في الدول النامية وتظهر بالتالى محاولة استخدام استراتيجيات متباينة للتكيف.

رابعا : منهجية الدراسة :

كشف التحليل السابق عن الخصائص البنائية والثقافية لتنظيم المستقبل تلك التي تمثل أحد التساؤلين الرئيسيين للبحث الراهن ، ويحاول الجزء التالي الإجابة عن التساؤل الثاني والذي يدور حول مدى توافر تلك الخصائص في التنظيمات البيروقراطية المصرية والتباين فيما بينها حول تلك الخصائص والعوامل المؤثرة سلباً أو إيجاباً في درجتها.

١- نمط الدراسة :

تعتبر الدراسة بهذا المعنى من أنواع الدراسات الوصفية التحليلية للوقوف على الخصائص التنظيمية الراهنة في ضوء الخصائص التنظيمية المتوقعة في المستقبل وتلك التي بدأت تتحقق بالفعل بدرجات نسبية في بعض التنظيمات الوطنية والعالمية . ويتطلب هذا استخدام منهجية متكاملة تجمع بين المسح الاجتماعي لتحديد تلك الخصائص الراهنة ذات الطابع المستقبلي والمعوقات التي تحول دون الوصول إلى تلك الخصائص المستقبلية بشكل فعال وكامل ، والمنهج المقارن لتحديد مدى سيادة تلك الخصائص في التنظيمات البيروقراطية ودرجة تباينها في ضوء بعض الأبعاد البنائية والثقافية لتلك التنظيمات.

إضافة إلى هذا انطلق الباحث من مدخل تحليلي للوقوف على خصائص ما يسمى بتنظيم المستقبل من خلال تحليل الدراسات والكتابات العالمية في مجال دراسة التنظيم ذات الرؤى المستقبلية واستطلاع رأى المهتمين بالدراسات المستقبلية في هذا المجال.

٢- أدوات جمع البيانات :

استخدم الباحث عددا من أدوات جمع البيانات على النحو التالي :

أ- السجلات الرسمية :

استخدمت السجلات الرسمية للوقوف على عدد المستويات الإشرافية

والمواقع التابعة لها ومدى وجود وحدات للتنسيق الأفقي أو الرأسي وذلك من خلال تحديد الخرائط التنظيمية والقرارات الصادرة لتحقيق هذا التنسيق ، وتشكيل لجان للعمل الفريقي إضافة إلى تحديد حجم التنظيم ووحداته.

ب- المقابلة المقننة : مر تصميم تلك الأداة بالخطوات التالية :

– انطلق تصميم أداة المقابلة المقننة من تحليل الكتابات والدراسات العالمية حول خصائص تنظيم المستقبل والذي انتهى إلى وجود تسع خصائص بنائية وثقافية وهى تسطيح تسلسل السلطة والتقسيم المتغير للعمل ، العمل الفريقي ووضوح الأدوار وتنوعها ، نسق موضوعي ومفتوح للجزاءات ، ثم الولاء نحو العملاء والمهنة والثقة الإيجابية والتنافسية والقيادة الكوكبية ، تلك الخصائص التي مثلت المحاور الرئيسية لأداة المقابلة المقننة ومضمون التعريف الإجرائي الأولى لتنظيم المستقبل .

– قام الباحث بتحويل تلك الأبعاد إلى مؤشرات إجرائية في شكل مجموعة من الأسئلة والعبارات ، إضافة إلى بعض البيانات الأساسية المرتبطة بالمستوى الدراسي والعمر والموقع في تدرج السلطة ومتوسط الدخل الشهري وبرامج التدريب ومهارات استخدام الحاسب الآلي واللغة الإنجليزية . وإضافة إلى أهمية تحليل الكتابات والدراسات العالمية السابقة في التحقق من الصدق الظاهري لأداة المقابلة المقننة ، عرض الباحث تلك الأداة على مجموعة من المحكمين والذين أبدوا الملاحظات التالية (*):

– إضافة بعض المؤشرات خاصة لبعدي المعلوماتية والتكنولوجيا وتنوع الأدوار ووضوحها.

– حذف بعض الأسئلة المرتبطة بالولاء إلى المهنة والعملاء.

– تعديل صياغة بعض العبارات التي تمثل مؤشرات للأبعاد البنائية والثقافية.

– الاتفاق على سبع خصائص تمثل الخصائص البنائية والثقافية لتنظيم المستقبل وهى تقسيم العمل المتغير والمرن وتسطيح تدرج السلطة ، وضوح الأدوار وتنوعها ، العمل الفريقي ، المعلوماتية ، العمل فيما وراء التعاقد ،

(*) أ.د اعتماد محمد علام
أ.د إجلال إسماعيل حلمى.
أ.د عاطف العراقى
Joe E. Kruft (مؤسسة دراكر لدراسات التنظيم وتطويرها) بالولايات المتحدة الأمريكية

الثقة الفعالة واتجاه الولاء نحو المهنة والعملاء.

– تحفظ أحد المحكمين على أن مثل هذه الخصائص تمثل مجرد أحد سيناريوهات المستقبل لعدم إمكانية التنبؤ الدقيق بمستقبل تلك التنظيمات . وعلى الرغم من أن هذا التصور يمثل أحد السيناريوهات المطروحة حول مستقبل التنظيمات وخصائصها والتي طرحها الكتاب والمحللون في ضوء معالجاتهم لوضع التنظيمات البيروقراطية والدولة بصفة عامة في ظل العولمة ، إلا أن عددا من هذه الخصائص بدأت تتحقق بالفعل في عدد من المؤسسات والشركات العالمية ، بل وهناك بعض المحاولات على المستوى الوطني .

ومن ثم يقصد بتنظيم المستقبل إجرائيا في الدراسة الراهنة هو ذلك التنظيم الذي يتصف بمجموعة من الخصائص البنائية والثقافية وهي تقسيم العمل المتغير والمرن وتدرج السلطة المسطح وتنوع الأدوار ووضوحها لدى العاملين بها والعمل الفريقي واستخدام التكنولوجيا والمعلوماتية ، ثم العمل وراء التعاقد والثقة والولاء نحو المهنة والعملاء.

وتتحدد المؤشرات الرئيسية لهذه المحاور فيما يلي :

– تقسيم العمل وتدرج السلطة : الوظيفة التنسيقية للرؤساء وعدم استمرار شخص في موقعه لسنوات طويلة ، والرقابة الذاتية والتفويض وتشكيل فرق العمل وإمكانية الحراك الأفقي.

– تنوع الأدوار ووضوحها : وضوح الأعمال والواجبات ومعرفة مسئوليات الآخرين وإمكانية تحديد أهمية الدور الذي يقوم به الموظف.

– العمل الفريقي : تشكيل فرق عمل ، واحترام الرأي الآخر ، وإمكانية تقديم المقترحات ، واعتبار العمل الفردي جزءا من منظومة وإمكانية تغيير هذه الفرق بين وقت وآخر .

– المعلوماتية : إمكانية تدفق المعلومات ، توافرها على الحاسب الآلي ، عدم روتينية العمل اليومي ، الحاجة إلى تحديث العمل باستمرار ، واستخدام الحاسب الآلي .

– العمل وراء التعاقد والثقة : العمل بدرجة أكبر مما هو موجود في توصيف الوظائف والبحث عن العمل وتحمل المسئولية ، وحرية التصرف وطرح وجهات النظر المختلفة .

– أولوية الولاء نحو المهنة والعملاء بدرجة أكبر من الولاء للمؤسسة أو

الرؤساء .

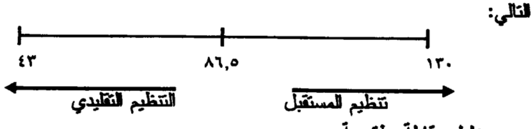
- إعادة صياغة أداة المقابلة المقننة في ضوء ملاحظات المحكمين ثم تطبيقها تطبيقا أوليًا على عينة محدودة من العاملين بتنظيمات الدراسة قوامها عشرون مبحوثا . والتي عكست إجاباتهم أهمية إجرائها من خلال تواجد جامع البيانات مع المبحوث وتوضيحه لبعض الأسئلة خاصة لبعض المستويات المرتبطة بالمواقع غير القيادية ولتأكيد درجة سرية المعلومات الواردة بها ، وإمكانية تطبيقها على مقابلتين خاصة في ضوء ظروف العمل وخروج بعض العاملين إلى العمل الميداني خاصة في شركة الاتصالات ،وبعض العاملين بتنظيم المستشفى ، وأخيراً إعادة صياغة بعض المصطلحات -ذات الطابع الأكاديمي- لتقترب من المفاهيم الميدانية . ثم قام الباحث بإعادة صياغة الأداة مرة أخرى في صورتها النهائية .

ولقد تم إعطاء أوزان تقديرية لاستجابات المبحوثين على المؤشرات المرتبطة بكل بعد. ومن ثم تراوحت درجة وضع التنظيم على متصل التنظيم التقليدي / المستقبلي بين ٤٣درجة ، ١٣٠ درجة والذي يضم الخصائص السبع . وفى ضوء عدد المؤشرات التي يحتويها كل بعد فلقد أعطيت درجة (٣) لمن يوافق على العبارة في اتجاه خاصية تنظيم المستقبل ، درجة (١) لمن يرفض هذه العبارة في اتجاه خاصية تنظيم المستقبل ودرجتان للموقف الحيادي أو أن يتحقق أحيانا . مع ملاحظة وجود بعض العبارات المعكوسة في إطار تلك الأبعاد. واستنادا على تلك القاعدة تم تحديد الدرجات الدنيا والعليا لمتصلات خصائص التنظيم على النحو التالي :

جدول (١) الدرجات الدنيا والعليا لمتصلات خصائص التنظيم

الدرجة الخاصية	الدنيا	الوسطى	العليا
تقسيم العمل وتدرج السلطة	٨	١٦	٢٤
وضوح الأدوار	٦	١٢	١٨
العمل الفريقي	٩	١٨	٢٧
المعلوماتية	٩	١٣,٥	١٨
العمل وراء التعاقد	٤	١٠	١٦
الثقة	٦	١٥	٢٤
الولاء التنظيمي	١	٢	٣
الإجمالي	٤٣	٨٦,٥	١٣٠

ومن ثم يمكن تحديد موضع التنظيم على هذا المتصل على النحو التالي:



جـ- دليل مقابلة مفتوحة

ولقد استخدم هذا الدليل في مقابلة عينة ممثلة للقيادات التنظيمية وذلك حول البنود التالية : تحديد الوحدات الرئيسية والفرعية للتنظيم ، و مناقشة الخرائط التنظيمية ، و برامج التدريب (القبلية وخلال فترات الخدمة وأنواعها) ،واستخدامات تكنولوجيا المعلومات ومدى إفادة الموظفين منها ،و المعوقات التي تقف أمام تلك الاستخدامات ، و فرق العمل وأنواعها والمجالات التي تتحقق فيها في التنظيمات البيروقراطية، و إمكانية التغييروقبوله ، و توزيع سلطة اتخاذ القرارات من خلال مناقشات حول نمط القيادة التنظيمية السائدة.

٣- النطاق الجغرافي للدراسة والعينة :

تحدد النطاق الجغرافي للدراسة في محافظة المنيا وذلك باختيار ثلاثة تنظيمات في القطاعات التعليمية والصحية والاتصالات وهى تمثل القطاعين الحكومي والخاص . ولقد تدخل الجانب العمدي إضافة إلى ذلك لأسباب تتعلق

بتيسير الحصول على بيانات خاصة بعد رفض بعض الشركات الخاصة المملوكة لطرف أجنبي التعاون مع الباحث .

إن هذه التنظيمات الثلاثة تعكس درجات متباينة من التبعية ، فكلية الآداب تمثل قطاع التعليم الجامعي تجمع في جنباتها ما يطلق عليه التعليم المجاني (انتظام) ثم نظام التعليم برسوم إضافية (الانتساب) ومازال التعليم بها تحت مظلة التعليم الجامعي الحكومي . أما مستشفى المنيا الجامعي فهي تضم بداخلها مستشفى اقتصادي أي يتم العلاج فيه بنفقات ثم المستشفى والعيادات المجانية . أما تنظيم الاتصالات فلقد تحول في ظل –الخصخصة– إلى الشركة المصرية للاتصالات .

أما كلية الآداب فتعتبر أكبر الكليات في ضوء درجة التعقيد بأبعادها الحجم وعدد الوحدات الفرعية والمستويات الإشرافية التي وصلت إلى خمس مستويات ، كما أنها تضم بداخلها ثلاثة عشر قسما أكاديميا وبدأ العمل بها في ١٩٧٠/١١/١٥ تابعة لجامعة أسيوط ، إضافة إلى عدد من الإدارات والأقسام الإدارية والمالية والمشتريات وشئون الطلاب والمكتبات والدراسات العليا ورعاية الطلاب والحاسب الآلي والعلاقات الثقافية والعلاقات العامة والعاملين بالوظائف المعاونة في الأقسام الأكاديمية وبعض الوحدات ذات الطابع الخاص . ويبلغ عدد العاملين بالوحدات الإدارية ١٥٥ موظفا غير قيادي و٢٣ موظفا قياديا ومديرا عاما إضافة إلى ٢١٠ من أعضاء هيئة التدريس ومعاونيهم.

أما مستشفى المنيا الجامعي فيتبع مجلس إدارة المستشفيات الجامعية ويتضمن البناء التنظيمي لها رئيس مجلس الإدارة ومدير المستشفى وإدارات تابعة للمدير مباشرة مثل المتابعة والتوجيه المالي والإداري والتخطيط ومكتب خدمة المواطنين ، ثم الإدارة العامة للشئون الطبية والعلاجية والإدارة العامة للشئون المالية والإدارية واللتان تتبعهما إحدى عشرة إدارة وثلاثة عشر قسما. ويعمل بالمستشفى في المستويات الوظيفية المختلفة –بدء من وظائف الخدمات المعاونة إلى الوظائف العليا– ٨٨١ موظفا (إداري + فني + خدمات معاونة) . وتضم المستشفى عدة مجموعات من الأقسام التخصصية وهى الباطنية والجراحة والأطفال والنساء والولادة والعناية المركزة والأورام والأسنان وأقسام أخرى مثل الأطفال المبتسرين والعلاج المتميز والكلى الصناعي ووحدات تنظيم الأسرة.

أما الشركة المصرية للاتصالات فتضم إحدى وثلاثين إدارة : إدارية ومالية وخدمية وفنية وقانونية ،إضافة إلى إدارات متخصصة وفريق عمل

تحت ما يسمى بالشئون الخارجية. ولقد اتجهت هذه الشركة إلى تخصيص إدارة خاصة تحت ما يسمى بمكتب خدمة العملاء والعلاقات التجارية إدراكا منها لأهمية العلاقة بين التنظيم والعملاء.ووفقا للسجلات الرسمية فإن عدد العاملين بها يبلغ ٤٨٦ موظفا وعاملا فنيا ، ٣١ مدير إدارة ، إضافة إلى المدير العام.

ووفقا لهذه الخصائص تم اختيار عينة الدراسة من خلال أسلوب العينة الطبقية النسبية، وتم تمثيل العينة في ضوء مستوى تدرج السلطة والأقسام والوحدات الفرعية التي تضمها التنظيمات الثلاثة . وبلغت العينة ١٩١ مبحوثا موزعة على النحو التالي : التعليم ٦٠ مبحوثا، الصحة : ٧١ مبحوثا ، الاتصالات: ٦٠ مبحوثا . واقترب هذا التمثيل من درجة وجود تلك المستويات الممثلة في المجتمعات الأصلية أي على مستوى التنظيمات .

ومن الجدير بالذكر أن عملية جمع البيانات تكشف عن مقاومة ملحوظة إلى حد كبير من قبل بعض العاملين في مستويات تدرج السلطة ، بل لم يسمح للباحث بجمع البيانات من بعض الإدارات لطبيعة عملها . ولقد ظهر هذا التخوف خاصة من بعض العاملين من الأسئلة المرتبطة بتحديد مهارات ودرجة استخدامهم الحاسب الآلي وإبداء آرائهم حول الرؤساء وتقييمهم لمدى توافر خصائص تنظيم المستقبل في التنظيمات التي يعمل بها.ولقد استغرقت عملية جمع البيانات أربعة شهور بدأت في شهر أبريل وانتهت في يوليو ٢٠٠٢.

٤- التحليل الإحصائي للبيانات :

إن البعض يرى أن الفرد هو المكون الأساسي للتنظيم ، إلا أن التنظيم ليس مجرد مجموع أفراد وإنما هو مجموعات ، وفرق عمل ومن ثم يصبح التنظيم في حد ذاته وحدة التحليل . وعلى هذا لا يتجه اجتماع التنظيم إلى البحث عن خصائص الأفراد وإنما عن خصائص التنظيمات بصفة عامة . فالأفراد لهم أهمية خاصة في التنظيم لكنهم لا يمثلون بؤرة اهتمام هذا التحليل التنظيمي ؛ ومن ثم يختلف السلوك التنظيمي عن مدخل نظرية التنظيم التي تهتم بمستوى التنظيم ككل . بل يمكن تحقيق التكامل بين المستويين في التحليل أو ما يطلق عليه (Meso Theory) والتي تدخل في الاعتبار التأثيرات التبادلية بين التنظيم والأفراد . إن التحليل الراهن يأخذ في اعتباره التنظيم ككل وحدة أساسية للتحليل.

لقد استخدم الباحث الجداول التكرارية المركبة وتحليل التباين واختبار

دلالة الفروق (T. Test) ومعامل الارتباط عند بيرسون وأساليب التقدير والمتوسطات الحسابية . ولقد قام الباحث بهذا التحليل من خلال البرنامج الإحصائي : الحزم الإحصائية (SPSS) ، والبرنامج الإحصائي Statistica.

إن الدراسة الراهنة لن تقدم تعميمات على المستوى النظري وإنما هي محاولة في منهجية تحديد مدى توافر خصائص تنظيم المستقبل مع تحديد بعض ملامح تلك الخصائص ودرجة توافرها في بعض التنظيمات ، إضافة إلى أن النتائج المرتبطة بالدراسة الميدانية لن تتعدى في تعميماتها إطار التنظيمات الثلاثة.

خامسا :عرض وتحليل نتائج الدراسة الميدانية :

١ـ خصائص عينة الدراسة :

تحاول الدراسة الميدانية توصيف واقع ثلاثة تنظيمات تمثل نماذج لتنظيمات عاملة في قطاع الخدمات في ضوء خصائص تنظيم المستقبل. وتتناول الدراسة الميدانية سبع خصائص وهى تقسيم العمل وتدرج السلطة المرن وتنوع الأدوار ووضوحها والعمل الفريقي والمعلوماتية والعمل وراء التعاقد والثقة والولاء إلى المهنة والعملاء ، وتسعى إلى تحديد مدى توافر تلك الخصائص في التنظيمات الثلاثة ، إضافة إلى تحديد درجة التباين فيما بينها وتحديد العوامل المؤثرة في درجة هذه الخصائص سلبا أو إيجابا .

وإذا كانت خصائص مثل تقسيم العمل وتدرج السلطة وتنوع الأدوار ووضوحها والعمل الفريقي تمثل عوامل بنائية فإن الثقة والولاء تمثل ملامح ثقافية تعكس قيما وسلوكا في الوقت ذاته في حين تجمع الخصائص الأخرى بين البعدين البنائى والثقافي في الوقت ذاته .

يتضمن مجتمع البحث ثلاثة تنظيمات تمثل نماذج لتنظيمات قطاع الخدمات وهى تعمل فى مجالات التعليم الجامعي والصحة والاتصالات وتقع في مدينة المنيا على الرغم من أنها تقدم خدماتها على نطاق المحافظة بل وبعض المحافظات الأخرى . ويبلغ إجمالي العمالة في التنظيمات الثلاثة ١٥٧٧ موظفا ما بين موظف غير قيادي ومديرا عاما وما في مستواه ، إضافة إلى ٢١٠ عضوا من أعضاء هيئة التدريس ومعاونيهم . ومن الملاحظ تباين الأوضاع الوظيفية داخل البناءات التنظيمية وفقا لمستويين : موظف غير قيادي ، مواقع قيادية (إدارية وتخصصية) .ويوضح جدول (٢) أسماء التنظيمات الثلاثة وتوزيع العاملين بها وفقا لمتغيرات السن والمستوى الدراسي

والموقع الوظيفي ومستوى الدخل الشهري .

جدول (٢) خصائص عينة الدراسة

المتغير	الفئة	التنظيم							
		الكلية		المستشفى		الاتصالات		المجموع	
		ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
السن	٣٥ فأقل	١٠	١٦,٧	٣٩	٥٤,٩	١٣	٢١,٧	٦٢	٣٢,٥
	٣٥-	٣٠	٥٠	٢٦	٣٦,٦	٣٢	٥٣,٣	٨٨	٤٦
	٥٠-	٢٠	٣٣,٣	٦	٨,٥	١٥	٢٥	٤١	٢١,٥
المستوى الدراسى	إعدادى	-	-	-	-	١	١,٦	١	٠,٥
	متوسط وما فوق	٣١	٥١,٧	٢٣	٣٢,٤	٤٧	٧٨,٣	١٠١	٥٢,٩
	جامعى	٢٨	٤٦,٧	٤٧	٦٦,٢	١٢	٢٠	٨٧	٤٥,٥
	فوق الجامعى	١	١,٦	١	١,٤	-	-	٢	١
الموقع الوظيفى	موظف *	٤٣	٧١,٧	٦٠	٨٤,٥	٤٩	٨١,٧	١٥٢	٧٩,٦
	رئيس قسم	٥	٨,٣	٤	٥,٦	٢	٣,٣	١١	٥,٨
	مدير إدارة	٩	١٥	٧	٩,٩	٧	١,٧	٢٣	١٢,٠٤
	مدير عام	٣	٥	-	-	٥	٣,٣	٥	٢,٦
متوسط الدخل الشهرى	أقل من ٢٠٠	١	١,٦	١	١,٤	٤	٦،٦	٦	٣,١٤
	٢٠٠-	٢٧	٤٥	٥١	٧١,٨	٣١	٦١.٧	١٠٩	٥٧,٠٧
	٦٠٠-	٢٢	٣٦,٧	١٦	٢٢,٥	١٩	٣١,٧	٥٧	٢٩,٨٤
	١٠٠٠ فأكثر	١٠	١٦,٧	٣	٤,٢	٦	١٠	١٩	٩,٩٥
إجمالى العينة		٦٠	-	٧١	-	٦٠	-	١٩١	-

*موظف لايحتل موقعاً قيادياً

جدول (٣) توزيع عينة الدراسة وفقا للمهارات الخاصة والخبرات

المهارة والخبرة	الدرجة	الكلية		المستشفى		الاتصالات		المجموع	
		ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
الإلمام بالحاسب الآلي	نعم	٢٩	٤٨,٣	٢٧	٣٨	٣٦	٦٠	٩٢	٤٨,١
	لا	٣١	٥١,٦	٤٤	٦٢	٢٤	٤٠	٩٩	٥١,٨
استخدام الحاسب	نعم	١٤	٢٣,٣	١٤	١٩,٧	٢٤	٤٠	٥٢	٢٧,٢
	لا	٤٦	٧٦,٧	٥٧	٨٠,٣	٣٦	٦٠	١٣٩	٧٢,٨
الرغبة فى تعلم الحاسب	نعم	٢٤	٧٧,٤	٣١	٧٠,٤٥	١٨	٧٥	٧٣	٧٣,٧
	لا	٧	٢٢,٦	١٣	٢٩,٥٥	٦	٢٥	٢٦	٢٦,٣
	مجموع	٣١	١٠٠	٤٤	١٠٠	٢٤	١٠٠	٩٩	١٠٠
الإلمام باللغة الإنجليزية	جيد جدا	٤	٦,٧	١٥	٢١,٢	٤	٥	٢٣	١٢,٠
	جيد	٢١	٣٥	٣١	٤٣,٧	٢٧	٤٣,٣	٧٩	٤١,٤
	مقبول	٣١	٥١,٧	٢٣	٣٢,٤	٢٦	٤٥	٨٠	٤١,٩
	غير ملم	٤	٦,٧	٢	٢,٨	٣	٦,٧	٩	٤,٧
الدورات التدريبية	لم يتلق	٢٩	٤٨,٣	٤٧	٦٦,٢	٢٩	٤٨,٣	١٠٥	٥٥,٠
	دورة واحدة	١٧	٢٨,٣	١٧	٢٣,٩	٢٢	٣٦,٧	٥٦	٢٩,٣
	عدة دورات	١٤	٢٣,٣	٧	٩,٩	٩	١٥	٣٠	١٥,٧

إجمالى العينة : ١٩١

ومن الملاحظ على هذا التوزيع ما يلى :

- سيادة المستوى الأول (المتوسط وفوق المتوسط) لدى تنظيم الاتصالات ولعل ذلك يرتبط بطبيعة العمل بهذا التنظيم حيث يعتمد على الفنيين الميدانيين ومن حملة الشهادات الفنية المتوسطة خاصة الصناعية والتجارية ، إضافة إلى أن هذا النمط من التنظيمات)التي خضعت للخصخصة) تركز على هذا المستوى ارتباطا بالأجور المنخفضة .

- أن معظم مفردات عينة الدراسة تتركز في كل من تنظيمي التعليم الجامعي والصحة (المستشفى الجامعي) وهى من التنظيمات التي تتطلب عمالة ذات مهارات علمية متخصصة إضافة إلي المهارات الإدارية ، ولعل ذلك ما يفسر ارتفاع نسبة الحاصلين على مؤهلات جامعية في كل من هذين التنظيمين مقارنة بتنظيم الاتصالات حيث بلغت نسبتهم ٤٨,٣% ، ٦٧,٦% ، ٢٠% في كل من تنظيم التعليم الجامعي والمستشفى الجامعي والاتصالات على التوالي.

يكشف تحليل جدول (٢) حول خصائص عينة الدراسة وانعكاسها في

التنظيمات الثلاث عما يلي :

١- أن الفئة الغالبة في عينة الدراسة تتمثل في الفئة العمرية ٣٥ إلى ٥٠ حيث تمثل ٤٦% من العينة الكلية ، ثم تأتى الفئة العمرية أقل من ٣٥ عام . ويكشف تحليل العلاقات الارتباطية (جدول ٩)عن وجود علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين العمر من ناحية والموقع في تدرج السلطة ومتوسط الدخل الشهرى (٠,٤٣، ٠,٤٥) ووضوح الموظف على أدواره وأدوار الآخرين (٠,٢٢) والعمل فيما وراء التعاقد (٠,٢٥) والانخراط في العمل الفريقى ورؤيته لأهمية هذا العمل (٠,١٥) . ومن ناحية أخرى وجدت علاقة سلبية بين العمر والمعلوماتية والتوجه نحو أهمية تحديث العمل الذي يقوم به من ناحية أخرى (-٠,٠٥٧) كما وجدت علاقة سلبية بين العمر والولاء نحو المهنة والعملاء ومن ثم استمرارية تأثير العمر على حالة الولاء إلى الرؤساء والمؤسسة بالدرجة الأولى (-٠,١٨) .

٢- تتوزع عينة الدراسة في ضوء النسبة الغالبة على مستويين دراسيين ، المتوسط وفوق المتوسط ، والجامعى ، إلا أنه من الملاحظ سيادة المستوى الأول لدى تنظيم الاتصالات ولعل ذلك يرتبط بطبيعة العمل بهذا التنظيم حيث يعتمد على الفنيين الميدانيين من حملة الشهادات الفنية المتوسطة خاصة الصناعية والتجارية .

ويكشف التحليل (جدول ٩) عن وجود علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين المستوى الدراسى ودرجة الثقة التي يتعامل بها الموظف رئيس أو مرؤوس في التنظيمات الثلاثة (٠,٢١) . وفي الوقت الذي وجدت فيه علاقة غير دالة بين المستوى الدراسى وكل من العمل وراء التعاقد واستخدام الأساليب التكنولوجية الحديثة في الحصول على المعلومات وتداولها ودرجة المرونة في تقسيم العمل والتسلسل ودرجة الولاء للمهنة والعمل (٠,١ ، ٠,٠٣ ، ٠,٠١ ، ٠,٠٨ على التوالى) ، وجدت علاقة سلبية بين المستوى الدراسى ووضوح الموظف على دوره والاتجاه نحو العمل الفريقى وممارسته (-٠,٠٤ ، -٠,٠٥) . ولعل هذا يؤكد استمرارية أهمية عوامل الخبرة وارتباطها بوضوح الأدوار في تلك التنظيمات وأن نوع التعليم الذي تم تحصيله يرتبط بقضايا ذات طابع نظرى وغير ممارس.

٣- أن ٧٩,٦% من عينة الدراسة يمثلون المواقع غير الإشرافية ، في حين نجد أن ٢٠,٤% من العينة يمثلون المواقع الإشرافية (رئيس شعبة ، مدير إدارة مدير عام) . ويكشف تحليل العلاقات الارتباطية (جدول ٩)عن استمرارية العلاقة بين الموقع في تدرج السلطة من ناحية والسن والمستوى الدراسى وعدد الدورات التدريبية التي مر بها الموظف في المواقع المختلفة

حيث بلغت معاملات الارتباط ٠,٤٣ ، ٠,٢٤ ، ٠,٢٦ على التوالي وهي علاقات ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١ . ويبدو أن ذلك يعكس استمرارية التفسير التقليدى لاحتلال المواقع القيادية في التنظيمات البيروقراطية خاصة ما هو مرتبط بالقواعد القانونية والتي تتطلب أن يقضى الموظف مدة محددة في كل درجة من الدرجات الفنية حتى يصل إلى الدرجة الأعلى ، إضافة إلى ضرورة حضور بعض الدورات التدريبية.

ومن الملاحظ أن الخرائط التنظيمية تكشف عن مدى استمرارية الشكل التقليدي للبناء والذي يتمثل في ارتفاع عدد المستويات الإشرافية في كل من تنظيمي التعليم الجامعي والصحة (حيث يتراوح ما بين ٥ ، ٦ مستويات) في حين انخفض عدد تلك المستويات في تنظيم الاتصالات إلى ثلاثة مستويات فقط . ويمكن تفسير ذلك باتجاهات الشركات والمؤسسات الخاصة إلى تخفيض عدد هذه المستويات بما يضمن تحقيق المرونة وسرعة اتخاذ القرار وحرية التصرف خاصة في ظل العمل الفريقي ، وفي الوقت ذاته يضمن تحقيق الضبط على المستويات الدنيا .

٤- تقع متوسطات الدخول الشهرية للنسبة الغالبة من عينة الدراسة في الفئة أقل من ستمائة جنيه شهريا والذي قد يمثل في الوقت ذاته -في حالة افتراض انعدام وجود دخول أخرى للأسرة أنه يمثل متوسط الدخل الشهرى لأسرة الموظف . ومع تبنى هذا الافتراض فإن هذا المتوسط يقترب من خط الفقر الأعلى على أساس الدخل للأسرة في مصر (وفقا لعام ١٩٩٥ ، ١٩٩٦) والذي يقدر في العام بـ ٥٨٩٨ جنيها أى ٤٩١ جنيها شهريا . (التنمية البشرية،1996: 26) . ويكشف تحليل العلاقات الارتباطية عن ارتباط الدخل بكل من السن والموقع في تدرج السلطة وتلقى الدورات التدريبية ارتباطا ذو دلالة إحصائية حيث بلغت معاملات الارتباط بينهم ٠,٤٥ ، ٠,٤٨ ،، ٠,٢٠ على التوالى(جدول ٩) . كما وجدت علاقة ارتباطية بين مستوى الدخل والوضوح على الأدوار إلا أنها علاقة غير دالة إحصائيا ، كما وجدت علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية (٠,٢٦) مع العمل فيما وراء التعاقد أى القدرة على العمل بدرجة أكبر مما هو موجود في تكليفات الوظائف ومن ثم درجة عالية من مزيد من التعهد بالالتزامات كما عبر عنها ماكس فيبر كإحدى نتائج البيروقراطية القانونية والذي يمثل الدخل (الراتب) مؤشرا لها. ومن ناحية أخرى وجدت علاقة ارتباطية ذات دلالة مع درجة الثقة ويلغ معامل الارتباط ٠,١٦ ، ولعل هذا ما دعمته العلاقة السلبية بين الدخل والولاء إلى المهنة والعملاء ؛ حيث إن الدخل يرتبط إيجابا بالولاء إلى المؤسسة وللرؤساء أو إلى أصحاب المؤسسة حيث يمثلون مصدر التقدير

المادى لهؤلاء العاملين.

٥- لقد كشف تحليل التراث النظرى وسيناريوهات تنظيم المستقبل عن أهمية المهارات والمقدرات الجديدة لهذا العالم المتوقع . ومن هنا تظهر أهمية استخدامات تكنولوجيا المعرفة واللغات العالمية واكتساب المهارات والمعلومات من خلال التدريب إضافة إلى نمط متغير من العلاقات . ولعل هذا الاستخدام – بما قد يبديه البعض من تحفظ على انعكاساته على البطالة أو نمط العلاقات الاجتماعية داخل التنظيم- يعكس قضية أساسية ترتبط بسرعة الإنجاز ودقته إضافة إلى درجة عالية من القوة من خلال الاقتراب من المعرفة ومصادر المعلومات التنظيمية والتي تنعكس في الوقت ذاته على حالة التنافسية الفردية والتنظيمية في الوقت ذاته .

ولقد كشف تحليل البيانات أن ٥١,٨% من عينة الدراسة ليس لديهم إلمام باستخدامات الحاسب الآلى ، بل إن ٧٢,٨% من العينة قد أكدوا أن الوحدات التنظيمية في داخل تنظيماتهم لا تستخدم الحاسب . إلا أن وجود الحاسب الآلى ليس هدفا في حد ذاته باعتباره مؤشرا لثقافة تنظيم المستقبل ، لكن مجالات تطبيقاته ورغبة غير الملمين بثقافته في تعلمه تصبح الهدف الأسمى لقيادات التنظيم . ويكشف التحليل عن أن ٢٦,٣% ممن ليس لديهم إلمام بالحاسب الآلى ليست لديهم الرغبة في تعلمه ذلك الموقف الذي يرتبط بمقاومة التغيير والتخوف من عمليات الإحلال والتبديل في المواقع أو تحمل المزيد من الأعباء .

وحتى في حالة استخدام الحاسب داخل تلك التنظيمات فإنها تستخدم – وفقا لما قررته النسبة الغالبة ممن أقروا باستخدام الحاسب- كآلة كاتبة أو تخزين بيانات فقط في حين تستخدم في حالات نادرة كشبكة للمعلومات فيما بين بعض المكاتب إلا أنه من الملاحظ أنه لا يستخدم في نقل بيانات العمل عبر التنظيمات أو عبر الدول ومن ثم تبقى استخداماتها في إطار المحلية .

ومن ناحية أخرى يكشف تحليل الجدول (٣) عن أن ٤,٧% من عينة الدراسة غير ملمين باللغة الإنجليزية ، في حين وجد أن ٤١,٩% منها تلم باللغة الإنجليزية بدرجة مقبولة فقط . ولعل هذا يرتبط باعتبار أن عدم تعلم اللغة الإنجليزية يمثل عائقا أمام تعلم الحاسب الآلى حيث بلغت نسبة من أقروا بذلك ٣٢,٥% من عينة الدراسة ، كما وجدت علاقة ارتباطية دالة إحصائيا بين الإلمام بأساسيات الحاسب الآلى ودرجة الإلمام باللغة الإنجليزية وبلغت قيمة معامل الارتباط (٠,٢١) (جدول ٩).

إن استخدامات الحاسب والإلمام بأساسياته واستخدام اللغة الأجنبية تمثل متغيرات هامة نحو المعلوماتية بمؤشراتها . ولقد كشف التحليل عن

وجود علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين الإلمام بالحاسب الآلى وانتشار المعلوماتية في التنظيم حيث بلغ معامل الارتباط (٠,٢) ومن ناحية أخرى وجدت علاقة ارتباط غير دالة إحصائيا بين الإلمام باللغة الأجنبية والمعلوماتية حيث بلغ معامل الارتباط (٠,١) .(جدول ٩)

أما التدريب فلقد احتل مكانا بارزا في دراسات البيروقراطية سواء لدى الرواد أم لدى أصحاب الدراسات المستقبلية . ولقد ظهرت أهمية البرامج التدريبية لدى كل من فيبر وتايلور وهربرت سيمون خاصة بارتباطها بعملية اتخاذ القرارات وإمداد الموظف بمجموعة من القيم الملائمة لتلك العملية ، ثم سليزنيك وتوضيحه دور التدريب في تضييق الفجوة بين الأهداف التنظيمية الرسمية وتلك الأهداف في صورتها الواقعية خلال عملية التنفيذ . ومن ناحية أخرى ظهرت أهمية التدريب عند آلفين توفلر وبرامج مؤسسة دراكر وممارسات الإدارة اليابانية وتيك Teck (١٩٩٢) وسنج Senge .

ويكشف تحليل جدول (٣) أن ٥٥% من عينة الدراسة لم يتلقوا أية دورات تدريبية في حين تلقى ٢٩,٣% منهم دورة واحدة فقط . وإذا ما كان التدريب يتم قبليا أى قبل الالتحاق بالخدمة أو أثناء فترة العمل لتحسين أداء الأفراد ومهاراتهم أو للإفادة من البعض من خلال التدريب التحويلى فلقد أوضح ٦١% من عينة الدراسة أنه حتى في حالة عقد دورات تدريبية لم تتم بالشكل الذي قد يفيد الموظف في تحسين أدائه . ومن ناحية أخرى كما أكد ٨٠,٦% من عينة الدراسة أنه لم تعقد دورات تدريبية لإمكانية تحويل موظف من قسم إلى آخر حتى لو كان يمثل عبئا على وحدة العمل أو يدخل في نطاق البطالة المقنعة . وحيث أن التدريب يمثل القناة الرئيسية لتغيير المعلومات والمهارات والاتجاهات بل وولاءات الأشخاص فإن وضع التدريب في تلك التنظيمات يعكس ولاءات سلبية وهى بقاء نمط الموظف التقليدى على حالته الراهنة وصعوبة مسايرته للتغيرات العالمية خاصة في ظل قصور برامج التدريب كما ونوعا.

٢- تنظيمات الدراسة في ضوء خصائص تنظيم المستقبل :

يكشف تحليل تراث الدراسات المستقبلية في مجال التنظيم عن وجود عدة خصائص أبرزها مرونة تقسيم العمل وتدرج السلطة ووضوح الأدوار وتنوعها وسيادة العمل الفريقى وانتشار المعلوماتية والعمل فيما وراء التعاقد والثقة والولاء إلى كل من أبناء المهنة والعملاء.

جدول (٤) مدى توافر خصائص تنظيم المستقبل في التنظيمات الثلاث وفقا لتقديرات المبحوثين

الخاصية	الدرجة	الكلية		المستشفى		الاتصالات	
		ك	%	ك	%	ك	%
تقسيم العمل والتدرج المرن	الجمود	٦	١٠	١٦	٢٢,٥	٦	١٠
	درجة متوسطة	٥٤	٩٠	٥٥	٧٧,٥	٥٤	٩٠
	المرونة	–	–	–	–	–	–
وضوح الأدوار	الغموض	٢	٣,٣	٧	٩,٩	٤	٦,٧
	درجة متوسطة	٥١	٨٥,٠	٥٤	٧٦,٠	٤٤	٧٣,٣
	الوضوح	٧	١١,٧	١٠	١٤,١	١٢	٢٠
العمل الفريقى	الفردية	٩	١٥	٩	١٢,٧	٢	٣,٣
	درجة متوسطة	٥١	٨٥	٦٠	٨٤,٥	٥٦	٩٣,٤
	الفريق	–	–	٢	٢,٨	٢	٣,٣
المعلوماتية	اللامعلوماتية	٤٣	٧١,٧	٥٢	٧٣,٢	٣١	٥١,٧
	درجة متوسطة	١٧	٢٨,٣	١٩	٢٦,٨	٢٩	٤٨,٣
	المعلوماتية	–	–	–	–	–	–
العمل وراء التعاقد	في ضوء العقد	٧	١١,٧	١٠	١٤,١	٤	٦,٧
	درجة متوسطة	٤٩	٨١,٦	٥٦	٧٨,٩	٥٠	٨٣,٣
	العمل وراء التعاقد	٤	٦,٧	٥	٧	٦	١٠
الثقة	الشك الإدارى	٤٤	٧٣,٣	٤٢	٥٩,١٥	٤٦	٧٦,٧
	درجة متوسطة	١٦	٢٦,٧	٢٩	٤٠,٨٥	١٤	٢٣,٣
	الثقة	–	–	–	–	–	–
الولاء إلى	المؤسسة/الرؤساء	٢٠	٣٣,٣	٣	٤,٢	٥	٨,٣
	المؤسسة / المهنة	٣٦	٦٠	٥٩	٨٣,١	٥٢	٨٦,٧
	المهنة / الجمهور	٤	٦,٧	٩	١٢,٧	٣	٥

ويكشف تحليل الجدول السابق (٤) حول مدى توافر تلك الخصائص في تنظيمات الدراسة ودرجاتها من ناحية والتباين فيما بينها من ناحية أخرى يكشف عن عدة استنتاجات تتحدد فيما يلي :

١- أن التنظيمات البيروقراطية المصرية -محل الدراسة- تقع على مجموعة من المتصلات الفرعية المرتبطة بخصائص تنظيم المستقبل وهى سبع متصلات فرعية : الجمود / المرونة ، الغموض والوضوح ، الفردية / الفريق ، اللامعلوماتية / المعلوماتية ، العمل في ضوء شروط العقد / العمل وراء التعاقد ، الشك الإدارى / الثقة ، الولاء إلى المؤسسة

والرؤساء / الولاء إلى المهنة والعملاء ارتباطا بالخصائص السبع : تقسيم العمل وتدرج السلطة ومدى وضوح الأدوار والعمل الفريقي والمعلوماتية والعمل وراء التعاقد والثقة والولاء التنظيمي على التوالى

٢- أن التنظيمات البيروقراطية محل الدراسة تتصف بصفة عامة بدرجة متوسطة من خصائص تنظيم المستقبل على النحو التالى :

أ- ظهور درجة متوسطة من مرونة تقسيم العمل وتدرج السلطة حيث أقر بذلك ٩٠% ، ٧٧,٥% ، ٩٠% في التنظيمات التعليمية والصحية والاتصالات على التوالى . ومن ناحية أخرى تظهر درجة الجمود نسبيا على هذا البعد في ضوء مؤشرات التدريب للتعرف على أعمال الوحدات الأخرى حتى يسهل الحراك الدورى الأفقى للموظف فيما بين الأقسام والوحدات ، والإقرار باستمرارية بعض الأشخاص في مواقعهم لأكثر من عشر سنوات وصعوبة تشكيل فرق عمل حيث أقر بذلك ٨٠,٦% ، ٣٧,٢% ، ٢٦,٧% على التوالى وذلك في ضوء بيانات الجداول التفصيلية للمؤشرات .

ولعل حالة درجة الجمود في تقسيم العمل وتدرج السلطة ترتبط في تفسيرات البعض بإعمال مبدأ الأقدمية ، وندرة فرص الحراك الأفقى نتيجة لصعوبة حصول البعض على مؤهلات موضوعية سواء في شكل شهادات دراسية أو دورات تدريبية تؤهله إلى النقل من قسم لآخر بل ويظهر ذلك في عدم اعتقاد البعض في إمكانية تغيير الوحدة التي يعمل بها فعلى حد تعبير البعض : "مستحيل انتقل إلى مكان آخر بعد ٢٨ سنة خبرة" "وهل ممكن أترك المكان للشخص الأحدث منى؟!"

ومن ناحية أخرى يفسر البعض هذا الجمود في تقسيم العمل أو الحراك عبر سلم السلطة بتفسيرات اقتصادية لعدم وجود درجات مالية أو بعض الظواهر المرضية مثل المحسوبية والوساطة أو إعمال الأقدمية المطلقة أو الروتين المرضى ، بل واعتقاد بعض الرؤساء ذوى السلطة التقليدية – على حد تعبير ماكس فيبر – بعدم وجود بديل مناسب وكفء للشخص المطلوب نقله من وحدة إلى أخرى أو قيام آخر بالمسئوليات ذاتها . وقد يتم تبرير ذلك بافتراض الثقة في المرؤوس وطلب استمراره في الموقع الراهن حتى أن بعض المرؤوسين يرونها من زاوية أخرى على أنها استراتيجية للجزاء السلبى وليست للمكافأة .

إن الاستمرارية في العمل في الموقع الوظيفي سواء أفقيا أم رأسيا قد يؤدى إلى اكتساب الموظف الخبرة العملية وبعض المهارات الملائمة ، إلا أنه

في الوقت ذاته قد يستخدم من قبل بعض الرؤساء وفقا لنمط السلطة الذي يوجه ممارساتهم مبررا -يبدو منطقيا في ظاهره- لاستمرارية البعض في مواقعهم ومن ثم عدم منح الفرصة أمام الآخرين ، حتى أنهم يعتقدون أن الموظف الجديد على الموقع أو الوظيفة بحاجة إلى وقت طويل حتى يكتسب الخبرة ذاتها.

ومما يدعم استمرارية حالة الجمود ضعف بل وندرة البرامج التدريبية التي تعقد في تلك التنظيمات سواء تلك التي تهدف إلى إكساب الموظفين خبرات جديدة حتى يمكنهم العمل بأقسام أخرى إذا ما تطلب موقف العمل ذلك أو الدورات المرتبطة بالترقي إلى الدرجة الأعلى ومن ثم جمود الحراك الأفقى أو الرأسى . ولقد أكد ذلك ٨٠,٦% من العينة الكلية سواء فيما يتصل بالنوع الأول أو الثانى من تلك البرامج وذلك على الرغم من عقد دورات تدريبية لأهداف أخرى.

ومن هنا يمكن القول أن هناك مجموعة من المتغيرات التي تسهم في استمرارية حالة الجمود السابقة . وتتمثل هذه المتغيرات في بناءات الفرصة المتاحة وقصور برامج التدريب، وتلك المرتبطة بالنسق الثقافي سواء على مستوى الوحدات الصغرى أى داخل التنظيم ولدى الرؤساء أو على مستوى الوحدات الكبرى أى المجتمع ككل والتي تتمثل في معتقدات الرؤساء فيما يتصل بقدرات مرؤوسيهم ومهاراتهم والقدرة على إدخال سياسات جديدة ودرجة الثقة المطروحة نحو الآخر إضافة إلى سيادة ثقافة الوساطة والمحسوبية.

ب- سيادة درجة متوسطة من وضوح العاملين على أدوارهم وأدوار رؤسائهم وإمكانية تحديد أدوارهم في إنجاز وظائف التنظيم العامة على مستوى التنظيمات الثلاث التعليمية والصحية والاتصالات ؛ ولقد اتضح ذلك بنسبة ٨٥% ، ٧٦% ، ٧٣,٣% على التوالى . إلا أن ذلك يتزامن معه وجود مجموعة من العاملين يتمتعون بدرجة عالية من وضوح أدوارهم ومجموعة أخرى تنخفض لديهم هذه الدرجة لتصل إلى حالة الغموض.

ويمكن تفسير درجة وضوح الأدوار لدى العاملين من خلال عدة متغيرات : السن والمستوى في تدرج السلطة وإمكانية الحصول على المعلومات دون حواجز وبعض برامج التدريب التي عقدت . ولقد أظهر التحليل علاقات ارتباطية بين وضوح الأدوار وتلك المتغيرات بدرجة دالة إحصائيا حيث بلغت قيم معاملات الارتباط ٠,٢٢ ، ٠,١٧ ، ٠,١٧ ، ٠,١٦

على التوالى (جدول ٩) ، إضافة إلى ذلك وجدت علاقة ارتباطية بين تكرارية الأعمال التي يقوم بها الموظف ووجود حاسب آلى لدى بعض الوحدات ودرجة الوضوح على تلك الأدوار وذلك بالرغم من أن تلك العلاقات لم تكن دالة إحصائيا . ومن ناحية أخرى يرجع البعض غموض تلك الأدوار وعدم إمكانية تعرف الموظف على أدوار الآخرين إلى الدرجة العالية من تركز السلطة لدى بعض المواقع وهى إحدى المتغيرات البنائية داخل التنظيم إضافة إلى أن طموح بعض العاملين للعمل بوظائف أخرى بخلاف تلك الوظائف التي يعملون بها حاليا تؤدى إلى عدم مبادرة الموظف للتعرف على كافة أبعاد دوره أو أدوار الآخرين . ولقد أظهر تحليل الارتباطات علاقة ايجابية دالة إحصائيا بين الطموح إلى وظيفة أخرى ودرجة غموض الأدوار لدى أصحابها ، حيث بلغت قيمة معامل الارتباط ٠,٢٦ . (جدول ٩)

جـ- سيادة درجة متوسطة من العمل الفريقى في التنظيمات التعليمية والصحية والاتصالات حيث أكد ذلك ٨٥% ، ٨٤,٥% ، ٩٣,٤% على التوالى . وفي الوقت الذي ترتفع فيه درجة الفردية في كل من التنظيم التعليمى والصحى تنخفض درجة العمل الفردى في تنظيم الاتصالات والذي يتطلب العمل فيه تشكيل فرق عمل سواء لعمليات التركيب أو الإصلاح أو الاستقبال مع تكامل عمل المستويات وإمكانية تغير عناصر فرق العمل يوميا والذي يعنى في الوقت ذاته درجة من مرونة تقسيم العمل .

ومن الواضح أن الدرجة الوسطى للعمل الفريقى تعنى في تلك التنظيمات أن فرق العمل تتشكل في ظل بعض المواقف وليس بشكل مستمر ، إضافة إلى ذلك فإن طبيعة العمل التعاونى داخل التنظيم لازالت تتم وفق الأسس التقليدية حيث يلجأ الموظف عند مواجهته إحدى المشكلات في نطاق عمله إما إلى رئيسه المباشر أو إلى زميل له داخل القسم ولا يلجأ -في ضوء النسبة الغالبة ٦٤% ، ٧٣% على التوالى- إلى زملاء أو أهل الخبرة من أقسام ووحدات أخرى . ولعل هذه الدرجة المتوسطة من سيادة العمل الفريقى سوف تنعكس سلبا على تكوين الرؤى والهوية المشتركة داخل تلك التنظيمات، تلك الرؤى التي تنعكس بالضرورة على درجة الالتزام والولاء ، بل سوف تنعكس سلبا على إمكانيات حل مواقف الصراع بين الأطراف المتصارعة أو الوحدات التي تعانى من هذا الموقف.

وعلى الرغم من تشابه بعض المواقف التي تتطلب تشكيل فرق عمل في التنظيمات الثلاث والتي تتمثل في لجان المشتريات والمناقصات والجرد وشؤون العاملين والصيانة ، تظهر أعمال متخصصة وفقا لطبيعة نشاط كل

تنظيم حيث فرق عمل بلجان النظام والمراقبة والإعانات الطلابية والأنشطة الطلابية وعقد المؤتمرات بالتنظيم التعليمى ، فحص الحالات المستعصية والعمليات واستلام الأدوية والأجهزة الطبية في التنظيم الصحى ، وإصلاح الأعطال وضبط مخالفات المشتركين والإحلال والتجديد بتنظيم الاتصالات.

وعلى الرغم من أن فرق العمل تمثل مؤشرا لتنظيم المستقبل ، إلا أنها تواجه في ظل البيروقراطية المرضية بالإجراءات المعقدة واستخدام الأسلوب التقليدى إضافة إلى ثقافة الشك المرتبطة بأداء عمل بعض هذه الفرق واللجان. ومن هنا أرجع المبحوثون نجاح العمل الفريقى إلى عدة متغيرات بنائية وثقافية تتمثل في الآتى :

- صغر حجم الفريق في ضوء الهدف المنوط به مع تنوع الأدوار وتكاملها وتوزيعها حسب التخصصات المتباينة المتكاملة في الوقت ذاته.
- وحدة الهدف وتبادل وجهات النظر واحترام الآخر.
- تحقق مبدأ الشورى والثقة المتبادلة (درجة ارتباط غير دالة مع العمل الفريقى)

ومن ناحية أخرى فإن اعتقاد المبحوثين حول أهمية العمل الفريقى يؤدى إلى سيادة هذا العمل وتدعيمه حيث أكد ٩١,١% من عينة الدراسة أن مثل هذا العمل الجماعى يحقق كفاءة عالية وإنجاز للعمل المكلفين به ، في الوقت الذي تؤكد فيه نسبة صغرى أن مثل هذا العمل يؤدى إلى عدم تحديد المسئولية وإلى ضياع شخصية الأفراد المشاركين فيه . ولقد كشف التحليل الإحصائى عن علاقة ارتباطية وإن كانت غير دالة إحصائيا (٠,١) بين الاعتقاد في أهمية هذا العمل الفريقى في تحقيق درجة عالية من الإنجاز وسيادة هذا العمل في التنظيم.(جدول ٩)

ولقد كشف التحليل الإحصائى عن أهمية مجموعة من المتغيرات البنائية في دعم العمل الفريقى وسيادته في التنظيم المعاصر ،ومن أبرز هذه المتغيرات وضوح الأعضاء على أدوارهم وأدوار الآخرين ومرونة تقسيم العمل واستمرارية البرامج التدريبية ولقد بلغت قيم معاملات الارتباط (جدول ٩) بين تلك المتغيرات والعمل الفريقي : ٠,١٥ ، ٠,٢٩ ، ٠,٣١ على التوالى وهي ذات دلالة احصائية. ومن ناحية أخرى كشف التحليل عن وجود علاقة ارتباطية غير دالة إحصائيا بين انتشار المعلوماتية وآلياتها من ناحية وسيادة العمل الفريقى من ناحية أخرى ؛ حيث أن الأولى تؤدى إلى توفير

قاعدة بيانات يسهل من خلالـــها التعــرف علــى أدوار الآخريــن والتنبــؤ بسلوكياتهم والقدرة على توزيع الأدوار . ولم تظهر هذه العلاقـــة الإيجابيـــة الدالة خاصة وأن نمط استخدام الحاسب الآلى استمر في إطار كتابة البيانـــات وتخزينها فقط دون الاتصال بالآخرين سواء من خـــلال الاتصـــال الشـــبكى الداخلى أو الخارجي.

د- **يكشف التحليل الجدولى (٤) عن سيادة درجة متوسطة من العمل فيمـــا وراء شروط التعاقد بين الموظف والتنظيم** . وإذا ما كان ماكس فيبر قد أكـــد على أهمية الالتزام كنتيجة لممارسة السلطة القانونية بالشكل التقليدى ، فـــإن النمط الجديد للتنظيم يؤكد على العمل بدرجة أكبر مما هو موجود بتوصيفات الوظائف بل والسعى نحو العمل بدلا من انتظار الأوامر . ولقد كشف التحليل عن تلك الدرجة المتوسطة في التنظيمات التعليمية والصحيـــة والاتصـــالات حيث أكد ذلك ٨١,٦% ، ٧٨,٩% ، ٨٣,٣% من عينة الدراسة فـــي تلـــك التنظيمات على التوالى. ولقد أرجع هؤلاء قيامهم بمزيد من العمل إلى عـــدة متغيرات وتتمثل في الآتى :

- متغيرات ترتبط بالأساس القانونى لممارسة السلطة داخل التنظيم ومن ثم الإذعان لقرارات وأوامر الرؤساء . وعلى الرغم من أن رفض العمـــل فيما وراء التعاقد لا يترتب عليه أى شكل من أشكال الجـــزاءات الســـلبية القانونية ، إلا أنها ترتبط ببعض التبريرات المنطقية التي يقدمها الرؤســـاء لدعم مثل هذا العمل مثل الحاجة إلى تنفيذ مثل هذه الأعمال بســـرعة ، أو حاجة التنظيم إلى مثل هؤلاء الأشخاص ذوى الدرجة العالية من الالـــتزام والذين يعملون تطوعا ومن ثم سعى هـــؤلاء المرؤوســـين نحـــو احـــترام الرؤساء وكسب ثقتهم.
- سعى بعض الموظفين إلى مراعاة مصلحة العمل خاصة مـــع عـــدم وجود من يقوم بمثل هذه الأعمال . وقد يقوم هؤلاء بمثل هذا العمل انطلاقا من اعتقادهم بمسؤوليتهم وأهمية المبادرة وقد يكمـــن وراء ذلـــك تحقيـــق مصالح متبادلة مع أطراف أخرى أو منافع يحققونها خاصة وأنهم يقـــتربون بذلك من مواقع صنع القرار واتخاذه.
- تحقيق الذات والقدوة والشعور بالاحترام .
- وجود حوافز مادية ومعنوية تشجع على القيام بمثل هذه الأعمال.
- أسباب إنسانية خاصة في إطار التنظيم الصحى خلال عمليات العـــلاج

أو العمليات الجراحية ، أو العمل مع حالات خاصة من الطلاب في التنظيم التعليمي.

وفي الوقت ذاته فإن البعض الآخر لا يقوم بمزيد من الأعمال فيما وراء نطاق تعاقده لعدة أسباب تتحدد أبرزها فيما يلى :

- ندرة الحوافز التي يحصلون عليها مقابل هذه الأعمال في الوقت الذي يحصل فيه البعض الآخر على حوافز مجزية ، بل وعدم ملاءمة الحوافر لمتغيرات العمل الزائد.
- التفسير الاعتقادى والذي يعكس لدى البعض سيادة الاعتقاد بأن مزيدا من العمل يؤدى إلى مزيد من الأخطاء يؤدى إلى مزيد من العقاب ، ومن ثم الإحجام عن مزيد من العمل حتى مع وجود الحوافز.
- مقارنة هذه الأعمال سواء مع قدرات الموظف أو تخصصه أو خبرته السابقة.

لقد كشف التحليل الإحصائى عن وجود علاقات ارتباطية بين عدد من المتغيرات الشخصية والبنائية والثقافية من ناحية والعمل فيما وراء التعاقد من ناحية أخرى وتتمثل هذه المتغيرات فيما يلى :

- وجود علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١ بين السن والموقع في تدرج السلطة والدخل وتلقى دورات تدريبية متعددة كمتغيرات مستقلة و العمل فيما وراء التعاقد متغيرا تابعا حيث بلغت قيم هذه الارتباطات ٠,٢٥، ٠,٣٧ ، ٠,٢٦ ، ٠,٢٣ على التوالى. (جدول ٩)
- وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين العمل وراء التعاقد والعمل الفريقى حيث بلغت قيمة الارتباط ٠,٢٣ وهى دالة إحصائيا عند مستوى ٠,٠١ ، ويرتبط ذلك بوجود هدف مشترك والسعى نحو مصلحة التنظيم ، كما يرتبط بمرونة تقسيم العمل ومن ثم إمكانية قيام الموظف بأعمال أخرى قد لا تدخل في نطاق اختصاصه أو قدرته في الوقت ذاته . ولقد بلغت قيمة الارتباط ٠,١٦ وهى ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠,٠٥ . (جدول ٩)

ومن هنا يمكن القول أن العمل فيما وراء التعاقد يرتبط في تفسيراته - في إطار تنظيمات الدراسة- ببعض التفسيرات البيروقراطية التقليدية والتي تتمثل في طاعة الرؤساء واحترامهم إضافة إلى نسق الحوافز مع أهمية الأسباب الإنسانية في إطار المدخل غير الرسمى لعلاقات البيروقراطيين ومن ناحية أخرى يرتبط مع مرونة تقسيم العمل الفريقى وهى من خصائص

تنظيم المستقبل. ولعل هذا ما يعكس ازدواجية الوضع الراهن للتنظيمات البيروقراطية المصرية بين الخصائص التقليدية والحديثة لهذه التنظيمات.

هـ - سيادة درجة عالية من اللامعلوماتية والشك الإداري -نسبيا- وبدرجات متباينة في التنظيمات الثلاث التعليمية والصحية والاتصالات ، حيث أكد ذلك ٧١,٧% ، ٧٣,٢% ، ٥١,٧% على التوالي على متصل اللامعلوماتية والمعلوماتية ، ٧٣,٣% ، ٥٩,١٥% ، ٧٦,٧% على التوالي على متصل الشك الإداري / الثقة.

وإذا ما كانت درجة اللامعلوماتية تنخفض نسبيا في تنظيم الاتصالات مقارنة بالتنظيمين الآخرين وارتباطا باستخدامات الحاسب وشبكة المعلومات حتى في إجراءات تقديم خدمة الاتصالات أو إجراءات المحاسبة والتي ترتبط في الوقت ذاته بطبيعة العمل ونمط التنظيمات الربحية الخاصة ، فإن درجة الشك الإداري ترتفع نسبيا في كل من تنظيمي التعليم والاتصالات والتي ترتبط بنسق الضبط الصارم في هذين التنظيمين واستمرارية النمط التقليدي المركزي في التنظيم الأول وتتبع أداء العاملين بتقارير دورية وشكاوي العملاء في التنظيم الآخر وسيادة نمط الإشراف اللصيق حتى في حالة فرق العمل التي تتشكل وفقا لبعض المواقف.

وتكشف البيانات المقارنة بين التنظيمات الثلاثه أن ٥٨% من عينة المبحوثين في تنظيم الاتصالات ملمون بأساسيات الحاسب الآلي وتشغيله بل وأوضح ٣٨% من هذه العينة أنهم يستخدمونه أثناء أدائهم لوظائفهم وذلك مقابل ٤٨% ، ٣٨% من عينة التنظيم التعليمي والصحي فيما يتصل بالإلمام بالحاسب الآلي ، ٢٣% ، ١٩,٣٢% فيما يتصل باستخدام الحاسب خلال أدائهم لوظائفهم.

ويكشف تحليل البيانات المرتبطة بالمعلوماتية واستخدام الحاسبات الآلية عن تقييم المبحوثين وتوقعاتهم لهذا الاستخدام وآثاره . إلا أن هذا التقييم يكشف عن رؤية واقعية دون إمكانية توقع المستقبل خاصة وأن بعضا من مؤشراته قد تحققت في بعض التنظيمات وبدرجة أوسع مدى في بعض الدول المتقدمة . ففي الوقت الذي أوضحت فيه ٩٣,٢% من عينة الدراسة أن استخدامات الحاسب سوف تؤدى إلى تحقيق الأفضل من خلال الدقة والسرعة ودعم اتخاذ القرارات وتوفير الجهد وحسن تخزين البيانات ومعالجتها وتحديث العمل ، فإن النسبة الكبرى ٧٣,٣% من هذه العينة ترى أنه من غير المتوقع أن يدار العمل مستقبلاً من خلال منازل الموظفين أو ما يسمى بالإدارة عن

بعد .

ومن ناحية أخرى أبرز هؤلاء الذين يـــرون أضــرارا لاســتخدامات الحاسب أنه سوف يؤدى إلى عزلة اجتماعية بين الناس وأنه قد يــؤدى إلــى الاستغناء عن أعداد كبيرة من العاملين إضافة إلى هذا فإن الحاسب قد يــؤدى إلى الاستغناء عن الجيل القديم خاصة الذين لا يجيدون العمل مع هذه التقنية ، كما أن هناك عددا من الأعمال التي تتطلب الاتصال المباشر مع العملاء ، مع ارتفاع تكلفة الاستخدام . ولعل هذا قد يخالف رؤية البعض الآخر والذي يـرى أن تحديث المجتمع سوف يفرض على هؤلاء اكتساب المهارات المرتبطة بهذا الاستخدام ، إلا أن ذلك يتطلب ليس مجرد توفير مقومات الآلية المادية وإنمـــا دعم ثقافة الاستخدام حتى تتحول من رموز شكلية للمكانة أو إدمان اســتهلاكى أو مجرد منح كمبيوترية تدعم حالة التبعية ، إلى الإفادة مــن إمكاناتــها فــي تدعيم قاعدة البيانات واتخاذ القرارات وسرعة تقديم الخدمات وجودة الإنتاج.

و- لازال الولاء التنظيمى للموظفين في التنظيمات الثلاث الخاضعة للدراســة الراهنة يرتبط بالأسس التقليدية للبيروقراطية المصرية ، ومــن ثــم تتوجــه النسبة الكبرى ٧٧% بولائها إلى الرؤساء والمؤسسة والمهنة بـــل إن هنـــاك ١٤,٧% يتصفون بدرجة الولاء التقليدى الخالص أى إلى الرؤساء والمؤسســة فقط . ومع هذا فهناك نسبة صغرى (٨,٤%) هى التي تتوجه بولائـــها إلــى المهنة والعملاء وتلك التي تعكس إحدى خصائص تنظيم المستقبل.

ويكشف الجدول التالى (٥) عن ترتيب عينة الدراسة واتجاهات ولائهم التنظيمى أى لمن يتوجهون بولائهم التنظيمى أولا .

جدول (٥) ترتيب عينة الدراسة واتجاهات ولائهم التنظيمى

الترتيب لمن	الأول	الثانى	الثالث	الرابع	الخامس
المؤسسة	٥٧,١	٢٠,٩	١١,٥	٨,٤	٢,١
الرؤساء	٢٣	٤٧,٦	١٥,٧	١٣,١	٠,٥
الملاك	٠,٥	٢,٦	٣,١	٩,٩	٨٣,٨
أبناء المهنة	٩,٤	١٤,١	٤٠,٣	٣٣,٥	٢,٦
العملاء	١٣,٦	١٣,٦	٢٩,٣	٣٤,٦	٨,٦

ويستنتج من هذا الجدول أن الولاء التنظيمي للمبحوثين يتوجه بالترتيب نحو المؤسسة ثم الرؤساء ثم أبناء المهنة والعملاء وأخيرا نحو ملاك المؤسسة وذلك على الرغم من خصخصة التنظيم الثالث . ومن ثم يكشف عن سيادة الشكل التقليدى للولاء التنظيمي . ويتضح من التحليل المقارن سيادة هذا الشكل التقليدى في التنظيمات الثلاث حيث احتلت المؤسسة والرؤساء الترتيب الأول والثانى في اتجاهات ولاءات الأفراد ، مع تباين من يقع في الترتيب الثالث والرابع ، وبينما تحتل المهنة الترتيب الثالث في تنظيمي الاتصالات والصحة يحتل العملاء هذا الترتيب في التنظيم التعليمي والعكس صحيح وذلك وفق الجدول التالى (٦)

جدول (٦) أولويات الولاء لدى العاملين بالتنظيمات الثلاثة

الترتيب / التنظيم	الأول	الثانى	الثالث	الرابع
التعليمي	المؤسسة	الرؤساء	العملاء	المهنة
الصحى	المؤسسة	الرؤساء	المهنة	العملاء
الاتصالات	المؤسسة	الرؤساء	المهنة	العملاء

ولقد أرجع من توجه بولائه أولا إلى المؤسسة والرؤساء إلى أن مثل هذا الولاء يؤدى إلى الحفاظ على الوظائف التي يعملون بها إضافة إلى الحفاظ على مزيد من المكاسب المادية ، بل يمثل التنظيم الذي يعملون به المكان الوحيد الذي وجدوا فيه فرصة عمل مناسبة دون المؤسسات الأخرى وذلك بنسبة ٦٦,٥% ، ٣١,٤% ، ٣٣% على التوالى .

ولعل هذا الموقف والتفسيرات التي طرحها المبحوثون وراء ترتيب أولويات ولائهم يجد صدى في تراث دراسات الولاء والانتماء التنظيمي خاصة لدى أصحاب مدخل التبادلية المحدثة والذين يؤكدون وجود علاقة تبادلية بين الانتماء والمنفعة المتبادلة بين الفرد والتنظيم، وكذا لدى أصحاب المداخل البنائية المحدثة (علام، 1994: 265-262)

٣-يمكن توزيع التنظيمات البيروقراطية الثلاث ومن ثم التنظيمات البيروقراطية المصرية على متصلات بين التنظيم التقليدى وتنظيم المستقبل ؛

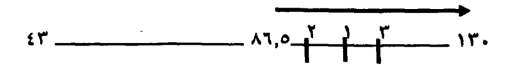
لقد قام الباحث بتقدير خصائص التنظيم ومدى ارتباطها بخصائص تنظيم المستقبل من خلال إعطاء أوزان تقديرية للمؤشرات التي تقيس كل خاصية من الخصائص السبع (تقسيم العمل وتدرج السلطة، درجة وضوح الأدوار والعمل الفريقى والمعلوماتية والعمل فيما وراء التعاقد ودرجة الثقة واتجاه الولاء التنظيمى) . ويتضح ذلك من جدول (٧) .

جدول (٧) توزيع تنظيمات الدراسة وفقا لمتوسطات أوزانهم فى ضوء خصائص تنظيم المستقبل

الخاصية	متوسطات الأوزان				ف	مستوى الدلالة*
	الكلية	المستشفى	الاتصالات	المتوسط العام		
تقسيم العمل والتدرج (مدى المرونة)	١٧,٥٢	١٧,٠٠	١٨,٠٥	١٧,٤٩	٤,٧٩٥	٠,٠٠٩
درجة وضوح الأدوار	١٥,٦٢	١٤,٨٧	١٥,٤٨	١٥,٣٠	٢,٢٦٢	٠,١٠٧
سيادة العمل الفريقي	٢٠,٢٣	٢٠,٧٧	٢١,٤٣	٢٠,٨١	٣,٢٨٧	٠,٠٤٠
المعلوماتية	١٢,٣٧	١٢,٥٢	١٣,٣٨	١٢,٧٤	٨,٥١٨	٠,٠٠٠
العمل وراء التعاقد	١٢,٩٢	١٢,١٧	١٢,٧٥	١٢,٩٥	٢,٠٩٧	٠,١٢٦
الثقة الفعالة	١٣,١٠	١٣,٧٥	١٢,٦٨	١٣,٢١	٣,٠٤٨	٠,٠٥٠
الولاء نحو العملاء والمهنة	١,٧٣	٢,٠٨	١,٩٧	١,٩٤	٩,٨٠٩	٠,٠٠٠
إجمالى درجة خصائص تنظيم المستقبل	٩٣,٤٩	٩٣,١٦	٩٥,٧٤	٩٤,٤٤	٢,٨٠٣	٠,٠٦٣

* تعتبر الفروق ذات دلالة إحصائية إذا ما كان مستوى الدلالة في الجدول أقل من ٠,٠٥

وعلى هذا يتحدد متصل خصائص التنظيم التقليدى / المستقبلى وموقع التنظيمات الثلاثة على النحو التالي



ومن هنا يمكن القول أن التنظيمات الثلاث تقع على النصف الثانى من المتصل وفي اتجاه تنظيم المستقبل وإن كان تنظيم الاتصالات، يحتل المكانة الأولى من حيث الترتيب في اتجاه تلك الخصائص.

وعلى الرغم من أن تحليل التباين لم يكشف عن فروق ذات دلالة

إحصائية فيما بين متوسطات الأوزان التقديرية لخصائص تنظيم المستقبل المتوافرة في التنظيمات الثلاثة ، فإن هذا التحليل يكشف عن فروق ذات دلالة إحصائية لصالح تنظيم الاتصالات فيما يتعلق بخصائص تقسيم العمل وتدرج السلطة والعمل الفريقى والمعلوماتية ، في حين أوضح وجود تلك الفروق لصالح تنظيم المستشفى فيما يتصل بخاصية اتجاه الولاء نحو العملاء والمهنة.

ويصفة عامة يكشف تحليل جدول (٧) أيضا عن ارتفاع المتوسط العام للأوزان التقديرية لتلك الخصائص لدى تنظيم الاتصالات مقارنة بالتنظيمين الآخرين . ويكشف جدول (٨) عن الفروق من خلال جميع المقارنات .

جدول (٨) قيم ت ودلالتها لتحديد الفروق فيما بين التنظيمات الثلاثة حول توافر خصائص تنظيم المستقبل بها (T. Test)

التنظيم	قيمة ت	مستوى الدلالة *	درجات الحرية
الكلية / المستشفى	٠,٢٧٤	٠,٧٨٥	١٢٩
الكلية / الاتصالات	١,٩١٦ -	٠,٠٥٨	١١٨
المستشفى / الاتصالات	٢,١٣٦ -	٠,٠٣٥	١٢٩

* دلالة الفروق تتضح عند ٠,٠٥ فأقل

ويتضح من هذا الجدول أن مستويات الدلالة التي كشف عنها التحليل أكبر من ٠,٠٥ فيما يتصل بالمقارنة بين تنظيمي الكلية والمستشفى وفيما بين الكلية والاتصالات ومن ثم لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية ، في حين يكشف الجدول عن فروق ذات دلالة إحصائية فيما بين تنظيم المستشفى وتنظيم الاتصالات لصالح تنظيم الاتصالات.

ويمكن تفسير هذا الارتفاع لتلك الأوزان لدى تنظيم الاتصالات أنه قد خضع إلى إعادة هيكلة البناء التنظيمي خاصة بعد تحويله إلى شركة خاصة في ظل برنامج الخصخصة وظهر ذلك في تخفيض عدد المستويات الإشرافية ومن ثم مرونة اتخاذ القرارات ودرجة عالية من حرية التصرف ، طبيعة العمل بالتنظيم والذي يتطلب استخدام تكنولوجيا متقدمة مما سمح بتوحيد مصدر المعلومات وفى الوقت ذاته إمكانية الوصول إليها بسرعة ، ودخول الشركات في هذا المجال مجال المنافسة وخضوع الخدمات المقدمة لها لقانون العرض والطلب والذي يتطلب التطوير المستمر . كما أن التغيرات التكنولوجية السريعة في مجال الاتصالات أدى إلى ضرورة الاستجابة لتلك التغيرات سواء من خلال إدخال نظم آلية متطورة أو مزيد من البرامج التدريبية لاستيعابها ، أو استخدام شبكات المعلومات في تقديم خدماتها ، ثم

تطبيق نظام صارم للجزاءات.

سادسا : مناقشة النتائج العامة ::

يكشف التحليل السابق عن النتائج العامة التالية :

١- أن خصائص تنظيم المستقبل -وفقا للسيناريو المطروح في الدراسة الراهنة- تعكس مجموعة من الملامح البنائية والثقافية تتمثل في تقسيم العمل وتدرج السلطة المرن ، العمل الفريقى ، الولاء نحو المهنة والعميل أولا ، سيادة استخدام تكنولوجيا المعلومات ، الثقة الإيجابية ، النسق الموضوعى والمفتوح للجزاءات ، التنافسية ، نمط القيادة التحولية والكوكبية، العمل فيما وراء التعاقد ووضوح الأدوار . ومن الملاحظ أن سيادة مثل هذه الخصائص تمثل أحد السيناريوهات المرتبطة بتقيد دور الدولة والتحولات العالمية. وإذا كانت هذه الخصائص تتطلب توافر عدد من المقومات المادية والثقافية لتحققها في واقع البلدان النامية ، فإنها سوف تنعكس على هذا الدور وزيادة الفجوة النوعية ومزيد من التهميش لبعض شرائح المجتمع كالفقراء إضافة إلى انعكاسها على نمط العلاقات غير الرسمية ودرجة الاغتراب النسبى.

إن هذا الرأي يختلف مع ما جاء به البعض من تزايد الدور الحكومي ومن ثم البيروقراطية وتنظيماتها ويتفق مع البعض الآخر . فإذا ما كان جيدنز (جيدنز ، 1999 : 66) وتيرنر وكورباتشو (تيرنر وكورباتشو ، 2000 : 146) وثيربورن (Therborn, 2000 : 151-173) قد أوضحوا تزايد النشاط الحكومي مع توسع العولمة ، مع إبراز تيرنر أهمية هذا الدور الحكومي ومؤسساته في تحقيق الضمان لمن لا يستطيعون رعاية أنفسهم ، فإن دراسات أخرى (Welfens, 2000 : 26) (Clclough & Tolbert,2001) (:299) (شكر الله ، 1999 : 288) (Petros, 2000 : 101-102) (المجدوب، 69 : 1997) تبرز تراجع الدور الحكومي ومن ثم تنظيماته بل وانعكاس التحولات العالمية على تلك التنظيمات ودرجة الإبداع والتجديد والتحيز ضد العمالة غير الماهرة والتنظيمات التي تعمل بها وتغير أشكال ودرجات الولاء والانتماءات (حجازي، 2001 : 36) . وعلى هذا يصبح النظر والتحليل لخصائص التنظيمات البيروقراطية المصرية مفرغا من محتواه إذا ما بعد عن ضرورة ارتباطها بالتغيرات العالمية ومدى قدرتها على اكتساب خصائص تمكنها من التنافس على هذا المستوى .

٢- في ضوء التحولات العالمية وبروز الخصائص السابقة في عدد من

التنظيمات الدولية بل والإقليمية ، يعتبر مستوى المهارات الخاصة المتمثلة في ثقافة الحاسب الآلى واللغة الأجنبية والمهارات المكتسبة من برامج التدريب في تلك التنظيمات التي خضعت للدراسة الميدانية مستوى متوسط ، ويكشف عن البطء في مسايرة تلك التحولات.

٣- يمكن من الناحية المنهجية تحديد درجة الملامح البنائية والثقافية لتنظيم المستقبل ومدى توافرها بالتنظيمات البيروقراطية المصرية من خلال تحديد وضع هذه التنظيمات على عدة متصلات للخصائص التي تم التوصل إليها من خلال تحليل تراث دراسات التنظيم المستقبلية . وفي الوقت ذاته يمكن وضعها على متصل عام يجمع تلك الخصائص ويبدأ بالتنظيم التقليدى وينتهى بتنظيم المستقبل . واستنادا على تلك المنهجية يمكن القول أن التنظيمات البيروقراطية الثلاثة التي خضعت للدراسة -والتي تمثل مجرد نماذج للبيروقراطية المصرية- كانت ولازالت تقع على بداية النصف الثانى من المتصل . وعلى الرغم من أن ذلك يعكس اتجاها نحو خصائص تنظيم المستقبل ، إلا أنها تتصف بدرجة مرتفعة من اللامعلوماتية والشك الإدارى مع درجة عليا من ولاء العاملين بها إلى الرؤساء والمؤسسة ، ذلك الشكل من الولاء الذي يرتبط بالخصائص التقليدية للبيروقراطية .

ولعل اتجاه الولاء في التنظيمات الثلاثة نحو الرؤساء والمؤسسة يرتبط باستمرارية الدور الذي تقدمه التنظيمات البيروقراطية للعاملين بها باعتبارها مصدر أمان اقتصادي أو من خلال ما أسماه فيبر الراتب الثابت . ومن ناحية أخرى فإنه يرتبط بعدم تحقق التغيرات نحو الاهتمام بالمهنة أو العميل ومن ثم لا يزال يمثل ولاء وانتماء محسوبا في ضوء ما يحصل عليه الفرد وهذا ما أوضحته بعض المداخل النظرية والدراسات مثل التبادلية المحدثة (علام، 1991 : 263) ودراسات ويثى وكوبر حول الارتباط بين درجة الرضا والولاء التنظيمي (Withey & Cooper, 1992 : 232) . ومن ناحية أخرى يمثل هذا الوضع استمرارا للتفسير التاريخي حول اعتبار الثقافة التنظيمية المصرية جزءا تشكل من خلال الثقافة العامة وتدعمت من خلال ظروف ارتبطت بأهمية طاعة السلطة والحاكم وأهمية الوظيفة الحكومية.

ولعل هذه التفسيرات تقف وراء استمرارية هذا الاتجاه من اتجاهات الولاء في تنظيم الاتصالات على الرغم من تحويله إلى شركة خاصة ومن ثم فإن التغير نحو ملامح الاقتصاد الرأسمالي قد لا يكفى في حد ذاته إلى اكتساب

وتغير أشكال الولاءات .

٤- على الرغم من تباين التنظيمات البيروقراطية التي خضعت للدراسة فيما يتصل بمتغيرات نوع القطاع (حكومى/خاص) ، وطبيعة النشاط المستخدم ، وحجم التنظيم باعتباره مؤشرا من مؤشرات درجة التعقيد ، إلا أنه لم تظهر أية فروق ذات دلالة فيما بينهما حول خصائص تنظيم المستقبل ومن ثم تتقارب تلك التنظيمات فيما يتصل بأوزانها التقديرية حول تلك الخصائص . ويظهر مرة أخرى ميراث البيروقراطية المصرية التقليدية بالعديد من المتغيرات المحتملة التأثير مثل نمط القيادة وبرامج الإعداد والتدريب ودرجة تقبل التغير . وتتفق الدراسة الراهنة فيما يتصل بهذا الاستنتاج مع ما توصلت إليه الدراسة التي أجراها مركز الأهرام (Leila, 1989: 150) حول البيروقراطية المصرية . حيث انتهت إلى افتقار الموظفين البيروقراطية في مصر للتجديد وتحمل المخاطرة وانخفاض درجة المرونة ومن ثم حرية التصرف.

٥- إضافة إلى ضغوط التحولات العالمية وتغير وظائف الدولة وتدخل رأس المال الخاص ومدى سيادة ثقافة التنافسية على المستوى القطرى تظهر مجموعة من المتغيرات التي تؤثر سلبا أو إيجابا أو تحدد درجة خصائص تنظيم المستقبل ومن ثم يمكن أن تحدد موضع التنظيمات على متصل هذه الخصائص . وتتحدد هذه المتغيرات في مجموعة من المتغيرات البنائية والثقافية تتمثل في بناءات الفرص المتاحة وبرامج التدريب وأساس ممارسة السلطة ونمط القيادة التنظيمية والموارد المادية المتاحة بما في ذلك نسق الجزاءات كما ونوعا ، ونسق المعتقدات لدى الرؤساء نحو المرؤوسين ومهاراتهم وقدراتهم أو لدى المرؤوسين نحو أهمية العمل الفريقي والعمل وراء التعاقد ، إضافة إلى العمر والموقع في تدرج السلطة .

ولقد كشف التحليل عن وجود عدد من علاقات الارتباط فيما بين خصائص تنظيم المستقبل بعضها والبعض الآخر من ناحية وفيما بين تلك الخصائص وبعض المتغيرات التفسيرية من ناحية أخرى .ويمكن تحديد أبرز تلك العلاقات التي يمكن استخدامها في دراسات أخرى لتحديد مسارات تلك المتغيرات (Path Analysis) فيما يلي :

أ-علاقات ايجابية بين العمل الفريقي من ناحية ومرونة تقسيم العمل وتدرج السلطة ووضوح الأدوار والعمل فيما وراء التعاقد من ناحية أخرى . وتتفق هذه النتائج مع ماتوصلت إليه بعض الدراسات والتحليلات المستقبلية والممارسات التنظيمية في بعض الشركات العالمية.(توفلر،

1990 :138) (حاتم، 57:1990) (Werther, 1998 :26). فلقد أكدت تلك الدراسات والتحليلات أن العمل الفريقي يؤدي إلى تحطيم المفهوم التقليدي للعمل ومن ثم إلى مرونة تقسيم العمل وتبادل المواقع ودرجة عالية من الالتزام .

ب- علاقات ايجابية بين الدخل والموقع في تدرج السلطة من ناحية والعمل وراء التعاقد- الذي يعكس شكلا من أشكال الالتزام والولاء المحسوبين - من ناحية أخرى . وتتفق هذه النتائج مع ما جاءت به بعض الدراسات (علام ، 1991 : 263) حول الربط بين الانتماء والولاء من ناحية والمنفعة المتبادلة من ناحية أخرى .

جـ- وجود علاقة سلبية ذات دلالة احصائية بين السن والولاء إلى المهنة والجمهور. وتتفق هذه النتيجة مع نتائج بعض الدراسات السابقة. (Alutto, 1973:452) فلقد وجدت دراسة ألتو وآخرون أن الالتزام المهني ومن ثم الولاء يرتفع لدى صغار السنة وذوي الخبرة المهنية الأقل. ويمكن تفسير هذه النتيجة بأن هؤلاء لا يزالون متحررين من خبرات التنشئة الرسمية في المؤسسات التي يعملون بها ،كما أن القيم والمثل المهنية لديهم لم تتأثر بعد بواقع الممارسة المهنية. أما من هم أكبر سنا فلقد استطاعوا التكيف مع هذا الواقع ومشكلاته سواء في تفاعلاتهم مع زملائهم أو مع مناخ التنظيم ككل.

د- وجود علاقة إيجابية غير ذات دلالة إحصائيا بين المعلوماتية والخصائص الأخرى لتنظيم المستقبل خاصة مع العمل الفريقي. وتتفق هذه النتيجة مع نتائج الدراسات السابقة والتي تعكس جدلا حول انعكاسات استخدامات التكنولوجيا عامة وتكنولوجيا المعلومات خاصة؛ فيرى الفريق الأول ارتباط هذه الاستخدامات بالعزلة البشرية المباشرة والدرجة العالية من المركزية بينما يرى الفريق الثاني (ريفكن، 2000 :155) أهميتها في تحقيق كل من الرؤية المشتركة والدرجة العالية من اللامركزية والعمل التعاوني.

ومع أهمية التبريرات التي قدمها كل فريق حول انعكاسات استخدام التكنولوجيا عامة وتكنولوجيا المعلومات خاصة، إلا أنه من الضروري أن تقوم مجتمعات الدول النامية باختيار ما يلائم أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية وطبيعة وخصائص قوة العمل بها . فمن الجدير بالذكر أن مثل هذه الاستخدامات سوف تنعكس على طبقة العمال خاصة غير الماهرة والتي

يمكن أن تختفي من هذا المجال أي العمل في التنظيمات بخصائصها المستقبلية، بل إن ذلك لا يقف عند حد هذه الطبقة وإنما قد يمتد إلى الطبقة المتوسطة كما أشار ريفكن حيث ستقوم مثل هذه الحاسبات بوظائف التنسيق داخل تلك التنظيمات.

خلاصة القول إذا أريد للتنظيمات البيروقراطية المصرية أن تلحق بتلك التي بدأت خطواتها نحو تنظيم المستقبل فلابد من إعادة النظر في برامج إعداد العاملين وتنميتهم سواء من يعمل بتلك التنظيمات حاليا أو من سيلتحق بها مستقبلا وتغيير سياسات الاختيار وتوفير قاعدة مادية وثقافية تدعم هذا التوجه ودعم أسس التنافسية ومحاولة الوصول إلى موقع قدم على قاعدتها . لكن يظل من الضروري مراعاة مترتبات الأخذ بهذا النمط الجديد خاصة ما يرتبط بتحويل الولاءات من ولاء عمل موجه نحو المؤسسة والدولة القطرية إلى ولاء وتبعية إلى شركاء أجانب وثقافاتهم وقيمهم الحاكمة في الاختيار والتقييم . ولن يتحرر الموظف من هذه التبعية أو تلك إلا من خلال اكتساب قدرات ومهارات خاصة تمنحه القدرة على المنافسة. وإذا ما كان ذلك ينطبق على الموظف أو التنظيم كوحدة صغرى فإنه ينطبق بالأحرى على مستوى الدولة والمجتمع.

إن الدراسة الراهنة تطرح تحليلا لأحد السيناريوهات حول تنظيم المستقبل والذي يتطلب دراسات أخرى تضيف خصائص ومؤشرات أخرى ، إضافة إلى أنها قدمت تحليلا لخصائص بعض التنظيمات البيروقراطية المصرية والذي لا تتعدى نتائجه إطار تلك التنظيمات.

المصادر والمراجع

١- أحمد مجدى حجازى
2001 الثقافة العربية في زمن العولمة . القاهرة : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع .

٢- أسامة المجدوب
1997 الجات ومصر والبلدان العربية من هافانا إلى مراكش . القاهرة : الدار المصرية اللبنانية .

٣- اعتماد محمد علام
1994 دراسات في علم الاجتماع التنظيمى . القاهرة : الأنجلو المصرية .

٤- ألفين توفلر ، ترجمة محمد على ناصف
1990 صدمة المستقبل : المتغيرات في عالم الغد . القاهرة : نهضة مصر .

٥- السيد يس
1999 العولمة والطريق الثالث . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٦- أمانى قنديل
2000 المجتمع المدنى في مصر في مطلع ألفية جديدة . القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية .

٧- أنتونى جيدنز ، ترجمة أحمد زايد ومحمد محيى ، مراجعة وتقديم محمد الجوهرى
1999 الطريق الثالث : تجديد الديموقراطية الاجتماعية . القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة .

٨- جونتر فورتيله (تحرير)
2000 إدارة تحديات المستقبل . القاهرة : مركز الأهرام للترجمة والنشر.

٩- جيرمي ريفكن ، ترجمة مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية
2000 نهاية عهد الوظيفة : انحسار قوة العمل العالمية وبزوغ حقبة مابعد السوق . أبو ظبي : مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية .

١٠- حازم الببلاوى
1999 دور الدولة في الاقتصاد . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١١- ريتشارد ويتلى وديان هيسان ، ترجمة عبدالرحمن توفيق
1998 الإدارة بالعملاء : استراتيجيات تحول الشركات العملاقة إلى العالمية . القاهرة : مركز الخبرات المهنية للإدارة بميك .
١٢- شريف دلاور
1999 تحديث مصر : قضايا التنمية والعولمة والاقتصاد . القاهرة : وكالة الأهرام للتوزيع
١٣- عبدالرازق عبدالفتاح
1996 "العلم والتكنولوجيا في مصر في القرن ٢١" في مصر في القرن ٢١ : الآمال والتحديات ، تحرير أسامة الباز . القاهرة : مركز الأهرام للترجمة والنشر.
١٤- فرانسيس فوكوياما ، ترجمة مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية
1998 الثقة : الفضائل الاجتماعية وتحقيق الازدهار . أبو ظبي : مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية .
١٥- فرانسيس فوكوياما ، ترجمة حسين أحمد أمين
1993 نهاية التاريخ وخاتم البشر . القاهرة : مركز الأهرام للترجمة والنشر
١٦-فريد هـ. كيت ، ترجمة محمد محمود شهاب
1999 الخصوصية في عصر المعلومات . القاهرة : مركز الأهرام للترجمة والنشر.
١٧- فريدريك سى تيرنر
2000 "الأدوار المتغيرة للدولة : المقياس والفرص والمشكلات ". في المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية . عدد ١٦٣ (مارس) . اليونسكو.
١٨- فريدريك سى تيرنر ، اليخاندرول كورباتشو ، ترجمة محمد البهنسى
2000 " أدوار جديدة للدولة " في المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية . عدد ١٦٣ (مارس) . اليونسكو.

١٩- محمد عبدالقادر حاتم
1990 الإدارة في اليابان : كيف نستفيد منها ؟ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٢٠- محمد محمود الإمام
1999 "الظاهرة الاستعمارية الجديدة ومغزاها بالنسبة للوطن العربى" . في العولمة والتحولات المجتمعية في الوطن العربى ، تحرير عبدالباسط عبدالمعطى. القاهرة : مدبولى.
٢١- منصور مغاورى وآخرون
1991 "أهمية الدراسات المستقبلية ومتطلباتها : رؤية في ضوء عدد من الخبرات المختارة " في مستقبل القرية المصرية : الأبعاد والتوجهات النظرية ، إشراف وتحرير عبدالباسط عبدالمعطى. القاهرة : المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية.
٢٢- نواف كنعان
1985 القيادة الإدارية . الرياض : الفرزدق التجارية
٢٣- هانى شكر الله
1999 الدولة المصرية من البونابرتيه إلى الأوليجاركية" في العولمة والتحولات المجتمعية في الوطن العربى إشراف وتحرير عبدالباسط عبدالمعطى. القاهرة : مدبولى.
24- Alkinson, Dave and Raboy, Mark.
1997 Public Service Broadcasting : The Challenges of the Twenty - First Century. Paris : United Nation Educational, Scientific and Cultural Organization.
25- Allaire, Y. and M. Firsirotu.
1984 Theories of Organizational Culture. Organization Studies. 5/3
26- Alutto, Joseph A. et al.
1973 " On Operationlizing the Concept of Commitment " Social Forces. V.51 (June)
27- Benglsson, Maria .
1998 Climates of Competition .Amsterdam : Gordon & Breach Publishing Group.
28- Black, J. Stewatt and Others
1999 Global Explorers : The Next Generation of Leaders. New York : Routledge.
29- Carnevale, David, G.
1995 Trustworthy Government : Leadership and

Management Strategies for Building Trust and High Performance. San Francisco : Jossey-Bass Publishers.

30- Chareonwong Sak, Kriensak & Chucheaw Eric Teo .
2000 Facing the Future : Eight Trends and Challenges. International Journal of Futures Studies. V. 4.

31- Clark, Burlon, R.
1996 Substantive and Innovative Organization : New Categories for Higher Education Research. Journal Citation. V32. No.4 Dec.

32- Clegg, Stewart, R.
1991 Modern Organizations Studies in the Postmodern World. London : SAGE Publications.

33- Colclough, Glennas & Tolbert, Charles .
2001 Transformations of High-Techlabor Markets and Socioeconomic Inequalities. Sociological Focus. V.34, No.3. August.

34- Coombs, Rod et al .
1992 Culture, Control and Competitions : Towards a Conceptual Framework for the Study of Information Technology in Organizations Studies. 13/1

35- Daft, L. Richard .
2001 Organization : Theory and Design . New York : South Western College Publishing.

36- Ely, Robin J. & Meyerson, Debra E.
2000 "Theories of Gender in Organizations : A New Approach to Organizational Analysis and Change" in Research in Organizational Behavior. Staw Barry M. and Sutton, Robert I. (Eds) V.22 . Amsterdam : Elsevier Science Inc.

37- Farey, Lian and Randall, Robert .
1998 "What is Scenario Learning" in Learning from the Future : Competitive Foresight Scenarios. Farey, Lian and Randall, Robert (Eds). New York : John Wiley & Sons, Inc.

38- Fewick. Tara-J.
1996 Limits of Learning Organization : A Critical Look. Canada : Nova-Scatia.

39- Fowler. Rena. K.
1998 " The University as Learning Organization for Innovation An Exploratory Study"

Journal Citation. V.59. No.3 May.
40-Gerth H. H. & Mills, C. Wright
1970 From Max Weber : Essays in Sociology. London : Routldge and Kegan Paul L. T. D.
41- Hall, Richard H.
1962 "Intraorganizational Structural Variations Application of Bureaucratic Model" Administrative Science Quarterly. V.7
42- Hall, Richard H.
1982 Organizations : Structure and Process, New Jersey : Prentice-Hall, Inc.
43- Hesselbein, Frances et al (Eds.)
1997 The Organization of the Future. San Francisco : Jossey Publishers.
44- Hodgetts, Richard M.
1998 Measures of Quality and High Performance. New York : American Management Association.
45- Hof-Stede, Geert.
1990 "Measuring Organization Cultures : A Qualitative and Quantitative Study Across Twenty Cases". Administrative Science Quarterly. V.35.
46- Huws, Ursula et al .
1999 Teleworking and Globalization : Toward a Methodology for Mapping and Measuring the Emerging Global Division of Labour in the information Economy. London : Sussex Univ.
47- Inglehart, Ronald and Baker, Wayne E.
2000 "Modernization, Cultural Change and the Persistance of Traditional Values". American Sociological Review. V. 65, (Feb.)
48- Katz, Daniel & Kahn, Robert
1978 The Social Psychology of Organizations, New York : John Wiley & Sons.
49- Kelly, James P.
1998 " The Loyalty Contract : Employee Commitment and Competitive Advantage" . Human Research Planning Society's Annual Conference . March, 23.
50- Lary, Lashway
1997 Visionary Leadership. Washington : Office of Educational Research and Improvement.
51-Leila, Ali et al.
1989 The Egyptian Bureaucracy. Cairo : American

University Press.
52-Linstead, Stephen and Robert Grafton. Small .
1992 "On Reading Organizational Culture" Organization Studies. 13/3 .
53- Mahony, Siobhan and Barley, Stephen .
1999 "Do Digital Telecommunications Affect Work and Organization? : The State of our Knowledge". in Research in Organizational Behaviour :An Annual Series of Analytical Essays and Critical Reviews V.21. Robert Sutton, Barry M. Staw (Eds).New York : An Imrint of Elsevier Science .
54- Mankin, Dan et al.
1996 Teams and Technology : Fulfilling the Promise of the New Organization. Boston : Harvard Business School Press.

55- Marquardt, Michael
1995 "Building a Global Learning Organization : Lessons from the World's to Corporations". Journal Citation. V. G. No4.
56- Meyer, John W.
2000 "Globalization : Sources and Effects on National States and Societies", International Sociology. June. V. 15 (2)
57- Oldman, Greg R. & Hakman, Richard
1981 "Relationships Between Organizational Structure and Employee Reactions : Comparing Alternative Frameworks". Administrative Science Quarterly. Vol. 26, No.1
58- Peters, B. Guy .
1984 The Politics of Bureaucracy. New York : Longman.
59- Petros, James & Vellmeyer Herry .
2001 Globalization Unmasked : Imperialism in the 21 st Century. London : Fernwood Publishing Zed Books.
60- Pettigrew, Andrew and Fenton, Evelyn. (Eds.)
2000 The Innovating Organization. London : Sage Publications .
61-Reed, Michael I.

1991 "The End of Organized Society : A theme in Search of a Theory" in A Flexible Future : Prospect for Employment and Organization, Paul Blyton and Jonathan Morris (Eds). New York : Walter de Gruyter.

62- Robbins, Stephen P.
1992 Essential of Organizational Behaviour. New Jersey : Prentice-Hall.

63- Sauer, Christopher et al .
1997 Steps to the Future : Fresh Thinking on the Management of IT Based Organizational Transformation. San Francisco : Jossey-Bass Inc. Publishers.

64- Smircich, Linda .
1983 "Concepts of Culture and Organizational Analysis". Administrative Science Quarterly. V. 28.

65- Smith, David .
1998 Developing People and Organization. London : Chartered Institute of Management Accountants.

66- Strati, Antonio .
2000 Theory and Method in Organization Studies. London : Sage Publisher.

67- Stella, Dixon .
1997 Strategic Approach to Processes Culture and Structures FEDA Bulletin V.1 No.15 Feb.

68- Stewart, Jim.
1997 Managing Change Through Training and Development . London : Kegan Page

69- Thayer, Frederick C.
1973 An End to Hierarchy! An End to Competition. New York. Franklin Watts.

70- Sullivan, Virginia .
1994 "Paradigm for the Future : The Knowledge Worker in the Learning Organization". Journal Citation. V.12 No.2.

71- Teck, Foo, Check.
1992 " Culture, Productivity and Structure : A Singaphore Study". Organization Studies. V. 13. No.4.

72-Therborn, Goran .
2000 "Globalization : Dimension, Historical Waves, Regional Effects, Normative

Governance". International Sociology, June, V.15 (2)

73- Turner, Barry A.
1992 "The Symbolic Understanding of Organizations" in Rethinking Organization. M. Read & M. Hughers (Eds.), London : Sage.

74- Welfens, Paul, J.
2000 "Globalization of the Economy and Options for Reform" in Economic Globalization International Organizations and Crisis Management. Richard Tilly & Paull J. J., Welfens (Eds.), Berlin : Springer-Verlog.

75- Werther, William B.
1998 "Loyalty of Work". Business Horizons . March-April.

76- Wilkins, Alan and Ouchi, Williams G.
1983 "Efficient Cultures : Exploring the Relationship Between Culture and Organizational Performance". Administrative Science Quarterly V.28.

77- Withey, Michael J. and Cooper, William H.
1992 "What's Loyalty?". Employee Responsibilities and Rights Journal V.5, No3.

ملحق (١)

جدول (٩)

أبرز العلاقات الارتباطية بين المتغيرات المستقلة ومدى توافر خصائص تنظيم المستقبل في تنظيمات الدراسة

الخصائص / المتغيرات	وضوح الأدوار	العمل وراء التعاقد	الثقة	العمل الفريقي	المعلوماتية	تقسيم العمل المرن	الولاء
السن	**٠,٢٢	**٠,٢٥	٠,٠٣	*٠,١٥	٠,٠٦-	**٠,١٩	*٠,١٨-
الدراسة	٠,٠٤-	٠,١	**٠,٢١	٠,٠٥-	٠,٠٣	٠,٠١	٠,٠٨
الموقع	*٠,١٧	**٠,٣٧	*٠,١٩	*٠,١٧	٠,٠٢-	*٠,١٥	٠,١-
الدخل	٠,١٣	**٠,٢٦	*٠,١٦	٠,١٢	٠,١١-	٠,١	٠,٠٤-
الإلمام بالحاسب	٠,٢١**	٠,١	٠,١٤	٠,١	**٠,٢	٠,٠١-	٠,١-
استخدام الحاسب	٠,٠٢-	٠,٠٥	٠,١-	٠,١	*٠.٥١ *	٠,٠٣	٠,٠٤-
الإلمام باللغة E	٠,٠٢-	**٠,٢	*٠,١٦	٠,٠٣	٠,١	٠,٠٧-	٠,١
الطموح لوظيفة أخرى	-٠,٢٦**	٠,٠١-	٠,٠١	٠,١	٠,٠٣	٠,١-	٠,١٢
تكرارية العمل	٠,١٢	٠,١٤	٠,٠١	٠,٠٠١	٠,٠٤	**٠,١٩	٠,٠٦-
الاتجاه نحو الفريق	*٠,١٧	٠,٠٨	٠,٠٨-	٠,١	٠,٠٣-	٠,١	٠,٠٢
أهمية الحاسب	٠,١-	٠,١٤	٠,١١-	٠,١٣	٠,١٤	٠,٠٥	٠,٠٤-
التعامل عن بعد	٠,٠٥-	٠,١	٠,٠١	٠,١	**٠,٢٣	*٠,١٧	٠,١-
الإدارة عن بعد	-٠,١٤*	٠,١-	٠,٠٢	٠,٠٤	*٠,١٦	٠,٠٣	٠,١
التدريب	*٠,١٦	*٠,١٨	٠,١-	**٠,٣١	**٠,٢٢	**٠,٣٥	٠,٠٠٣-
وضوح الأدوار		٠,٠٤	٠,١١	*٠,١٥	٠,٠١-	**٠,٢٣	٠,٠٨-
العمل وراء التعاقد			٠,٠٨	**٠,٢٣	٠,١	*٠,١٦	٠,٠٧-
الثقة				٠,٠٣	٠,١٣	٠,٠٤	٠,٠٣٣-
العمل الفريقي					٠,١	**٠,٢٩	٠,٠١
المعلوماتية						٠,١٤	٠,١-
تقسيم العمل والتزوج المرن							٠,١٤-

** الارتباطات ذات دلالة احصائية عند مستوى ٠,٠١

* الارتباطات ذات دلالة احصائية عند مستوى ٠,٠٥

ملحق (٢) ملخصات الدراسة
الخصائص البنائية والثقافية لتنظيم المستقبل
دراسة مقارنة لثلاثة تنظيمات بيروقراطية في قطاع الخدمات

مقدمة :

تتحدد مشكلة الدراسة الراهنة في التساؤل الآتي :

ما خصائص تنظيم المستقبل وما مدى توافر تلك الخصائص في التنظيمات البيروقراطية المصرية؟ . ومن ثم تحاول الدراسة الراهنة تحديد تلك الخصائص ودرجة تباين تلك التنظيمات فيما يتصل بتلك الخصائص والعوامل المؤثرة سلبا أو إيجابا فيها . إضافة إلى ذلك حاولت الدراسة تقديم أسلوب لتقدير موقع تلك التنظيمات على متصل التنظيم التقليدى / المستقبلى.

المنهج والأدوات والمجالين الجغرافي والبشرى :

استخدم الباحث منهجى المسح الاجتماعي والمقارن إضافة إلى تحليل تراث الدراسات المستقبلية للتنظيم ، واستلزم ذلك استخدام السجلات الرسمية والمقابلات المقننة والمفتوحة وأساليب القياس والتقدير . ولقد طبقت الدراسة الميدانية على ثلاثة تنظيمات في قطاعات التعليم والصحة والاتصالات على عينة قوامها ١٩١ مبحوثا .

النتائج :

١- تتحدد خصائص تنظيم المستقبل فيما يلى : تقسيم العمل وتدرج السلطة المرن ، العمل الفريقى ، الولاء نحو العملاء والمهنة ، استخدامات تكنولوجيا المعلومات ، الثقة الإيجابية ، النسق الموضوعى والمفتوح للجزاءات والعمل فيما وراء التعاقد ووضوح الأدوار والتنافسية ونمط القيادة الكوكبية.

٢- يمثل نمط هذا التنظيم أحد السيناريوهات المطروحة لتنظيم المستقبل المرتبطة بالتحولات العالمية وتقييد دور الدولة ويتطلب توافر مجموعة من المقومات المادية والثقافية.

٣- يمكن وضع التنظيمات البيروقراطية على متصل لخصائص تنظيم المستقبل ، ويتحدد هذا الوضع بعدة متغيرات : الإمكانات المادية والتغير الثقافي المجتمعى ونمط النظام السياسى وسيادة المهارات الخاصة (اللغة الأجنبية واستخدامات الحاسب وبرامج التدريب) وبناءات الفرصة المتاحة وأسس ممارسة السلطة ونسق المعتقدات والقيادة التنظيمية.

٤- استمرارية وضع التنظيمات البيروقراطية -التي خضعت للدراسة- على مستوى منخفض من خصائص تنظيم المستقبل.

Summary

The structural and cultural characteristics of the organization of the future: A comparative study of three bureaucratic organizations in the service sector.

Research Problem :

The research problem can be identified in the following : What are the characteristics of the organization of the future? To what extent can these characteristics be available in the Egyptian bureaucratic organization?

This study tries to identify the characteristics of these organizations and the degree of variance between the different organizations and the factors affecting them positively or negatively.

Methodology :

The researcher used a combination of comparative methodology and social surveying in addition to analyzing the literature of studies predicting the scenarios of future organizations. Official records, structured and unstructured interview as well as measuring and rating techniques were used.

The study was applied on three organizations in the education, health and communication sectors using a sample of 191 subjects of different levels.

Results :

- The following were found to be the characteristics of the organization of the future : flexible division of labor and hierarchy, team work, affiliation to clients and profession, information technology, positive trust, open and positive system of sanctions, working beyond contract, competitiveness, pattern of global leadership and visibility of roles.
- This type of the organization represents one of the

scenarios suggested for the organization of the future. Global transformation, restrictions on the role of the state affect this type of scenario. It also requires some material and cultural subsistence.

- Bureaucratic organizations can be placed on the continuum of the characteristics of the organization of the future.This position may be affected by material resources, societal and cultural change, type of political system, special skills (foreign language, use of computers, traning programs), structures of available opportunities, the bases of exercising authority beliefs system and pattern of organizational leadership.

  The three Egyptian bureaucratic organizations are still on a lower level as for characteristics of the organization of the future.

التوحد مع سارق نار المعرفة .. وإنسان ما بعد الحداثة

قراءة مقارنة بين إيهاب حسن وعبد الوهاب المسيرى *

د. هدى العقاد **

استحوذت أسطورة بروميثيوس على اهتمام كثير من الأدباء والمفكرين في الشرق والغرب. فبروميثيوس (سارق نار المعرفة من الآلهة في الأساطير الإغريقية، وواهبا البشرية لتبدأ حضارتها) يرمز إلى ذلك التوق البشرى للحصول على المعرفة مهما كانت الوسائل والسبل، وإلى تلك الرغبة الجارفة في تجاوز الحدود البشرية والتطلع إلى ما يفوقها.

ورغم ظهور هذه الشخصية في عصور سابقة في بعض الأعمال الأدبية (وخاصة في الأدب الرومانتيكى) ، إلا أنها قد اكتسبت في العصر الحالى أهمية خاصة، واتخذت معالم تتناسب والتطور التكنولوجى المطرد. ولقد رأينا أن نناقش الأبعاد الرمزية لهذه الشخصية ، خاصة المتعلقة بالنواحى المعرفية والثقافية والأدبية ، واخترنا أن نركز على فكر كاتبين بارزين، هما : إيهاب حسن (١٩٢٥) وعبد الوهاب المسيرى (١٩٣٨) ، لنوضح تلك الأبعاد الرمزية لهذه الشخصية من منظورين متقابلين.

---

* انبثقت فكرة هذه الدراسة من بحث ألقته الباحثة فى مؤتمر قسم اللغة الإنجليزية بمناسبة اليوبيل الذهبي لجامعة عين شمس، عام ٢٠٠١.

** مدرس الأدب الإنجليزى والأمريكى والمقارن، بكلية الآداب – جامعة عين شمس.

بينهما، إلا أن أسلوب الحياة الذي اختاره كلٌّ منهما يشير إلى الاختلاف البيِّن في الرؤية والتوجه. فكلٌّ من حسن والمسيري مصريُّ المولد، أمضى قسطاً من شبابه في مصر، وغادرها في بعثة حكومية للحصول على الدكتوراه في الولايات المتحدة، حيث نجح في الحصول عليها في الأدب الإنجليزي ـ الأمريكي، وأثبت تفوقاً ملحوظاً في هذا المجال. ولكن.. بينما فضَّل حسن التجنُّس بالجنسية الأمريكية وإثراء ثقافتها بفكره، آثر المسيري العودة إلى وطنه ومناقشة الثقافات والنظم المعرفية الكلية الوافدة من الغرب من منظور عربي إسلامي. ومع أن المسيري قد كرَّس الجانب الأكبر من اهتمامه لدراسة الفكر الصهيوني، إلا أنه نظر إليه أيضاً من منطلق معرفي ثقافي، واستطاع أن يضعه في منظومته الفكرية الموحَّدة التي تضم جميع اهتماماته.

اهتم كلٌّ من حسن والمسيري بالتغيُّر المعرفي والثقافي في عصرنا الحالي، وعلق عليه في العديد من أعماله. ومن أهم أعمال حسن التي ناقشت هذا التغيُّر: **أدب الصمت: هنري ميلر وساموبل بيكيت** (١٩٦٨) The Literature of Silence: Henry Miller and Samuel Beckett، و**تقطيع أوصال أورفيوس: نحو أدب ما بعد حداثي** (١٩٧١) The Dismemberment of Orpheus: Toward a Postmodern Literature، و**الأدب الأمريكي المعاصر ١٩٤٥-١٩٧٢** (١٩٧٣) Contemporary American Literature 1945-1972، و**أهداب النقد : تأملات سبع فى الزمن المعاصر** Paracricisms : Seven Speculations of the Times، و**نار بروميثيوس الصحيحة: الخيال والعلم والتغيُّر الثقافي** (١٩٨٠) The Right Promethеus Fire: Imagination, Science and Cultural Change.

ويُعلِّق حسن على اختياره عنوان كتابه الأخير قائلاً: إن كل عصر يختار بطله الأسطوري، وإن يرى أن بروميثيوس بسقطته التراجيدية المتمثلة في تحدي الآلهة هو أنسب الشخصيات تعبيراً عن عصرنا هذا ـ الذي اقترح حسن أن نطلق عليه عصر ما بعد الحداثة postmodernism، أو ما بعد الإنسانية (ما بعد الهيومانية) posthumanism ـ فبروميثيوس قد أصبح يرمز "لالتقاء العلم والأسطورة والتكنولوجيا واللغة والأرقام، ويبشر بزواج الأرض والسماء" (**نار بروميثيوس**، ١٩٣). ويرى حسن أن الخيال قد اكتسب تمكُّناً من العلم ورحابة من التكنولوجيا، وأن إنسان هذا العصر

قد توحد مع تلك القوة التي يرمز لها بروميثيوس. واعتبر حسن أن هذا التوحد من أهم سمات عصر ما بعد الحداثة، وأطلق على هذا التوحد مصطلح «الحلولية -imma nence». ويتفق المسيري مع حسن في أن تلك الرغبة في التوحد بين الإنسان وبروميثيوس تعبِّر عن الثقافة الغربية في مرحلة حداثتها الأخيرة، والتي يفضِّل المسيري أن يطلق عليها مرحلة «العلمانية الشاملة». ويحلل المسيري تلك النزعة الإنسانية للتوحد مع قوة خارجية في كثير من مقالاته وكتبه العربية والإنجليزية، ويطلق عليها مصطلح «الحلولية». ومن أهم مقالاته التي تتناول هذا الموضوع: **في أهمية الدرس المعرفي** (٢٠٠٠)، و **العلمانية والحلولية والتفكيكية Secularism, Immanence and Deconstruction** (٢٠٠٠). ولقد شرح هذا الموضوع أيضاً في كتابه **رحلتي الفكرية ـ في البذور والجذور والثمر: رؤية غير ذاتية غير موضوعية** (٢٠٠١)، وفي موسوعته التي ستصدر قريباً بعنوان **موسوعة العلمانية الشاملة: رؤية جديدة بديلة**.

بدأ اهتمام كلٍّ من حسن والمسيري بظاهرة الحلولية immanence أثناء دراستهما للأدب الإنجليزي الأمريكي. فلقد لاحظا ظهور هذه النزعة في الأعمال الرومانتيكية والحديثة، وناقشاها في أعمالهما النقدية المبكرة، وتتبعا تلك الظاهرة حتى وصلت إلى شكلها النهائي في العصر التكنولوجي الحديث. ولعل تحليل كلٍّ منهما لهذه النزعة وتعليقهما على التحول، الذي أصبحت تتصف به هذه الظاهرة، بتوحدها مع الفكر البروميثيّ في شكله الجديد ـ يوضح اختلاف توجه كلٍّ من المفكرين، ويعطي رؤية شاملة لها من منظورين متباينين، ألا وهما: ذلك الذي يحبذ حلولية الفكر البروميثي كنهاية للتاريخ الإنساني الهيوماني humanist، وذلك الذي يحذر من مغبة انحسار الفكر الهيوماني من منظور معرفي إسلامي.

في أواخر الستينات علَّق حسن على ظاهرة الحلولية immanence أثناء دراسته للأصوات المناوئة للتيار الرئيسي الأدبي. ففي كتابه **أدب الصمت** تحدَّث عما أسماه «لغة الصمت»، وهي تلك اللغة التي تستخدمها الأصوات المهمَّشة، خاصةً في الرواية الغربية. ووجد أنها تستخدم استراتيجيات تحاول عن طريقها أن تصل بخطابها إلى القارئ، وأن هذا الخطاب يحاول تفكيك القيم المعرفية والفلسفات الكلية المتعارف

عليها في فكر الحداثة. وأدرك حسن أن لغة الصمت غالباً ما ترافقها رغبةٌ في التوحُّد مع قوة خارجية، وأكد على أهمية التيار الرومانتيكي الأدبي في إظهار لغة الصمت والنزعة الحلولية. وعلق على احتفاء الأدباء الرومانتيكيين بهذه النزعة التي تقف الكلمات عاجزة عن وصفها قائلاً: "إنه أدب بدون كلمات، أو ـ لنكون أكثر دقة ـ أدب يحتقر كل شيء إلا اللغة في أقصى مراحل سحرها وبدائيتها" (**أدب الصمت**، ٢٢).

واهتم حسن في الكثير من أعماله بالنزعة الصوفية التي تطورت واكتسبت مكانة بارزة في عصرنا الحالي. فالأدب الصوفي mysticism عامة، وذلك الذي عُرف في العصر الرومانسي بالبانثيزم pantheism (وَحْدة الوجود، التي تتجلى في وَحْدة الإنسان مع الطبيعة كقوة يحلُّ فيها الخالق) هما في نظر حسن إرهاصان لصورة الحلولية في عصر ما بعد الحداثة (**أهداب النقد**، ٨٦). ففي هذه التجارب النفسية يتحد الإنسان مع الخالق والطبيعة، ويتجاوز حدود ذاته الإنسانية، ويصل إلى رحابة تفوق البشرية، وبذلك يتخطى مفهوم الزمان والمكان. ويعتبر حسن كلاً من وردزورث Wordsworth وكوليردج Coleridge ممثِّلين لظاهرة الحلولية في المرحلة الأولى، حيث إن كوليردج يتحدث عن رغبته في أن يوحِّد بين المتعدِّد والواحد. ويجد أن كلاً من كيتس Keats وشيلي Shelley يمثلان المرحلة التالية، فكيتس يتحدث عن "المقدرة السلبية" negative capability، وهي نوع من التوحد مع العالم الخارجي ينشأ من عجز العقل عن التوصل إلى حقائق يقينية. أما شيلي فيناقش مقدرة الإنسان على التجاوز من خلال عمله **بروميثيوس طليقاً** **Prometheus Unbound**، ويظهر أن الحب يستطيع أن يتجاوز الدوافع الشيطانية والرغبة في التمركز حول الذات.

ويعلق حسن على رواية فرانكنشتاين Frankenstein لماري شيلي Mary Shelley قائلاً: إنه يتفق مع هارولد بلوم Harold Bloom في أن هذا العمل الأدبي يبين ضرورة مواجهة النزعة البرومثية لأنها ترحب بتزايد الوعي مهما كان الثمن باهظاً، حتى وإن كانت الكاتبة لا تعي ذلك (**نار بروميثوس**، xiv). وهكذا استخلص حسن من دراسته أن لغة الصمت ـ أو ما أطلق عليها بعد ذلك ظاهرة عدم التحديد ـ غالباً ما تواكبها ظاهرة الحلولية immanence "فعلى حدود لغة الصمت يؤرق حُلْمُ الحلولية الأدب"، فيوقظه من تيار الأدب التقليدي (١١٨)

ويعطي حسن أهمية خاصة لولت ويتمان Walt Whitman كرائد للشعر الأمريكي، ولفكر ما بعد الحداثة. فيرى أنه، باحتفائه بالحلولية، قد عبَّر عن الوجدان الأمريكي، كما أنه تنبأ بمزاج عصر ما بعد الحداثة. فهو في أعماله يصف التجارب اللاتاريخية، وينظر إلى ما هو كائن الآن على أنه الأبدي، وإلى اللحظة الحالية على أنها الكمال، حيث روحُ الشباب وحكمة الشيخوخة (**لغة الصمت**، ٧). ويعلق قائلاً: "إن ويتمان لم يكن يخشى التاريخ كما يظن البعض، بل إنه كان يخشى فقط أن يُفسد التاريخ حُلمَه اللاتاريخي" (٤٥، ٤٦). ولذلك نجد أنه كان يتتبع إيقاع عواطفه في أعماله الأدبية ولا يخضع لمقتضيات التاريخ (٦٦). وفي كتابه **أهداب النقد** يشارك حسن الشاعر الأمريكي إعجابه بالحضارة الأمريكية، التي استطاعت أن تنفض عنها تاريخ العالم القديم، وتسعى لاستغلال طاقات العقل البشري، فتغزو القرن العشرين، وتضع في قبضتها القمر. فرغم اعتراف حسن: "إن أمريكا قد ساهمت بجشعها في صنع تاريخ مدمرٍ"، إلا أنه ما يزال يرسم لها صورة مستقبل مشرق، ويعلق قائلاً: "إن رجال ونساء أمريكا يحلمون بعالم يتجاوز الصراع والآلام.. عالمٍ إنساني ومتجاوز للإنسانية في نفس الوقت" (١٧٦).

ويؤكد حسن تفضيله الثقافةَ الأمريكية واتجاهَها الحلولي. فيعلق بأن الثقافة الأمريكية قد أحسنت صنعاً بنبذ التيار الثقافي الأوربي واعتناق ثقافة خاصة بها. ويرى أن ماثيو أرنولد Matthew Arnold قد جانب الصواب عندما قال إن مدخل الثقافة هو الانسجام والكمال، وإن غيابهما يعرِّض للفوضى وللأخلاقيات الفجة، كما هو الحال في الثقافة الأمريكية. ويعلق قائلاً: "إن أرنولد قد عجز عن سبر غور الثقافة الأمريكية. فالأشياء التي كان يراها غريبة وغير مستحبة ليس من الضروري أن تتعارض مع الكمال والانسجام الذي يجسِّد المثل الأعلى، فقد تكون تلك الصفات تعبِّر عن الحركة المستقبلية". ويستند على قول فوكُّو Foucault إن مصطلح الفوضى مثله كمثل مصطلح العدمية يُستخدم لرفض كل ما هو جديد. ويرى أن الوجدان الأمريكي يحبذ شكلاً للخطاب يختلف عن ذلك الذي يتبناه التيار الأوربي الرئيسي، وأن الخطاب الأمريكي يتسم بعدم التحديد والحلولية (**نار بروميثيوس**، ٩٧).

ويخلص من ذلك إلى أن تيار ما بعد الحداثة قد نقل ظاهرة الحلولية من الهامش

إلى المركز، وأن التيار الثقافي الأمريكي قد تجاوز حدود أمريكا وأصبح الآن تياراً عالمياً. ويوضح أن الإنسان في عصر ما بعد الحداثة لم يعد يطمح إلى التوحُّد مع قوة إلهية متجسِّدة في الطبيعة. فلقد توحد مع برومثيوس (سارق نار المعرفة) الذي يجسِّد التقدُّم التكنولوجي الحديث. وبذلك فإن ظاهرة الحلولية immanence قد نزعت عنها جميع المفاهيم الميتافيزيقية المرتبطة بالخالق، وأصبحت ظاهرة علمانية تعبِّر عن تقدُّم البشرية. ويُعلِّق حسن قائلاً: "إن فكرة وَحْدة الوجود الرومانتيكية مرت بتحوُّل إحيائي mutation حاسم، وإن كانت لا تزال تحتفظ بفكرة توحد الواحد والمتعدِّد، ولكن بصورة جديدة" (**تقطيع أوصال أورفيوس**، ٢٧١). ففي عصرنا الحالي خلعت الحلولية immanence ثوب القداسة، وأصبحت في حاجة إلى معادلة جديدة تختلف عن تلك التي كانت سائدة في العصور السابقة. فعندما توحد الإنسان مع نار برومثيوس التكنولوجية "اكتسب وعيُه رحابةً فاقت اتساع العالم كله، ومن ثَمَّ؛ فإن هذا الوعي قد امتد وتوحد مع المحيط الخارجي، وشكَّل تجربة صوفية جديدة، أكسبته معرفة مباشرة، لا تَحُدُّها قيود الفكر الهيوماني التي كانت سائدة في عصر الحداثة، والتي كانت تطوِّق الوعي الإنساني من جميع الجهات وتشكل تجربته" (**إشاعات التغير**، ١٣٣). ورغم أن حسن يدرك أن الشخصية البرومثية تنطوي على نقاط ضعف، إلا أنه يأمل أن تحصل الإنسانية على نار معرفية تخلو من تلك العيوب المرتبطة بالشخصية البرومثية. فهو يتمنى أن يتخلص برومثيوس الجديد من جنون غطرسته وذكائه الذي لا يستند على أساس، ومن تلك الأقوال الفجة التي ارتبطت بشخصية فاوست Faustus، وأن يهَبَ البشرية هذه المرة ناراً معرفية صحيحة تخلو من الأخطاء السابقة (**نار برومثيوس**، xiii).

أما المسيري، فقد لفتت نظرَه ظاهرة الحلولية في مرحلة مبكرة أيضاً، وذلك أثناء كتابته لأطروحة الدكتوراه التي قارن فيها بين وردزورث و ويتمان. وقد توصل المسيري إلى نتيجة تتفق ورؤيةَ حسن في بعض النواحي وتختلف في البعض الآخر فلقد لاحظ المسيري - مثل حسن - أن ظاهرة البانثيزم كنوع من الحلولية قد تطورت واتخذت شكلاً مخالفاً في عصر ما بعد الحداثة، وإن كانت لا تزال تحتفظ ببعض سماتها ولكن المسيري يؤكد أن الرغبة في الذوبان الكامل في الطبيعة ليست السِّمةَ الغالبة على الشعر الرومانتيكي الإنجليزي كما يظن البعض ورغم اعتراف المسيري

بأن بعض أشعار وردزورث تمثل ظاهرة الحلولية، إلا أن دراسته إياه قد أظهرت ـ بعكس ما يظنه الكثيرون ـ أن صفة الحلولية ليست بالصفة الغالبة في أعماله. فلقد توصل إلى أن أعماله الخالدة تصور النفس البشرية بتركيبتها المعقدة، في صراعها بين الرغبة في التوحد مع قوة خارجية، والقدرة على التجاوز والاعتراف بخصوصية الإنسان ككائن منفصل عن الطبيعة (**رحلتي الفكرية**، ٣١٥). ويوضح المسيري أن الشعراء الرومانتيكيين قد يلجأون إلى الحلولية لتقودهم إلى الإيمان. فهذه الحلولية تشعرهم بأن العالم ليس شيئاً مادياً فقط، بل إنه ينبض بالحياة والقداسة. ويعتبر المسيري أن هذه الخطوة يجب أن يتجاوزها الشاعر ليصل إلى "المبدأ الواحد الكامن وراء الأشياء المتعددة، المفارق لها". وأن هذا هو ما نجح فيه الكثير من الشعراء الرومانتيكيين بدرجات مختلفة. فمع أن البعض ظل حلولياً، مثل كيتس وشيلي، إلا أن البعض الآخر استطاع التجاوز ليصل إلى رؤية إيمانية حقة مثل وردزورث وكوليردج (٣٦١).

ويختلف تفسير المسيري لرواية فرانكنشتاين عن رؤية حسن. فالمسيري لا يرى أنها تنطوي على رغبة كامنة في اكتساب القوة البرومثية (كما يعتقد حسن)، بل يجد أنها تعكس خوف الإنسان الغربي من التحول الذي سيصيب البشرية من حلولية الإنسان في إنجازاته العلمية وخضوعه لقوانينها، والتجريب المتحرر من القيمة والغاية الذي يدمر إنسانيته ويفقده القدرة على التحكم فيما حوله (**العلمانية والحلولية والتفكيكية**،٧٢ ـ **رحلتي الفكرية**، ٢٠٩، ٢١٠). فالمسيري لا يعتبر الحلولية مرحلة يتجاوز فيها الإنسان طبيعته البشرية كما هي الحال مع حسن، بل إنه يؤكد أن تجاوز الإنسان لا يتحقق إلا بمعرفته قيمته ككائن يَفْضُل الطبيعة/المادة ويتجاوزها، ويأمل في الوصول إلى المُثُل العليا، ولكنه لا يصل إلى التوحد مع الخالق المفارق (**موسوعة العلمانية**).

تبعاً لذلك نجد أن المسيري يفضِّل تيار الفكر الأوربي الهيوماني على الاتجاه الأمريكي الحلولي. فبينما يظهر إعجابه برؤية وردزورث كممثل للفكر الأوربي، يُبدي اعتراضاً شديداً على رؤية ويتمان، التي تعبِّر عن الاتجاه الأمريكي الحلولي. ويؤكد المسيري أن دراسته لكلٍّ من وردزورث و ويتمان أظهرت له أن التشابه بين رؤيتهما

سطحي، إذ أنه لا يتعدى كونهما ينتميان إلى الفكر الرومانتيكي. ويوضح المسيري أنه وجد فرقاً كبيراً بين رؤية كلٌ من الشاعرين. فوردزورث لا يمكن اعتباره شاعراً حلولياً، فهو عندما يتكلم عن "العودة إلى الطبيعة" ؛ فهو يعود إليها فقط للحظات قصار" (رحلتي الفكرية، ٣١٥). ويرجع المسيري مقدرة وردزورث على تجاوز الحلولية إلى حسِّه التاريخي. "فوردزورث يُغازل الحلولية وحسب... ولكنه لا يسقط فيها أبداً"، إنها بالنسبة إليه "مجرد صورة مجازية أو لحظة. ولحظات الشَّطْح الصوفية لحظات مؤقتة". ويُعلق المسيري قائلاً: "إن الشاعر الذي يطلق عليه «شاعر الطبيعة» ليس بشاعر حلولي؛ فهو لا يفقد ذاته فيها، فهو يستند إلى تراث تاريخي قوي وإيمان عميق بالإنسان (وبالإله، الذي لا يتجلى في الصوت الداخلي فحسب، وإنما من خلال طقوس اجتماعية). وبالتالي ؛ فهو في واقع الأمر شاعر الإنسان في لحظات حزنه وفرحه" (٣١٣، ٣١٤).

وعلى قدر إعجاب المسيري بحسِّ وردزورث التاريخي وشعوره بخصوصيته كإنسان، كان تحفُّظه الشديد على أشعار ويتمان التي ترفض الاستناد إلى التاريخ وتطمح إلى الحلولية. فمع أن المسيري يتفق وحسن في أن رؤية ويتمان الحلولية هي مؤشر لمزاج عصر ما بعد الحداثة، إلا أنه يرفض ذلك الفكر الحلولي، ولا يشارك حسن إعجابه بتجارب ويتمان الشعرية. فويتمان بالنسبة للمسيري يرمز "للسيولة والعدمية واللامعيارية التي تهدِّد الإنسان" (٣٠٨). وقد توصل المسيري في أطروحته التي قدمها للحصول على الدكتوراه إلى أن نزعة ويتمان الحلولية هي التي تدفعه إلى الهروب من التاريخ ومن التركيبة الإنسانية. ويعطي المسيري أهمية قصوى لمدى إدراك الفنان للحس التاريخي، إذ أنه يعتبره مقياساً للنضج البشري، ولذلك فهو يعترض على طريقة ويتمان في عرض رؤيته، حيث يظهر التاريخ في أشعاره وكتاباته النقدية "كجثة وعبء ثقيل يحاول الإنسان قدر طاقته أن يتخلص منه، حتى ينطلق من نقطة الصفر (ونقطة الصفر هذه تشبه أمريكا التي رفضت التاريخ الأوربي لتبدأ من جديد بلا أعباء أخلاقية ولا تراث تاريخي)" (٣١٤). ولذلك فإن المسيري لا يصف أعمال ويتمان بأنها "لاتاريخية"، كما يفعل نقاد الأدب، بل إنه يؤكد أنها أعمال معادية للتاريخ، ومن ثَمَّ معادية للإنسانية. فإنكار ويتمان للتاريخ يؤدي إلى إنكار مقدرة النفس البشرية على تجاوز الطبيعة/المادة وهذا يقود بالضرورة إلى تفكيك الإنسان

وحرمانه من خصوصيته ككيان مركّب وحلوله في الطبيعة/المادة (٣٠٨)

ويشرح المسيري التحول الذي طرأ على الفكر الحلولي في أعمال ويتمان فيعلق قائلاً "إن شعر ويتمان حلولي صوفي مادي، يعادل بين الروح والمادة ويقرن بينهما (٣١٣). فقد لاحظ المسيري أن الطبيعة في أشعار ويتمان لم تعد تحمل تلك القيم الروحية التي يتغنى بها الشعراء الرومانتيكيون الإنجليز.. فشعر ويتمان يتغنى بالمادة والجنس والكهرباء والجاذبية الأرضية - التي يرى أنها تشبه الجاذبية الجنسية! - فالإنسان ما هو إلا جزء لا يتجزأ من الكون، ووعيه لا يتجاوز الطبيعة وعداؤه للإنسان - المركّب التاريخي - يترجم نفسه إلى عداء للتاريخ، يتضح في محاولته الوصول إلى نهاية التاريخ واليوتوبيا التكنولوجية". ويعلّق المسيري قائلاً: "إن ويتمان كان يرى أن أمريكا هي الفردوس الأرضي، قمة كل التطور التاريخي السابق، فهي دولة العلم والتكنولوجيا التي ستهدم التاريخ وتعلن نهايته" (٣١٤).

ومن هذا؛ يتضح أن تجربة ويتمان الشعرية تعتبر إرهاصاً لذلك النوع من الحلولية الذي يتحد فيه الإنسان مع إنجازاته العلمية الحديثة. وهكذا تحولت الحلولية من مفهوم ديني إلى مفهوم علماني. ويشرح المسيري ذلك قائلاً: "إن جوهر المثالية الأمريكية هو «علّموة» Scientize (نسبة إلى علم!) الروح والشرائع اليونانية" (٣١٤) ومن هذا يتبيّن أن النموذج المهيمن على الثقافة الأمريكية يشجع الفكر الحلولي المادي، بعكس الثقافة الإنجليزية التي تستند إلى تراث تاريخي طويل، يجعل معظم أدبائها يشعرون بأهمية تصوير النفس البشرية المركبة بكل أبعادها. ويعلق المسيري على دراسته للنموذج المهيمن بأنه لا يقصد بذلك أن جميع الأفراد يتصرفون طبقاً لتلك النماذج: فهو يعرف أن حياة الأفراد أكثر ثراءً وتركيباً من أي نموذج، ولكنه يريد أن يوضح الفرق في التوجه العام بين ثقافة وأخرى (١٥٩).

ولقد ضمّن المسيري بعد ذلك فكر الحلولية في منظومة تحليلية شاملة يشرح فيها وجهة نظره. فأوضح أنه رغم وجود المنظومات الحلولية كامنة في فكر الحداثة الغربي، إلا أننا لابد أن نتتبع هذه الظاهرة كنزعة فطرية يشعر بها جميع البشر وإن كانت قد تجد منا مشجعاً في بعض الثقافات. ورغم أن المسيري يدرك أن نزعة الحلولية لها جاذبية شديدة لدى الكثيرين، وذلك لأنها تخاطب نزعة كامنة فيهم - إلا

أنه يؤكد أنها لا تساعد الإنسان على التجاوز. بل هي نزعة بدائية ومنظومة المسيري التحليلية تتلخص في أن الإنسان ظاهرة مركبة لا يمكن أن تُردُّ إلى ما دونها الطبيعة/المادة فالإنسان تتنازعه نزعتان الأولى أطلق عليها «النزعة الجنينية» أو «الرَّحِمية»، والثانية أسماها «النزعة الإنسانية» أو «الربانية». وهو يرى "أن النزعة الجنينية نزعة حلولية تدفع الإنسان إلى التوحُّد مع قوة خارجية، إلا أنها نزعة هروبية من الواقع الإنساني إلى عالم بسيط أُحاديٍّ البُعد إنها رغبة في الارتداد إلى رحم الأم، حيث يعيش الجنين بلا حدود ولا قيود، ولا يفصله فاصل مادي أو معنوي عن رحم الأم" أما «النزعة الإنسانية» أو «الربانية» فهي التي تشجعه على "تجاوز الطبيعة/المادة وعالم المعطيات المادية والشيئية، نزعة حول انفصال الجزء عن الكل، والفرد عن المجموع، والإنسان عن الطبيعة" ولذلك فإن الإنسان يجب ألاَّ ينساق وراء النزعة الرَّحِمية، لأنها نزعة حلولية "ورغبة في الهروب من عبء الهُوية، والتركيبية والتعددية، والخصوصية، والإنسانية المشتركة، والقيم الإنسانية، والأخلاقية العالمية، والحدود (بمعنى العقوبة، وبمعنى التعريف، وبمعنى الحدود النفسية)، والزمان والمكان، والمقدرة على التجاوز **(موسوعةالعلمانية)**. فقيمة الإنسان هي في مقدرته على تجاوز النزعة الحلولية والتمسك بخصوصيته، ككائن حباه الله بنزعة ربانية ويخلُص المسيري من ذلك إلى أن الأعمال الأدبية الخالدة هي التي تصوِّر الإنسان كظاهرة مركبة، تتصارع فيها كلتا النزعتين، وأن أية ثقافة حلولية لا تستطيع أن تخاطب النفس البشرية بتركيبيتها المعقدة، وأن الثقافات الإنسانية التي يجب أن نحافظ عليها هي تلك التي تستند على منظومة تفسر النفس البشرية المركبة

ويتتبع المسيري تطور المنظومات الحلولية تاريخياً، سواء أكانت روحية أم مادية فيبين أن الحلولية الروحية قد عبَّرت عن نفسها في منظومات مثل الغنوصية اليهودية وغلاة المتصوفة، وأن الحلولية المادية يمكن تتبُّعها في الحركات الفلسفية العدمية - مثل السفسطائيين، الذين لا يجدون في العالم سوى الحركة -، وأن ما يجمع كلَّ تلك الفلسفات هو إنكارُها فكرة الإله المفارق والإنسان المنفصل عن الكائنات الطبيعية والمتجاوز للطبيعة/المادة **(موسوعةالعلمانية)** ويتفق المسيري مع حسن في أن المنظومات الحلولية كانت موجودة في مرحلة الحداثة في حالة كمون، ولكنه يختلف معه في رؤيته لفلسفة ما بعد الحداثة الحلولية فهو لا ينظر إليها كنهاية سعيدة

لمرحلة تطور في تاريخ البشرية، بل يجدها استفحالاً لظاهرة كامنة تهدد البشرية فالمشروع التحديثي الغربي، بتشجيعه للفكر العلماني secularism، أدى إلى تفاقم هذه الظاهرة. فقد استند هذا المشروع في مرحلته الأولى على فلسفة تفصل بين الدين والمجالات الاقتصادية، وذلك في نهاية القرون الوسطى. وتبع ذلك فصل الدين عن السياسة في عصر النهضة. ولكنه لم يتطرق إلى الأديان بقيمها الإنسانية، معتبراً أن ذلك من الأمور المرتبطة بالحياة الخاصة بالأفراد، ومن ثَمَّ فهي بعيدة عن اهتمامه ولا يجب التدخل فيها **(العلمانية والحلولية والتفكيكية)**. ولذلك؛ فقد مارس الأشخاص حياة مزدوجة، ففي العمل كانوا يتعاملون بمنطق الفلسفة العلمانية، وفي حياتهم الخاصة كانوا يخضعون للدين وقيمه. ويطلق المسيري على هذه المرحلة «العلمانية الجزئية» أو «العقلانية المادية الصلبة». ولكن هذه الفلسفة العلمانية ما لبثت أن تغلغلت في جميع أمور الحياة وأصبحت فلسفة علمانية شاملة" **(موسوعة العلمانية)** فأصبحت لكل علم مرجعيته، هي ذاته، وقوانينه بدون الرجوع لأية قيمة شاملة، سواء أكانت إنسانية أم أخلاقية أم دينية . وأصبح كل مجال في حالة توحد وانفصال عن غيره ويحتوي على مركزه ومعناه، وهذا أدى إلى عالم مجزأً منفصل عن القيم الإنسانية" **(في أهمية الدرس المعرفي، ٥٩)**. وشجع ذلك على قيام فلسفات حلولية لا تقف ضد الديانات العالمية التقليدية فحسب، وإنما ضد العقلانية المادية الصلبة أيضاً، أي ضد أية فلسفة ميتافيزيقية ويطلق المسيري على تلك المرحلة "العلمانية الشاملة" أو "الحلولية المادية السائلة" ويرى أن فلسفة هذه المرحلة هي التي أنتجت ذلك الفكر التفكيكي الحلولي لما بعد الحداثة. ويعلق المسيري قائلاً: "إن ذلك يفسر عودة الفكر الوثني الحلولي للظهور في الأعمال الأدبية، بعد أن فَقَدَ الإنسان إطاره المرجعي والمعرفي والأخلاقي. كما أنه يبين علة هذا الاتجاه الذي ينزع القداسة عن المقدس، ويخلع القداسة على غير المقدس ففي عالم الحلولية المادية السائلة يصبح أيُّ تمييز معرفي أو أخلاقي أو جمالي مستحيلاً" **(موسوعة العلمانية)**.

ولقد لاحظ المسيري تزايد الاهتمام بشخصية بروميثيوس كصورة مجازية تعبِّر عن توحُّد الإنسان مع المعرفة التكنولوجية. ورغم اتفاق المسيري مع حسن في أن هذه الشخصية تعبِّر عن ثقافة ما بعد الحداثة بعلمانيتها الشاملة، إلا أنه يرفض اعتبارها مجسِّدة للتيار الفكري العالمي فهذه الشخصية لا تصلح كمجاز يعبِّر عن

المجتمعات التي ما تزال تؤمن بالأديان الكتابية وقيمها المعرفية، فهناك تباين في الركائز الأولى لقصة الخلق بين التراث الديني والأسطورة الإغريقية. فصورة بروميثيوس، الذي سرق النار وأعطاها للبشر لكي تبدأ الحضارة البشرية، هي صورة تفترض أن العلاقة بين البشر مبنية على الصراع، حيث تكون الغلبة فيه لمن هو أقوى. وبذلك تشجع على الفكر الإمبريالي. كما أن هذه الصورة لا تنزِّه الخالق عن مخلوقاته، بل تجعله طرفاً في هذا الصراع، وبذلك تعتبره كمركز للكون موجودٍ بداخله. وهذا يختلف عن المعارف الإسلامية، التي توضح أن "الله نور السماوات والأرض"، أي أنه مركز غير منظور يمنح العالم التماسك، دون أن يَحُلَّ فيه (**في أهمية الدرس المعرفي**، ١٢، ١٣).

ويؤكد المسيري أن الوجدان العربي الإسلامي لا يمكن أن يتقبل فكرة الحلولية بين الإنسان وبروميثيوس. فعصيان بروميثيوس يشبه عصيان إبليس، الذي انتهى به المطاف إلى اللعنة الربانية. فتلك المعرفة التي يحملها إلينا بروميثيوس، في ثوبه الجديد، تشعرنا بالتوجس ؛ لأننا نتوقع أن تكون أيضاً منافية للقيم الإنسانية والأخلاقية والدينية. فمفهوم القيمة مرتبط بفكرة الحدود، والثورة البرومثية ثورة ضد الحدود، تماماً مثل الحلولية التي تزيل الحدود بين الخالق والمخلوق وبين الإنسان والطبيعة. إن هؤلاء الذين يروجون لتيار ما بعد الحداثة، ويتوقون للتوحد مع بروميثيوس ـ لن يختلف مصيرهم كثيراً عن فاوست، وذلك لأن بروميثيوس سيقدم إليهم علماً لا ينفع. فهم يعيدون قصة آدم الذي وقع في حبائل الشيطان وحاول أن يأكل من الشجرة المحرَّمة. إن تمجيد تلك الشخصية الأسطورية يظهر مدى تغلغل الفلسفة العلمانية الشاملة في نفوس البعض، مما جعلهم يتوحدون مع بروميثيوس ويقدسون الحياة المادية المنفصلة عن القيم. ويلفت المسيري نظر القارئ إلى أنه لا يعني بقوله هذا رفضَ التقدم العلمي ـ لأن ذلك أمر غير معقول طبعاً، ولكنه يرفض حلولية الإنسان في عالمِ التكنولوجيا المتجسدة في بروميثيوس، وخضوع الإنسان لقوانين المادة، التي لا تفرِّق بين الخير والشر والعدل والظلم (**رحلتي الفكرية**، ٢٠٢، ٢١١).

ومن هذا المنطلق نجد أن كلاً من حسن والمسيري يرسم صورة مخالفة للإنسان المتوحد مع بروميثيوس. فيرى حسن أن علينا أن نراجع ونعيد النظر في رؤيتنا re-

vision لإنسان هذا العصر. فقد لاحظ أن إنسان هذا العصر يمر بتغيير جذري، يجعلنا نعيد النظر في أفكارنا المسبقة عن النفس البشرية. فإنسان هذا العصر له مواصفات تختلف عن إنسان العصور السابقة، ولذلك فإن الفلسفة الهيومانية لم تعد تصلح له، وعلينا أن ندرك أننا في عصر ما بعد الهيومانية. "وأن خمسمائة عام من اعتناق الفكر الهيوماني قد تكون وصلت إلى نقطة النهاية. وأن الفلسفة اليونانية قد تكون تحولت، دون إرادتنا، إلى ما يمكن أن نطلق عليه ما بعد الهيومانية. إن شكل الإنسان بذراعيه ورجليه الذي أبدعه ليوناردو قد اخترق "الدائرة والمربع، اللتين كانتا تطوقانه، وانتشر في الكون!" لقد اكتسب وعيه رحابة لم يسبقها نظير، بعد أن توحد مع بروميثيوس في ثوبه الجديد (ناربروميثيوس، ٢٠١)

لقد فكَّك وعيُ الإنسان في عصر ما بعد الهيومانية النظريات الكلية، سواء أكانت تعبِّر عن مفاهيم دينية أم علمانية. وبذلك اكتسب إنسان هذا العصر قوةً وذكاءً إلهيين. ويلاحظ حسن التشابه بين تجربة إنسان ما بعد الحداثة وتجربة الغنوصية، فيعلق قائلاً: "إن تجربة إنسان ما بعد الحداثة في توحده مع بروميثيوس هي نوع جديد من الغنوصية، التي تحتفظ بالناحية الروحانية، ولكنها لا تزدري الناحية المادية ولا تراها شراً يجب التخلص منه لخلاص البشرية". ويقتبس حسن قول تيليارد دي شاردن Teilhard De Chardin وهو يقول: "إن مجالاً عقلياً noosphere سوف يغلِّف الأرض". ويعلق بأن عصر ما بعد الحداثة يعني موت الإنسان قائلاً: "إن هؤلاء المفكرين لا يعنون بالطبع الموت الحرفي للإنسان، ولكنهم يعنون انتهاء الصورة الإنسانية المتعارف عليها". ويرى حسن أن علينا أن نطور من فكرنا الفلسفي لنواجه موضوع الذكاء الصناعي المعقد، الذي لم يعد مجرد جزء من الخيال العلمي، بل إنه قد أصبح الآن جزءاً من حياتنا، يعيش بيننا ونتعامل مع إنجازاته بصورة متزايدة. ويتساءل عما إذا كان هذا الذكاء الصناعي سوف يتفوق على الذكاء البشري، أم أنه سيُكسبه فقط رحابة واتساعاً في الأفق. ويعلق قائلاً: "إنه لا يستطيع أن يجزم بما سيحدث، ولكنه يلاحظ أن الذكاء الصناعي - المتجسِّد في أبسط آلة حاسوب إلى أعقد عقل إلكتروني - قد ساعد على تغيير صورة الإنسان وعلى تعديل مفهوم ما هو إنساني". ويقتبس قول نوربرت وينر Norbert Wiener بأن الصورة الإنسانية المتعارف عليها قد تبعثرت، واكتسبت الذات سيولة، وأصبحت مادةُ الجسد الـ

وليست الحجر (**نار بروميثيوس**، ٢٠٣، ٢٠٤). ويأمل حسن في أن يستطيع الوعي البروميثي لإنسان هذا العصر أن يرتق جميع الصدوع، سواء أكانت داخلية في النفس البشرية أم خارجية بين البشر (١٩١).

وهكذا ؛ فإن الشخصية الأسطورية البروميثية اكتسبت في عصر ما بعد الحداثة شكلاً جديداً، وإن كانت لا تزال تحمل نفس المضمون الكلاسيكي، ألا وهو ذلك التَّوْقُ البشري للوصول إلى أقصى درجات المعرفة مهما كان الثمن. ويعلق حسن على ذلك الدور المجازي الذي يقوم به بروميثيوس في عصر ما بعد الحداثة قائلاً: "إن بروميثيوس ـ هذا الصوفي المتخطي للآلهة، والمراوغ، وواهب النار، وصانع الثقافة ـ هو الذي يقوم بالدور الرئيسي على مسرح أحداث الحياة الراهنة. إنه يقوم بعرض مسرحية الزمان والمكان وعذابه. أما نحن؛ فلقد توحدنا معه، وأصبحنا نقوم في هذه المسرحية بدورين في نفس الوقت: دور المتفرج، ودور المشارك في عرض مسرحية عذابنا وعبثنا!" (٢٠٧). ويرسم حسن صورة مجازية لإنسان هذا العصر، تعبِّر عن بعثه في حالة أفضل، قائلاً: "لقد توحدنا مع الأرض والسماء ونار المعرفة في صورة طائر العنقاء. نحن الآن نتحرك في عالم دائم التغيُّر، وحتى الموت قد أصبح عاجزاً عن أن يصيبنا بالإرهاق أو التعب" (٢٠٧). ويرجع هذا التغيُّر إلى قدرة العقل البشري فيقول: "لقد اتسعت الذات، وتجاوزت حجم العالم الضخم، بل وفاقته اتساعاً، حتى أصبحت الحقيقة هي إعلان عن قدرة العقل" (**أهداب النقد**، ٨٦). وهكذا يقدم حسن إنسان ما بعد الحداثة المتوحِّد مع نار بروميثيوس المعرفية بمزيج من الانبهار والرهبة.

ورغم أن حسن يتجنب الإدلاء بأية آراء يقينية (لأنه مؤمن بعدم التحديد في النقد)، إلا أن الصورة العامة التي يرسمها لإنسان ما بعد الحداثة تبدو متفائلة بهيجة. فهو يأمل أن تكتسب فلسفة ما بعد الحداثة كونيةً حلوليةً بسبب التقدم المطرد في وسائل الإعلام، وأن تستظل البشرية جمعاء تحت مظلتها. ويقتبس قول مارشال ماكلوهان Marshall Macluhan حين يقول: "إن العقل الإلكتروني يَعِد البشرية، بقدراته التكنولوجية، بظروف سعيدة تجعلها تبدو كأنها تحتفل بعيد جماعي تحصد فيه ما زرعته في السنوات السابقة pontecostal condition، حيث ستتضافر

الجهود، ولا يصبح أمام البشرية غير أن تخطوَ خطوة صغيرة، ما إن تتجاوزها حتى تتوحد المفاهيم، ألا وهي نبذ اللغات العديدة وتبني لغة موحدة" (١٢٢). فالحلولية في عصر ما بعد الحداثة هي توحُّد الوعي مع اللغات والإعلام والتكنولوجيا الجديدة، واكتسابه رحابة لم يسبق لها نظير. ويأمل حسن أن يُلغي هذا العصر المسافة بين الواقع والمثل الأعلى، وأن يكتسب الوعي قوته من إنجازاته العقلية (**إشاعات التغيُّر**، ١٣٣).

ومع أن تلك اللهجة المتفائلة بدأت تَخفُت في أعمال حسن منذ أواخر الثمانينيات، إلا أنه لم يستطع أن يخرج عن دائرة الفكر البرومثي الحلولي. فلقد أصبح حسن جزءاً من هذا العالم الذي ساهم في صنعه. يدور في فَلَكه، ولا يستطيع أن يتجاوزه. في الورقة التي قدمها في المؤتمر الثاني للنقد العالمي، المنعقد بالقاهرة سنة ٢٠٠٠، اعترف بأن فكر ما بعد الحداثة لم يحقق الآمال الواسعة التي كان يطمح إليها، ومع ذلك فإنه يأمل أن تستطيع الثقافة في عصر العولمة بمساعدة الإعلام أن توحد بين الشعوب. وهو يرى أن النزعة الحلولية البرومثية إذا استندت على الفكر البرجماتي الأمريكي المتمثل في كتابات وليم جيمس فإنها ستستطيع أن تنشر الحب بين البشر، فيتجاوزوا مرحلة الصراع، التي يرى أن سببها هو ذلك التمسك بالقوميات والتي يعتبرها سجناً للإنسان.

أما عن المسيري فقد وقف موقف المعارض لتلك الحلولية البرومثية منذ مرحلة مبكرة من عمره. فمع أنه يتفق مع حسن في أن توحُّد الإنسان مع التكنولوجيا والإعلام سيُغيِّر من صورته تغيُّراً جذرياً، إلا أنه ينفي تماماً تلك الصورة التي رسمها له حسن، سواء أكانت صورة البطل التراجيدي العبثي البرومثي، أم صورة الإنسان المستمتع بجني ثمار الإنجازات العلمية. أما عن صورة البطل البرومثي ؛ فإن المسيري يشك في أن الإنسان العادي يستطيع أن يقوم حتى بذلك الدور. فلقد لاحظ المسيري أن المجتمع الأمريكي في الستينيات - أثناء إقامته في الولايات المتحدة - كان قد بدأ يعاني من استفحال التيار المادي الحلولي، ومع ذلك فإنه نادراً ما وجد صورة "ذلك الإنسان الفاوستي، البرومثي، الذي يقف وحيداً في الكون يُملي إرادته. عالمه الداخلي من صنعه، وهو يحاول أن يفرضه على العالم الخارجي من حوله" ، فهذه

الشخصية لا توجد إلا في الأعمال الأدبية! ويضيف: "إن الغالبية الساحقة من الناس ليست عندها مقدرات نقدية عالية ووعي بالذات. وهي في حالة عدم الثقة بالنفس تستمد صورتها لنفسها من الإعلام" (**رحلتي الفكرية**، ٤٥).

أما عن توحُّد إنسان هذا العصر مع بروميثيوس المجسَّد لقوة التكنولوجيا والإعلام، فإن المسيري لا يرى فيه تلك الصورة البهيجة التي رسمها له حسن. فحلولية الإنسان في التكنولوجيا معناها خضوعه لقوانين الطبيعة/المادة. فهذا التعلق الشديد بالمنجزات التكنولوجية، والذي بلغ حد التوحُّد معها، في حاجة إلى مراجعة لدراسة مدى الفائدة التي تعود على البشرية منه. فَصْلُ القيمة عن العلم يجعلنا نتوجس من الاتجاه الذي تتجه نحوه الدراسات التكنولوجية، والعائد الروحي والنفسي الذي يعود منها على البشرية. فالمسيري لا يرفض التقدم العلمي، شريطة أن يكون في خدمة البشرية، وأن يخضع للقيم الإنسانية (٢١٢). أما إذا توحَّد الإنسان مع إنجازاته؛ فإنه سيخضع لمنطقها المادي الأحادي. ويضرب المسيري مثلاً بالتجارب العديدة التي أصبح التجريب فيها هدفاً في ذاته، مثل الاستنساخ البشري، ويتساءل عن الهدف منها، وما الذي يعود على البشرية من تشكيل مخلوقات مادية تخلو من المشاعر ومن الروح البشرية - التي لا يمكن أن يصل إلى كُنْهها إلا الخالق -، ويتساءل عن عواقب الأسلحة النووية وتجارب الهندسة الوراثية (١٦١، ٢٠٧، ٢٠٩). ويعلق بأن "التقدم العلمي قد أصبح هدفاً، بغض النظر عن العائد المعرفي أو الإنساني له، وبغض النظر عن مقدار البؤس أو السعادة الذي يجلبه للبشر" (٣١٩).

أما عن الإعلام؛ فإن المسيري لا يعتقد أن توحُّد البشرية معه سينتج عنه مجتمع متوحد متجاوز للمشاكل الإنسانية، كما يدَّعي حسن. فالتوحُّد مع الإعلام يؤدي فقط إلى تسلُّع الإنسان وتشييئه وتنميطه (١٦١). إنه نوع من الاستنساخ لأنساط موحدة تخضع لمتطلبات الشركات المتعددة الجنسيات التي تحاول أن تروِّج سلَعًا بأية طريقة. إنها تحوِّل العالم إلى ساحة واسعة يحكمها قانون العرض والطلب، حيث يصبح الهدف الحصول على أقصى درجات الربح. وبذلك تخضع البشرية لقوانين الطبيعة/المادة المعادية للتاريخ البشري، مدعيةً أنها بذلك تجعل من العالم كُلاً متجانساً.

ويؤكد المسيري أن قوة الإعلام تستطيع أن تتحكم حتى في الأحلام البشرية، وذلك لأن الشركات لديها خبراء متخصصون في الدوافع الإنسانية، يستطيعون بطرقهم الذكية أن ينمِّطوا البشر في مخلوقات ذات رغبات موحدة. ويعلِّق المسيري على السلع الاستهلاكية التي يروج لها الإعلام، مثل الهامبورجر والبلوچينز والديسكو، قائلاً: "إنها لا طعم ولا لون لها، ولا تنتمي إلى أي تشكيل حضاري، وإنما هي حضارة معادية للحضارة... تحاول تقويض كل التشكيلات الحضارية الأخرى، بما في ذلك الحضارة الأمريكية نفسها (رغم أصولها الأمريكية!) (٣٢٣). وهكذا يصبح الإنسان مخلوقاً أحاديَّ البُعد، "يتحكم فيه المصنعُ حيث يعمل، والسوقُ حيث ينفق نقوده، وأماكنُ اللهو حيث يتخلص من طاقته الزائدة. وإيقاع الحياة بهذا الشكل لا يشبع إلا الرغبات المادية فقط، ولا يضع في اعتباره أية نواحي أخرى للنفس البشرية. فيفقد الإنسان حِسَّه التاريخي، ويشعر بأنه في عالم يتوحد فيه الماضي والحاضر والمستقبل، كما يتوحد فيه الإنسان مع الأشياء والسلع. وهكذا يدور الإنسان في عالم لا مركز له ولا قيم، بعد أن فقد خصوصيته كإنسان مركب، اصطفاه الله من بين جميع مخلوقاته بتركيبته البشرية المميزة" (٣٨٤، ٣٨٥).

ويُطبِّق المسيري نفس منظومته الفكرية على المجال السياسي أيضاً، فيجد أن الفصل بين القيم والمجال السياسي قد نشر النظام الإمبريالي، الذي يجعل من بيده القوة يستبيح لنفسه استغلال الآخرين. فالفكر البرومثي الحلولي يتمثل في المجال السياسي في تلك الفلسفة المادية الإمبريالية التي تسعى لابتلاع الشعوب الضعيفة. فالعقل المادي عقل محايد لا علاقة له بالأخلاق، معادٍ للتاريخ، يُسقط مفهوم الإنسانية المشتركة (١٦٢). فنار برومثيوس ما هي إلا ذلك الفكر الدارويني المبني على الصراع، والذي يتنافى والقيم الإنسانية. وخضوع الإنسان لذلك الفكر يعني تقسيم البشر إلى نوع قوي يمتلك نار برومثيوس superman، ونوع ضعيف مستغَلٍّ subhu-man. وهذا أيضاً ما سيحدث على مستوى الشعوب. إن الشعب الذي سيتوحد مع نار برومثيوس سيعتبر نفسه قد وصل إلى نهاية التاريخ، وسيطلب من جميع الشعوب أن تخضع له. وهذا ما يدعيه فوكُوياما الذي يؤيد الفكر الأمريكي الليبرالي. ويطالب الجميع بأن يتبع ذلك النظام العالمي وينسى هُويته الثقافية.

ويضرب المسيري مثلاً بالنزعة الحلولية الفاوستية في المجال السياسي، فيشرح كيفية استناد إسرائيل على الفكر الحلولي الصهيوني لابتلاع أرض فلسطين وإنكار حق الفلسطينيين. فقد استغلت إسرائيل الفكر الحلولي، الذي يذيب الفوارق بين ما هو مقدس وما هو علماني، في تبني فلسفة علمانية عدوانية مدعيةً أنها فلسفة صوفية دينية! كما أنها استغلت انتشار الحس اللاتاريخي الحلولي في تجاهل تاريخ أرض فلسطين، وادعاء أنها أرض الوعد التي ظلت في انتظار عودة الإسرائيليين على مدى التاريخ، وحاولت إسرائيل إبادة الشعب الفلسطيني لتحقق فكرتها المعادية للتاريخ. وهذا يشرح السبب الرئيسي الذي يجعل الولايات المتحدة تساندها، فهي تشاركها فكرها الحلولي الدارويني المعادي للتاريخ (١٧٥، ١٧٦). فالفكر البرجماتي لن يستطيع أن يصحح من نار برومثيوس ويجعلها تنشر الحب بين الشعوب. إن هذا الفكر البرجماتي هو الذي يجعل كلاً من إسرائيل والولايات المتحدة عاجزة عن فهم السبب الإنساني وراء تمسك الشعب الفلسطيني بأرضه، ورفضه المنطقَ البرجماتي المادي الذي يعرض عليه بعض المكاسب المادية في مقابل التنازل عن أرضه (١٦١، ١٦٢). فمحاولات وليم جيمس البرجماتية تدور في فلك الفكر المادي الحلولي، حتى وإن حاولت أن تتجاوزه. فهي تبرز العنف المصاحب لسيطرة الجانب المادي، مدعية أن سفك الدماء ما هو إلا تطهُّر روحي للبشرية (**رحلتي الفكرية** ٣٢٣، ٣٢٧).

وهذا الاختلاف الواضح في النظرة المعرفية والتوجه الثقافي لكل من الكاتبين يظهر أيضاً في نظرتهما للأعمال النقدية والأدبية. فحسن يُعتبر من أوائل المنظرين لفكر ما بعد الحداثة، والمحبِّذين لطرق النقد والكتابة الأدبية التي تعتمد على الحلولية وعدم التحديد. ولا يشعر حسن بالقلق من ظاهرة عدم التحديد، وما ينطوي تحتها من تفكيك للنُّظُم المعرفية والنظريات الكلية في أدب ونقد ما بعد الحداثة. فهو يعلق قائلاً: "إن أدب ونقد ما بعد الحداثة، بتفكيكه لكل التقاليد والنظم المعرفية، يعلن موتَ الإله وموت الذَّكَر وموت المؤلف". ولكنه يعتقد أن ظاهرة الحلولية تستطيع أن تعوِّض ذلك النقص (**إشاعات التغيُّر**، ١٣٢).. "فعلى الفن أولاً أن يبدأ بالشك، ثم بتفكيك أو تجاوز أشكاله التقليدية التي يهيمن عليها التيار الرئيسي" (**الأدب الأمريكي المعاصر**، ١٨). فكما سرق برومثيوس النار الإلهية ليمنح البشر قوة تقارب قوة الآلهة، فعلى الناقد أن يتقمص دور برومثيوس ويساعد على تغيير أشكال الأعمال الأدبية. ويرى حسن

أن التيار الهيوماني لم يعد يناسب الأعمال الأدبية والنقدية لهذا العصر، لذلك فهو يطمح إلى نوع جديد من الكتابة لها سمات مختلفة. ويتساءل: "من منا لا يشعر بالملل من الرؤية الهيومانية وما تحمله من ندم وأفكار دينية ولغط يبعدا عن المخاطرة؟!" (**نار بروميثيوس**، xix). إن الأعمال الأدبية في عصر ما بعد الحداثة ستساعد الإنسان على أن يحلم بتجاوز حدودَه.. "ففي الأحلام تبدأ مسئوليات البشر في أن يصبحوا آلهة" (١٦٩). ويعلق حسن على العبارة السابقة بقوله: "إن الأدب عليه أن يعبِّر عن الرغبة في الوصول إلى وعي شامل لا يعرف القيود ولا الاختيار" (**أهداب النقد**، ٦٣).

ويرى حسن أن العلاقة بين الفنان وعمله الأدبي لابد أن تتغيَّر لتوائم التغيُّر الجديد في العالم. فكما توحد العقل البشري مع المحيط الخارجي، فإن الفنان أيضاً يجب أن يتوحد مع عمله الفني.. "لقد تجاوز العقل البشري حدود الجسد، وملأ العالم بحضوره، ولذلك فإن عقل الفنان قد أصبح هو والصفحةُ التي يكتب عليها شيئاً واحداً لا يمكن الفصل بينهما" (**تقطيع أوصال أورفيوس** ٢٦٧). ونظراً لأن الفنان سيتوحد تماماً مع العمل الذي يكتبه، فإن طريقة الكتابة والهدف منها سيتغيَّران أيضاً.. "فلن يبحث الفنان عن هدف لكتابته، ولا عن حسٍ نظامي لعمله. بل إن العمل الفني سيفضِّل فيه عدمُ القَصْدية، وذلك لأنه لا يزال في حيز التكوين، وليس عملاً ساكناً في حالة انتهاء" (٢٦٨). ويحبِّذ حسن ألا يكون هناك معنى كليٌّ للعمل الأدبي. بل إنه يشجع الفنان على تفكيك الافتراضات المسبقة، والكشف عن عشوائية القيود وجمودها. وهو يرى أن حلولية الفنان في النص تجعل الهدف من الكتابة هو الكتابة ذاتها.. "قيمة العمل في مدى إتقان الفنان لعرض حسه الفني التأليفي، وهو يلعب لعبة الحياة. وبذلك يتحرر الفنان من حسه التاريخي، فتختفي الأشكال التقليدية، وينسج عمله بحرية، ويغلب على كتابته عنصر التجريب" (**أهداب النقد**، ١٠٩). وبذلك تتحرر فانتازيا العمل الأدبي من المعادل الموضوعي، ويبشر بروحانية جديدة gnosti-cism (٥٨).

أما المسيري فهو يقف موقف الرافض تماماً للأعمال الأدبية والنقدية التي تشجع على حلولية الفنان في العمل الأدبي. وهو على العكس من حسن يرى أن النزعة التشاؤمية التي تظهر في الأعمال الأدبية في نهاية عصر الحداثة، كان سببها

غزو الفكر الحلولي. فلقد حاول الفنان الحلولي أن يعبِّر عن رؤية يبحث فيها عن الكلمة (لوجوس Logos) والمعنى (تيلوس Telos) في الطبيعة، وهو ما يُعرف بالنزعة الطبيعية المتجاوزة supernatural naturalism، وكان الأدب يعبِّر عن هذه المفارقة، وإن ظل الفنان يحتفظ بذكريات زمن بطولي إنساني لا يمكن استرجاعه، ولذلك اتسمت أعماله بالحزن والتشاؤم. أما في عصر ما بعد الحداثة، الذي توحَّد فيه الإنسان مع شخصية بروميثيوس الشيطانية، فإنه لا يستطيع حتى أن يستخدم عنصر المفارقة. بل إن أعماله قد أصبحت شذراتٍ ـ أو "كولاج" ـ، حيث أصبح التغيُّر هو السمة الغالبة على كل شيء، وتم تطبيع أحاسيس البشر، فلم يعد هناك اغتراب أو معاناة نفسية. ومن ثَمَّ اعتمد النقد على أشكال حلولية تُلغي المسافة بين الميتافيزيقي والطبيعي، وبين الطبيعة والإنسان. وهكذا فقَدَ النقد حِسَّه الإنساني المتجاوز (**رحلتي الفكرية ٤٣٠، ٤٣١**). ويعترض المسيري على طرق النَقد الحلولية، سواء أكانت في عصر الحداثة أم في وقتنا الراهن. فيجد أن النقد النصي Textual هو نقد حلولي لا ينجح في تقديم رؤية عن العمل الفني الذي أنتجه الإنسان كمخلوق مركب. فهذا النوع من النقد يحوِّل الإنسان إلى معادلات رياضية ولا يفكر فيه بأبعاده الإنسانية. كذلك، فإن النقد الذي يعتمد على التفكيك والحلولية في عصر ما بعد الحداثة يفشل في إيجاد صلة بين العمل الفني والقارئ. فهو يشكك في جميع القيم، ويمجِّد النزعة الحلولية ويعادي التاريخ، ولا يجد أمامه إلا مجرد اللعب بالألفاظ (٥١٠، ٥١٢).

ويخلُص المسيري إلى أن جميع المحاولات النقدية التي تمجد الحلولية لا تصلح لنقد الأعمال الأدبية. فالعمل الأدبي هو إبداع عقل بشري مركَّب، ولا يصح تناوله من منطلق حلولي أحادي. فالأعمال الأدبية يجب أن تُدرس كإبداعات للنفس البشرية التي تتصارع فيها النزعة الحلولية والنزعة الإنسانية المتجاوزة. ويذهب المسيري إلى أن الناقد يجب أن يتجاوزَ تلك المحاولات التي لا طائل منها، والتي تعتمد على اللعب بالألفاظ، ويوجِّه نقده إلى الأعمال الأدبية كتجليات للنفس البشرية المركبة الفذة التي وهبها الله البشريةَ.

وفي الختام.. يتضح من هذه الدراسة أن فكرة توحُّد البشرية مع بروميثيوس في ثوبه التكنولوجي الحديث قد أثارت مشكلة معرفية وثقافية وأدبية اتخذت اتجاهات

مختلفة. فلقد نزع بروميثيوس عنه قناع القائد المناضل الذي يلتحم مع الشعب ويحارب من أجلهم، والذي ارتبط به منذ المرحلة الرومانسية، وأصبح يعبِّر عن حلولية الإنسان في التكنولوجيا. ولقد رأينا أن نعرض لاتجاه الناقد إيهاب حسن المحبِّذ لهذه الحلولية، ومساهمة عبد الوهاب المسيري العربية الإسلامية في هذه القضية، والتي تعارض النزعة الحلولية البرومثية، حتى نستطيع أن نعمِّق دراسة الموضوع، بدلاً من أن نعرض وجهة نظر واحدة ونتجاهل الأخرى. وهذا لا يمنع من أن القارئ سيلاحظ أننا قد عرضنا وجهة نظر حسن لنفندها بالأدلة، ونوضح خطأ تبني المجتمع العربي الإسلامي لهذا الفكر الوافد من الغرب. ونحن نتفق مع المسيري بأن الغرب قد وهب البشرية فكراً إنسانياً ثرياً، علينا أن نستمتع بقراءته وأن ندرسه ونتفاعل معه، ولكن هذا أيضاً لا يعني أن نتقبل الفكر الحلولي البرومثي المتعارض مع ثقافتنا ومنظوماتنا المعرفية.

ولا شك في أن هذا الفكر البرومثي قد لقي بعض الترحيب في مجتمعنا لأسباب تتعلق بظروفنا الراهنة، ولقوة تغلغل الفكر الوافد عن طريق الإعلام، ولأن النزعة الحلولية ـ كما يقول المسيري ـ لها جاذبية شديدة فطرية. ومع ذلك.. فإننا نستطيع، بتمسُّكنا بهُويتها الثقافية وما تحمله من قيم معرفية، أن نقاوم هذا التيار، ونرفض التوحد مع **نار بروميثيوس**. فهذه النار لن تَزيد من سعادتنا، ولن تقود أرواحنا إلى طريق الخلاص.. بل إن لهيبها سيدمِّر إنسانيتَنا!

المراجع باللغة العربية

١ ـ المسيري، عبد الوهاب. **رحلتي الفكرية ـ في البذور والجذور والثمر: سيرة غير ذاتية غير موضوعية**، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠١.

٢ ـ المسيري، عبد الوهاب. **في أهمية الدرس المعرفي: نحو نظام معرفي إسلامي**، المحرر: فتحي حسن ملكاوي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مكتبة الأردن، عمان ٢٠٠٠.

٣ ـ المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة العلمانية** (تحت الطبع).

المراجع باللغة الإنجليزية

1- Elmessri, Abdel Wahab. "Secularism, Immanence, and Deconstruction". **Islam and Scularism in the Middle East. Eds.** John Esposito and Azzam Tamimi, London: C Hurst and Co., 2000, 52-80.

2- Hassan, Ihab. **Contemporory American Literature**, 1945-1972: An Introduction. New York: Ungar, 1973.

3- Hassan, Ihab. **The Dismemberment of Orpheus: Toward Post Modern Literature**. New York: Oxford Up, 1971.

4- Hassan, Ihab. **The Literature of Silence: Henry Miller and Samuel Beckett**. New York: Knopf, 1967.

5- Hassan, Ihab. **Paracriticisms Seven Speculations of the Times**, Urbana: Illinois Up, 1975.

6- Hassan, Ihab. **Rumors of Change: Essays of Five Decades**. Tuscaloosa and London: Albana Up, 1995.

7- Hassan, Ihab. **The Right Promethean Fire: Imagination**, Science and Cultural Change Urbana: Illinois Up, 1980.



صوت الآخر
قراءة فى نماذج من الشعر السعودى

د . عبدالله بن محمد العضيبى*

شكلت الذات محور التجربة الشعرية عند الشعراء المعاصرين، إذ كانت آمالهم وآلامهم واحباطاتهم ونزواتهم مصدراً تنهل منه نصوصهم الشعرية. وقد كان للرومانسية - دون شك - دور مهم فى هذا الاهتمام بالذات. غير أن ذلك لا يعنى إنغلاق الشعراء التام على ذواتهم، فقد كانوا يتجاوزون هذه الذوات للتعبير عن بعض التجارب التى تتسم ببعدها الإنساني. ومن ذلك التعبير عن تفاعلهم مع بعض النماذج الإنسانية.

والقارئ للنتاج الشعرى لهؤلاء الشعراء يلمس بروزاً لظاهرة أسلوبية لديهم، وذلك يتمثل فى الحضور الكبير لضمير (الأنا) فى نصوصهم الشعرية. ولا شك أن للذاتية دور في تكريس هذه السمة لديهم. وإذا كان هذا الاستخدام يبدو مألوفاً فى تلك النصوص التى تعبر عن ذواتهم باعتبارها تعكس تجاربهم الخاصة. فإننا نقف لديهم على نصوص أخرى يستخدمون فيها هذا الضمير دون أن تكون هذه النصوص انعكاساً للذات، وإنما جاءت صدى لتفاعل الشاعر مع بعض النماذج الإنسانية - بغض النظر عن طبيعة هذا التفاعل إيجابياً كان أو سلبياً - إذ أراد التعبير عنها من خلال تقمصها.

وربما يتساءل القارئ لهذه النصوص الشعرية عن تلك البواعث التى كانت وراء استخدام هؤلاء الشعراء لهذا الأسلوب فى التعبير عن الآخرين، والعدول عن أسلوب أكثر شيوعاً وهو استخدام ضمير الغائب باعتبار التجربة التى يعبر عنها الشاعر ليست ذاتية.

في تصورى فإن هناك عدة بواعث يمكن القول إنها كانت تكمن خلف ذلك، وهى تتمثل فيما يلى:

* أستاذ الأدب المشارك، بكلية اللغة العربية، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية.

١ ــ اعتــيادهم على استخدام ضمائر الذات في نصوصهم الأخرى ، فلم يرغبوا في التخلي عنها عند التعبير عن الآخرين .

٢ ــ شــدة تفاعــلهم مع هذه النماذج الإنسانيـــة ؛ مماجعلهم يمنحونها أصــواتهم ، لتكون معبرة عنها وقادرة على عكس مايتردد في أعماقها من هموم فهو نوع من التبني لهذه القضية التي يعبر عنها النص .

٣ ــ إدراكهــم لمــا في ضمير المتكلم من قدرة في التأثير على القاريء ، وإثــارة انفعالاته ، حيث يشعر أنه يستمع لصوت الأنمــوذج الذي يعبر عنه النص الشعري ، وهذا مايساعد بالتالي على تفاعله معه إيجاباً أو سلباً وفقــاً لغاية الشاعر .

٤ ــ الرغــبة في اتخاذ بعض هذه النماذج قنــاعاً يتوارى خلفه الشاعر ، للتعبير عن بعض أفكاره وهمومه الذاتية ، حيث تتسلل هذه الأفكار في ثنايا النص بشكل أو بآخر .

ومن خلال قراءة للشعر العربي الحديث في المملكة العربية السعودية ، يقف الباحث على العديد من النصوص الشعرية التي تتخذ هذا الإطار . وسأحاول في هــذا البحث قراءة عدد منها ، للكشف عن طبيعة النماذج التي عبر عنها الشاعر في هــذا الإطــار ، ومدى قدرته على التعبير عنها ، وهل كانت رؤيته الخاصة ظاهرة في النص أم حاول أن يخفيها ؟

(١)

وأولى هــذه القصائد هي قصيدة (ميلاد إنسان) للشاعر عبدالرحمن محمد المنصور ، إذ يتقمص فيها شخصية ابن فلاح يعاني من سطوة دائنه الذي يستولي

علــى نــتاجه الزراعي ، بينما ليس له من هذا النتاج إلا بذل الجهد . والقصيدة تتكون من أربعة مقاطع ، كما أنها تتخذ من السرد إطاراً تعبيرياً لها .

والشــاعر يكشــف فيها عن مأساة الأنموذج الإنساني الذي يعبر عنه مع استهلال قصيدته ، إذ يقول : (١)

العيش والمحراث والفأس الثليم

والأرض نزرعها ويحصدها الغريم

فالشــاعر يحشــد في هذا المفتتح مجموعة من الدوال التي تتضــافر لتشكيل ملامــح تلك المأساة . وإذا كانت مفـــــردة (الثليم) تشير إلى الفقر الذي يعانــيه الفلاح ويضطره للاستدانة ، فإن السطر الثاني يكشف عبر المفارقة التي يبعــثها اخــتلاف الفاعل بين الفعلين المضارعين (نزرع ، يحصد) ، عن غياب العدالــة التي تقتضي اتحاد الفاعل في كلا الفعلين . ومما يعمق هذه المفارقة أن هذا الفــاعل الجماعــي جاء ضميراً مستــتراً (نزرعهـــا) ، بينمــا جاء الآخر ظاهــراً (ويحصدها الغريم) . أما استخدام الشاعر لصيغة المضارع فجاء لدلالته على الحاضر والمستقبل ، وهو مايوحي بأن المعاناة مستمرة .

وكآبة خرساء ..تقضمنا على مر السنين .

لا فرحة

لا بهجة

غير الكآبة والأنين

ويصــور هذا الجزء من القصيدة انعكاس الواقع المأسوي على الأنموذج من خــلال تصوير واقعه اليومي . حيث تسير الحياة على وتيرة واحدة تغلفها الكآبة (دلالــة الحزن) ، والخرس (دلالة الاستسلام وعدم المقاومة) . ويعكس الفعل (تقضــمنا) ومايحمله من إيحاءات الاستسلام والألم ؛ أن الأنموذج أصبح فريسة لواقعــه لزمن طويل . مع غياب أي تفاعل إيجابي مع الحياة ، حيث تأتي الرموز

الـــتي تدل على ذلك مصحوبة بأداة النفي (لافرحة ، لابهجة) . بينما تأتي أداة الاســـتثناء (غير) وماتلاها ، لا لتشير إلى بصيص أمل حول تغيير الواقع ، وإنما لـــتؤكد على استمراره . ولهذا تأتي خاتمة هذا المقطع تكراراً لتلك الجملتين اللتين تجسدان أزمة النص للدلالة على استمرار الواقع المؤلم .

والأرض نزرعها ويحصدها الغريم

ويســـتهل الشاعر المقطع الثاني بنبرة إيمانية دل عليهـــا الدعـــاء . وينم الاستفهام فيه عن شعور بالقلق والخوف واليأس . إذ يستدعي النص أنموذجاً من الواقـــع الـــذي يصوره متمثلاً في الساقية ، حيث يضفي الأنموذج عليها مشاعره الذاتـــية . فنحن أمام مأساة أخرى تتكرر . فالساقية لاتختلف عن الأنموذج حيث تســـير أيامها على الوتيرة ذاتها (أبداً تئن ، فصباحها كمسائها) ، وهذا الواقع لـــيس حالـــة آنية ، وإنما أزليـــــــة (عبر القرون) . إن الساقية ـــ من خلال أنســـنتها ـــ تغدو معادلاً موضوعيـــاً لهذه النماذج الإنسانية التي يعبر عنها هذا النص.

رباه : هل نبقى كهذي الساقية

أبداً تئن

فتضحك الأقدار منها هازئة

أبداً تئن

فصباحها كمسائها

مكلومة تشكو على مر القرون

والناس تحسب شجوها الباكي لحون

ومـــا يزيد من هذه المعاناة أن الآخرين يمتلكون رؤية خاطئة له ممايعني عدم شعورهم بمأساتها الحقيقية .

فرمى أبي المحراب وأنثالت شجون

لاتجزعي

فلقد تباركنا الحياة فتفرحين

ويبعث الفعل (فرمى) في مستهل هذا المقطع على التساؤل عن دلالته في ضوء غياب المعطوف عليه ، فهل يدل على الغضب أم التعب ؟ . إن الدلالة الأخيرة ــ في تصوري ــ هي أكثر قرباً ، ذلك أن الجملة التي تلتها توحي بذلك . أما صوت الأب فإنه يعكس حلماً بتجدد الأمل عبر دعوته إلى الانتصار على مرارة الواقع (لا تجزعي) ، والاستمرار في تعاطي الأمل (فلقد تباركنا الحياة فتفرحين) .

غير أن مرارة الواقع تبدو أكثر حضوراً من جاذبية الحلم :

فتهاملت منها الدموع

وتلاعبت فيها ظنون

ورغم هذا الشعور بالحزن والقلق ، ينبعث في داخل الأم شيء من الأمل ، يكشف عنه ذلك الدعاء الذي تردده :

ويشب في أعماقها لهب حنون

رباه فاجعل بكرنا .. هذا الجنين

عوناً .. على دهر تمضمنا خئون

وإذا كان مرور الزمن مأساوياً في مقاطع القصيدة السابقة ، فإنه يتخذ شكلاً آخر إيجابياً في المقطع الأخير . حيث يأتي مرور الزمن (وتمر أعوام) واعداً بقدوم عهد جديد . حيث يوحي الفعل (حملق) بانبثاق رمز هذا العهد ، بينما يتأخر ظهور الفاعل ويستغنى عنه بدال واحد(شئ) عبر تكرار أوصافه (صغير ، فظيع ، تضيق به الطريق) . إذ تجسد هذه الصفات بتتابعها مايحمله من تحول ، إذ تتناقض صفاته مع حجمه ، حيث يتحول في النهاية إلى (طفل ملامحه

رضيع) . إن الطفل هنا يرمز إلى الأمل الذي يعد به المستقبل ، والذي تتحقـــق من خلاله رغبـــة الأم (عوناً) . فالتناقض بين الصفات والموصوف إنما يرمز إلى المستقبل .

وتمر أعوام

وحملق في القطيع

شيء صغير

شيء فظيع

شيء تضيق به الطريق

طفل

ملامحه

رضيع

واختـــيار الشاعر للطفل ليكون راوياً لهذه المأساة إنما جاء إدراكاً منه بـــأن المأســـاة أكثر إيلاماً له من غيره ، كما أنهـــا قد تكون أكثر تأثيـــراً على القاريء .

(٢)

ويشكل هذا النمط حضوراً عند سعد البواردي ، إذ نقف لديه على العديد مـــن النصوص الشعرية التي تأتي في إطاره . حيث يستدعيه في التعبير عن قضايا أمته ، بل وقضايا المقاومين للاستعمار في العالم .

ومـــن ذلك قصيدته (سلاح الكفاح) التي يستهلهـــــا بمقدمة يقول فيها " سلاح ماض قهر به الجزائريون أعداءهم " (٢) .

والقصـــيدة تتكون من مقطعين ، وكل مقطع يقوم على حركتين . وكلا المقطعـــين يعكسان المعاناة التي يعيشها الإنسان الجزائري في ظل الاستعمار . إذ

تعـــيش الذات في تواصل مستمر مع واقعها المأسوي الذي تفتقد عبره إحساسها بالحياة .

فالمقطع الأول يقوم على تكثيف عدد من الدوال التي تتوالى مسبوقة بحرف الجـــر مؤكدة على فاعليتها جميعاً . إذ تتولد من خلالها العديد من الدلالات التي تعبر عن معاناة الذات والآخر ، فيمتزج فيها الألم بالعذاب والحزن والحرمـــــان والخوف والإحساس بالزمن ، ممايجعل الحياة جحيماً لايطاق : (٣)

بدمي ..

بالدمعة الحرى ..

بآهي ..

بقيودي ..

بأنين الطفل .. والثكلى ..

بإيمان وجودي ..

بالأسى ..

بالجوع ..

بالحرمان ..

بالحقد العنيد ..

بركام الليل ..

بالأشباح

بالسهد ...

وبالجرح الجديد ..

بلهيب السوط ..

بالتنكيل ..

بالآتي ..

وبالماضي البعيد ..

بالذي ألقى سلاحاً ..

في يدي يصنع عيدي

وينتهي هذا المقطع بقوله :

من هنا يدوي صياحي

من هنا يأتي صبـــاحي

من هنا ألقى سلاحي

من هنا تحكي جراحي

وهـــذه النهاية تعكس فاعلية المعاناة التي يعيشها الأنموذج في تحريض الذات على مواجهة واقعها ، والسعي إلى تجاوز معاناتها ، حيث يتحول الواقع المرير إلى باعث على التحدي والانتصار على الجراح .

ويـــأتي المقطـــع الثاني امتداداً لسابقه عبر التأكيد على مأسوية الواقع الذي يعيشـــه أنمـــوذج النص . إذ يستدعي الشاعر عدداً آخر من الدوال التي تتحد في سياقها النصي ، وعبر علاقاتها مع الدوال الأخرى المرتبطة بها كاشفة عن حرمان تـــام يعـــاني منه الأنموذج . مجسدة عبر انعـــدام تحقيقها كما تدل الجمل المنفية (ماأعطيتها ، ماأبصرتها ، ماأحسستها ، ماألفيتها) ، واقعاً مؤلماً يعكس حالة من الجوع والعري والحزن والضياع .

كسرة من خبزة سوداء

ما أعطيتها ..

أيام جوعي ..

قطعة من خرقة رثاء

ما أبصرتها

توري ضلوعي

مسحة من لمسة سمحاء

ما أحسستها..

ترقى دموعي ..

شمعة في الليلة الليلاء

ما ألفيتها

تهدي جموعي

ويختتم هذا الجزء بتساؤل يكشف عن حتمية رفض هذا الواقع وضرورة تغييره ، في ظل الإيمان بوجود القادرين على الأخذ بالثأر (وماشحت ربوعي).

كيف لايدفعني الثأر

وماشحت ربوعي

بينما ينتهي هذا المقطع بتكرار ذلك الجزء الذي انتهى به المقطع السابق والذي يؤكد — كماذكرنا سابقاً — فاعلية المعاناة في تحريض الذات على مواجهة الواقع وتجاوزه ، إذ يقول الشاعر :

من هنا يدوي صياحي

من هنا يأتي صباحي

من هنا ألقى سلاحي

من هنا تحكي جراحي

إن الشاعر رسم عبر الجزء الأول في كلا المقطعين صورة سوداء لحياة الأنموذج الذي يعبر عنه ، وهذا التصوير الذي قد يبدو متسماً بالمبالغة ، إنما جاء ليفسر حتمية الكفاح ضد المستعمر الذي يشكل احتلاله واقعاً مراً ينبغي مقاومته .

(٣)

كمايشكل هذا النمط بروزاً عند الشاعر عبدالله العثيمين ـــ أيضاً ـــ الذي تـــتعدد نصوصه الشعرية التي تتخذ هذا الطابع . ومن ذلك قصيدته (أنا عاله) . والشـــاعر يقـــدم لنصـــه بقوله " أحاسيس واعتراف عاطـــل عن العمل فاقـــد للحركة " (٤) .

وتستهل القصيدة بجملة العنوان ، التي تتكرر في مفتتح كل مقاطع القصيدة الأربـــع ، حيث يعكس تكرارها عمق المعانـــــــاة التي يعيشها هذا الأنمـــوذج الإنساني ، مع واقعه الصعب الذي يشعر فيه بمدى سلبيته .

أنا عاله (٥)

همسة جاد بها فكري وأبداهـــــا لساني

واعتراف خطه في مطلع الطرس بنـــاني

والاعـــتراف بمـــثل هذه الحقيقة فعل يتسم بصعوبة تقبـــــله على النفس الإنسانية ، من هنا فإن اعترافه يتخذ طابعاً تدرجياً ، إذ يبدأ مجرد همسة يجود بها فكره ، ثم يتحول إلى عبارة منطوقة ، ثم مكتوبة ، وكأنه عبر هذه المراحل يعكس صـــعوبة هذا الاعتراف . وإسنـــاد الفكر ـــ اللسان ـــ البنان إلى هذه الأفعال هـــو مؤشر يقصد به إضفاء السلبية على هذا الأنموذج ، وهو ماتكشف عنه بقية القصـــيدة ، الـــتي تفسر بعد ذلك مأسوية الموقف الذي يحياه . حيث تشير إلى موقف الرفض الذي يواجهه ، عبر تصوير رؤية العالم له .

ملني صدر الحياة الرحب أسأمت زماني

وتحاشت مقلة التاريخ كـــــبراً أن تراني

لم أعد أثبت في الدنيا وجودي وكيـــاني

والدوال الثلاثة (صدر الحياة ، الزمان ، مقلة التاريخ) ، جاء استدعاؤها للتأكيد عـــلى سلبية هذا الأنموذج ، حيث تشير الأفعال إلى حالة العزلة التي يحياها ، إذ

كـــان في موضع المفعول به إما لفظاً (ملني ، تحاشت) ، أو معنى (أسأمت) . وتـــأتي الجملـــة المنفية في نهاية هذا المقطع تفسيراً لهذا الموقف ، حيث تؤكد عدم فاعليـــتـــه الحقيقية . كما أن الشاعر يوظف ـــ في هذا السيـــاق ـــ عدداً من المفـــردات التي توحي بشدة الرفض لهذا الأنموذج وازدرائه (الرحب ، تحاشت ، كبراً) .

أنا عاله

مستكين لم أزاول أي جهد بيديـــــــه

مستقر لم أحرك أي ظرف قدميـــــــه

مستدر أتغذى من فتـــــــات البشريه

أنفق الأيام بحـــشـــــاً عن يد تحنو عليه

عن أكف تصنـــــع القوت لتهديه إليه

ويشكل هذا المقطع امتداداً للبيت الأخير في المقطع الأول ، إذ يأتي تفصيلاً لدلالـــته . حيـــث يتحول الخبر (عاله) إلى مفردات أخرى تؤكد ماتحمله هذه المفـــردة مـــن دلالة على سلبية الأنموذج الذي تعبر عنه . فهي تأتي متبوعة بجملة منفية عند أي فعل إيجابي (مستكين + لم أزاول أي جهد ، مستقر+ لم أحرك) . بيـــنما يتوارى النفي عند أي فعل سلبي (مستدر ، أتغذى ، أنفق) . أما الفعل الإيجـــابي فهـــو منسوب للآخرين (تحنو ، تصنع ،تهدي) ، بينما يتضافر الفعلان (تحـــنو ، تهدي)مع مفردة أخرى (الفتـــــات) في تجسيد الإحساس بالذل ، الذي يعانيه الأنموذج .

أنا عاله

كل ماحولي يدوّي صوته عني ترحّـــل

أنا للعالة من بين البرايـــــا لست أقبل

أنا لا أقبل مخلوقـــــاً من الإنتاج أعزل

غيره يعطي ويحيـــا هو كالطفل المدلل

يطعم القوت من الأيدي التي تبني وتعمل

ويــتحول المقطع الثالث إلى الكشف عن حالة الرفض التي تواجهـــــه ، فهو رفــض عـــام (كل ماحولي) يشكـــل حصاراً حوله .كمـــا أنه يتسم بالقوة (يــدوي) ، ساعياً إلى نفيه (ترحّل) . وهو يفسر هذا الرفض عبر تكرار عدد من الدوال التي تكرس سلبيته (العالة ، مخلوق من الإنتاج أعزل ، طفل مدلل) ، حيــث إن قــيمة الإنسان تنبعث من فاعليتـــه الإيجابيـــة التي لايتسم بها أنموذج النص . ويتكرر في هذا المقطع ماحدث في سابقه حيث يسند الآخرون إلىالأفعال الإيجابــية (يعطـــي ، تبني ، تعمل) ، بينمـــا تسند الأنموذج ، إلى الأفعال التي لاتدل على الفاعلية (يحيا ، يطعم) .

أنا عاله

أي شبر فوق وجه الأرض لم يكره وجودي

وأنا المثقل تفكيري بحمل من قيـــــودي

وأنا الغارق في بحر اتكـــــالي وجمودي

وأنا للوهن آفاقي بأصفـــــــاد الركود

يالوجه الأرض من مثلي وآفـــاق الوجود

ويـــتحول هذا المقطع إلى نقد الذات ، حيث يتكرر ضمير الأنا عبر ثلاثة أبــيات . وهو يستهل باستفهام تقريري يعكس حالة الرفض التي تعانيها الذات ، إذ يســتدعى المكان لتجسيد ذلك عبر هذه المساحة الضئيـــلة منه (شبر من الأرض) إذ تدل هذه الضآلة على مدى شعوره بالنبذ الذي جاء الفعل (يكره) معبراً عنه .

والحديـــث عـــن الذات تتضـــافر فيه مجموعة من الدوال التي تؤكد على سلبيـــــة هذا الأنموذج حيث تنم عن الضعف والعجز والاستسلام (المثقل ،

الغـــارق ، للوهـــن) التي ترتبط بدوال أخرى تؤكد سلبيته (القيود ، الجمود ، الاتكال ، الأصفاد ، الركود) .

وينـــتهي النص بالكشف عن قناعـــــــة الذات بموقف الآخرين منها ، فأصـــبـــــــح المكان (وجه الأرض ، آفاق الوجود) موضع إشفاق من وجود هذه العالة .

إن هذه القصيدة تتحرك عبر محورين رئيسين ، أحدهمـــــا الكشف عن الـــذات وسلبيتها ، والآخر هو رفض العالم لها . والرسالة التي يريد النص التعبير عنها هو رفض هذا الأنموذج السلبي ، عبر التركيز على جانب القبح الذي يمثله . حـــتى أن القـــارىء يشتبه في حقيقة موقف الشاعر من هذا الأنموذج ، ذلك أن الإحساس بالرثاء يبدو أكثر وضوحاً .

(٤)

أمـــا الشاعر محمد أحمد الحساني ، فتتعدد لديه النماذج التي يتقمص فيها الآخر ، ومـــن ذلك قصيدته (أغنيـــــة فدائي) . والقصيدة كما يدل عنوانها تعبير عن صوت أنموذجها ، حيث تشكّل تفسيراً لقضيته .

يقول الشاعر : (٦)

ثورتي مدّ

ومد لانهاية

ثورتي جاءت مخاضاً

لسنين وسنين

ضاع فيها وطني

ثورتي أكبر مماتتصور

يارفيق الدرب أكبر

ذلك الإعصار لازالت تغذيه

الدماء الطيبه

وأنا كالطود صامد

كل فرد أمة منا

وكل الشعب واحد

في طريق العودة البيضاء واحد

والمقطع السابق يعكس فيه الشاعر إيمان الفدائي بخياره الذي يسعى من خلاله إلى تغـيير واقعه ، والانتصار على الاحتلال . إذ تشكّل مفردة (ثورتي) تعبيراً قوياً عـنه . وتجسـد الجمل الشعرية قوة هذه الثورة ، إذ يوظف الشاعر خلالها عدداً مـن الدوال التي تؤكد على ذلك (مد ، مد لانهاية ، أكبر ، الإعصار ، كل فرد أمة منا) . كما تكشف أن قوة هذه الثـورة تعكس معانـاة طويـلة (جاءت مخاضـاً ...) ، وهـي ثورة مستمرة رغم كل تضحياتها (لازالت تغذيه الدماء الطيبه) ، ومصممة على الصمود في وجه عدوهـا (وأنا كالطود صامد) ، والاتحـاد بين أفرادها (وكل الشعب واحد) . ذلك أنها تسعى إلى الخلاص من تشـردها وواقعها الأسود عبر (طريق العودة البيضاء) ، حيث يحيل البياض إلى نقيضه الذي يعكس طبيعـة الواقع الإنسـاني الصعب الذي يعيشه الفلسطيني في ظل الاحتلال ، حيث يشكّل السواد دالاً قوياً على ذلك .

ويسـتهل الشـاعر المقطع الثاني للقصيدة باستدعاء المرأة ، وذلك للتأكيد على قسوة الواقع وهو ماتعبر عنه (أرض الشقاء) ، إذ تعكس الرغبة في الرحيل (ليتـنـا نرحل) إحسـاساً بذلك . بينما جاء تكرار جملة النهي ـــ في هذا السياق ـــ ليؤكد التصميم على الرفض والإصرار على البقاء :

لاتقولي ليتنا نرحل

عن أرض الشقاء

لاتقولي

نحن ياأختاه قررنا البقاء

شوكة في مقلة الأعداء

نحن

كل فرد أمة منا

وكل الشعب واحد

نحن ياأختاه ثأر

وتراب ووفاء

واستخدام الشاعر لضمير الجمع (نحن) وتكراره بشكل واضح ، جاء تعبيراً عن الجماعة التي اتخذت هذا القرار سبيلاً لها ، باعتباره رمزاً لمقاومتها . ولاتقتصر دلالـــة (الشوكة) على الألم فحسب ، وإنما تتجاوز ذلك إلى التعبير عن غياب الـــرؤية المستقبلية . وأما الربط في آخر القصيدة بين دال حسي (تراب) ودالين معـــنويين (ثأر ووفاء) فإنه يرمز إلى امتزاج هذه العناصر لتحقيق فاعليتهـــا في تحريض الفلسطينيين على المواجهة والصمود .

فالقصيدة في مقطعها الأول عبرت عن صوت الفرد المقـــــاوم ، ولكنها تحولـــت في المقطع الثاني لتؤكد على جماعية المقاومة واتحاد أفرادها ، ولهذا كرر الشـــاعر عبارة (كل فرد أمة منا وكل الشعب واحد) حيث يتحول الفرد عبر قـــوة مقاومـــتـــه إلى أمة ، ويتحول الشعب عبر تلاحمه إلى كيان واحد ، وهو مايساعده على تحقيق النصر عاجلاً أو آجلاً .

(٥)

أمـــا عبدالله بن إدريس فتستوقفنا قصيدته (المؤذن ابن ماجد حين بكى) ، الـــتي يذكر في مقدمتها أنه تقمص فيها " شخصية مؤذن الجامع الكبير في الرياض عـــبدالعزيز بن ماجد وهو يؤذن آخر يوم قبل هدم الجامع تمهيداً لتوسعته الكبرى عـــام ١٤٠٨ هـــ ، وحين صدح بالأذان لصلاة الفجر في يوم هدم المسجد بكى .. فكتبت هذه القصيدة على لسانه " (٧) .

وواضـــح أن الشاعر في قصيدته يستلهم حادثة واقعية ، تفاعل فيها مع هذا الأنمـــوذج الإنساني المتمثل في ابن ماجد المؤذن . وعبدالله بن إدريس كان يسعى مـــن خـــلال نصـــه الشعري للكشف عن تفسير لحالة البكاء التي انتابت المؤذن ـــ باعتـــبار ذلك فعلاً إنسانياً ـــ وكأنما أراد أن يؤكد على حتمية هذا الفعل من كل إنسان عاش مثل تلك اللحظة .

والقصيدة ـــ وفقاً لشكلها الطباعي ـــ تتكون من ثلاثة مقاطع . أولها أربعة أبـــيات (١ ـــ ٤) ، وثانيها ـــ وهو أطولها ـــ ثلاثة عشر بيتاً (٥ ـــ ١٧) ، وآخرها أربعة أبيات (١٨ ـــ ٢١) .

يقول عبدالله بن إدريس : (٨)

وطنت نفسي أن أراه مهيـــــــلا ... بعد الشموخ .. ولم يعد مأهـــولا
وطنت نفسي وارتفقت صمودها ... حتى أهيء عزمي المفلـــــــــولا
ومضت شهور ســـــيرها متواثب ... نحو النهاية موعـــــــداً ووصولا
لكنني عند اقتراب فنـــــــائه ... ماعدت أقدر أن يروم رحيـــــلا

إن الشـــاعر يســـتهل قصيدته بتصوير تلك الفترة الزمنية التي تمتد شهوراً ، وكانـــت فاصـــلة بين قرار هدم المسجد وتنفيذه . إن قسوة هذا العمل وصعوبة تحملـــه على نفسية ابن ماجد ، عبرت عنه كلمة (وطنت) ، بما تدل عليه من

.....

محاولـــة تعويـــد النفس وبث الألفة فيها لما لاتستطيع تحمله . ومامن شك في أن تكرار الجملة (وطنت نفسي) يشير إلى مدى صعوبة هذا الفعل الذي قام به ابن مـــاجد مع نفسه . والشاعر في البيت الأول وهو يرسم تصور ابن ماجد لمسجده بعد الهدم ، إذ يصير إلى النقيض (الشموخ / مهيلا ، مأهول ، مأهول / غير مأهول) إنما أراد من خلال ذلك أن يؤكد على أن موقف المؤذن كان طبعياً .

ويأتي استدعاء الزمن في هذا السياق للدلالة على أن امتداد المسافة الزمنية لم يســتطع تخفــيف حدة الشعور بالفقد التي تجتاح نفس المؤذن ، ذلك أنها عبرت بشـــكل ســـريع (متواثب) . ولهذا فليس غريباً أن يصـــاب المؤذن بالعجز عن مقاومة الرغبة بالبكاء . ولاشك أن الشاعر كان يجسد عمق العلاقة الإنسانية بين ابن ماجد ومسجده حين تحول المسجد إلى كائن حي يحاول الرحيل في نهاية هذا المقطع .

ويواصل المؤذن خطـــابه إلى المسجد ، حيث يكشف عن مدى التلاحم النفسي بين طرفي هذه العلاقة ، إذ يقول :

نفسي ونفسك يا أجل مواقعـــي همان في هم يبيت شكـــــولا
يترنم الماضي الحفي بروحنـــــا أبداً .. ويذكر فضلك المبـــذولا

ويأتي حضور الزمن ليؤكد عمق العلاقة بين الطرفين ، فهي قد امتدت زمناً طويلاً (الأربعون) ، وكانت تقوم على التواصل اليومي (بكرة وأصيلا) .

الأربعون من السنين قضيتهـــا وأنا المنادي بكرة وأصيـــــلا

وينـــتقل الشاعر للإفصاح عن تفسير بكائه (فإذا بكيت) ، حيث يصور الواقع الجديد الذي سيحل بالمسجد ، وكأنه أصبح واقعاً ملموساً ، حيث تتحول جوانـــب هذا المسجد عبر التشخيص إلى كائنات حية تعيش واقعاً مختلفاً : فالمنارة تصمت ، والمحراب يئن تحت ركامه . والذكر ينسحب من ساحاته .

فإذا بكيت على صمات منـــارة ونثار محراب يئن عليـــــلا

وعلى انطواء الذكر في ساحاتـــه ألفاً من الأيام تعدل جيـــــــلا

فلتذكروا أني نذرت حشاشــــــتي خدناً لهذا المكرفون زميـــــــلا

واســـتدعاء الزمان هنا (ألفاً من الأيام يعدل جيلا) جاء ليعكس شعوراً بطـــول الفترة الزمنية التي سيفتقد فيها ابن ماجد لمسجده . ولعل استخدام مفردة (الجـــيل) تعكس هذا الإحساس بالامتداد ؛ ممايبرر بكاء المؤذن لافتقاده خدنه لهذه الفترة الزمنية الممتدة .

لله هاتيك المنـــــــائر ما اشتفت إلا قليلاً في الوجود قليـــــــــلا

كانت تؤمل أن يطول بقاؤهـــــا لتوزع التكبير والتهليـــــــــلا

لكنها بعد انفراط عقودهـــــــا وهويها بعد الوقوف نحـــــولا

لترى الولوج مع الجديد مشيــداً حصياقمـــــــا لتشارك التحويلا

ويتحول النص إلى الحديث عن المنائر ـــ التي ترمز إلى المسجد الذي يحتويها وتعكـــس علاقة المؤذن به ـــ فهي رغم السنوات الطويلة التي امتدها في الواقع لم تعـــش إلا قليلاً ، ذلك أنها تحلم بأن يمتد بها البقاء لتكمل أداء وظيفتها ، غير أن التجديد لم يمنحها تحقيق هذا الحلم .

يامسجداً طاب المقـــــــام بظله وزكى الشعور بروضه تبجيـــــلا

كم قائم ، كم راكع ، كم ساجد كم قانت ، كم قارئ ترتيــــــلا

لولا الرجاء بأن تعود مجــــــدداً وأعود أصدح بالأذان حفيـــــلا

لبكيت من كمد بكاء مفجـــــع فقد الحبيب وإلفه المقبــــــولا

ويعـــود الخطاب ثانية إلى المسجد في المقطع الأخير في القصيدة ، حيث يمـــتزج فيه تصوير الماضي الجميل ، بالحلم بالعودة مرة أخرى ، وهو مايخفف من لوعته . ويأتي تكرار كم الخبرية ومادخلت عليه ليشير إلى تلك الحياة التي كانت تملأ جنبات المسجد ، حيث يتنوع الفعل الإيماني .

إن الشـــاعر كان موفقاً في التعبير عن أنموذجه الإنساني ، وإذا كان قد حاول مداراة الذات في هذا النص ليصبح صوتاً للآخر ، إلا أنه لم يستطع تحقيق ذلك دائماً حيث نلمسها ـــ أحياناً ـــ بوضوح في ثنايا نصه ، لاسيما قوله :

لترى الولوج مع الجديد مشيـــداً حصياتهـــــــا لتشارك التحويلا

إذ إن رؤيـــة الشـــاعر كانت حاضرة في هذا البيت ، فلانتصور أن إنساناً بسيطاً يمكن أن يعبر عن هذه الرؤية .

(٦)

وإذا كانـــت الطفولـــة تمتلك حضوراً قوياً في شعر غازي القصيبي الذي تعكسه رؤيته الإيجابية لها ، فليس غريباً أن يعمد إلى أن يمنح صوته للأطفال تعبيراً عـــنهم في قصيدته التي جاء عنوانها (أنشودة الطفل) ، الذي تلاه بجملة تفسيرية لـــه هي (التي لم تقررها المناهج) . وعنوان القصيدة يبدو مثيراً للتساؤل ، ذلك أن مصطلح الأنشودة يعني أنها تتردد على لسان الطفل ، وهذا يفترض أن تكون ضـــمن أي منهج لهم ، لكن الجملة المنفية تشير إلى عكس ذلك ، فهذه الأنشودة مغيـــبة ، وهـــذا مـــا يحفز القارئ على محاولة اكتشاف سبب هذا التغييب وهو ماسيتبين من خلال القراء ة .

يقول القصيبي : (٩)

في كل يوم مدرســـه ياللحيـــاة التعســـــه
وواجب معقـــــــد وكتب مكدســـــه
وامتحــــان مرعب يهرسنــــا كالمهرسه

إن الشاعر عبر استدعائه للزمن (في كل يوم) في مفتتح القصيدة ، يهدف للدلالـــة عـــلى أن حياة الأطفال تسير على وتيرة واحدة لاتتغير ، ممايجعل تلك الصفة التي يصور بها الحياة في نهاية البيت حتمية (التعسه) . وتأتي الأبيات التالية

(٢ ــ ٥) تفســيراً لهذا المفتتح . ففي البيتــين الثالث والرابع تتوالى عدد من الدوال (واجب ، كتب ، امتحان) تتخذ بعداً سلبياً عبر ارتباطها بدوال أخرى تكشــف عن انحرافها عن وظيفتها المعرفية (معقد ، مكدسة ، مرعب) ، حيث تصبح كابوساً مفزعاً .

ويتأكد هذا الدور السلبي للمدرسة في البيتين الرابع والخامس ، حيث يصبح فعــل إنساني اعتيــادي وعابر (وإن ضحكنا) ، جرماً مرفوضاً يواجه بالردع (تنهرنا المدرسه) ، ويدفع لاتخاذ مواقف سلبية (قاسية ، شرسه) .

وإن ضحكنــا مرة	تنهرنــا المدرِّسه
وتستحيل بعدهــا	قاسيــة و شرســه

ولأن القصيدة تتحرك عبر المكان في توظيفها إياه ليشكل إطاراً تتكون من خلاله دلالتها . فإن الشاعر ينتقل من المدرسة إلى البيت فالشارع ؛حيث تستمر معاناة أنموذج النص . إذ يمتــزج التهديد بالفعل (بالمكنسه) ، أو الصوت (يــاويحكم ، يــاويلكم) ، بالأوامر (صمتاً ، لاتركضوا ، لاتمزحوا ، قوموا ، أرقدوا ، لاتسهروا) ، وهو ماينعكس على الإطفال إحساساً بالبؤس والخوف .

وأمنا في بيتنــا	واقفــة بالمكنســه
تصيح صمتاً فأبــو	كم لايحب الهسهسه
إذا لعبتــم حوله	طار نعاس نعســه
فإن لعبنا في الطريــ	ق باغتتهــا الوسوسه
ياويحــكم ياويلــكم	أبليسكم ماأبلســه
لاتركضوا لاتمزحــوا	ياعيشنا ما أبأســه
قوموارقدوا لاتسهروا	في الأمسيات المؤنسه
نصائــح .. أوامر	شؤونها ملتبســه

واحدنا يخاف حتــــــــ   تى من هوا تنفســـه

ويـــأتي الاســـتفهام في نهاية القصيدة ليكشف عن حتمية المصير الذي ينتظر الأطفـــال بعد هذه المعاناة ، وهو (الهلوسه) بكل ماتحمله هذه الكلمة من دلالة على الهذيان وفقدان الشعور .

أتعجبونا بعدهـــــــــا   إذا اعترتنـــا الهلوسه

وقـــد اعتمد الشاعر في قصيدته على المفارقة ، إذ يتجلى ذلك من خلال تلـــك العلاقـــة التضادية بين عنوانها (أنشودة الطفل) بما تحمله من دلالة على الـــتفاعل الإيجـــابي بـــين طرفيها ، وبين المضمون الذي عبرت عنه الأبيات ، إذ لايمكن أن يكون ذلك مجال إنشاد .

كمـــا تتجلى المفارقة في استدعاء المرأة (المدرِّسه ، الأم) . إذ إنها باعتبار دورهـــا الاجتماعي هي الأكثر التصاقاً بالطفل ، وينبغي أن تكون مصدر العطف والحـــنان عليه ، لكنها كانت عبر الأبيات وسيلة قمع ، وهذا التحول في السلوك يدل على شدة معاناة الطفل .

إن القصيدة تمثل صرخة للأطفال الذين يعيشون طفولتهم في حصار دائم . هـــذا الحصـــار الـــذي قديحركه الخوف عليهم ، لكنه يصبح عاملاً سلبياً عليهم يحرمهم من الاستمتاع بطفولتهم .

وواضح أن القصيبي حاول أن يتقمص الأنموذج الذي يعبر عنه ، وتمثل ذلك في الإيقاع السريع الذي اختاره لقصيدته ؛ لكونه يتناسب مع عنوانها (أنشودة) الـــتي تلائـــم حياة الأطفال . وعلى الرغم من محاولته أن يتوارى مع ذاته طوال القصيدة ، إلا أن هذه الذات برزت بوضوح في البيت الأخير الذي يعكس رؤية الشاعر للمصير الذي ينتظر الأنموذج الذي عبر عنه .

وبالتأمل في النماذج الشعرية السابقة ، ونماذج شعرية أخرى مشابهة لها في الشعر السعودي ، يمكن تسجيل الملاحظات التالية :

أولاً : شـــكلت قضايا الأمة ـــ ولاسيمـــا القضية الفلسطينية ـــ حضوراً قويـــاً في هذا السياق ، حيث تعددت النماذج التي عبرت عنها ، ولعل استخدام الشـــعراء لضـــمير الأنا في هذا الإطار ، جاء ليعبر عن عمق تفاعل الشعراء مع النماذج التي يعبرون عنها ، وعن شعورهم بمرارة المعاناة التي يعيشون فيها .

ثانياً : كان تفاعل الشعراء مع النماذج التي يعبرون عنها صادر عن موقف إيجابي في أغلب النماذج التي تم رصدهـــا ، أما التفاعل السلبي فلم أقف عليه إلا في أنموذجين للدكتور عبدالله العثيمين أحدهمـــــا مر بنا سابقاً ، والآخر بعنوان (مـــاذا يريد المستغيث ؟) (١٠) يتحدث فيه عن " مشاعر غني مقدس لثروته تجاه فقير محتاج " (١١) .

ثالـــثاً : ممايمكن ملاحظتـــه على هذه النصوص أن أغلب الشعراء وضعوا مقدمـــة قصيرة للمتن الشعري يشيرون فيها إلى مناسبة النص . ولعل ثمة تساؤل تبعـــثه هذه المقدمة ، يرتبط بفاعليـــة استخدامها ، فهل هي مجرد تسجيل لمناسبة الكـــتابة ؟ ، أم تسعى إلى توجيه القارئ في فهمه النص فلايخلط بين شاعره ومن يعـــبر عنه ؟ . أم تسعى إلى تفسير بعض الغموض الذي يلف النص ؟. إن الإجابة عـــلى هـــذا التساؤل قد تكون الأفكار السابقة أو غيرها ، لكن من المؤكد أن الشاعر أراد من القارئ أن يفصـــله عن النص ، على الرغم من استخدامه ضمير (الأنا) .

رابعاً : إن صوت الشاعر ـــ رغم أنه يعبر عن غيره ـــ لم يستطع أن يتوارى في نصه الشعري ، وإنما قد يعلو أحياناً بشكل واضح كما في قصيدة (ماذا يريد المســـتغيث ؟) للشـــاعر عبدالله العثيـــمين التي أشرنا إليها قبل قليل حيث بالغ العثـــيمين في الكشف عن القبح الذي يحمله الأنموذج الذي عبر عنه النص ، بينما

قد يخفت أحياناً أخرى ، إلا أننا لانكـــاد نقف على نص شعري في هذا السياق إلا ولمسنـــا حضوراً ما لذات الشاعر ، وإن تفاوت مستوى هذا الحضور . غير أنـــي لم أقـــف في الـــنماذج المقروءة على نص شعري يصبح فيه الآخر قناعـــاً (١٢) للـــذات إلا في قصيدة واحدة قيلت في مرحلة مبكرة للشاعرمحمد حسن عـــواد عـــنوانهـــــا (خواطر منتحر) التي كتب في مقدمتها أنها " نظمت على لســـان مريد الانتحار " (١٣) . ومن يقرأ هذه القصيدة يدرك أن تلك الخواطر التي سجلها الشاعر ، ونسبهـــــا إلى الأنموذج الذي يعبرعنه ، ليست إلا خواطر الشـــــاعر ذاته ، حيث يـــدوِّن فيها نقداً قاسيـــــاً للمجتمع الذي يعيش فيه ، وكـــأن مـــريد الانـــتحار الذي يشير إليه العواد إنما يقصد به نفسه ، وأن الحياة أصبحت لديه صعبة في ظل الواقع الذي يحياه ، إذ يقول : (١٤)

المواسي !! هيهات عز المواسي في حياة تعرضت لافتراســـــي

لايقل من يقـــول مابك ؟ مابي غب حكم من منطق الناس قاسي

بي شذوذ أو قل جنون وإن شئـــــــت فقـــــل نوبة من الوسواس

لم ترها حسنــــــــاء ربة لحظ فاتن فاتر بغير نعـــــــاس

مخجل خصرها عيـــون رياض فائق جيدها ظبـــــــاء كناس

لا ، ولكن أثـــارها شبح الفو ضى بشعب محطم الآســـــاس

والشاعر يفتتح قصيدته بنبرة تشاؤمية يعكس فيها ذات الأنموذج الذي يعبر عـــنه ، التي تبدو معزولة عن من يشاركها همومها ، ويخفف عنها معاناتهـــــا . وهويفســـر رغبـــته في الموت ، وكأنه يجيب على تسآولات الآخرين . وتشكِّل الدوال الثلاث (شذوذ، جنون ، نوبة من الوسواس) التي يرددها الأنموذج على لســـانه ، نوعاً من اللامبالاة برؤية الآخرين الرافضـــة لفعله . وتأتي الجملة المنفية (لم تـــرها) لتشكِّل استبعاداً لكل التصورات المسبقة التي تتردد حول من يقوم

بهذا الفعل تفسيراً لما قام به ، ولعل الحسناء بكل تلك الملامح الجمالية التي أضفاها عليها الشاعر رمز دال في هذا السياق .

أفطب يأســـو هموم فؤادي ويداوي تلهب الأنفـــاس ؟
فلقد كدت أن أحقق نكــراً عنَّ كالبرق في جوانب راسي
أكدته لدى عيشـــة يأس قاتل الله كل عيشـــة ياس
إن هذا مسدسي بين كفـــ ـــي وهاقد بدا يثور حماسي
فلنحو الأثير تصعـــد روحي ويوارى الجثمان في الأرمـــاس
وتظل السما سماء وتبقى الأر ض أرضاً والشعب أرود ماسي
والأصابيح هن تلك الأصابيـ ـــح وأمساؤهن تلك الأماسي

وفي الأبـــيات السابقة يبدو الأنموذج مدركاً لما يمثله فعله من رفض ، وهو مـــاتدل عليه (نكراً) ، ولذلك فهو يفتتح هذا المقطع بالبحث عن ذلك المواسي الـــذي يفتقده ، والذي رمز إليه بالطب . وإذا كان يعود إلى تفسير أسباب فعلته عـــبر ماسمـــاه بعيشة يأس ، فإنه يمتلك إحساساً واعياً بسلبية مايقوم به ، وانعدام تأثيره على الواقع ، إذ إنه سيختفي بينما يظل العالم كماهو لم يتغير .

قل لهذي البلاد بعد انتقـــالي قولة تستبـــــــد بالإحساس
يابلادي ألم يحن بعد للأحـــ رار فيك انتبـــاذ حب الكراسي
ومتى تقلعين عن نظرة الجمـــ ع إلى الفرد نظرة الاحتـــراس
وعن الكيد للصغير بلاجـــــر م سوى جرم فتنة الدســـــاس
وعن الدس والتدابير حـــتى أصبح العيش مشبه الديمـــاس
وعن الذل والتفرق والفـــو ضى وخذل الرفيق وقت التواسي

* * *

إنما الفقر والمخـــاوف طـــ راً كمن تحت هذه الآســـــاس
وكراسيك حد مبتـــذلات وزعت بين عصبة الأتيـــاس

من سخيف ومن رقيع ومن معـــــــــشوشب الذقن مؤثر للنعــــاس

وفي هذيـــن المقطعـــين الأخيرين من القصيدة ، تظل رغبة الشاعر بتغيير واقع مجتمعه باقية رغم انتقاله إلى العالم الآخر . وإذا كان تتابع الاستفهام يعكس نغمة يمتزج فيها اليأس بالرجاء ، فإن مابعد ذلك يكشف عن صورة للبلاد تتجلى فيها كثير من المظاهر السلبية التي تعكسها الدوال ، حيث السعي إلى الوجاهة (حب الكراســـي) ، وغياب العلاقات الإنسانية الطبيعية ، إذ يسود الشك ، والكيد ، والـــدس ، والـــذل ، والتفرق ، والفوضى ، وخذل الرفيق . وهذا مايفضي إلى الفقـــر والخوف . وينتهي هذا النص بتأكيد الشاعر على غياب المعايير الصحيحة في تقدير الإنسان حيث تسود معايير أخرى يستفيد منها نماذج اجتماعية سلبية ، عبر عنها الشاعر بعصبة الأتياس ، دلالة على عدم استحقاقها ورفضه لها .

إن القصـــيدة تعبر عن صوت ساخط ، ورافض لواقع مجتمعه ، حتى أصبح الموت خياراً أفضل لديه بإزاء استمرار مواجهة ذلك الواقع .

إن القارىء لهذا النص يجد محمد حسن عواد يتحدث إليه ولكن من خلال قناع يتمثل في هذا الشخص الذي يسعى إلى الانتحار .

هوامش البحث :

١ ـــ شعراء نجد المعاصرون ، عبدالله بن إدريس ، القاهرة ، مطابع دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٠ هـــ ـــ ١٩٦٠م ، ص ١٤٣

٢ ـــ أغنية العودة ، سعد البواردي ، مطابع الرياض ، ص ٣٨

٣ ـــ المصدر نفسه ، والصفحة نفسها

٤ ـــ عودة الغائب ، عبدالله الصالح العثيمين ، الرياض ، دار العلوم ، ١٤٠١ هـــ ـــ ١٩٨١م ، ص ٢٧

٥ ـــ المصدر نفسه ، والصفحة نفسها

٦ ـــ رعشـــة الرمـــاد ، محمد أحمد الحساني ، مطبوعات نادي مكة الثقافي ، مكة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٧ هـــ ـــ ١٩٧٧ م ، ص ٣٣

٧ ـــ إبحار بلاماء ، عبدالله بن إدريس ، دار اشبيليا للنشر والتوزيع ، الرياض، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـــ ـــ ١٩٩٨ م ، ٣٤

٨ ـــ المصدر نفسه ، والصفحة نفسها

٩ ـــ عقد من الحجارة ، غازي القصيـــي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١ م ، ص ١٥

١٠ ـــ ديـــوان العـــــواد ، محمد حسن عواد ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٨ هـــ ـــ ١٩٧٨ م ، ص ٢٣

١١ ـــ يقصـــد بالقناع " حالة من التماهي أو التلبس بشخصية أخرى ، تختفي فيها شخصية الشاعر ، وتنطق خلال النص بدلاً منه " . وهو ذو صبغة تاريخية ، حيـــث يستدعي الشاعر خلالها شخصية تاريخية . انظر (القناع في الشعر العربي الحديث) ، د . سامح الرواشدة ، جامعة مؤتة ،الطبعة الأولى ، ١٩٩٥ م ، ص ١٠

العلاقة بين
تقنيات السيكودراما والمسرح

د. فاطمة يوسف *

مقدمــــة :

لوحظ في الآونة الأخيرة أن مصطلح " السيكودراما " يتردد بصورة عشوائية في مجال النقد المسرحي حتى اختلط الأمر بين مفهومين مختلفين تماماً هما " السيكودراما " وفن الدراما، حتى بات كل عرض مسرحي " سيكودراما " لأنه يتطرق إلى أبعاد نفسية ويكشف أعماق الشخصية ويكشف للمتفرجين ذواتهم ، وهو نفسه ما تفعله السيكودراما.

ويعود هذا اللبس – في رأينا – إلى الوظيفة المشتركة بين " الدراما " و" السيكودراما " في بعض المدارس النقدية؛ أهمها المدرسة الكلاسيكية التي نظرّ لها أرسطو في كتابه فن الشعر ، حينما ذكر أن غاية التراجيديا هي التطهير. والتطهير مفهوم علاجي بالأساس يقوم على تخليص المتفرج من عاطفتي الشفقة والخوف ، أخذه أرسطو من مجال الطب ، حيث هو وسيلة علاجية تقوم على حقن المريض بجراثيم المرض لتحفز الجسم على مقاومتها ، فإذا ما داهمه المرض الحقيقي كان جسم المريض مهيئاً للدفاع .

---

* مدرس الدراما بكلية التربية النوعية – بنها – جامعة الزقازيق.

أما السيكودراما فهي جلسة علاج نفسي جماعي يقيمها الطبيب النفسي المعالج لمجموعة من المرضى في حضور عدد من المعالجين المساعدين والجمهور المحايد والمرضى، حيث تصل المجموعة كلها إلى عشرين شخصاً. وهي الطريقة التي استخدمها جاكوب مورينو Jacob Moreno (١٨٩٨ – ١٩٧٤) وهو طبيب نفسي ولد في رومانيا وعاش في فيينا والولايات المتحدة ونشر تجاربه عام ١٩٢٣ بالألمانية في كتابه Das Segreiftheater أو(المسرح التلقائي)، ليعارض بها تجارب التحليل النفسي الفرويدي الذي ينفرد فيه الطبيب بالمريض. حيث يقوم المريض في جلسات السيكودراما بتمثيل بعض المواقف من حياته بصورة تلقائية يشاركه فيها الحاضرون وفق مراحل وإجراءات محددة تحت إشراف الطبيب المعالج فتؤدي هذه الطريقة إلى إثارة الانفعالات الضارة فيتخلص المريض منها، وبعض الجمهور أيضاً.

ويهدف هذا البحث إلى استجلاء المفاهيم المحددة للسيكودراما والفن الدرامي من ناحية، ونقاط الاختلاف والتباعد بينهما من ناحية أخرى.

كما يهدف البحث إلى دراسة التقنيات المشتركة بين المجالين ليبين كيف استفادت السيكودراما من المسرح ، وكيف استفاد المسرح من السيكودراما . ولتحقيق هذه الأهداف يعود البحث إلى تعريف المفاهيم الأساسية للسيكودراما وبيان تقنياتها وإجراءاتها، كما يبحث عن العلاقة بين السيكودراما والمسرح في تجربة أوجست بوال التي يسميها "مسرح المقهورين". وعلى هذا ينقسم البحث إلى قسمين هما:

الأول : مفاهيم السيكودراما من الناحية النظرية والتقنية .

الثاني : تقنيات مسرحية اعتمدت على السيكودراما .

وبذلك يبدأ البحث من دائرة السيكودراما ليصل إلى دائرة المسرح كاشفاً التمايزات بين الدائرتين من ناحية ومساحات التقاطع بينهما من ناحية أخرى، وهو ما سيوضحه جزء أخير في هذا البحث يختص بالنتائج.

أولاً : السيكودراما نظرياً وتقنياً

١ – السيكودراما : مفاهيم نظرية :

يعد جاكوب مورينو Jacob Morino (١٨٩٨ – ١٩٧٤) المؤسس الأول للسيكودراما . وهو طبيب نفسي ، انتقل إلى فيينا ، ومن الأرجح أنه عمل في مجال المسرح ، وأنه مارس المسرح بطريقة خاصة تعتمد على التلقائية ، ومنه خرجت أفكاره عن العلاج النفسي الجماعي ، وكان مورينو قد وجه " انتقادات شديدة للتحليل النفسي الفرويدي واتجاهاته " [(١)] ومن ثم طور خبرته المسرحية ليكتشف تقنيات أخرى لفظية وغير لفظية مثل (التقنيات الدرامية) " ليكشف أقنعة المريض وعلاقاته النفسية ، وصراعاته ، وانفعالاته ومشكلاتها"[(٢)] وقد استفاد مورينو من تجاربه في (المسرح التلقائي) Theater of Spontaneity الذي عمل به في فيينا ونشر كتابه في عام

(1) مصطفى سويف ، مخطوطة محاضرات لطلبة الدراسات العليا ، كلية الآداب القاهرة ، قسم علم النفس ، ١٩٧٩ .

(2) Harold, Kaplan, Psychiatry, Group psycho therapy, psychordrama, (vol 6) part 2 balttimor marland U.S 1998 p 1835.

١٩٢٣ يحمل العنوان نفسه Das Stegreiftheater وهو ليس كتابا في المسرح وإنما كتاب " في طرق العلاج الجمعي بالطرق الدرامية . وعندما سافر مورينو إلى الولايات المتحدة في عام ١٩٢٥" أقام بعض المحاضرات في السيكودراما ثم أنشأ معهد السيكودراما عام ١٩٣٤ في بيكون Beacon بنيويورك لينشر طريقته " (٣)

فالسيكودراما طريقة جديدة من طرق الاتجاه نحو العلاج الجمعي Group Psychotherapy في مقابل الاتجاه نحو العلاج الفردي individual psychotherapy الذي أسسه فرويد .

١ – ١ – الفرد والجماعة :

تقوم طريقة السيكودراما على مفهوم خاص للفرد والجماعة . فالحياة نفسها هي النموذج في العلاج الجمعي ، فالسيكودراما طريقة للعلاج تصاغ على غرار الحياة (٤) ومن ثم، فإن عناصر الزمان والمكان ، وأوجه الحقيقة المختلفة، ليست عناصر مطلقة في كون لا نهائي كما يراها العلاج الفردي. فالعلاج الفردي يرى المريض مجموعة من العناصر الخاصة التي ارتبطت معاً بطريقة خاصة أدت إلى تشكيل المريض. وعلى المعالج أن " يحلل " طريقة الارتباط " ،يفك " اشتباكها، فيؤدي ذلك إلى التخلص من الاضطراب النفسي الذي يعاني منه المريض. بينما يرى مورينو أن المريض له كون خاص ، لكنه

---

(٣) انظر Ibid

(4)Iric Berne, Transactional analysis, psychodrama-Action therapy. New-York-Plenum Press. 1990.

يشترك مع آخرين في طبيعة هذا الكون ، وأن شبكة العلاقات الداخلية ليست شبكة متفردة تفردا مطلقاً ، ولكنها شبكة ترتبط في كثير منها بشبكة العلاقات الاجتماعية . بمعنى آخر ، فإن عناصر الزمان والمكان وأوجه الحقيقة المختلفة هي عناصر جماعية وليست فردية.

وفي حين يرى العلاج الفردي أن التحليل اللفظي والحدس هما أدوات العلاج ، يرى مورينو أنهما أقل تأثيرا من العلاج " بالفعل " Action therapy . فالسيكودراما طريقة لتحرير المريض من المعوقات التي تحد من تلقائيته ومن ثم من إبداعه .

١ – ٢ – أدوار العلاج بالفعل Roles of action – therapy :

تتكون جلسة السيكودراما من مجموعة من الأفراد تحت قيادة " الطبيب النفسي " يشخصون أحداثا ذات دلالة عاطفية من أجل تعريف للصراعات وحلها وإطلاق المعوقات والنواهي التي تحد من القدرة على النشاط التلقائي والخلاق " (٥) . فإذا كان هدف السيكودراما هو تحرير التلقائية وإطلاق المعوقات فإن ذلك الهدف لن يتحقق دون أن يعرف المريض أن ما يخفيه هو نفسه المشترك بينه وبين الآخرين . لذا يعلن المريض عن بعض تفاصيل حياته ومشاعره وهواجسه في صورة " مسرحية " يكون هو بطلها. وعلى هذا ، تحدد المراجع بعض " الأدوار " بوصفها العناصر اللازمة لهذه " المسرحية " .

---

(5) انظر Ibid

١ – ٣ – الأدوار في السيكودراما

١ – ٣ – ١ المخرج Director :

هو نفسه الطبيب المعالج [٦] . فهو الذي يختار المريض ، ربما بعد مقابلة منفردة [٧] ، كما يساعد المريض على تكوين المشهد ، مشجعاً التلقائية ، كما يتجول المخرج بحرية بين المجموعة ليحدد المشاركين الآخرين الذين قد يقومون بأدوار أخرى داخل هذه المسرحية. وعلى المخرج أن يتحلى بالمرونة ، وأن يعطي إحساساً بالثقة للمجموعة كلها ، وللمريض خصوصاً . فبعض المرضى لا يفضلون الكشف عن حياتهم إلا في الجلسات الخاصة مع الطبيب . لذا ، على الطبيب المخرج أن يوضح أن ما يدور في هذه الجلسة يتمتع بالسرية وأن الجلسة ليست جلسة عامة ، وعليه أيضاً أن يؤكد البعد الأخلاقي في هذه المسألة . ولأن جلسة السيكودراما تضم بعضاً من معاوني الطبيب ، على الطبيب أن يختار معاونيه بعناية وأن يكونوا عارفين بطبيعة السيكودراما ولا يعانون من صراعات شخصية [٨].

وينفرد مصطفى سويف بشرح هذه النقطة عندما يشترط أن يكون المعاونين من مدرسة فكرية واحدة حتى لا تحدث بينهم الخلافات [٩].

١ – ٣ – ٢ البطل Protagonist:

هو المريض المختار من بين المجموعة ، وهو الذي سيصبح في بؤرة

(6) انظر Group therapy. Op. Cit

(7) مصطفى سويف ، مرجع سابق

(8) Group psyehotheroby, opcir

(9)مصطفى سويف ، مرجع سابق

الاهتمام أثناء الجلسة. وللبطل الحق في الاختيار بين أن يحدد هو المشهد الذي سيؤديه أو أن يترك للمخرج الاختيار.

وقد يقوم المعالج بالإيحاء إلى المريض بالموقف " إذا لم يتبرع المريض من عنده باقتراح للدور الذي يرغب في تمثيله (١٠) يبدأ البطل بعرض المعلومات عن السلوك والمشاعر والتفاصيل اليومية بطريقة تمثيلية تلقائية بينما يساعده المخرج في بناء المشهد واختيار الأشخاص والأشياء التي يحتاجها لأداء المشهد.

ويسير الفعل الدرامي في هذه المسرحية وفق الخطوط العامة لتقاليد وأعراف جلسة العلاج الجمعي وليس وفق الأعراف الدرامية، سواء تلك التي حددها أرسطو أو غيره.

ويدور المشهد المستعاد على أساس أنه اختياري وليس مفروضاً على الممثل البطل. فالبطل يستعيد الصدمات أو الأحداث ذات المغزى في حياته متنقلاً من العارض إلى الجوهري، من التفاصيل السطحية إلى الأحداث المشحونة بالمشاعر " (١١).

١ – ٣ – ٣ – أبطال مساعدون "ذوات مساعدة" Auxiliary Egos:

فضلنا أن نترجم هذا المصطلح بالأبطال المساعدين بالإضافة إلى "

---

(10) انظر : لويس كامل مليكة ، المرجع في علم النفس دار النهضة ، القاهرة. د.ت. ص ص. ٧١٢ – ٧١٥

(11) انظر Group therapy. Or. cit

ذوات مساعدة " أو معاونة التي جاءت في المراجع المترجمة [١٢] . لنشير إلى أنهم ممثلون اتساقا مع منهج التسميات السابقة " المخرج " " البطل " الذي يراعى المصطلح المسرحي وبين الشخصيات الدرامية التي يمثلها هؤلاء الممثلون. حقا ، إن هذه الشخصيات تمثل ذواتا مختلفة للبطل ولكن أدوارها لا تقتصر على الذوات فقط وإنما تمثل أيضا " الحيوانات والأشياء التي تدخل في خبرة المريض[١٣]، كما تمثل شخصيات أخرى تلعب أدوارا مركزية في حياة البطل مثل الأب والأم، الزوجة ...إلخ . كما يمثلون الأبطال المساعدون " هلوسات المريض وأوهامه ، ورموزه ، ومثله العليا[١٤] . وذلك حتى يبدو عالم البطل عالما محددا وملموسا .

وتختلف المراجع حول طريقة اختيار هؤلاء الأبطال المساعدين . فقد يكونون من المرضى الذين يعانون من صراع مماثل لما يعاني منه البطل [١٥]، وقد يكونون من الأطباء المساعدين " مدرسين أو قدامى ذوي معرفة كامنة ، وقدرة على إعادة تجسيد الشخصيات البارزة في الدراما التي سيتم تمثيلها[١٦]

---

(١٢) يترجمها ...... في **Eric Berne psychodrama-Action Therapy**
ذوات معاونة ، ولويس كامل مليكة في " المرجع في علم النفس " بذوات مساعدة ، وينفرد مصطفى سويف بتسميتها " ممثلون آخرون "

(١٣) انظر **Ibid - 6Group therapy op. cit**

(١٤) انظر **Ibid - 6Group therapy op. cit**

(١٥) انظر **Ibid**

(١٦) انظر **Eric Berne . Op. cit.**

أو هـم ينتخـبون مـن " المرضـى الآخريـن أو مـن الأعضـاء العامليـن فـي المستشفى[١٧] أو مـن جمهـور مشـارك فـي الجلسـة برغبـته الذاتـية .. والهـدف الأساسي من وجـود الأبطـال المسـاعدين هو أن يرى المريض نفسـه في مرآة تنعكس فيها ذاته . ولا يتدخل البطل المساعد في التمثيلية إلا وفق شروط :

١ – قد يختار البطل بنفسه البطل المساعد لتشخيص أحد الأدوار [١٨]. لإحساسه بأنه يتوافق مع الشخصية الحقيقية في حياته.

٢ – إذا أبدى المريض سلبية ورفضـا لتمثيل أي دور أوصى المعالج فردا آخر بتمثـيل ذات المـريض فـي الموقـف الـذي يمـس حـياته[١٩] . اسـتثارة لمشاعر المريض الكامنة داخله.

٣ – قد يسـتبعد المعـالج أحـد الأبطـال المسـاعدين إذا لاحظ أنـه لا يسـاعد البطل فعلى البطل المساعد " أن يكون حريصا في تمثيل الدور فلا يغالى فيه[٢٠] .

١ – ٣ – ٤ الجمهور Audience :

وهو المجموعـة Group التـي يختارها المعالج لحضور "المسرحية " وهم كمـا سبق مـن مسـاعدي الطبيـب أو مـن المرضـى أو الباحثـين. ولا تقوم المجموعـة بـدور سلبي مثل الجمهور في الدراما الكلاسيكية وإنما قد يختار منها أحد الأفراد ليكون بطلاً مساعداً ، أي لتمثيل أحد الأدوار المهمة في حياة البطل.

---

(١٧) مصطفى سويف . مرجع سابق.

(١٨) انظر Eric Berne

(١٩) لويس كامل مليكة. مرجع سابق.

(٢٠) المرجع السابق نفسه.

ولقد شاركت الباحثة في عدد من جلسات السيكودراما بإحدى عيادات الأطباء النفسيين المعالجين بالسيكودراما. وقد قامت كبطلة مساعدة ببعض الأدوار المؤثرة في حياة البطل (المريض). ومع ذلك قد يظل بعض الجمهور دون دور محدد سوى أنه يشاهد المسرحية .. " وسواء كان الجمهور مشاركا أو مراقبا فإن على " المخرج " أن ينشط الجميع للتوحد identification مع بعض وجوه البطل [٢١] خصوصا إذا كان منهم مرضى .

١ – ٣ – ٥ – التطهير:

وعند هذه النقطة تلتحم السيكودراما بوصفها طريقة في العلاج النفسي ، بالنظرية الأرسطية؛ فالتوحد والتطهير Catharsis مع البطل " يعالج " المتفرج من بعض المشاعر الضارة . وهو المبدأ الذي بني عليه أرسطو نظريته عن الدراما .

فالدراما عند أرسطو لا تعني بالتحديد فن المسرح وإنما تعني الطريقة التي تحكي بها القصة ، حيث تختلف الطريقة الدرامية عن طريقة السرد . ففي السرد قد يتقمص الشاعر شخصا آخر ، بينما في الدراما يظهر الأشخاص أنفسهم وهم " يفعلون " أحداث القصة ". ومن هنا قال قوم إن هذه الأشعار سميت " دراماتا " لأنها تمثل أشخاصا في حالة الفعل"[٢٢].

" والسيكودراما " هي أيضا " العلاج بالفعل " أي العلاج بطريقة درامية ورد

---

(٢١) انظر Group therapy . op. cit

(٢٢) انظر شكري محمد عيادة "كتاب أرسطو طاليس في الشعر"، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧ ، ص ٣٤

الفعل أي العلاج بطريقة درامية ، حينما يقوم المريض ومساعدوه بتمثيل أفعالهم . وفي الحالتين يراقب " الجمهور " هذه الأفعال فيحدث التطهير إذا ما توحد مع البطل .

٢ – تقنيات السيكودراما :

لكي تحقق السيكودراما أهدافها ، في العلاج، ولكي تتم هذه الأدوار بكفاءة تامة ، فإن للسيكودراما عددا من التقنيات . فقد تركز الجلسة الواحدة على منطقة معينة مثل الأحلام ، والأسرة، الوضع الاجتماعي أو تركز على الأدوار الرمزية أو اللاوعي ، أو على وضع متخيل . وقد تركز على أعراض الهلوسة والأوهام لتجسدها . وتساعد بعض التقنيات في تحقيق عدد من الأهداف العلاجية ، وتزيد من درجة الإبداع في استخراج المواقف . وسوف نعرض لهذه التقنيات المستخدمة في جلسات السيكودراما.

٢ – ١ – التسخين Warm up :

وهي تقنية بداية الجلسة كما يراها مورينو . حيث " يبدأ الأعضاء في التعرف كل منهم على الآخر[٢٣] حتى يألف المريض المجموعة ، وقد يكون المعالج قد حدد المريض مسبقا وقد لا. وتفيد مرحلة التسخين في أنها تساعد المعالج أيضا في تحديد " البطل " إذا لم يكن قد حدده من قبل . " ويجب أن يشجع " المخرج " التلقائية في هذه المرحلة وأن يطلب من الأعضاء أن يعبروا

---

(٢٣) انظر Eric Berne

عن مشاعرهم بصراحة دون خوف[٢٤]. تنتهي مرحلة التسخين حينما يطلب " المخرج " من أحد الأعضاء الحضور إلى المركز (خشبة " المسرح ").

٢-١-١- الكرسي الخالي:

وهي تقنية لتسخين المريض نفسه وتهدئته للدخول في التمثيل إذا ما رأى الطبيب أن المريض يحتاج إلى ذلك.

٢ – ٢- التمثيل Role playing :

وهو التقنية الأساسية التي تقوم عليها السيكودراما ، والتي تلقى قبولاً واسعاً من كل الممارسين . والتمثيل في السيكودراما مرتجل دائما ، فهو عرض لبعض المواقف من حياة المريض بطريقة درامية يعرضها المريض بنفسه دون استخدام الإعداد المسبق أو النص المكتوب مطلقاً. والمواقف التي يمثلها (البطل) قد تكون من الماضي أو الحاضر أو المستقبل .

٢ – ٣ – تبادل الأدوار Role reversal :

" يقوم البطل بتمثيل أحد الذوات المساعدين[٢٥] فإذا كان البطل هو الزوج وقامت إحدى البطلات المساعدات بتمثيل دور الزوجة ليفجر من خلال سلوكياتها الصدمات التتي تؤثر عليه . قد يقلب " المخرج " الدور ليجعل المريض يمثل دور الزوجة على أن تمثل البطلة المساعدة دور الزوج الذي يمثله البطل، ليفجر من خلال سلوكياتها الصدمات التي تؤثر عليه. ففي تبادل

(٢٤) انظر **Ibid**

(25) Eric Berne Op. cit.

الأدوار يحفز المعاون كل " ممثل " كي يتوحد مع الشخصية وأن يمثل مشاعرها وأفكارها وسلوكها بغرض أن يفهمها .

٢ - ٤ تقنية القرين Double :

في هذه التقنية يمثل المريض نفسه ويمثل البطل المساعد المريض أيضا[٢٦] وتسمى هذه التقنية أيضا بـ "الممثل البديل" وهو عضو من الجمهور " بطل مساعد " يحاول التعبير عن جوانب من بطل القصة (المريض) يراها هو ولا يراها البطل . وقد يصرح بأفكار لم يلفظ بها البطل . وقد يقوم البديل بلمس البطل، وقد يتبادل الأدوار مع البطل ، وقد تدخل الجلسة مجموعة من الشخصيات البديلة تعبر كلها عن أقطاب في شخصية البطل حينما تبدأ الصراعات في الظهور[٢٧]. والفرق بينها وبين التقنية السابقة (تبادل الأدوار) أنه في "القرين" يواجه المريض نفسه بينما في تبادل الأدوار يواجه شخصية من محيط حياته.

٢- ٥ - المناجاة Theraputic soliloquy

وتستخدم المناجاة (التي يجب أن تكون تلقائية) كعلاج؛ حيث يكشف البطل عن مشاعر خفية بصياغتها في صورة لفظية ينطقها أثناء تمثيل الموقف دون أن يتوقف المشهد ، بل ربما كان ذلك بالتوازي مع قيامه بالتمثيل أمام شخصية أخرى . وذلك ليوضح شيئا لم يكن واضحا أثناء الموقف .

---

(26) Pshychotheraopy p 1836.

(27) Eric Berne O.P. Cit.

٢-٦ – تقنية المرآة Mirror:

وتسميها بعض المراجع المترجمة " انعكاس الصور " ، وهي التقنية التي يختار فيها (المخرج) بطلاً مساعداً " ليمثل " أو يعيد تمثيل أحد جوانب (البطل) الذي يعبر عن المشهد ليرى كيف يبدو سلوكه للآخرين [٢٨]. وفي هذه التقنية لا يشارك البطل في التمثيل بل يرى المشهد فقط دون مشاركة.

٢-٧ – تصور المستقبل Future projetion

وفيها يرسم البطل صورة لنفسه في المستقبل كما يظنها هو .

٢ – ٨ – تجسيد الأحلام Dream presentation

وفيها يمثل المريض الحلم بدلاً من أن يحكيه ، ويقوم أعضاء المجموعة بتجسيد بعض شخصيات الحلم وأشيائه .

٢ – ٩ – دراما التنويم المغناطيسي .Hypnodramg

إحدى تقنيات السيكودراما حيث ينوم المريض تنويماً مغناطيسياً ليتحرك ويمثل في حرية، مع الأبطال المساعدين .

٢ – ١٠ – سيكودراما الهلاوس Hgallucinatory

وفيها يشخص المريض هلاوسه وأوهامه مع (الأبطال المساعدين) حيث يجسدون معه هذه الهلاوس والأوهام بهدف اختبار الحقيقة .

٢ – ١١ – الصدمة السيكودرامية Ps. Dramatic shock

يطلب من المريض أن يعيد تمثيل الموقف الأخير مرة أخرى ،

---

(28) Ibid

خصوصاً في حالة تجسيد الهلاوس ، وذلك حتى يسيطر على القلق وليتعلم السيطرة على الموقف .

٢-١٢- سيكودراما العائلة Family Psychodrama

وذلك حين ينضم أفراد عائلة المريض إلى المجموعة. وقد يتبادلون الأدوار أو يقومون بأدوار القرين أو الأبطال المساعدين.

ثانياً : تقنيات مسرحية اعتمدت على السيكودراما:

مدخـــل:

إذا كانت السيكودراما ، بوصفها جلسة علاج نفسي جمعي ، قد أخذت من نظرية الدراما الأرسطية - ومن لف لفها - فكرة " المرآة "، فإن السيكودراما تعود لتعطى مفكرا ومخرجا مسرحيا نظرية جديدة للعلاقة بين الممثل والمتفرج وهو المخرج البرازيلي "أوجست بوال".. فقد أفاد أوجست بوال " من السيكودراما " نظريا وتقنيا وقدم للمسرح نظرية ثالثة لا تقوم على أي من المفهوم الارسطى أو المفهوم البريختى ، خصوصا في الجانب الذي يعالج العلاقة بين الممثل والمتفرج، وحتى نوضح ما أضافه (بوال) لابد أن نتوقف عند العلاقة بين الممثل والمتفرج في النظريتين السابقتين عليه.

الممثل والمتفرج:

تُصَاغ العلاقة بين الممثل والمتفرج في نظريتي أرسطو وبريخت على أساس الفصل التام بين منطقة التمثيل ومنطقة الفرجة؛ فكل ما على خشبة المسرح مُحَرَّمْ على المتفرج لأنه شئ "مسرحي" ، وكل ما هو في الصالة مُحَرَّمُ، على الممثل في (نظريات الإيهام خصوصاً) لأنه شئ "واقعي" . يحدث

التفاعل بين الممثل والمتفرج وفق هذا الشرط ، كل منهما في عالمه ، وكأنه لا يشعر بالآخر ، وحتى في نظرية بر يخت فإن المتفرج ممنوع من الصعود إلى الخشبة ، وإذا كان بر يخت قد كسر ذلك الإيهام بنزول الممثل إلى الصالة فإنه لم يسمح بالعكس أبداً. وحتى في ذلك النزول ، فإن العلاقة بين الممثل والمتفرج تظل كما هي ، المسافة محفوظة بينهما ، أو كما تقول الباحثة الفرنسية (آن أوبرسفيليد). " تظل بينهما ٢٥٠ ألف فولت حتى لو جلس الممثل على ركبة المتفرج ".

وتلعب النظريتان، الأرسطية والبريختية، على نظرية المرآة. حيث يرى المتفرج صورته (أو واقعه) في الشخصيات وسماتها وأفعالها ومصائرها. واتجاه التلقى فى النظريتين - دائماً - من الخشبة إلى الصالة. الخشبة فى الحالتين هى صاحبة القول الفصل، وهى العارفة العليمة بكل شئ ، تشبه الى حد كبير الرواى الذى يحكى للقارئ – فى الرواية – هواجس الشخصيات وأحلامهم ودوافعهم وخططهم المستقبلية، لأنه راو عليم بكل شئ. ولكن النظريتين تختلفان فى معالجتهما لقضايا الواقع ، من حيث صورته على المسرح، من ناحية، وإدراك المتفرج من ناحية أخرى .

الخيال والحقيقة :

فتقوم نظرية أرسطو على الخيال والإيهام بينما تقوم نظرية بريخت على الحقيقة وكسر الإيهام .

ففى مسرح يقوم على المفاهيم الأرسطية على المتفرج أن يبحث دائما عن أسباب الفعل ، أو عن المقدمات التى قادت إلى النتائج ، وأن يقارن بينهما

وبين ما يحدث فى واقعه ، فإذا رآها من تلك النوع الذي يحدث (أو قد يحدث) فى واقعه فإنه "يقتنع" أو "يصدق" أن ما رآه ليس سوى صورة متقنة من الواقع ، وأن ما حدث للبطل (فى هذه المسرحية أو تلك) قد يحدث له أيضا.

أما فى مسرح آخر فيستند إلى المفاهيم البريختية فإن على المتفرج أن يقارن أيضاً بين واقعه وبين ما يراه على خشبة المسرح لا "ليقتنع" بالواقع أو "يصدقه" بل "ليرفض" واقعه ويزيل " الوهم " العالق برؤيته عن انتظام الواقع واتساقه.

ففي كل لحظة يتذكر المتفرج أن ما يراه ليس سوى تمثيل على خشبة المسرح؛ حيث تعلن تقنيات بريخت للمتفرج فى كل لحظة عن نفسها وأنها ليست إيهاما بالواقع ، فهي تقنيات تنزع <u>الأقنعة</u> عن خشبة المسرح حتى يفكر المتفرج فى <u>الأقنعة</u> التى يراها فى الواقع ، فهى تكتشف له <u>لعبة</u> الواقع التى يعيشها حينما يراها محض <u>لعبة</u> على المسرح.

وفى المسرح الأرسطي يدرك المتفرج أن ما يراه على المسرح "يشبه" الواقع أو كأنه هو. وفي مسرح بريشت يدرك المتفرج أن ما يراه على الخشبة هو أيضا " الواقع" المسكوت عنه ، إنه الحقيقة المختفية التي لا يراها بالعين المجردة. فى مسرح أرسطو، يرى المتفرج الواقع عبر (مرآة) تكبر الواقع أو تصغّره ، تقدمه على أنه الواقع نفسه. أما مسرح بريخت فإن المتفرج يرى الواقع في مرآة.. - أيضاً - ولكنها مرآة.. تريه أشياء لا يراها؛ إنها مرآة سحرية لا تنقل ما يراه الجميع.

الممثل والمتفرج في مسرح أوجست بوال:

فـى مسـرح "أوجسـت بـوال" يـرى الجمهـور صـورته الحقيقـية الـتى يعيشـها يومـيا ، وفـى كـل مـرة يطلـب مـن الجمهـور أن يـتدخل لحـل الأزمـة " الدرامية " التى هى فى الأصل أزمة واقعية يعيشها هذا الجمهور. ولذلك وقف أوجست بـوال طويـلاً عند مفهوم التطهير فـي كـتابه "قـوس قـزح الرغبة"[٢٩] وقـارن بين أربعـة أنواع من التطهير هي التطهير الطبي والموريني (ويقصد به مفهوم جاكوب مورينو عن التطهير) ثم التطهير الأرسطي، وأخيرا يطرح بوال مفهومـه عـن التطهير فهو يرى أن مورينو قدّم مفهومـاً رائعـاً للتطهير يرتـبط بالممـثل أساسـاً الـذي يؤدي الـدور فـي فرقة مسرحية، ووظيفة هذا الـدور فـي التخلص من معانـاة الممـثل أي خلق الراحة والتوازن. أمـا في المقهورين الذي أقامه بـوال فـإن التطهير لا يستبعد المتفرج وإنمـا دائمـاً هناك اقتراح بالـتدخل. وبالتالـي هناك دائمـاً رغبة في خلق عدم التوازن الذي يعطي إشارة البدء للفعل. أي إنه بتحويل المتفرج إلى ممثل فإنه يسقط كل الحواجز التي كانت تمنع تحقيق الفعل. أ ي إنهـا تطهر المتفرجين والممثلين معـاً. "إنـه التطهير مـن الحـواجـز المؤذية"[٣٠] كما يقول بوال.

وحينما نقـول " يطلـب " مـن الجمهـور أن يـتدخل ، فقد لا يكـون الطلـب مباشراً بالضرورة ، وإنما قد يحمل الجمهور على التدخل. فالعلاقة مع الجمهور

---

(٢٩) ترجم هذا الكتاب بعنوان "منهج أوجست وبوال في المسرح" ضمن منشورات مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي-٩، القاهرة، ١٩٩٧ ترجمة: نور أمين.

(٣٠) منهج أوجستو بوال، المرجع السابق. ص ٨١.

لها ثلاثة أشكال فى مسرح أو جست بوال وحسب نوع العلاقة يقسم بوال مسرحه إلى ثلاثة أنواع:

١- مسرح المنتدى Forum thearte

٢- المسرح المختفي Invisible theatre

٣- مسرح الصورة Image theatre

وفى كل نوع نلمح تلك العلاقة بين منهج بوال والسيكودراما

المنتدى Forum:

لا يعود التشابه بين مسرح المنتدى لأوجست بوال والسيكودراما إلى أن بوال أقام بعض عروضه فى المصحات النفسية ، أو لأنه صمم تدريبات للممثلين "وغير الممثلين" ولكن التشابه قائم بين بنية السيكودراما وبنية المنتدى حتى لو لم يقدم فى مصحات نفسية.

ويعمل مسرح المنتدى على إشراك المشاهد فى الحدث المسرحي بأن يقوم بالتمثيل بنفسه بدلا من أحد الممثلين ، ليقترح "فعلا" جديدا على الشخصية التى اختارها حتى يحل الأزمة الدرامية. فالعرض المسرحي في مسرح المنتدى يبدأ بجزء تقليدى يقدم فيه الممثلون مسرحية ما (عادة ما تكون مأخوذة من واقع الجمهور) ويطلب من الجمهور أن يتدخل مباشرة إذا ما رأى أن إحدى الشخصيات تتصرف بطريقة خاطئة ، وذلك بأن يصيح "المشاهد" قف Stop فيتوقف العرض ويصعد المشاهد الى الخشبة.

ويخبر "المشاهد" الممثلين من أين يريد أن يبدأ المشهد أى يخبرهم بتلك العبارة أو تلك الحركة التي سيبدأ منها ويبدأ الممثلون المشهد مرة أخرى

من وجهة النظر الجديدة بعد أن يؤدى "المُشاهد" الدور بدلاً من الممثل (Spectator). وفى حالة انسحاب المشاهد - يأخذ الممثل الدور مرة أخرى وينطلق العمل نحو نهايته الأولى ، حينئذ يستطيع مشاهد - ممثل (Spectactor) آخر أن يقترب من ساحة العرض ويصيح "قف Stop" ويخبر الممثلين من أين يريد أن يبدأ المشهد ويختار شخصية ما من شخصيات العرض ويمثلها بدلا من الممثل ، سواء كانت هى نفسها الشخصية الأولى أم غيرها.

شخصية الجوكر :

لابد أن يقوم أحد الممثلين بدور إضافى هو دور الجوكر قد يختار له ممثل مستقل منذ بداية العرض أو قد يقوم به الممثل المستبعد (الذي حل محله المشاهد) ، ودور الجوكر مثل جوكر الكوتشينة (الورقة الرابحة) فهو يدخل في أي لحظة ويكلم الجمهور والممثلين يشرح لهم قواعد اللعبة ويصحح الأخطاء للطرفين ويشجعهما على الاستمرار في اللعب. وليس دور الجوكر التسهيل للوصول إلى حل سريع ، بل ربما كان دوره - وهو الممثلين جميعا - تصعيب الأمور إذا طرح المشاهد حلاً ساذجاً. ويسوق بوال المثل التالي:

ففي البرتغال مثلا ، حلت إحدى القرويات محل ممثلة كانت تعلب دور الرئيسة وأخذت تهتف "تعيش الاشتراكية" وكان على الممثلة أن توضح لها أن رؤساء العمل فى الغالب ليسوا من المتحمسين للاشتراكية .[31]

---

(٣١) انظر أوجست بوال "ألعاب للممثلين وغير الممثلين"، ترجمة الحسين علي يحيى، مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٣٤.

فالهدف من المنتدى هو أن يواجه المقهورون كل حيل القاهرين وخططهم والتدريب على مواجهتها ، وسوف يصبح الهدف أكثر واقعية حينما يؤمن المشاهد أنه بدون تدخله لن يتغير العالم [32]

إذن تتكون بنية المنتدى من :

أ- موضوع مقترح يمثل أمام الجمهور ، هذا الموضوع هو مشكلة حقيقية من مشكلات هذا الجمهور.

ب- يشجع الجمهور كي يتدخل في الأحداث وأن يؤلف الحدث الذى يراه أكثر فائدة للتخلص من المشكلة المطروحة.

ج- يحاول الممثلون أن يصعبوا الأمور على تلك المشاهد الممثل(Spectactor) وعليه أن يجد حلولا أخرى أو يترك العرض لمتفرج أخر.

ونستطيع أن نرصد التشابه بين هذه البنية وبنية السيكودراما فيما يلي:

١- **الموضوع " حقيقي " يمس أفرادا بعينهم ، فالتفاصيل من واقع حياة الجمهور**

فمثلا " خلال إضراب موظفي قسم العدّ الإلكتروني بأحد البنوك بباريس ، قمنا بتقديم منتدى عن امرأة زعيمة فى عملها بنقابة التجاريين وعبده.. في بيتها " .." وفى نفس اليوم ولنفس المشاهد قمنا بتقديم مشهد أخر يصور العودة للعمل بعد الإضراب، وكان المشهد يركز على أحد الذين يعملون محل المضربين ، وفى البعض الذي قدمه الممثل كان هذا العامل منعزلا

(٣٢) المرجع السابق نفسه ص ٣٥

ومنبوذا تماما، إذا أساء الجميع معاملته ورفضوا الحديث معه[٣٣].

٢- في كلتا البنيتين " السيكودراما ، والمنتدي " بطل يقوم بتمثيل نفسه.
والفرق بين بطل السيكودراما وبطل المنتدى ، أن بطل السيكودراما شخص واحد محدد سالفا اختاره الطبيب من بين مرض عيادته ، أما بطل المنتدى فهو أحد المشاهدين الذى يختار أحد الشخصيات ذات وظيفة اجتماعية.

فمثلا : أثناء حركة الإصلاح الزراعى فى البرتغال (أبريل ١٩٧٤) حيث أصدر الشعب قانونا ونفذه ووضع يده على الأراضي الجدباء وبث فيها الحياة. وقد قدم بوال عرضا مسرحيا في بورتو شاهده ألف مشاهد تجمعوا في الهواء الطلق، وبدأ المنتدى حيث قدم المشاهدون – الممثلون حلولا لمواجهة ظلم مالك الارض وانتهى المنتدى بالوصول لأفضل الأساليب وقبل أن يعلن الممثلون نهاية العرض صاحت امرأة.

" أهكذا " ، تتحدثون عن الظلم وكل الواقفين على المسرح من الرجال[34] . فيدعو أحد الممثلين بعض النساء ولا يتبقى على المسرح سوى رجل واحد فى دور الشرطى فتقول أحد النساء " حيث أن رجل الشرطة هو المعتدى رقم واحد ، فلاشك أن دوره يمكن أن يؤديه رجل[35] .

---

(٣٣). المرجع السابق.

(٣٤) المرجع السابق ص ـــ ٣٨.

(٣٥) المرجع السابق ، الصفحة نفسها.

٣- في كلتا البنيتين وظيفة للمنظم ، ففى السيكودراما يقوم الطبيب نفسه أو أحد مساعديه بإختيار البطل والأبطال المساعدين وتحديد تقنيات العرض. وفى المنتدى يقوم (الجوكر) بتنظيم الأعمال على الخشبة وتوجيه الممثلين وتشجيع الجمهور على المشاركة.

والفرق بينهما أن الطبيب المعالج يسهل الأمر على البطل للبوح بكل ما عنده من ناحية ، وصقل مرآة .. ذاته من ناحية أخرى ، بينما فى المنتدى يقوم الجوكر "بتعقيد" الموقف أمام البطل (المشاهد - الممثل) وذلك حتى يصل معه - أو مع غيره – إلى أفضل الحلول.

٤- بين البنيتين تشابه رئيسى هو الارتجال والتلقائية. تبدأ المسرحية بموقف أساسي يقدمه الممثلون ، وهم هنا مساعدو المخرج ، ثم تستمر المسرحية وفق اقتراحات البطل (أو الأبطال) الذين يرشحون أنفسهم من الجمهور.

والفرق هو أن الموقف الأساسي في السيكودراما يبدأه المريض (البطل) بينما فى المنتدى يبدأ الموقف من المخرج ثم يكمله البطل (أى الجمهور).

فمثلا : فى العرض المقام فى باريس عن إضراب البنوك ، قدم الممثلون العامل الذى يعمل محل المضربين ، وكيف أساء الجميع معاملته ، ولكن عند بدء المنتدى غير الأبطال (الجمهور) الموقف ، فلم يعزلوا العامل البديل وإنما :

" قاموا بنقيض ما فعلناه إذ حاولوا إقناع هذا العامل بالوقوف معهم وتبنى المسئولية الجماعية" (36).

المسرح المختفي Invisible Theatre :

يفيد " المسرح المختفي " من السكيودراما بطريقة مختلفة تماماً عن "المنتدى". فالمسرح المختفى هو مشهد يؤديه الممثلون فى الشوارع ووسائل المواصلات والمحلات الكبيرة والأماكن العامة عموماً حول قضية مثارة ترتبط بمكان العرض. ففى المترو أو الأوتوبيس يمكن أن يكون الموضوع هو التحرش الجنسى ، وهو ما فعلته فرقة بوال فعلاً فى مترو باريس على خط فنسنير – نيولى.

والمسرح المختفي في أوتوبيس أو مترو يختلف تماماً عن فرقة مسرحية تمثل داخل أوتوبيس تعلن عن نفسها بأنها فرقة مسرحية وتحول الراكبين إلى مشاهدين واعين بأدوارهم، فإن هذا يخرج عن كونه مسرحاً مختفياً.

والفرق بين المنتدى والمختفي أن في المختفي لا يعرف الجمهور أنه جمهور وأن هؤلاء ممثلون ، فعلى الممثلين أن يبدوا كأنهم "مواطنين" ضمن باقى مواطنى المكان وليسوا ممثلين ، وأن يبدو الحوار الذى يدور بينهم على أنه حوار حقيقى ، وهو يحتاج درجة عالية من التقمص.

فمثلاً : فوجئ سكان ستوكهولم فى صباح أحد الأيام بأسرة تحمل مائدة

---

(٣٦) المرجع السابق صـــ ٤١ .

صغير تضعها فى منتصف الشارع وتضع عليها فناجين الشاى وشرائح الخبز وتجلس لتتناول إفطارها ، ودار نقاش بين الأسرة وسائقى السيارات والمارة حول ضوضاء الشوارع والتلوث الذى يدخل البيوت المطلة على الشارع وبالتالى ليس هناك أى فرق أن يكون الإفطار في الشارع أو في البيت. فالموقف الدرامي يتشابه مع السيكودراما والمنتدى في أنه حقيقي. ولكن الفارق الرئيسى هنا أن " البطل " لا يعرف أنه " بطل " أو أنه فى مسرح فهو يتدخل ويناقش ويحاور ويجادل وهو لا يعرف أنه داخل مسرحية، ويواجهه الممثلون بالحقائق التي لا يريد أن يعترف بها على أنهم مواطنون مثله وليس ممثلون.

فمثلاً : فى مطعم بالسويد تشاجر زوج وزوجته (من الممثلين) لأن عشيقة الزوج ظهرت في المطعم وجلسَ الزوج معها تاركا زوجته فما كان من الزوجة إلا أن دعت شابا يونانيا (من الممثلين) دخل المطعم صدفة إلى مائدتها وأخذت تراوده عن نفسه. ودارت المناقشة التي تدخل فيها بعض السويديين من نزلاء المطعم دون أن يدروا أنهم في مسرحية وقد نوقشت في هذا العرض قضيتان مهمتان :-

الأولى : هل من حق الزوج أن يكون له عشيقة وألا يكون للزوجة هذا الحق؟

الثانية : قضية التمييز العنصري التي يرتكبها السويديون ، إذا يطلقون لقب عينا كلب على كل شخص عيناه ليست زرقاء (فاللون الأزرق هو اللون الغالب على عيون أهل القطر). وقد أثار الزوج القضية حينما طالب النادل بأن يطرد ذلك " اليوناني "

من المطعم ويلقى به خارجا ولكن الزوجة تطلب من النادل أيضا أن يلقى زوجها خارج المطعم ... وهكذا يتورط جميع الحاضرين في المناقشة ويؤدون دور الأبطال دون ان يعلموا .

وهكذا تحدث المواجهة بين البطل ومواقفه وأفعاله داخل حدث مرتب مسبقاً يبدو أنه طبيعي ، أي أن البطل لن يفتعل موقفا بل سيكون أداؤه داخل المشهد (المختلق) هو نفس سلوكه اليومي .. فالحدث تخيلي وواقعي في الوقت نفسه " تخيلي " من زاوية الممثلين وواقعي من زاوية المتفرجين.

مسرح الصورة Image theater :

في هذا النوع من المسرح يقترب بوال كثيرا من السيكودراما ، حيث يعتمد على بطل أساسي يحكى ، عن خبرة شخصية ذاق فيها مرارة القهر مستخدما المسرح في الحكي ويساعده الممثلون فى تجسيد الحكاية ولكن بينه وبين السيكودراما فارق أساسي فالممثلون هنا لا يبحثون عن خصوصيات " البطل " ولكنهم يحاولون أن ينتقلوا من الخاص للعام أي إدماج مشكلة البطل فى سياق اجتماعي وسياسى عام.

ونقطة البداية فى مسرح الصورة هى نفسها نقطة البداية فى السيكودراما ، حيث يصور (البطل) مشهدا لقهر تعرض له. ويؤكد بوال فى كتابه ألعاب للمثلين وغير الممثلين " أن القهر لابد أن يكون حقيقيا، أن يشعر به الشخص بالفعل، شئ ما يود لو يغيره لكن لم ينجح بعد ..."[37]

(٣٧)...المرجع السابق.

وحينما يعرض البطل هذا المشهد على المجموعة فإن على المجموعة أن تجلس باسترخاء بحيث يتيحون لأجسامهم حركات قليلة هي ردود أفعالهم وعلامات تركيزهم مع شخصيات البطل . ومن حق البطل أن يختار منذ البداية ممثلين يجسدون معه مشهد القهر الذي يعانى منه.

وبعد انتهاء مشهد القهر ، يدعى المشاهدون إلى خشبة المسرح ، ويقدم المشاهد الذي يرغب في التعليق صورة جسدية ، أو ايماءة جسدية ثابتة.. أو متحركة ، تعكس نظرته للبطل أو لأي شخصية أخرى (إذا كان في المشهد شخصيات أخرى).

وفى هذا المسرح يرى " البطل " نفسه فى "مرآة مركبة" كما يسميها بوال إذ تنعكس ذاته صورا متعددة من أجساد الممثلين.

فمثلاً يحكى بوال عن إحدى التجارب قائلاً :

تحكـى سيدة تدعى مارتين عن رجلين يتعقباها ، وتود مارتين لو تتخلص من مطاردة هذين الرجلين ، لكنها لا تملك القدرة على ذلك فكلما تفعل فإنهما يعودان إليها في كل مرة ولا تملك القوة أو ربما الرغبة في ردعهما. وكان بإمكاننا أن نقدم هذا المشهد على شكل منتدى فيحل المشاهدون – الممثلون محل مارتين ويقترحون الحلول ولكننا استخدمنا تقنية مسرح الصورة فطلبنا من المجموعة تشكيل صورة تعبر بها عن تصورها للشخصيات الديناميكية.. التي قدمتها مارتين. وشكلت المجموعة الصورة، فجاءت مارتين مرتكزة على أربع وفوقها الرجلين.

وكنا بحاجة إلى إثارة تغيير هذه الصورة ، فطلبت من البطلة أن تحاول

التخلص من القهر الذي تصوره هذه الصورة فكررت في تعبيرات مرئية نفس المواقف التي رأيناها في القصة التي حكتها في البداية إذ نفضتهما عن ظهرها ثم عادت تجثو على ساقيها ويديها ، بالطبع عاد الرجلان فجلسا على ظهرها[38]

ويفسر بوال الهدف من مسرح الصورة بقوله : " طالما أن الصورة التي تقدمها المجموعة تشتمل على نفس القهر بعد استحالته من صورة لأخرى فان البطلة بمحاولتها كسر القهر فى هذه الصورة ستصبح أكثر قدرة على كسر القهر في الواقع ، فحين تدرك البطلة أنها اختارت – طوعاً لأكرها – أن تعود لوضعها على أربع فإنها تصبح اكثر وعياً وإدراكاً لذاتها، وهى معرفة خليقة بأن تكون مصدرا للقوة.

أشكال أخرى من مسرح الصورة عند بوال :

تتخذ مسرح الصورة أشكالاً عدة منها " التماثيل " حيث يطلب من المشاهدين – الممثلين صنع مجموعة من التماثيل وتعكس هذه التماثيل صورة مرئية لمنظور جمعى عن فكرة ما معطاه. ويضرب بوال أمثلة متعددة منها :-

" ففى البرتغال صور لنا أحد الأشخاص أسرة فى إحدى مقاطعات البرتغال حيث يجلس رجل فى نهاية منضدة وتقف امرأة بجواره تقدم له صنفاً من الطعام وهناك أناس آخرون يجلسون حول المنضدة. ونفس هذه الفكرة تجدها فى الولايات المتحدة حيث نرى الشخصية الرئيسية جالسة على كرسي بذراعين أما الشخصيات الأخرى فبعضهم يجلس على ذراع الكرسي وبعضهم

(٣٨) المرجع السابق، ص ٢٦١.

على الأرض وبعضهم يتمدد على بطنه وجميعهم يمسكون أطباق فى أيديهم وجميعهم يشاهدون التلفاز. أما المنضدة فمطروحة في ركن من أركان الحجرة وقد اقتصر دورها على حمل بقايا الطعام . وفى فرنسا نجد صورة مماثلة ولكن الشخصيات هذه المرة ليسوا مجتمعين بل متفرقين كل فى حيزه الخاص فأحدهم متمدد على الأرض والآخر متكئ على الباب مادا عنقه كي يرى أفضل وهكذا . وهذه النماذج المختلفة من التصويرات تتوافق مع نماذج الآسرة المختلفة : فالأب هو كبير الأسرة والتليفزيون هو مركز الاهتمام وأفراد الأسرة إما مجتمعون أو متفرقون. وهكذا وبعد عرض هذه الصورة يطلب من المشاهد تشكيل الصورة المثالية.

ثالثاً : الخاتمة:

١- بعد هذا الاستعراض لتقنيات السيكودراما وتقنيات أوجست بوال نستطيع أن نستنتج حدود العلاقة بين الدراما والسيكودراما. فالسيكودراما طريقة للعلاج تصاغ على غرار الحياة، ابتكرها جاكوب مورينو بعد عمله في المسرح التلقائي الذي أوحى له بالسيكودراما.

ويرى جاكوب مورينو أن العلاج اللفظي أو النفاذ إلى أعماق المريض بالحديث معه وسيلة غير ناجحة وأن العلاج "بالفعل" يؤدي إلى تفسير أكثر فاعلية . فابتكر مورينو السيكودراما وتعني العلاج بالفعل . ويستفيد مورينو من نظرية الدراما الأرسطية التي تطهر المتفرج حينما يتوحد مع البطل .

ولكن مورينو أيضاً يستفيد من طبيعة الممثل في المسرح الواقعي حيث يدرس الممثل الشخصية دراسة وافية ، وفي كل وسيلة يمثل فيها لا يكتشف

الشخصية فقط ولكنه يكتشف ذاته أيضاً . فإذا كان المريض عند مورينو يمثل نفسه ، فإن فعل التمثيل قد يساعد المريض على اكتشاف ذاته .

ويعتمد مورينو في هذا على " التلقائية " حيث يدفع المريض إلى أن يسرد بعض المواقف من حياته ومن أحد المواقف التي يحكي عنها المريض أمام المجموعة يبدأ الطبيب في رسم المشهد ليصبح المريض " البطل " وبعض أفراد المجموعة " الأبطال المساعدين " وهنا تختلف الدراما عن السيكودراما في عدد من النقاط هي:

- تعتمد الدراما على نص مكتوب أما السيكودراما فلا تعتمد على أي نص وإنما على "حكاية" المريض نفسها .
- الممثل في الدراما يمثل شخصاً آخر غير نفسه ، بينما في السيكودراما يمثل المريض نفسه .
- التأثير في الدراما موجه إلى المتفرجين بالمعنى العام لكلمة متفرج " ليعلمه ، أو يطهره من المشاعر الضارة ، ....ألخ بينما التأثير في السيكودراما يوجه بالأساس إلى البطل (الممثل - المريض) .
- وسيلة الممثل في الدراما هي التقنيات والتدريب ، بينما وسيلة البطل في السيكودراما هي التلقائية .
- ليس شرطاً أن يألف الممثل الدرامي كل فرد من الجمهور ، بينما لابد أن يألف المريض (البطل) في السيكودراما كل المجموعة .

- السيكودراما نشاط علاجي بالأساس ، الدراما وسيلته ، أما الدراما فهي نشاط إبداعي.

فإذا كانت التلقائية هي الأساس الذي تبنى عليه السيكودراما فعلى المعالج أن يبحث عن عدد من التقنيات التي تحقق له تدفق التمثيل وتطوير الموقف. وتختلف هذه التقنيات من مجموعة إلى مجموعة أو من مريض إلى مريض ، كما تختلف من معالج لآخر .

وقد أفاد المنظّر المسرحي والمخرج البرازيلي أوجست بوال من مفاهيم جاكوب مورينو عن التلقي وطوّرها في اتجاه أسلوب مسرحي جديد يعتمد على مشاركة المتلقي في تأليف العرض المسرحي وتشكيله بالأحداث التي يمر بها هذا المتلقي. فابتكر ثلاثة أشكال من المسرح هي: المنتدى، المختص، الصورة، أفادت كلها من السيكودراما.

ولا يعني هذا كله أن السيكودراما اتجاه مسرحي أو أنها مدرسة درامية ولكنها أسلوب علاجي فقط. أما من يطلق مصطلح (سيكودراما) على العروض المسرحية التي يشاهدها فهو إما أنه لا يعرف الفرق بين الاثنين أو إما أنه يرى أن المخرج والمؤلف أطباء نفسيين وأن الممثلين مرضى.

وربما كان السبب في هذا الخلط أن الترجمات العربية لمصطلح السيكودراما اشتهرت بين النقاد باسم "المسرحية النفسية"[٣٩] مما جعل البعض

---

(٣٩) أنظر مقال: في الظلمة تبدأ العين ترى – نشرة المهرجان التجريبي الدورة الـ ١٤ القاهرة، العدد الرابع سبتمبر ٢٠٠٢.

يظن أن السيكودراما "مسرحية" بالمعنى الإبداعي للكلمة، أنها تتناول أبعادا نفسية عند شخصياتها مثل هاملت، والأب لسترندبرج وغيرها، ولم يلتفت البعض إلى ترجمة الدراما النفسية التي جاءت في كتاب سيكولوجية فنون الأداء[٤٠]. الذي يتناول مفهوم الدراما النفسية كعلاج سلوكي جمعي وهذا ما يأكده هذا البحث.

وأخيراً فالسيكودراما – مرة أخرى – نشاط علاجي، بينما المسرح نشاط إبداعي.

---

(40) انظر مثلاً: جلين ويلسون، سيكولوجية فنون الأداء، ترجمة د. شاكر عبد الحميد، المجلس الوطني للثقافة، يونيو ٢٠٠٠،
ص ٢١.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

١ - أوجست بوال: **ألعاب للممثلين وغير الممثلين.** ترجمة: الحسين علي يحيى. منشورات مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي – ٩ وزارة الثقافة، القاهرة،١٩٩٧.

٢ - **منهج أوجستو بوال في المسرح.** ترجمة: نور أمين. منشورات مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي – ٩ وزارة الثقافة، القاهرة، ١٩٩٧.

ثانياً: المراجع العربية:

٢- شكري محمد عياد: كتاب أرسطو طاليس في الشعر، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧.

٣- لويس كامل مليكة: المرجع في علم النفس –دار النهضة – القاهرة – د.ت.

٤- مصطفى سويف: مخطوط محاضرات لطلبة الدراسات العليا، كلية الأداب، القاهرة، قسم علم النفس، ١٩٧٩.

ثالثاً: المراجع المترجمة:

٥- أ.ف. بتروفيسكي، م.ج. ياروشفسكي: معجم علم النفس المعاصر ترجمة حمدي عبد الجواد، عبد السلام رضوان، دار العالم الجديد – القاهرة، ١٩٩٦.

٦ - جلين ويلسون: سيكولوجية فنون الأداء، ترجمة: د. شاكر عبد الحميد - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (عالم المعرفة-٢٥٨)، الكويت، يونيو ٢٠٠٠

رابعاً: المراجع الأجنبية:

1- Harold, Kaplan, Psychiatry, Group
Psychotherapy, Psychodrama.
(vol 6) part 2 Balttimor Maryland U.S. 1998.

2- Berne Eric, Transactional Analysis –
Psychodrama – Action Therapy, New-York –
Plemum press 1990.

دوريات :

نشرة المهرجان التجريبي الدورة الـ ١٤ القاهرة، سبتمبر ٢٠٠٢ العدد الرابع.

التعويض فى النحو والصرف

د. ليلى السيد سلام *

تتناول هذه الدراسة ظاهرة " التعويض فى النحو والصرف " وقد لاحظنا امتدادها فى كثير من الأبواب ، ونستعرض مباحثها فى الحقلين محاولين البحث عن جذور هذه الظاهرة وأسباب نشأتها ، ووظائفها ، وكذلك دراسة نتائجها التى أثرت فى قواعد اللغة وصرفها ، والتعرف على مصطلحاتها المختلفة التى توغلت فى معظم العلوم اللغوية والإسلامية .

ونحاول من خلال الدراسة التعرف على مستويات التعويض المكانية ، وأشكال الحذف وعلاقته بالتعويض وقوانينه التى فرضها النحاة للوصول إلى تفسيرات لهذا المبحث فى ضوء الاستقراء العلمى للنصوص ، وقد لاحظنا ترادف مصطلحات كثيرة مع مصطلح التعويض مثل البدل ، والشرط ، والجزاء ، والاكتفاء ، والنيابة ، وغيرها ، كما وجدنا أن هناك معايير شكلت نظر النحاة فى هذا المبحث ، مثل الرغبة فى التخفيف ، وكثرة الاستعمال ، وفى مواضع أخرى نجد ظواهر وقوانين صوتية كالإبدال وغيره ، وكذلك قوانين مثل الإضمار وعلامات الإعراب الأصلية والفرعية ، ومن أهم القواعد التى اتكأ عليها النحاة فى هذا المبحث قاعدة التواجد أى وجود المعوض وعدم وجود المعوض منه ؛ وقد اتخذوا منها ذريعة لفرض التعويض فى أبواب نحوية وصرفية كثيرة ، ولكنها فى معظمها أسباب واهية لا تثبت عند البحث وإنما فرضها النحاة فرضاً على واقع اللغة الذى لم يؤيد ما ذهبوا إليه فى كثير من الأحيان ، ولم يلتفتوا إلى السياق الذى يفرض قوانينه الخاصة ، كذلك لم ينتبهوا لأهمية المعنى الدلالى ، ودوره فى تحديد المحذوف

* أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية ، بكلية الآداب ، جامعة مؤتة – الأردن

Summary

The so-called issue " The compensation in Grammar and Morphology" will be discussed in this study as it is noticed that it is extended in many domains. Trying to search for the stems, the reasons for growth and the function of this issue, will be tackled in the coming two sections. Moreover, we will discuss these consequences which affected the grammar and morphology of the language. Besides, this study will help us know the different terms of compensatiőn because they are widely spread in most linguistic and Islamic sciences. Dealing with this study, we will also try to explain the spatial level of Compensation, the forms of ommition and its rules established by the grammarians. This is meant to reach the interpretation for this topic in the light of practical investigation of texts. Following this study, we noticed that the idom of compensation has many synonyms like " the substituted," " reward", " recompense" and " representation" .... etc. Furthermore, we discovered that the grammarians' views about this issue are formed through many standards like resorting to softening and increasing use. In other places, We noticed that we have to discuss phonetic rules like Contiguity, substitution.......... etc. We also discovered that there are other rules like original and subsidiary signs in syntax and the implying.

" Coexistence " is the most important rule on which the grammarians depend in this discussion. It means the existence of the compensation and the non - existence of the one who is compensated. This made many grammarians consider it an excuse in order to discuss " the compensation " in many grammatical and morphological domains .In fact, all this is nothing except weakened reasons which must fail when they come to discussion . This is because these reasones cannot support their opinios in most cases because they are imposed on language.Further, the grammarians neglected the context which has many special rules to be taken into consideration. In addition, they gave no importance for the semantic meaning and its importance to determine the ommitted points.

<u>التعويض فى النحو والصرف</u>

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على ظاهرة من الظواهر الهامة فى الدراسات اللغوية والنحوية وهى ظاهرة التعويض التى نجدها ممتدة فى كثير من المباحث، وتناقش آراء العلماء بين التنظير المحض لهـا، والتطبيقات العملية لتلك الظاهرة فى الواقع اللغوي، كما تتعرض الدراسة للظاهرة فى بعض العلوم اللغوية والإسلامية، وذلك فى محاولة لتفسيرها فى إطار من منظومة الفكر العربي، حيث نجد (التعويض) يشكل آلية من آليات الفكر العربي.

<u>مفهوم التعويض ومترادفاته :</u>

العوض : لغة هو البدل والجمع أعواض ويقال عاضه منه وبه والعوض المصدر من قولك عاضه عوضا وعياضا ومعوضة وعوضه وأعاضه وعاوضه، وعضت فلانا وأعضته وعوضته اذا أعطيته بدل ما ذهب منه وتعوض منه واعتاض أخذ العوض، واستعاضه وتعوضه آي سأله العوض، واعتاضني فلان واستعاضنى إذا جاء طالبا للعوض، وعاوضت فلانا بعوض فى المبيع والأخذ والإعطاء، ومن معاني التعويض تعاوض القوم تعاوضا أى ثاب مالهم وحالهم بعد قلة، وعوض معناه الأبد وهو للمستقبل من الزمان فتقول عوض لا أفارقك، تريد لا أفارقك أبدا، فهو لما يستقبل، ومن معانيه القسم عوض لا أقطعه، يحلف بالدهر والزمان، وذكر ابن الكلبي أن عوض اسم صنم كان لبكر بن وائل كما فى قول الشاعر:

حلفت بمائرات حول عوض .. وأنصاب تركن لدى السعير

وبنو عوض قبيلة وعياض اسم رجل، وكله راجع الى معنى العوض الذى هو الخلف(١)أى جعل الشىء خلفا عن غيره.

أما معنى العوض اصطلاحا فهو أن يقع فى الكلمة انتقاص فيتدارك بزيادة شىء ليس فى أخواتها، كما انتقص التثنية والجمع السالم بقطع الحركة والتنوين عنهما فتدورك ذلك بزيادة النون(٢) فهو الإتيان بحرف عوضا من آخر بحيث يكون العوض مباينا للمعاض منه وفى غير موضعه ويدور حديث طويل حول العوض والبدل وأوجه الشبه بينهما وأوجه الاختلاف وهناك ربط بين مفهوم العوض ولفظ عوض بمعنى الدهر فالدهر مرور الليل والنهار وتصرم أجزائهما، وكلما مضى جزء منه خلفه جزء آخر يكون عوضا فالوقت الثاني غير الوقت الأول، ولذلك فإن العوض أشد مخالفة للمعوض منه من البدل ونستطيع أن نذهب إلى أن الاختلافات بين العوض والبدل ، والمبدل تظهر فى نقاط كثيرة منها:

الجمع بين العوض والمعوض منه والبدل والمبدل منه، فيمكن الجمع بين البدل والمبدل منه كما فى مثل مررت بأخيك زيد، فزيد بدل من أخيك ويجتمعان معا على حين لا يجوز الجمع بين العوض والمعوض منه، كذلك يختلفان من حيث العلاقة المكانية بين طرفي كل منهما، فمن حكم البدل أن يكون فى موضع المبدل منه، أما فى باب العوض فليس شرطا أن يقع العوض مكان المعوض منه فقد يكون مكانه كما فى

نحو يا أبت وقد يكون فى غير مكانه كما فى نحو (عدة) مما سنعرض له فى الدراسة ومن نقاط المقارنة بينهما مسألة الحذف ومستوياته بين جائز وواجب وممتنع وكذلك مسألة إعراب كل منهما حيث يعرب البدل بديلا عن المبدل منه، أما العوض فهناك خلاف كبير حول إعرابه بدلا من المعوض منه، حيث يذهب أكثر النحاة الى عدم إعرابه بديلا عنه، وفى المجمل فان البدل أشبه بالمبدل منه من العوض بالمعوض منه ودائرة البدل أوسع وأشمل من دائرة العوض(٣).

أما عن العلاقة المكانية بين طرفى التعويض فنجدها تتحدد فى ثلاث مستويات نحوا واستعمالا، فهناك المستوى الأول الذى يشترط أن يكون المعوض فى غير مكان المعوض منه، وهو رأى ضعيف بدلالة الاستعمال، والمستوى الثانى جواز أن يكون فى نفس مكانه، وهو رأى ضعيف كسابقه والمستوى الثالث جواز أن يكون العوض فى غير مكان المعوض منه وهو الرأى الغالب عند النحاة ويؤيده الاستعمال العربى(٤) كما فى قولهم (ابن) حيث جاءت همزة الوصل فى أول الكلمة تعويضا عن آخرها، وغير ذلك كثير جدا من كلام العرب (٥) (فمن طريقة العرب انهم إذا حذفوا من الأول عوضوا أخيرا مثل عدة) فمستويات التعويض المكانية يمكن أن نجدها فى الواقع اللغوى على النحو التالى :

١- حرف مكان الحرف المعوض عنه كما فى يا أبت حيث التاء عوض عن ياء المتكلم
٢- حرف حذف من الأول والمعوض عنه فى أخر الكلمة كما فى عدة (فالتاء عوض من الواو)
٣- حرف من أخر الكلمة والمعوض عنه فى أولها كما فى كلمة اسم (همزة الوصل عوضا عن آخره)
٤- حرف محذوف ليس فى أولها ولا فى أخرها كما فى زناديق

ولعل الاعتبار المنطقى فى ذلك هو تكملة الكلمة فأين كملت الكلمة حصل غرض التعويض(٦) اما عن اجتماع العوض والمعوض منه فالأصل أنهما لا يجتمعان إلا للضرورة الشعرية، وهذا الحكم الذى ذهب اليه النحاة ليس لازما بل هو غالب، فقد وردت النصوص العربية وقد جمع بين العوض والمعوض فيه كما فى قولهم (اما كنت منطلقا انطلقت) حيث جمع بين كنت واما المعوضة عنها (٧) وكذلك قول الشاعر :

هما نفثا فى فى من فمويهما .. على النابح العاوى أشد رجام

حيث جمع بين الميم والواو فى كلمة (فم) وهى عوض منها، وكما فى قول الشاعر :

إنى إذا ما حدث ألما .. أقول يا اللهم يا اللهما

حيث جمع بين (يا) التى للنداء والميم التى للعوض منها وذلك للضرورة الشعرية(٨)، اما الجمع بين عوضين فقد أجازه النحاة كما فى مثل (يا أبتا) و (يا أمتا) وهو ليس جمعا بين العوض والمعوض منه وانما هو جمع بين عوضين وهو ليس بالمكروه(٩)، ولا يجوز حذف العوض لأنه جاء تعويضا عن

محـــذوف فيكون فى حذف المعوض إجحاف بالكلمة وذلك كما فى قولهم (يا الله) فانهم لما حذفوا الميم كـــرهوا أن يقولوا (الله) بحذف (يا) لما فى ذلك من حذف المعوض والمعوض منه (١٠) فالقاعدة ان ما كان معوضا لا يحذف، فلا تحذف (ما) فى قولك أما أنت منطلقا انطلقت، ولا يجوز حذف التاء من قولنا (عدة واقامة واستقامة) (١١) أما قوله تعالى (وإقام الصلاة) (١٢) فإن ذلك لا يقاس عليـــــه (١٣) ولم يذكر لنا السيوطى علة عدم القياس عليه. ويعمل العوض العامل عمل المعوض منه عند بعض نحاة البصرة وتابعهم ثعلب من الكوفة وذلك لأنه حل محل المعوض عنه أو جاء نائبا عنه فاستحق العمل كمـــا فـــى قولهم (أما أنت منطلقا) حذفت كان وحلت (ما) محلها وعملت عملها فى الرفع والنصب تبعا للقـــاعدة التى تذهب الى أن الشىء إذا عاقب الشىء ولـــــــــى من الأمر ما كان المحذوف يليه (١٤) كما فى قول جران العود :وبلدة ليس بها أنيس الا اليعافير وإلا العيس

فأجـــاز بعـــض الـــنحاة الجـــر بالواو التى هى عوض من رب (١٥) وذهب بعض النحاة الآخرين الى ان العـــوض لا يعمل عمل المعوض منه وانما العمل للمعوض المحذوف. فالخفض فى المضاف إليه بالحرف المقدر الذى هو (اللام أو من) فالعوض فى اللفظ فقط وليس بمنزلة المعوض عنه فى العمل(١٦). ولعل الـــراى القـــائل بقـــيام العـــوض مقام المعوض منه فى الإعراب هو الرأى الارجح لما فيه من عدم تقدير محذوف وعمل لهذا المحذوف.

ونجـــد وظائف التعويض متعددة عند النحاة قديما وحديثًا فالغرض من التعويض تكميل الكلمة بعد ما حدث لهـــا مـــن حذف(١٧) ومنه أيضا العدول عن أصل إلى ما هو أخف منه، فالتخفيف من وظائفه وهو جبر للكلمـــة لمـــا وقع لها من انتقاص فيأتي التعويض لتدارك ذلك بزيادة خاصة فيها ليست فى اخوتها وذلك مـــنعا لإجحاف الكلمة(١٨) ولعل مما يزيد قيمة التعويض هو استحضار الكلمة المحذوفة او المنوب عنها جنـــبا الـــى جنـــب مع الكلمة الواردة فى الجملة مما يعنى إثراء المعنى . وقد يساعد التعويض فى تفسير بعض الاختلاف فى اللهجات من حيث حذف بعض الحروف واثبات غيرها كالكسكسة. والكشكشة و غيرها ممـــا ســـنعرض له فـــى حيـــنه(١٩) ومن وظائف التعويض فى تدريس اللغة العربية تمرين الطلاب على اكتشاف العلاقة التحويلية بين جملتين أو أكثر ومعرفة أنواع هذا التحويل من حذف او تعويض كما يمكن تبيـــن معـــالم الكلمـــة بوسائل منها إفرادها بالنطق وحذفها من الكلام او اقحامها فيه او الاستعاضة عنها بأخرى(٢٠) فالتعويض سنة من سنن العرب وطرائقهم

ويـــترادف مـــع مصـــطلح التعويض مصطلحات كثيرة على امتداد الدراسات النحويه واللغوية وفى العلوم الاســـلامية فـــتحل محلـــه احيانا كثيرة ويتناولها المتحدثون عن التعويض بمعناه ومضمونه ونعرض فى عجالـــة لهذه المصطلحات لما فى ذلك من كشف عن قيمة المصطلح واهميته ودورانه فى مختلف الحقول وهـــذه المصـــطلحات المـــرادفة للـــتعويض هى البدل والخلف والثواب والجزاء والجبر والنيابة والتعاقب

والأجر والاستقاء والإلحاق والاكتفاء والتفسير. و يقف مصطلح البدل على راس هذه المصطلحات فهو أكثرها تناويا وترادفا لمصطلح العوض ابتداء من تعريف المعاجم للبدل (٢١) حيث نجد في تعريفه عاوضه اى بادله وعوضه عنه أعطاه بدل ما ذهب منه والعوض البدل والخلف كما يلفت نظرنا قول أبي حيان (البدل لغة العوض ويفترقان في الاصطلاح) ويقول ابن جني اعلم أن كل واحد من ضربي التعاقب وهما البدل والعوض قد يقع في الاستعمال موضع صاحبه وربما امتاز أحدهما بالموضع دون رسيله، فكل عوض بدل وليس كل بدل عوضا (٢٢) والميم في آخر كلمة (اللهم) بدل من الياء في أوله كذلك هي عوض منها (٢٣) وفي تفسير قوله تعالى(فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه) (٢٤) أي أبدلهما الله تعالى جارية تزوجت نبيا (٢٥) ويأتي مصطلح الخلف مرادفا لمصطلح العوض وتفيد الدلالة الحسية لمصطلح الخلف التعاقب بين شيئين كما في خلف الله عليك واخلف عليك اى عوضك خيرا مما أنفقت

(٢٦) وفي تفسير قوله تعالى (وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة) (٢٧) أى جعلهما يتعاقبان لعبادة عباده (٢٨) وفي الحديث النبوى (ما من يوم يصبح فيه العبد إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا) والخلف هو العوض أى أعط كل منفق خلفا أى عوضا وبدلا مما ذهب منه

(٢٩) وفي تفسير عمل (أما) عمل كان في قولهم (أما أنت منطلقا) لأنها تعويض عنها نجد مصطلح الخلف (أما عاملة في الجزاين عمل ما خلفته) (٣٠).

ويأتي مصطلح الثواب بمعنى العوض فثوبه الله من كذا أى عوضه واستثابه سأله أن يثيبه وفي تفسير قوله تعالى (لمثوبة من عند الله خير) (٣١) أى إعطاء ثوابه أى جزاء ما عمله وأثابه الله ثوابه(٣٢) وفي الحديث القدسي (يقول الله من أذهبت حبيبتيه وصبر واحتسب لم أرض له ثوابا إلا الجنة) أى لم أرض له عوضا، وعند أهل السنة فان المؤمن إذا أخرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض (٣٣) ومصطلح الجزاء يأتي أيضا بمعنى العوض كثيرا (٣٤) كما في قوله تعالى (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) (٣٥) فيرد البشر الى الله فيجزيهم على صبرهم ولا يضيع أجر المصيبة (٣٦) وغيرها كثير ويأتي الحديث السابق بلفظ آخر (إذا أخذت كريمتي عبدي في الدنيا لم يكن له جزاء عندي إلا الجنة) حيث وردت كلمة الجزاء مكان كلمة عوضته، وفي المعاجم يأتي مصطلح الجبر مرادفا لمصطلح العوض وكذلك في النحو حيث يأتي التعويض جبرا للكلمة لما دخلها من الوهن(٣٧) كما تكون صلاة النافلة والسنن جبرا لنقصان ما يمكن حدوثه في الفرائض، وفي خطاب الله لعباده كما في قوله (اعبدوا ربكم) (٣٨) جبر لمشقة العبادة بلذة المخاطبة(٣٩) وفي تعليل بناء المنادى المفرد على الضم أنه أخذ أقوى الحركات جبرا له بسبب فقد الإعراب، ومن تمام مغفرة الله عز وجل للقاتل تعويض المقتول لأن مصيبته لم تجبر بقتل قاتله (٤٠) وفي تفسير كلمة (جبريل) الجبر هو الإصلاح لما ضعف، وجبريل موكل بالوحي فالوحي جبر ما وهى من الدين وفي قوله تعالى (يهب لمن يشاء إناثا)(٤١) تقدمت الإناث

علـــى الذكـــور لجبرهـــن عـــن الانكسار وتعرفت كلمة الذكور جبرا لها عن فضيلة التقدم(٤٢). ومعانى مصـــطلح النـــيابة فـــى المعـــاجم تكشف عن ترادفه مع التعويض فهو إحلال شىء محل شىء اخر(٤٣) ويترادف المصطلحان كذلك فى كتب النحاة فالمصدر يكون عوضا ونائبا عن لفظ فعل الامر وعن معناه. و (يـــا) فـــى النداء تعويض ونائبة عن الفعل (أدعو) (٤٤) وكذلك فى قولك (ليت شعرى هل قام زيد) جملة هل قام زيد نابت عن خبر ليت وصارت عوضا منه (٤٥) فالبدل والعوض والنيابة بمعنى واحد (٤٦) و (حتى) الداخلة على الفعل المضارع تعويض عن (أن) ونائبة عنها.

ومن المصطلحات الهامة فى ترادفها مع مصطلح التعويض مصطلح التعاقب فيقال اعقب هذا ذاك إذا ذهب الأول فصار الآخر مكانه. والمعقب من كل شىء ما جاء عقيب ما قبله والاعتقاب والتعاوض بمعنى واحد تمامـــا(٤٧) وجـــواب(لـــولا) فى قولنا (لولا زيد لقمت) عوض من خبر المبتدا ومعاقب له، وفى حديث الرســـول (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار) وفى قوله تعالى (له معقبات من بين يديه ومن خلفه) (٤٨) أى تأتى جماعة عقب الأخرى (٤٩).

ويقابلـــنا مصـــطلح الأجر وما يندرج تحته من الشراء والبيع والثمن بمعان متقاربة جدا مع التعويض فى ثـــنايا كتـــب النحو وبعض العلوم الأخرى، ففى اللسان عاوضت فلانا بعوض فى المبيع والاخذ والاعطاء. تقـــول اعتضته كما تقول أعطيته(٥٠) ولعل ما يلفت النظر تسمية باء المقابلة باء الأعواض وهى الداخلة على الأثمان وهى أيضا باء البدل وباء المقابلة فيقال هذا بذاك، أى هذا بدل ذاك وعوض منـــه(٥١)

وفى تفسير قوله تعالى عن الأجر فى القرآن يأتى كثيرا بمعنى العوض، وكذلك الثمن، كما فى قوله تعالى (ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا)(٥٢) وغيرها من الآيات اى اعتاضوا عن الهدى واســـتبدلوا عن ذلك واعتاضوا عنه الضلالة وغيرها من الآيات (٥٣) ولقد استخدمت باء العوض فى حل الـــتعارض بين قوله تعالى (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) (٥٤) وقوله صلى الله عليه وسلم (لن يدخل احدكـــم الجنة بعمله) فإلى جوار التفسير الدينى هناك التفسير النحوى باختلاف دلالة الباء فى الموضعين فهى فى الآيه للمقابلة وهى التى تدخل على الاعواض. وفى الحديث لسببية لان المعطى بعوض قد يعطى مجانا، وأما المسبب فلا يوجد بدون السبب(٥٥) وفى الحديث النبوى يتناوب المصطلحان الأجر والعوض (اللهم عندك احتسبت مصيبتى فأجرنى فيها وعوضنى منها) (٥٦).

ويـــترادف مصـــطلح الاســـتغناء ايضا مع مصطلح العوض فى حديث النحاة كما فى قولهم (أنت ظالم ان فعلـــت) حذفـــت جملة جواب الشرط والجملة المقدمة عوض عن المحذوف واستغناء عنه(٥٧) ولعل هذا الـــترادف بشـــكل فكرة جديدة تزيد معنى العوض ثراء، وامفعول المطلق ينوب عن الفعل للتعويض عنه والاستغناء به كما يغنى لفظ التثنية والجمع عن تكرير المفرد وهو ايضا عوض عنه(٥٨).

وتأتى الحروف نائبة عن الجمل فى الاختصار والاستغناء والتعويض(٥٩) وفى تفسير قوله تعالى (وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله) (٦٠) اى هذا عوض ما تخوفتم من قطع الأسواق فعوضهم الله عن تلك المكاسب بأموال الجزية(٦١) ويذكر السيوطى ان ابن جنى قد ساوى بين مصطلحات ثلاثة هى النيابة والعوض والاكتفاء بمعنى واحد، وفى قولهم (ليت شعرى هل قام زيد) فإن جملة هل قام زيد نابت عن خبر ليت وصارت عوضا منه فلا تظهر فى هذا الموضع اكتفاء بها(٦٢) وأخيرا فإن مصطلح التفسير استخدم مرادفا على قلة لمصطلح التعويض كما فى قولهم (زيدا ضربته) حيث يجب حذف الفعل العامل فى زيد لوجود الفعل الثانى وهو عوض عنه أو تفسير له، وكما لا يجوز الجمع بين العوض والمعوض عنه فانه لا يجوز الجمع بين المفسر والمفسر (٦٣).

ويمتد مصطلح التعويض بدلالاته المختلفة فى العلوم الإسلامية مما يكشف عن عمق المصطلح وتوغله فى العلوم العربية بشكل عام، ففى التفسير فى قوله تعالى (لا جناح عليكم إن طلقتم النساء) (٦٤) فانه لا يجوز للرجل أن يطلق المرأة قبل دخوله بها وفى هذا انكسار لقلبها لهذا أمر الله تعالى بامتاعها وهو تعويضها عما فاتها بشىء(٦٥) وقوله تعالى (قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا)(٦٦) رد عليه موسى لخاف أن يكون عوضا مما سقيت لهما وإنا اهل بيت لا نطلب على عمل خير عوضا(٦٧) وفى الحديث النبوى (من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه) (٦٨) وغير ذلك من الأحاديث التى سبق ذكرها، فإذا جئنا للفقه نجد فى معرض الحديث عن توبة القاتل أن الله يجعل من تمام مغفرته للقاتل تعويض المقتول لأن مصيبته لم تجبر بقتل قاتله(٦٩)، كما أن الدية تعويض لأهل القتيل، وفى علوم القراءات والتجويد نجد أن الحرف المحذوف لغير علة يعوض عنه بحرف المد الصغير كما فى قوله تعالى (ان الله لا يستحى أن يضرب مثلا) (٧٠) فيوقف عليه بالإثبات لأن المحذوف لغير علة كالثابت (٧١). وهناك مدّ العوض ويكون عند الوقف على التنوين المنصوب كما فى قوله تعالى (ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا)(٧٢) فيقرأ بالألف عوضا عن التنوين (٧٣). وللهمزة المتحركة وقبلها متحرك أحكام كثيرة، ومن وسائل تخفيفها إسقاطها من الكلام والاستعاضة عنها بإطالة صوت اللين قبلها فتكون كالمضبوطة بالسكون كما فى قراءة (مستهزون) فى قوله (مستهزئون)، وإذا توالت همزتان وكانت الثانية مشكلة بالسكون فإنها تسقط من الكلام ويستعاض عنها بإطالة حركة الأولى مثل (آمن – أوذى)(٧٤).

أما فيما يتصل بالعلوم اللغوية فنجد أن ظاهرة التعويض قد استغلت فى تفسير كثير من مسائل الأصوات واللهجات مثل تسكين تميم (كتب) بدلا كتب، و تفسيره أنه تعويض عن فتح عين الماضى بتسكينها ومثلها فخذ وكبد إلى غير ذلك، وكذلك ظاهرة الإتباع الصوتى عند تميم كما فى قولهم (ضحك ضحكا ً جاء عوضا عن ضحك ضحكا، وكذلك قول تميم (فزد) بالدال، جاء عوضا عن (فزت) بالتاء، حيث

تمت الاستعاضة بحرف مجهور هو الدال عن حرف مهموز هو التاء بسبب التجاور الصوتى بين الحرفين، وكذلك ظاهرة التفخيم حيث حيث فضلت تميم الطاء على التاء فى قولهم (أفلطنى الرجل إفلاطا) تعويضا عن (أفلتنى إفلاتا) وكذلك فضلوا الصاد على السين فى قولهم (شمر عن صاقه) تعويضا عن ساقه (٧٥).

وفيما يتصل بالنحت نجد عند ابن فارس حديثا طويلا حول الحرف التعويضى لمادة الكلمة فكلمة مثل (الصقعب) منحوتة من صقب وصعب فالعين حرف يحمل دلالة تعبيرية تعوض المادة المختزلة(٧٦) وعلامات الترقيم فى اللغة نظام لوضع علامات بين أجزاء الكلام لتمييز بعضه من بعض فهى علامات ذات دلالة فى نفسها لأنها تميز الكلام وتزيل اللبس عنه وتوضح المقصود وهى العلامات المعروفة لكن هناك علامات تأتى فى الكتابة تعويضا عن كلام فى شكل رموز مثل العلامة(..) بمعنى إذن والعلامة (أ . هـ) بمعنى انتهى ولا يظهر التنغيم او الايقاع فى الكتابة وتقوم علامات الترقيم بهذا الدور التعويضى الى حد ما، وعلامات الترقيم محاولة لتعويض اللغة المكتوبة فقدان المسرح اللغوى والنطق الفعلى(٧٧).

وأما حركات الإعراب وعدم وجودها فى المبنيات فقد دفعها الى قرينة الرتبة التى أصبحت عوضا للمبنيات عن فقد العلامة الإعرابية (٧٨) وكذلك لهجاتنا العربية الحديثة فقدان الإعراب جعلها تستعيض عنه بتثبيت مواضع الكلمات فى الجملة (مثل محمد ضرب على) يفهم الفاعل من المفعول من ترتيب الكلمة (٧٩) وبعد تطور العربية أصبحت قوانين الإعراب وضوابطه تعويضا عن السليقة (٨٠).

وقد لاقى الخط العربى اهتماما كبيرا بقواعده وعناية فائقة بإنشاء مدارس لتعلم قوانينه فى أنحاء العالم الإسلامي ولعل ذلك يفسره ناحية تعويضية هى تحريم الإسلام النحت والتمثيل فاتخذ الفنان من الخط تعويضا يبرز فيه مهاراته الفنية. ونلمح التعويض فى القافية بحروف اللين عن حرف متحرك وكذلك يتم تعويض الضرب من كثرة السواكن فيه (٨١) وظاهرة تدفق النثر على شكل خطب ورسائل ربما كان تعويضا عن السلائق الشعرية فأصبح النثر التعويض الفنى الذى غطى على الشعر، كما يذهب أحد الباحثين الى تفسير شعر الغزل الإباحى على أنه تعويض داخلى عن الانكباب على السلطة فى دمشق فلم يكن تعبيرا عن حياة الناس وإنما تعويض عن قسوة الحياة السياسية ومتاعبها (٨٢) ولعل هذا التفسير ينطبق بشكل خاص على الغزل فى الحجاز فى العصر الأموى

(٢) أشكال التعويض

إذا مـــا جئـــنا الى أشكال التعويض فى النحو والصرف وجدناه يأتى بأشكال كثيرة نستطيع أن نصنفها فى ثلاثـــة مستويات المستوى الأول يضم التعويض بالحرف وبالكلمة و بالجملة وبشبه الجملة ، و المستوى الـــثانى يضـــم التعويض بالتشديد وبالمدّ وبالتنوين والتعويض بالحركة الإعرابية وأخيرا المستوى الثالث وهـــو اقـــرب إلى التعويض بالمعانى والمفهومات والأول منه التعويض بمفهوم التعدى والثانى التعويض بمفهـــوم الجمعـــية والأخـــير الـــتعويض بمفهوم التفخيم ، ونعرض لكل هذه المستويات بأقسامها و نبدأ بالـــتعويض الحـــرفى وقد حاولنا أن نسير فيه على الترتيب الألفبائى أو على حروف الهجاء قدر الإمكان وذلك لاختلاف النحاة حول الحرف المعوض أحيانا .

التعويض بالهمزة :

الهمزة تعويض عن حرف القسم :

وذلـــك فـــى مثل (الله إنك لقائم) الهمزة جاءت عوضا عن حذف حرف القسم والدليل عدم الجمع بينهما وعـــدم جواز ذلك فلا يقال والله لأفعلن ومن معانى همزة الاستفهام معاقبة حرف القسم فتأتى عوضا منه وقد فسرت قراءة على بن أبى طالب (شهادة الله) (٨٣) بمد همزة الاستفهام على أنها عوض من حرف القسم بدليل عدم جواز الجمع بينهما (٨٤)

الهمزة تعويض عن الكاف فى (هاكم) :

وقد وجد الاستعمالان (هاء) و (هاك) فالأصل فى (هاؤم) هاكم فأبدلت الهمزة من الكاف (٨٥) وذلك فى قوله تعالى (هاؤم اقرأوا كتابيه) (٨٦)وقد ذهب بعضهم إلى أن (هاء) ثلاثية والهمزة لام الكلمة ولا يوجد تعويض .

الهمزة فى المصدر تعويض عن حذفها فى المستقبل :

وتوجـــد فـــى أمـــثلة الفعـــل على اختلاف أزمنته وصيغه فاذا حذف شىء من بعض الأزمنة أو الصيغ تم التعويض عنه بإيجاده فى أزمنة الفعل الأخرى أو بعض صيغه ، مثال ذلك باب يكرم و نحوه عندما حذفت همزة القطع من المضارع عوضوا منها بإيجادها فى المصـــــــدر (إكرام) وكـــــذلك الحـــــــال فى باقى الباب (٨٧)

الهمزة تعويض عن حركة أول الأمر من الثلاثي:

تأتى همزة الوصل فى باب (اضرب) تعويضا من حركة أول الكلمة فالأصل فى المضارع (يضرب) فيحذف فى الأمر حرف المضارع فيبقى فاء الفعل ساكنا فأتى بهمزة الوصل من اجل الحركة ، وتكون تلك الألف تعويضا عن الحركة المحذوفة (٨٨)

الهمزة تعويض عن لام الكلمة :

هناك اسماء جاء التعويض فيها بهمزة الوصل عن لاماتها المحذوفة هذه الكلمات هى (١) ابن (٢) ابنة (٣) ابنم (٤) اسم (٥) است (٦) اثنان (٧) اثنتان (٨) امرؤ (٩) امراة (١٠) ايمن الله ؛ وقد جاءت الهمزة فى كل الكلمات تعويضا عن حذف لاماتها والدليل على ذلك عدم اجتماع هذه الهمزة مع اللامات المحذوفة فى التثنية والتصغير والجمع (٨٩)

التعويض بالألف :

الالف تعويض عن حذف الهمزة :

فى مثل كلمه (ناس) أصلها أناس فحذفت الهمزة المقابلة للفاء وجعلت الف (فعال) عوضا منها (٩٠)

الألف تعويض من لام الفعل فى هيهات :

الألف والتاء عوض فى هيهات لأن أصلها هيهيات (٩١) وهناك آراء أخرى تذهب الى ان التاء للتأنيث او التاء للوقف

الألف تعويض عن ياء المتكلم (ياء الإضافة):

فى مثل قوله تعالى (يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله) (٩٢) حيث جاءت الألف تعويضا عن ياء الإضافة فى (يا حسرتا) (٩٣)

الألف تعويض عن لام الاستغاثة :

اذا حذفت لام الجر التى تدخل على المنادى المقصود به التعجب يؤتى بالألف فى آخره عوضا عنها مثل يا حسنا ؛ يا عجبا ولا يجوز اجتماعهما(٩٤) وهناك آراء أخرى تذهب إلى ان الألف زائدة للتوكيد اى توكيد الندبة والهاء زائدة للسكت.

الالف عوض من الياء فى التفعيل:

فى مثل (التكرار) بفتح التاء مصدر للفعل (فعل) وهو عند الكوفيين الألف فيه عوض من الياء فى التفعيل (٩٥)

الألف تعويض عن الهاء فى الوقف :

فى مثل كلمة (حيهلا) الالف جاءت عوضا عن هاء السكت فى الوقف فى بعض المواضع (حيهلة _ حيهل_ حيهلا) فالهاء هى الأصل فى السكت والألف عوض وعندما يوقف على حرف من الكلمة يصح الإتيان بألف السكت تعويضا عن هاء السكت كما فى قول الشاعر:

بالخير خيرات وان شرافا.. ولااريد الشر الا ان تا

والتقدير (فا) اى فشر و(تا) اى إلا أن تشاء فجئ بألف السكت للوقف تعويضا عن هاء السكت (٩٦)

الألف تعويض عن عين الكلمة :

فى مثل (هاع،لاع) اى جبان ؛ حذفت العين وهى حرف علة وجعلت ألف (فاعل) عوضا منها؛ وكذلك كل ما كان نحوه مثل (رجل خاف) (٩٧)

الألف تعويض عن المضاف:

فى مثل قولهم (بينا) كما فى قول الشاعر:

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا.. إذا نحن فيهم سوقة ليس تنصف

اختلفت الآراء حول (الألف) منها أنها زائدة ومنها أنها للإشباع ومنها أنها بعض (ما) الكافة، وذهب بعضهم الى انها عوض من المضاف مثل (ما) فى بينما وحيثما (٩٨)

الألف تعويض من التنوين فى المقصور المنصرف فى الوقف:

وتسمى عند ابن منظور (الف العوض) وهى التى يؤتى بها اذا وقف على الاسم المقصور المنون نحو رأيت عصا فقد آتي بها تعويضا عن التنوين حال الوقف وهذه الألف المعوض بها عن التنوين لاتقع الا آخرا وفى محل المعوض عنه وهو التنوين (٩٩)

الألف تعويض عن التنوين:

وذلك فى الوقف عامة سواء اكان الاسم مقصورا منونا ام غير مقصور كما حكى ذلك ابن جنى وغيره (رأيت زيدا) ومنهم من يقلبها همزة فى مثل (رجلا) وهى عنده بدل من الألف التى هى عوض من التنوين فى الوقف (١٠٠)

الألف تعويض عن تاء التأنيث:

وذلك لان التاء هى الأصل فى التأنيث، والألف فى مثل حمراء وحبلى تعويض عنها؛ والدليل على ذلك عدم اجتماعهما معا اى الألف وتاء التأنيث فلا يقال حمراءة ولا حبلاة(١٠١)

الألف تعويض عن ياء النسبة:

فى مثل (يمانى، وشامى، وتهامى) تأتي الألف عوضا من إحدى ياءي النسب والدليل على ذلك عدم الجمع بينهما فالقياس (يمنى) بلفظ المنسوب إليه مضافا إليه ياء مشددة (١٠٢) ولكنهم حذفوا إحدى الياءين

فعوضوا منها ألفا ومثله(شام) فى النسبة الى الشام؛ وكذلك ألف (ثمان)، ولكن الحديث النبوي جاء جامعا بين العوض والمعوض منه (يمانية) بتشديد الياء.

<u>الألف تعويض عن حذف لام الأسماء الستة:</u>

حيث حذفت لاماتها وجعل إعرابها بالحروف كالعوض منها فنصبها بالألف عوض عن الفتحة(١٠٣)

<u>الألف تعويض عن التثنية:</u>

وذلـــك لان التثنية تكون بهدف الاختصار والإيجاز بدلا من القول جاء زيد وزيد فيقال زيدان فجعلت الألف عوضا عن ضم الاسم مما يؤدى الى اختصار اللفظ وبقاء المعنى (١٠٤)

<u>التعويض بالباء :</u>

كما نقول هذا بذاك كما يقول الثعالبى اى عوض عنه وبدل منه كما فى قول الشاعر:

ان تجفنى فطالما واصلتنى.. هذا بذاك فما عليك ملام

وكذلك باء العوضية فى قوله :

فليت لى بهم قوما اذا ركبوا . شنوا الاغارة فرسانا وركبانا

اى ليـــت لـــى بدلا منهم وعوضا (١٠٥) وقد وردت ايات كثيرة بهذا المعنى (العوضية) واطلق عليها باء الأعواض والبدلية كما فى قوله تعالى (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا)(١٠٦) اى عوضا يسيرا من الدنيا (١٠٧) فهي الباء الداخلة على الاعواض والأثمان او باء المقابلة وهى التى تدخل على المتروك ابدا

<u>الباء عوض عن باء اخرى محذوفة:</u>

يجوز قياس زيادة الباء عوضا عن باء أخرى محذوفة كما فى قولهم بأيهم تضرب امرره اى ايهم تضرب امرر به وقوله:

اولى فاولى بامرى القيس بعد ما.. خصفن باثار المطى الحوافرا

اى خصفن بالحوافر آثار المطى ؛ فحذفت الباء من الحوافر وزاد اخرى عوضا منها فى آثار المطى(١٠٨)

<u>التعويض بالهاء:</u>

وهـــى الهاء المربوطة او التاء المربوطة التى تاتى فى اخر الاسم ، وهناك تاء التأنيث المفتوحة فى مثل (أخت وبنت) وسيأتي الحديث عنها ؛ ويأتى التعويض بها فى مواضع مختلفة هى :

الهاء تعويض عن ياء النسب فى الجمع:

كل اسم مختوم بياء النسب وحذفت منه هذه الياء عند جمعه على احدى صيغ منتهى الجموع يعوض منها تاء فى آخره مثل مغربى مغاربة وأزرقي ازراقة(١٠٩)

الهاء تعويض عن التضعيف:

اختلف باب قضاة ورماة فذهبت بعض الآراء إلى ان وزنه فعلة وذهب آخرون الى ان وزنه فعل بتضعيف العيــن مثل نازل ونزل فالهاء تعويض عن التضعيف المحذوف تشبيهاً لها بتعويض الهاء فى مثل إقامة واستقامة عما حذف منها وهو ألف إقامة كما فى قوله تعالى(او كانوا غزى)(١١٠)

الهاء عوض عن الفاء فى المصادر:

مصـــادر الأفعـــال الثلاثية المجردة التى تبدا بالواو يكثر فيها ان تحذف منها الواو وتعوض عنها بتاء فى آخـرها ويـــرجع فيها وفى معرفتها الى أصولها من الأفعال الثلاثية المجردة مثل ثقة، وزنة وافعالها على الترتيـب وثق ، وزن(١١١) ومنها وجهة من الفعل وجه، والذي يدل على ان التاء عوض من فاء الفعل قوله تعالى (ولكل وجهة)ومنه قوله الشاعر:

لولا اصطبار لأودى كل ذى مقة... لما استقلت مطاياهن للظعن

فالتاء فى مقة عوض من فاء الكلمة (١١٢) وقد يجوز حذف هذه التاء كما فى قول الشاعر:

ان الخليط اجدوا البين فانجردوا... واخلفوك عد الامر الذى وعدوا

(عد) مصدر الفعل وعد ؛ وقد اعتبر ذلك من حذف العوض والمعوض منه ويشفع لذلك الحذف معا وجود المضـــاف إلـــيه فاقـــيم مقام التاء المحذوفة كما شبهه الفراء بقوله تعالى(وإقام الصلاة) حيث انه(اقامة) وقولـــه تعالى (وهم من بعدهم غلبهم سيغلبون) (١١٣)أي غلبة فقام المضاف إليه فى الآيتين مقام الهاء ممـــا أجـــاز حذفها مع أنها للتعويض ولا يجوز حسب قواعدهم حذف المعوض، فلا يجوز حذف التاء إلا بســـبب الإضـــافة (١١٤) كذلـــك مـــن انوجه الأخر عند التصغير مثل (وعيدة) لا يجوز الجمع بين الواو المعـــوض عـــنها والـــتاء المعوضـــة فتفسير هذه التاء المجتمعة مع الواو أنها واو التأنيث وليست واو الـــتعويض فحـــذف الفـــاء مـــن المصدر إذن لم يكن لبيان الهيئة فإذا دل على الهيئة لا تحذف منه فيقال (وعدة) وذلك حتى لا يختلط المصدر النوعي بالمصدر العام وقد تكون فاء هذه المصادر حذفت للاستثقال. وهو الرأى الراجح.

الهاء تعويض عن لام الكلمة :

ويكـــون ذلـــك فى كل اسم ثلاثى حذفت لامه وعوض عنها تاء التأنيث المربوطة ولم يعرف له عند العرب جمع تكسير، مثل (سنة،ثبة،عضة) ويسمى باب سنة والدليل على ان التاء عوض من لام الكلمة، أنهمـــا

لا يجتمعان، ويرى ابن جنى انها على وزن (فعلة)من لغوت وأصلها لغوة فيلزم على ذلك الجمع بين العوض والمعوض عنه وهو غير جائز وقد فسّر ذلك أى ورود الأصل بالهاء مع نية العوضية وهى الحذف(١١٥) ومن رجوع الواو فى بعض التصاريف كما فى قوله تعالى :

(وإذا مروا باللغو مروا كراما) (١١٦)

الهاء تعويض عن مدّة تفعيل :

الهاء فى تفعلة ومثالها تعويض عن ياء تفعيل مثل تسلية، وتربية. فالهاء تعويض من ياء تفعيل، فالأصل فى مصدر الفعل (فعّل تفعيل مثل علم تعليم) وبعض هذه الأفعال مثل ربى يكون مصدرها تربية ويكون هذا المصدر خاصا بالفعل المعتل الأخر وأحيانا يشترك معه الفعل الصحيح (١١٧).

الهاء تعويض عن عين الكلمة :

يعامل الفعل الأجوف فى الاستفعال معاملة الفعل الأجوف فى الإفعال استقام استقال والأصل استقوال. فحذفت العين وعوض عنها بتاء فى آخر الكلمة، وعند الخليل وسيبويه الهاء عوض من ألف (إفعال) الزائدة فى مثل أقم إقامة، والأصل إقوام وقد تحذف هذه التاء مع إنها المعوض ولا يجوز حذفه عندهم ولكن هذا الحذف شائع بسبب وجود الإضافة وحمل على ذلك قوله تعالى (واقام الصلاة)(١١٨) اى وإقامة الصلاة ويجوز إبقاء التاء مع الإضافة كما فى قوله

عزمت على إقامة ذى صباح .. لأمر ما يسود من يسود

وهناك من رأى أن حذف التاء من كلمة (إقامة) إنما جاء للتخفيف (١١٩) وهو الرأى الراجح

الهاء عوض من ألف فعلال :

كما فى مصادر الرباعى والملحق بالرباعى مثل حوقلة وبيطرة، وهذه التاء تعويض من ألف فعلال نحو همـلاج وسرهاف فالمصادر الرباعية وما لحق بها تعوض فيها تاء التأنيث عن ألف فعلال مثل الجهورة عوض من ألف جهوار(١٢٠).

الهاء عوض من ياء مفاعيل :

إذا حذفت ياء مفاعيل تأتى للتعويض عنها، مثل زنادقة، وجحا جحة ، فإذا أتى بالياء لم يكن للهاء مناسبة فيقال زناديق وكذلك الحال فى قولهم فرازنة وجبابرة والدليل على أنها للتعويض عنها أنهما لا يجتمعان ويرفض أبو حيان هذا الرأى ويرى أن الهاء يمكن أن تكون للجمع كما جاءت فى غيرد، وسبب عدم اجتماعهما هو طول الاسم بذكرهما معا وان عدم تواجدهما هو الذى دفع النحاة الى تفسير ذلك بالتعويض (١٢١) وهو ما نرجحه هنا.

الهاء تعويض عن ألف التانيث فى التصغير :

مثل قولهم فى تصغير، لغيزى، لغيغيرة، وفى تصغير حبارى حبيرة فقد جاءت هاء التانيث تعويضا عن ألف التانيث لأن الأصل فى التأنيث عند النحاة أن يكون بالتاء، فتاتى التاء فى المصغر تعويضا عن الألف فى المكبر(١٢٢).

الهاء تعويض فى الجمع عن المحذوفة من المفرد :

وذلك مثل طلحة كما فى قول الشاعر :

رحم الله أعظما دفنوها .. بسجستان طلحة الطلحات

وكذلك قولهم ربعة وربعات، فكل ما شابه ذلك لم يجمع بالواو والنون وانما جمع بالألف والتاء ، وكأن تاء الجمع كما يذكر ابن الأنبارى فى إنصافه عوض من التاء المحذوفة من المفرد وذلك فرارا من اجتماع تاءين، فالتاء سقطت من المفرد فاستعيض عنها بتاء الجمع وهم لا يجمعون بينهما(١٢٣)

الهاء تعويض عن فاء افتعل :

تحذف فاء الفعل وتأتى الهاء تعويضا عنها فى مثل اتقى، واتجه فالأصل اتقى يتقى، فحذفت الفاء فصار تقى، وكذلك تجه يتجه والأصل اتجه يتجه فحذفت الفاء فصار تجه، وأجود اللغتين إقرار الهمزة ومنه. قوله : قصرت له القبيلة إذ تجهنا .. وما ضاقت بشدته ذراعى (١٢٤)

التاء المفتوحة تعويض عن ياء الاضافة :

لا يجوز الجمع بين علامة التأنيث وياء الإضافة فى مثل يا أبت ويا أمت خاصة، وذلك لأن علامة التأنيث عوض من ياء الإضافة، ولكنهما يجتمعان فى غيرهما كما فى قوله تعالى(ولأتم نعمتى)(١٢٥) أما فى يا أبت ويا امت خاصة فلا يجتمعان، وانما يتم التعويض بتاء مكسورة من ياء المتكلم

(يا أبتى) كما فى قوله تعالى (يا أبت لا تعبد الشيطان) (١٢٦) وتعوض تاء مفتوحة فى يا أبت. وتعوض أيضا تاء مضمومة فى يا أبت، ومن ورودهما معا أى التاء وياء المتكلم قول الشاعر :

ايا يا أبتى لازلت فينا فانما * لنا أمل فى العيش ما دمت عائشا

ويأتى الإثنان معا أيضا مع قلب الياء ألفا فى مثل (يا أبتا – يا أمتا) ومن ورودها محذوفة فى القرآن قوله تعالى على لسان إسماعيل (يا أبت افعل ما تؤمر)(١٢٧) حيث جاءت التاء عوضا عن ياء الإضافة، وفى تفسير اجتماع التاء والألف معا أقوال كثيرة منها أن التاء حرف زائد لمجرد التأنيث اللفظى، أو ان الياء حرف لإشباع كسرة التاء، وتعد ياء المتكلم التى هى المضاف إليها محذوفة. أو أن ذلك نوع من الجمع بين عوضين حيث أبدلوا من ياء الإضافة تاء فى نحو يا ابت فلياء الإضافة بدلان هما التاء والألف ثم جمعوا بينهما يا ابتا، فهو جمع بين عوضين وهذه التاء لا تدخل فيما له مؤنث من لفظه

مثل يا خالى لا يجوز حذف ياء الإضافة لأنه سيلتبس بمؤنثه ويفسر دخولها على الاب بانها للمبالغة مثل راوية وعلامة(١٢٨).

التاء تعويض عن لام الكلمة المفتوحة :

كلمــتا أخت وبنت أصلهما أخو، وبنو على المشهور فيهما، وقد حذفت اللام وعوض عنها التاء المفتوحة فى آخر كل منهما ويرى بعض النحاة أن التاء الداخلة عليها بدل من اللام وليست عوضا عنها وان فائدة البدل هنا الدلالة على التأنيث وهى فائدة ليست موجودة فى المبدل منه(١٢٩)

التاء تعويض عن باء القسم :

يأتى الباء اختصارا بعد حذف فعل القسم لكثرته فى الكلام ثم تحذف هذه الباء ويعوض عنها بالواو احيانا ويعوض عنها بالتاء فى لفظ الجلالة كما ورد فى قوله تعالى (وتا الله لأكيدن اصنامكم) (١٣٠) وإن كان هذا قليلا، فالكثير القسم بالواو وتأتى الباء عوضا عنها وكذلك التاء (١٣١).

ثم تعويض عن أن المضمرة :

(ثم) من الحروف التى يجوز (لأن) ان تظهر بعدها. وأن تضمر، فإذا اضمرت فان ثم تأتى تعويضا عنها. وهــناك خــلاف بيــن الــنحاة حول نصب المضارع بعدها وهل الناصب نه هو الحرف المعوض ويكون المعــوض قد عمل عمل المعوض منه. أو أن الناصب لها هو (أن) وهى مضمرة وليس للعوض أن يعمل عمل المعوض منه.

حتى تعويض عن أن المضمرة :

مــن الحروف التى ينتصب الفعل بعدها (حتى) فتأتى تعويضا عن أن الناصبة للفعل المضارع ويبقى الفعل منصــوبا بأن المضمرة ولا عمل لهذه الحروف فى الفعل المضارع ولا يجوز إظهار أن الناصبة بعد حتى وذلــك لأن حــتى جعلت عوضا منها، وظهورها يعنى الجمع بين العوض والمعوض منه أما النصب بحتى نفسها فهو مذهب الكوفيين. فالعوض عندهم يعمل عمل المعوض منه(١٣٢).

الراء تعويض عن الهمزة للضرورة الشعرية:

كما فى قول الشاعر :

بالباعث الناس الأموات قد ضمنت * اياهم الأرض مذ دهر الدهارير

فالمقصــود دهر الاداهير. وجاءت الراء عوضا من الهمزة. ويرد على ذلك بعدم وجود ضرورة حيث يبقى الوزن كما هو فى دهارير واداهير(١٣٣) ولعل ذلك لغة فيها.

السين تعويض عن نقل حركة العين للفاء :

فى الفعل اسطاع بقطع الهمزة ووصلها ونقل حركة العين إلى الفاء، فالسين عوض من تحرك العين الذى فقده. مثل الهاء فى الفعل (أهرق) بسكون الهاء تأتى عوضا عن الحركة، فتحرك العين فقد يسبب تحرك الفاء بحركته، فتم التعويض بالسين وهو نادر فى العربية(١٣٤).

السين وسوف تعويض عن تخفيف أن المفتوحة الهمزة :

تختص أن بالدخول على الاسم، وإذا دخلت على الفعل تخفف كما فى قوله تعالى (أفلا يرون أن لا يرجع إليهم قولا) (١٣٥) وتأتى بعض الحروف للتعويض عن هذا التخفيف، ومن هذه الحروف السين كما فى قوله تعالى (علم أن سيكون منك مرضى)(١٣٦) وسوف كقوله :

واعلم فعلم المرء ينفعه * أن سوف يأتى كل ماقدرا

ويأتى التعويض بالسين لما لحق (أن) من التغير حيث وقوع الفعل بعدها، فإذا عاد الساقط كما يذكر الزمخشرى زال العوض أى اذا عاد الساقط من أن المفتوحة المخففة فقد جاء الفصل بهذين الحرفين بين أن والفعل عند قوم لجبر الوهن الذى أصاب أن المؤكدة بتخفيفها. وهناك رأى آخر يرى أن الفصل بهذين الحرفين يأتى للتفرقة بين أن المخففة وأن المصدرية ويرفض الرأى السابق بدليل عدم وجود هذه الحروف اذا كان الخبر جملة اسمية أو جملة فعلية فعلها جامد أو دعاء، ويرد ابن الأنبارى على ذلك بأنها فى هذه المواضع ليست أن المخففة وانما هى أن المصدرية(١٣٧).

السين تعويض عن تاء التأنيث وقفا :

تختص كاف ضمير المخاطب فى المؤنث بلحوق سين عند بعض العرب فى الوقف، وذلك عوض عن الهاء، مثل أعطيتكس، ومنكس وعنكس، والدليل على أن السين عوض من الهاء أنهما لا يجتمعان فأما فى الوصل فتسقط هذه السين، وقد أطلق على هذه السين أكثر من قول إبدال، وهى زيادة على كاف المخاطبة فى الوقف. ولتبين كسرة التأنيث كما عند سيبويه، وهى عند غيره للتفريق بين خطابى المذكر والمؤنث(١٣٨).

الشين تعويض عن تاء التأنيث وقفا :

يلحق كاف ضمير المخاطب فى المؤنث عند بعض العرب الشين عند الوقف وذلك للتعويض عن هاء السكت، والدليل على عوضيتها عدم اجتماعهما معا، وذلك للفصل بين المذكر والمؤنث بحرف وهو أقوى من الفصل بينهما بحركة كما ذهب الى ذلك سيبويه ومنه قولهم للمرأة (جعل الله البركة فى دراش) (١٣٩) ونويد ما ذهب إليه بعض العلماء أن الظاهرتين الكسكسة والكشكشة تعودان إلى ظاهر صوتية محضة (١٤٠).

التعويض بالعين :

على تعويض عن على أخرى محذوفة :

تأتى على زائدة، وهو قليل، وأكثر ما يكون ذلك عندما تأتى تعويضا من (على) أخرى محذوفة، كما فى قول الراجز :

إن الكريم وأبيك يعتمل * إن لم يجد يوما على من يتكل

أى إن لم يجد من يتكل عليه، فحذف (عليه) ثم عوض منها (على) قبل من فتكون على زائدة، ويقول ابن جنى (وقد أوقع هذا التعاوض فى الحروف المنفصلة عن الكلم غير المصوغة فيها الممزوجة بأنفس صيغها) (١٤١).

عن تعويض عن (عن) أخرى محذوفة :

تزاد عن عوضا كما فى قول الشاعر :

أتجزع إن نفس أتاها حمامها * فهلا التى عن بين جنبيك تدفع

التقدير فهلا عن التى بين جنبيك تدفع، فحذف (عن) وزادها بعد التى عوضا، فعن تأتى زائدة واذا حذفت من مكان تذكر فى مكان آخر للتعويض.

الفاء تعويض عن أن المضمرة :

تضمر أن بعد الفعل المضارع، ويأتى عدد من الحروف للتعويض عنها، ومن هذه الحروف (الفاء)، وقد ذكرنا من قبل ما دار بين النحاة من خلاف حول الناصب للفعل المضارع حيث ذهب فريق إلى أن العمل لأن المضمرة وليس للحرف المعوض هنا (الفاء) عمل فيما بعده، ورأى الفريق الثانى أن الحرف المعوض هو الذى عمل النصب حيث يعمل المعوض عمل المعوض منه من غير إضمار، وهو مذهب الكوفيين .

فى تعويض عن (فى) أخرى محذوفة :

تأتى فى حرف جر زائد، وتأتى زائدة للتعويض عن أخرى محذوفة مثال (عرفت فيمن رغبت) أى من رغبت فيه، فحذفها بعد من وزادها قبل من عوضا (١٤٢)

التعويض بالقاف :

قد تعويض عن أن المخففة الداخلة على الفعل :

تخفف أن الداخلة على الفعل فيعوض عما لحقها من تخفيف أحد الحروف، ومن هذه الحروف (قد)، من ذلك قول أبى صخر الهزلى :

فتعلمى ان قد كلفت بكم * ثم افعلى ما شئت عن علم

فجاءت (قد) لتعويض تخفيف (ان) بسبب دخولها على الفعل وهى مختصة بالاسم (١٤٣)

اللام تعويض عن حرف التنبيه :

تـأتى الـلام مع اسم الإشارة فتكون (ذلك) وهى عند النحاة عوض من حرف التنبيه للدلالة على تحقق المشار إليه ، الدليل على عوضيتها عدم جواز الجمع بينهما ، فلا يجوز هذلك حتى لا يجمع بين العوض والمعـوض ومـنه قولـه تعـالى (ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه) (١٤٤) وهناك آراء أخرى منها أن عدم اجـتماعهما يـرجع إلـى أن العرب تكره كثرة الزوائد ورأى أخر هو تضادهما فالهاء للقرب واللام للبعد ويـرى ابـن يعـيش استفادة (ذلك) من اجتماع اللام مع الكاف زيادة التباعد (١٤٥) وهو ما يرجحه الاستعمال كثيرا.

لام العلة ولام الجحود تعويض عن ان المضمرة :

لام العلة ولام الجحود تقعان تعويضا عن أن الناصبة للفعل المضارع كما فى قوله (يريد الله ليبين لكم) (١٤٦) حذفـت أن وعـوض عـنها الـلام وقوله تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين) (١٤٧) حذفت أن وعوض عنها اللام فلا يجوز الجمع بين أن واللام التى هى مقابلة لها وعوض عنها(١٤٨)

اللام تعويض عن إعادة ذكر الجملة :

إذا دخلـت الـلام فـى خـبر إن كان آكد لها وصارت إن واللام عوضا عن ذكر الجملة ثلاث مرات وهذا تعويـض فـى خبر إن بنوعيها كما يقول السيوطى (فلولا إرادة التوكيد لقلت مكان قولك بلغني أن زيدا مـنطلق - بلغنـي انطـلاق زيد) وقد يعنى ذلك اجتماع معوضين ، حيث وجود (إن) عوض عن ذكر الجملة مرتين وبإضافة اللام يشكلان معا عوضا عن ذكرها ثلاث مرات.(١٤٩)

ال تعويض عن همزة إله (الله) :

هـناك خـلاف طويـل بين النحاة حول أصل اشتقاق (لفظ الجلالة)، و (ال) الداخلة على لفظ الجلالة عـوض مـن الهمزة على قول من جعل أصله (إلاها) وهو مذهب الخليل وسيبويه وهو يشبه فى ذلك قولهم الناس وأصله (أناس) فالألف واللام فى الناس عوض من الهمزة.و (إله) لفظ سامى أصله (إل) ويكتب (إيل) أحيانا وقد وردت أسماء الملائكة منسوبة إليه جبرئيل ، وميكائيل ، وعزرائيل وعن جـواز الجمـع بيـن (ال) وحـرف النداء فى قولهم (يا الله) أن ذلك يرجع الى أن (ال) هذه ليست للتعريف وإنما هى عوض عن حرف سقط وهو الهمزة فى أوله ، فجاز الجمع بين (ال) العوضية وحرف الـنداء و (ال) هـذه عـند البصريين للتعظيم، والتفخيم واعترض على هذا الرأى بأنه لا يوجد اسم فى العربية تم تعظيمه وتفخيمه بدخول (ال) عليه ، ودخول (ال) على لفظ الجلالة نوع من العوض اللازم الـذي لا يفارقه ، وهناك تفسير أخر لدخول (ال) على لفظ الجلالة وهو كثرة الاستعمال وهو مبدأ فى النحو العربى يفسر كثيرا من الظواهر (١٥٠) ولعل لصيغة النداء العربية (اللهم) علاقة بالجمع العبرى ، وهو جمع للتعظيم .

ال تعويض عن ياء النسب :

تقع (ال) تعويضا عن ياء النسب فى مثل قولهم اليهود ، المجوس . وهما معرفتان قبل دخول (ال) عليهما وأصلهما يهوديون ، ومجوسيون فحذفت ياء النسب وعوض منها (ال) ومن هذه الكلمات (التيم) كقول الشاعر :

والتيم ألام من يمشى والأمهم ... ذهل بن تيم بنو السود المدانيس

فالمقصود التيميون كما قالوا المجوس واليهود (١٥١)

ال تعويض عن تنكير العلم المثنى والجمع :

التثنية والجمع لا تحدث إلا بتنكير العلم لأنه إذا ثنى او جمع يتوجب زوال التعريف العلمي لان هذا التعريف العلمي كان بسبب وضع اللفظ على معين ، والعلم المثنى او المجموع ليس موضوعا إلا فى أسماء محددة، ولما كان تنكير الأعلام قليلا وجب جبر ذلك التعريف الفائت بأخصر أداتى التعريف هى الألف واللام. فتعريف العلم المثنى والمجموع بال عوض عما سلب من تعريف العلمية نحو الزيدان والزيدون.

ال تعويض عن المضاف اليه :

القياس الا تجتمع الألف واللام والاضافة ، لأن الإضافة وسيلة تعريف والألف واللام ايضا ، فلا تجتمع أداتان للتعريف على الاسم الواحد ولكن جاءت (ال) للتعويض من الإضافة وهو قسمان اما للتعويض عن إضافة الى اسم ظاهر ،وإما للتعويض عن الإضافة للضمير (١٥٢)

ال تعويض عن الاضافة للضمير :

وهذا القسم ذهب إليه الكوفيون وتابعهم ابن مالك كما فى قوله تعالى (جنات عدن مفتحة لهم الأبواب) (١٥٣) اي أبوابها وقوله تعالى (فإن الجنة هى الماوى) (١٥٤) أى هى ماواه فحذف المضاف اليه الضمير وعوض عنه بالألف واللام، ومذهب اكثر البصريين ان الضمير فى ذلك محذوف والتقدير مفتحة لهم الابواب منها اولها . وفى الآية الثانية (هى الماوى له) فالبصريون يرون فى كل ذلك ان الضمير محذوف . وليس هناك عوض (١٥٥)

لا تعويض عن تخفيف أن المفتوحة الهمزة :

كما فى قوله تعالى (أفلا يرون أن لا يرجع إليهم قولا) (١٥٦) كانه قال : أنه لا يرجع إليهم ، حيث دخلت ان المفتوحة الهمزة بعد تخفيفها على الفعل . فعوضت عن هذا التخفيف وعن دخولها على الفعل بعض الحروف المحددة سبق الحديث عنها وهى قد . والسين . وسوف والحرف الرابع هو (لا) النافية (١٥٧)

لا تعويض عن فعل الشرط وجوابه :

حــذف الشرط مع وجود القرينة جائز مع الحرف (إن) دون غيره ولعل ذلك يرجع الى أنه أصل حروف الشــرط ، وقــد اشترط بعض النحاة تعويض لا من الفعل المحذوف ، وذلك فى نحو اضرب زيدا إن اساء وإلا فــلا ، فحذف فعل الشرط فى الكلام ، أو هو والجواب ، والدليل على أن (لا) عوض عن المحذوف عدم جواز الجمع بينهما ، ورد على ذلك باجتماعهما فى بعض الأمثلة نحو : اضرب زيدا إن اساء وإن لا يسئ فلا تضربه ، فلو كان تعويضا لم يجز الجمع بينهما (١٥٨)

لا فى لولا تعويض عن فعل الشرط المحذوف :

ذهــب الكوفــيون إلي أن لا فى (لولا) جاءت عوضا فى مثل (لولا زيد لأكرمتك) وأنه يشبه قولنا أما أنت منطلقا ، فحذف الفعل وزادوا ما عوضا من الفعل، والذي يدل على عوضيتها أنهم لا يجمعون بين (لا) و (الفعل) حتى لا يجتمع العوض والمعوض منه . وكذلك القول فى (لولا زيد لأكرمتك) فحذفوا الفعل تخفيفا وزادوا (لا) عوضا . وهناك من رأى أن حذف الجواب فى هذه المواضع إنما هو للعلم بها وتوخيا للإيجاز والاختصار ، وقد جاء حذفه كثيرا فى القرآن الكريم (١٥٩)

إلا فاصل للتعويض عن عدم تأنيث الفعل :

تذكــير المؤنث عند ابن جنى واسع جدا لأنه رد فرع إلى الأصل أما تأنيث المذكر فهو غريب . وفى مثل (ما قام إلا هند) ليست هند فاعلا وإنما الفاعل محذوف تقديره ما قام أحد إلا هند ولو كانت (هند) هى الفــاعل لكان لزاما تأنيث الفعل ولذلك قيل فى تفسير ذلك إن (هند) هى الفاعل ، وقد عوض بالفصل بالا عن تانيث الفعل قام (١٦٠)

الميم تعويض عن حذف النداء فى اللهم :

تــأتى الميم عوضا من حرف النداء فى لفظ (اللهم) . وهى ميم مشددة مفتوحة تتصل بلفظ الجلالة عند حــذف حرف النداء قبله ، كما فى قوله تعالى (قل اللهم مالك الملك)(١٦١) وهو راى البصريين، ويرى الكوفــيون أن المــيم ليســت للــتعويض لأن الأصــل فيه (يا الله أمنا بخير) والخلاف مبسوط فى كتاب الإنصــاف وبناء على راى الكوفيين يجوز الجمع بين حرف النداء والميم وتبعا لرأى البصريين لا يجوز الجمع بينهما لأنه جمع بين العوض والمعوض منه ، ولذلك يكره أن يقال (الله) بحذف الميم لأنه يتنافى مع القاعدة التى تذهب إلى عدم جواز حذف العوض والمعوض معا، ويستدل الكوفيون على عدم عوضية الميم بجواز الجمع بينهما كما فى قول الشاعر :

إنى إذا ما حدث ألما .. أقول يااللهم يا اللهما

وقول الشاعر :

وما عليك أن تقولى كلما .. صليت أو سبحت يا اللهما

ولو كانت الميم للعوض لما جاز الجمع بينهما وبين حرف النداء لما فيه من اجتماع العوض والمعوض منه-ولم يرد في القرآن الكريم لفظ (اللهم) بغير ميم في موضع النداء مع حذف الأداة ، ومن استدلالات البصريين على العوضية أن الميم أفادت ما أفادته (يا) كما انه يستفاد من قولك اللهم ما يستفاد من قولك يا الله ، وفي ذلك دليل على أن الميم عوض من يا لأن العوض ما قام مقام المعوض وها هنا الميم قد أفادت ما أفادت يا فدل ذلك على أنها عوض منها ويرد البصريون على أبيات الكوفيين إما أن قائلها مجهول أو أنها للضرورة الشعرية، والجمع بين العوض والمعوض منه جائز في ضرورة الشعر أو أن العلاقة المكانية أباحت الجمع حيث العوض في آخر الاسم والمعوض منه في أخره (١٦٢) وفي تفسير تشديد الميم المعوضة أنه الرغبة في تساوى عدد حروف العوض والمعوض منه، وهناك من يرى أن المسألة ليس فيها تعويض وإنما دخلت على لفظ الجلالة للتفخيم والتعظيم (١٦٣)

الميم تعويض عن غلبة زيادة الفعل :

في معرض التفرقة بين الاسم والفعل يذهب ابن جني إلى انه من الفروق ان الاسم لقوته يحتمل الزيادة في آخره وأن الفعل لضعفه وثقله لا يزاد فيه إلا في أوائله ، ولما كانت هذه الميم دخلت على الاسم في أوله فإنها جاءت تعويضا من غلبة زيادة الفعل على أول الجزء ، رغم أنها من زوائد الأسماء ، وشبهها بقلب الياء واوا في التقوى حيث جاء هذا القلب عوضا من كثرة دخول الواو على الياء ويساعد على ذلك أن هذه الميم جاءت لمعنى فشابهت بذلك حروف المضارعة ، والمقصود بها هذه الميم التي تدخل في أول (مفعل ، مفعول ومفعال ، ومفعل) (١٦٤)

الميم تعويض عن ألف فاعل :

تأتي الميم زائدة للتعويض في مثل (مفاعلة) مصدر (فاعل) فهي عوض من ألفه ، مثل مقاتلا ، ومضاربا ،ويعترض المبرد بوجود الألف فكيف يعوض عنها مع وجودها، ويرد ابن جني أن تلك الألف الأولى ذهبت وهذه غيرها ، وهي زيادة لحقت المصدر كما تلحق المصادر ألف الأفعال وياء التفعيل (١٦٥)

ما تعويض عن الاسم المجرور بالكاف :

وذلك (كما) في قول الشاعر

وقائلة خولان فانكح فتاتهم .. وأكرومة الحيين خلو كما هيا

فحذف المضاف إلى الهاء وصارت ما عوضا عن المحذوف (١٦٦)

ما تعويض عن خبر ان :

فى مثل قولهم (إنك ما وخيرا) يذهب بعض نحاة البصرة الى ان الخبر فى مثل هذا محذوف تقديره (انك وخيرا مقرونان) وما زائدة وهى لازمة وقد جاءت عوضا عن المحذوف أما عند الكوفيين فان الواو بمعنى مع وهى الخبر، والتقدير تصيب خيرا (١٦٧)

ما تعويض عن الإضافة :

وذلك فى مثل (حيثما ، وإذ ما ، وأيما) ما فيها كلها تعويض عن الإضافة ، لأن كلا منها تجزم بقطعها عن الإضافة وفى قول امرئ القيس :

ألا رب يوم لك منهن صالح .. ولا سيما يوما بدارة جلجل

ذهب بعض النحاة الى أن (ما) مع لاسيما عوض من الإضافة ونصب يوما على التمييز . فما فى حيثما وإذما جئ بها للتعويض عن إضافتها إلي الجملة . أما (ما) فى (أيما) فهناك خلاف حول عوضيتها حيث ذهب إلى القول به بعض النحاة حيث أتت ما معها تعويضا عن المضاف إليه المحذوف الذي تطلبه (أي) من جهة المعنى، ورد على ذلك بأنها لو كانت عوضا لما جاز اجتماعهما أي ما والإضافة فى قوله تعالى (أيما الأجلين قضيت) (١٦٨) . فهي زائدة لمجرد التوكيد ولو كانت عوضا للزمتها(١٦٩)

ما تعويض عن جملة جواب الشرط (كان واسمها خبرها) :

وتأتى (ما) تعويضا عن جملة (كان) المحذوفة كلها كما فى قولهم (افعل هذا إما لا) والتقدير ان كنت لا تفعل غيره . فحذفت (كنت تفعل غيره) . وعوض من المحذوف (ما) فأدغمت (إن) بها فصارت (إما لا)، وبسبب هذا العوض حذف جملة الشرط واجب الحذف فتلزم (ما) عوضا واجاز الكوفيون حذف فعل الشرط بلا تعويض كما فى قوله :

قالت بنات العم .. يا سلمى وإن .. كان فقيرا معدما قالت وان

اى وان كان معدما . والدليل على أنها عوض من الفعل جواز إمالتها لأن الأصل فى الحروف أن لا تدخلها الإمالة فلما جاز إمالتها دل ذلك على أنها كافية عن الفعل (١٧٠) ونرى أن الحذف راجع لدلالة الحال وكثرة الاستعمال وهو مبدأ فى العربية يؤيده السياق والاستعمال.

ما تعويض عن كان المحذوفة:

وذلك فى قولهم (اما أنت منطلقا انطلقت) فالتقدير عند سيبويه (لأن كنت منطلقا انطلقت معك) فيعوض عن كان المحذوفة وحدها وذلك كما فى قول الشاعر :

أبا خراشة أما أنت ذا نفر　　فإن قومي لم تأكلهم الضبع

فالأصل : لأن كنت ذا نفر . فحذفت (كان) وانفصل الضمير ثم زيدت (ما) للتعويض فأدغمت بان فصارت أما ومثله (أما أنت غنيا فتصدق) ولا يجوز الجمع بين (كان) و (ما) لكون ما عوضا عنها

ورأى المبرد أن (ما) زائدة وليست عوضا فيجوز إظهار كان معها نحو : اما كنت منطلقا انطلقت. وقيل إن (ما) ليست عوضا عن كان الناقصة . وإنما هي عوض من فعل الشرط وأداته. (١٧١)

أما تعويض عن جملة الشرط :

فـــي مثل (أما زيد فمنطلق) جاءت أما تعويضا عن فعل الشرط وأداته والأصل إن أردت معرفة حال زيد فـــزيد منطلق، فحذفت أداة الشرط وفعل الشرط وعوض عنها بأما وهي تساوى (مهما يكن من شئ فزيد ذاهب) (١٧٢)

النون تعويض عن الضمة في الأفعال الخمسة :

الأفعـــال الخمسة ترفع بثبوت النون وحق الفعل في العربية أن يرفع بالضمة ، فجاءت النون هنا تعويضا عـــن الضمة ، وهي من تعويض حرف عن حركة، وعلة ذلك أن الأفعال الخمسة إذا كانت مرفوعة وقعت موقـــع الاســـم فاجـــتمع فيها وقوعها موقع الاسم ومضارعتها له في اللفظ فألحق فيها النون عوضا عن حركة الإعراب حملا لها على الأسماء (١٧٣)

النون تعويض من الياء المحذوفة في كأين :

اخـــتلف النحاة في تركيب (كأين) وهو خلاف مبسوط في كتب النحو ، وذهب المبرد إلى انها اسم مكون مـــن (الكـــاف ، وأي) وجعلوا الكاف فاء الكلمة وبعدها ألف فاعل . وجعلوا الهمزة في أي في موضع العيـــن وحذفوا الياء الثانية منها . والياء الباقية جعلوها في موضع اللام . ودخل عليها التنوين الذي كان فـــي (أي) فسقطت اللام لالتقاء الساكنين فصارت كاء ، ولزمت النون عوضا من الياء المحذوفة فصار كائن (١٧٤) وهو كلام شديد التكلف والصنعة.

إن تعويض عن تكرار الجملة :

دخلـــت إن علـــى الكـــلام للتوكـــيد . وقد جاءت عوضا عن تكرير الجملة . وفي ذلك وظيفة هامة وهي اختصار تام مع حصول الغرض.(١٧٥)

الهاء تعويض عن الحركة :

الهـــاء فـــي (أهـــراق) تأتي ساكنة وهي عوض عن الحركة ، وقد فات تحرك العين بسبب تحرك الفاء بحركـــته ، فالمضارع (يهريق) وضم حرف المضارعة مع أنه أكثر من اربعة أحرف . وتفسير ذلك ان الهـــاء زيدت على غير قياس والمعنى على الفعل الرباعي فهي في حكم العدم ، والتفسير الثاني ان الهاء عوض من حركة العين فإنها نقلت إلى فائها.(١٧٦)

ها تعويض لأي عن الإضافة :

لا يستقل (اى) بنفسه مثل زيد في النداء ، فيحتاج دائما الى الصفة . اما (ها) فهي لتاكيد معنى النداء و للعوض عما يستحقه من الإضافة . فها زائدة زيادة لازمة للتعويض عما حذف من إضافة أي فهي لا تكون الا مضافة . فقولهم - (يا أيها الرجل) زيدت ها للتعويض عن الاضافة (١٧٧)

ها تعويض عن واو القسم :

فى قولهم (ها الله لأفعلن) فإن (ها) أصبحت عوضا من الواو ، والدليل على ذلك عدم اجتماعهما معا. فواو القسم يعوض عنه بهاء التنبيه وقد ذهب بعضهم إلى أن (ها) هى التى عملت فى لفظ الجلالة لكونها عوضا من واو القسم ، وذهب البعض الآخر إلى أن الجر بحرف القسم المحذوف . فالبصريون لا يجيزون إعمال الحروف التى تنوب عن حرف القسم إلا إذا جاءت معوضة عنها (١٧٨)

الواو تعويض عن التنوين فى الوقف :

الوقف هو السكوت على آخر الكلمة اختيارا لجعلها آخر الكلام، ولغة بعض العرب الوقف على الاسم المنون المرفوع (جاء رجلو) فكأن الواو فى المرفوع عوض من التنوين فى الوصل . فلذلك أثبتت . والشائع هو الوقف على الاسم المرفوع بالسكون(١٧٩)

الواو عوض عن باء القسم :

يكثر القسم فى الكلام ، ولذلك يحدث فيه بعض الاختصار . فصار فعل القسم يحذف ويكتفى بالباء ثم تم التعويض عن الباء بالواو فى الأسماء الظاهرة . كما فى قوله تعالى (و الليل إذا يغشى) (١٨٠) . فالباء عوض عن فعل القسم ثم تحذف . ويعوض منها الواو وبالتاء ، و التعويض عنها بالواو هو الكثير و الغالب فيها ، ولما كانت الواو عوضا عن باء القسم لم يجز الجمع بينهما فلا يجوز أن يقال بو الله لأفعلن ، ويرى بعض النحاة أن واو القسم عوض من الفعل بخلاف الباء فإنها ليست عوضا منه . و لذلك يرى بعض النحاة أن واو القسم عوض من الفعل بخلاف الباء فإنها ليست عوضا منه ، و لذلك جاز ان نقول أقسمت بالله ، ولا يجوز أقسمت و الله حتى لا يجمع بين العوض والمعوض (١٨١) .

الواو تعويض من الهمزة :

وذلك فى مثل (ماء) وشاء و الأصل مود و شوه تبدل الواو همزة ، و قلبت الهمزة واوا فى مثل صحراوات و عشراوات من صحراء و عشراء فقلبت الهمزة واوا طلبا للتقاص و للتعويض من قلب الواو همزة دائما كما فى اقتت فأبدلت الهمزة واوا لضعفها لما يدخلها من الحذف و البدل (١٨٢)

الواو تعويض عن غلبة الياء :

يكثر قلب الواو ياء فى اللغة و لذلك عوضوا الواو عن ذلك فقلبوا الياء واوا فى مثل (الشروى و الفتوى و التقوى) وذلك لكثرة دخول الياء عليها وقد كثر قلب الواو ياء عند ابن جنى لان الياء أخف من الواو وغلبت الواو فى اكثر المواضع ، فأرادوا أن يعوضوا الواو من كثرة دخول الياء عليها فقلبوا الياء واوا (١٨٣) .

الواو تعويض عن الألف :

وذلك فى (أولئك) فكان بلا واو ، فزيدت الواو فيه للتفريق بينه و بين (اليك) . وقد حذفت منه الف فالزيادة فيه كالعوض من المحذوف (١٨٤) .

الواو تعويض عن رب المحذوفة :

ذهب بعض النحاة الى أن الواو تأتى تعويضا عن رب المحذوفة فى مثل قوله :

وبلدة ليس بها أنيس .. الا اليعافير و الا العيس

و الواو هى الجارة تعويضا عن رب المحذوفة . و الرد على ذلك أن الجر جاء فى مواضع بإضمار (رب) ولم يأت عوضا منها واختلف النحاة حول العامل هل هو رب المضمرة او الحرف (المعوض) وهو هنا (الواو) . وعمل العوض عمل المعوض منه حوله خلاف كبير ولكن ما يهمنا هنا هو ما ذهب إليه بعض النحاة أن حرف الجر يجوز أن يعمل مع حذفه فى مواضع منها أن يحذف وهناك عوض منه او بدل . و يمثلون لذلك بـرب بعد الواو . فهي هنا معوضة، ورد على ذلك أنها ليست عوضا بدليل جواز الجمع بينهما فيقال (ورب بلد) (١٨٥) .

الواو تعويض عن أن الناصبة :هناك حروف ينتصب بعدها الفعل وليست هى الناصبة . وإنما الناصب (أن)المضمرة . وهذه الحروف عوض منها ودالة عليها ومن هذه الحروف (الواو) . وذهب بعضهم الى أن النصب بهذه الحروف من غير اضمار (أن) وهو مذهب الكوفيين ،ومنه قوله:

لقد كان فى حول ثواء ثويته .. تقضى لبانات ويسام سائم

نصب ويسأم بإضمار (أن) فالواو هنا عوض من (أن) المضمرة واكتفى باثرها وعملها عن ظهور لفظها (١٨٦)

الواو تعويض عن الضمة :

الاصل فى الرفع أن يكون بالضمة . فإذا جاء الرفع بغير ذلك كان تعويضا عن الضمة، مثال ذلك باب الأسماء الستة فالرفع بالواو تعويض عن الضمة وتأتى الواو أيضا فى الاسماء الستة تعويضا عن حذف لاماتها . وهذه اللامات تحدث النحاة عن تعويضها بوسائل منها أن إعراب الاسماء بالحروف تعويض لها عن حذفها.

الواو والنون تعويض عن المضاف اليه :

ويكون ذلك فى باب التوكيد (رايت القوم أجمعين) التقدير جميعهم وكذلك الفاظ التوكيد (اجمعهم وأكتعهم وأبصعهم) حذف المضاف إليه منها جميعا . وعوضوا من ذلك بالجمع بالواو والنون فاصبحت الكلمة تعنى المضاف والمضاف إليه . لذلك توصف بها المعرفة ولأن المضاف إليه بمنزلة الجزء من الكلمة بالنسبة للمضاف جاز أن يعوض منه إذا حذف واريد معناه (١٨٧)

الواو والنون تعويض عن تاء التأنيث :

وذلك فى مثل (سنون وأرضون) وبابه وهو كل اسم ثلاثي حذفت لامه ولم يكسر، والأمر متوقف فيه على السماع فلا يقاس عليه ، ومنها قلون ، ومنة ومنون وقد اختلف فى هذا الباب . فهذه الكلمات حذفت لاماتها وعوض عنها تاء التأنيث فى المفرد، أما فى الجمع فقد جمعت بالواو والنون عوضا لها أيضا ، فالواو والنون عوض عن الهاء المحذوفة المقدرة ، والهاء المحذوفة هى لام الكلمة ولا ترجع عند الجمع (١٨٨) وجمع هذه الكلمات بالولو والنون تعويض لها عن حذف التاء من جهة ، وتخصيص لها بشيء لا يكون فى سائر أخواتها من جهة أخرى لأن الأصل فيها أن تجمع جمع تأنيث. ومن الآراء فى جمعها ذلك الجمع أنها عندهم جارية مجرى من يعقل (١٨٩)

الواو والنون تعويض عن ياء النسب :

وذلك فى كلمات مثل (مقتوين) وغيرها فالأصل مفتويون فحذف ياء النسب وعوض عنها بعلامة الجمع وهى الواو والنون وكذلك كلمة (الأعجمين) فى قوله تعالى (ولو نزلناه على بعض الاعجمين) (١٩٠) فحذفت ياء النسب وعوض عنها بالواو والنون ، وقول الشاعر : متى كنا لأمك مقتوينا فالأصل : الأعجميين ومقتويون (١٩١)

الياء تعويض عن الواو :

وذلك فى لفظ (عيد) ، فاشتقاقه من (العود) بمعنى الرجوع ، وجعلت الياء عوضا لازما . والمقصود باللزوم هنا أنه بزوال الكسرة التى قبله لا يعود للواو فى تصاريفه المختلفة، فقلب الواو الساكنة ياء سببه وجود الكسرة قبلها ، واذا زالت فى مثل (أعياد) فإنها لا تعود ياء ، وكذلك فى تصغيره (عييد) ويعلق السيوطى على ذلك باستواء وجود الكسرة وفقدها مع انها الموجبة للقلب وبذلك يختلف لفظ عيد عما يماثله مثل ريح وقيل فإن الواو تعود إليهما مثل أرواح وأقوال (١٩٢)

الياء تعويض عن عين الكلمة :

وذلك فى لفظ (أنيق) أنها عوض من واو أنوق وهو أحد قولى سيبويه أي ان الواو عين الكلمة وحذفت وعوض منها ياء فصارت أنيق ، ومثالها (أيفل) والقول الأخر أن العين قدمت على الفاء وأبدلت ياء فصارت أنيق ومثالها على هذا (أعقل)، ويقول ابن جنى (أن ياء أينق بدل من عينها كما نقول أنها عوض منها) وأنيق جمع ناقة على افعل وأصله أنوق كما قالوا نوق وكذلك مما حذفت عينه وصار الزائد عوضا منها وهو الياء كلمات مثل : سيد وميت وهين ولين كما فى قول الشاعر :

هينون لينون أيسار ذوو يسر ... سواس مكرمة أبناء أيسار

وأصل اللفظة فيعل ، حذفت عينها وجعلت ياء (فيعل) عوضا عنها ومنها طيب وقيم . وكذلك تأتى الياء تعويضا عن عين الكلمة فيما كان على مثال (فيعلولة) مثل كينونة . وصيرورة وغيرها كلها اصلها

فـيعلولة حذفت عينها وصارت ياء فيعلولة عوضا منها ، فأصل كينونة (كيونونة) ومثلها (هيعوعة) جبن الرجل كل ذلك كان وزنه عند أهل البصرة فيعولة (١٩٣)

الياء تعويض عن لام الأسماء الستة :

حذفت لامات الأسماء الستة وعوض عنها بوسائل مختلفة منها انه جعل إعرابها بالحروف كالعوض لها، وذلـك فـى حالة الجر بالياء جاء تعويضا لها عن حذف لاماتها ، وفى تفسير آخر أن الأعراب بالحروف جاء تعويضا عن الحركات فالياء هنا تعويض عن الكسرة (١٩٤)

الياء تعويض عن النون :

تتمـتع النون بأحكام كثيرة فى النحو العربى ، وكذلك أفردت لها مواضع عديدة فى كتب القراءات . ومن ذلك حذف النون والتعويض عنها بالياء فى مثل تظننت قالوا : تظنيت فعوضوا من النون الياء) (١٩٥) وتفسـر تلـك الظاهـرة بأنها افعال الأصل فيها التضعيف ثم سهل مع مرور الزمن بالاستعاضة عن احد الحرفيـن المدغميـن بالـياء أو الـواو لخفـتها (١٩٦) وكذلك تعوض الياء من النون فى مثل أناسين وسراحين وبساتين فتحذف الياء وتعوض النون فيجوز أناسى وسراحى وبستى.

الياء تعويض عن الكسرة :

وذلك فى بعض لغات هذيل . وذلك قبل ياء المتكلم فى مثل فتى وهوى . وذلك اذا كان المضاف الى الياء اسما مقصور كما فى قول أبى ذؤيب :

سبقوا هَوى وأعنقوا لهواهم ... فتخرموا ولكل جنب مصرع

فالقـياس فى لغة الجمهور (هواى) ولكن هذيل تقلبها ياء وهذه الياء عوض من الكسرة الواجبة ما قبل الياء ومنه قراءة الجحدرى (فمن تبع هدىّ) (١٩٧)

ويعلل سيبويه ذلك أن الألف خفيه والياء خفية فكأنهم تكلموا بواحدة فأرادو التبيان (١٩٨)

الياء تعويض عن لام الكلمة فى التصغير :

وهو باب واسع يضم ما حذفت لامه وجعل الزائد عوضا عنها مثل فرزدق وسفرجل فيقال فريزد وجويلق وسـفرجل سفيرج وسفيريج وذلك فى التصغير وتعتبر هذه الياء تعويضا عما حذف منه ، وهذا التعويض اختـيارى ولكل منهما وظيفة فوظيفة التعويض تأتى لما أصاب الكلمة من الحذف والرغبة فى إتمام بناء المصـغر وعـدم الخـروج عـنه . وعدم التعويض والإبقاء على الحذف نوع من التخفيف، وكذلك هذه الكلمـات عند جمعها جمع تكسير يحذف من المفرد بعض حروفه فتأتى ياء قبل آخر الجمع تكون عوضا عن هذا المحذوف . وهو تعويض اختيارى أيضا، ففى جمعها بعد الحذف بغير تعويض : فرازق وسفارج وفى جمعها بعد الحذف مع التعويض بالياء عما حذف فرازيق . وسفاريج وهكذا كل ما كان على وزن

(فعـــالل) وهو كل جمع تكسير حذف من مفرده شيء عند جمعه جاز زيادة ياء قبل آخره تكون عوضا عـن المحـــذوف مـــثل دهارج ودهاريج ، جعافر وجعافير فيصبح الوزن (مفاعل أو مفاعيل).وفى قول الشاعر:

ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا ... ولقد نهيتك عن بنات الأوبر

عساقل أصله عساقيل حذفت الياء تخفيفا (١٩٩).

يا تعويض عن نزع الإشارة :

الأصـــل فـــى اسم الإشارة أن نشير به إلى واحد حاضر ، وعند الدعاء تنزع منه الاشارة التى كانت فيه وتلـــزمه إشـــارة الـــنداء وتصبح (يا)عوضا من نزع الإشارة وبسبب ذلك لا يقال : هذا اقبل لان يا قد صارت عوضا من الإشارة (٢٠٠)

يا تعويض عن الفعل فى النداء :

فى تعريف رجل فى قولهم (يا رجل) أقوال مختلفة منها أنه يعرف بالخطاب ، وأنه يتعرف بالالف واللام و (يا) نابت منابها ثم اختصرت ولزمتها (يا) حتى لا يتوالى الحذف ولأن يا صارت عوضا عما حذف و (يـــا) قامت مقام الفعل لأن النداء فى الأصل على اعتبار أدعو أو أنادى زيدا ، فحذف الفعل وعوض مـــنه (يـــا) . والدليل على ذلك أنه تدخلها الإمالة فهذا يعنى أنها قامت مقامه ، ويعترض بعض النحاة على كونها تعويضا عن الفعل أنه يجوز حذفها (يا) هذه فى مواضع كثيرة ، وما عوض حقه ألا يحذف فهـــى ليســـت عوضـــا عـــن الفعل أدعو أو أنادى لإجازتهم حذفها ، ومن حذفها قوله عز وجل (يوسف أعرض عن هذا) (٢٠١) ونذكر لذلك تعليلا جميلا لحذف النداء فى كتاب الله تعالى وهو التنزيه والتعظيم لأن فى النداء طرفا من الأمر ، كما ذكره الكرمانى (٢٠٢) وأما حذف الفعل مع النداء فتفسيره أنه لكثرة الاســـتعمال فلزم الفعل الإضمار طلبا للخفة ولعلنا نلاحظ اختلاف الجملة ما بين الفعلية والخبرية فى حالة ذكر الفعل وعدم ذكره فى مثل (أدعو عبد الله) و (يا عبد الله).

الياء تعويض عن حرفين :

كما فى مستخرج فى التصغير يقال مخريج، وفى جمع التكسير مخاريج،مخارج الياء تعويض عن حرفين هما السين والتاء.

الحرف تعويض عن باقى الكلمة :

وذلك كما فى قول الراجز :

بالخير خيرات وان شرافا .. ولا أريد الشر إلا أن تا

حـــذف الشـــاعر الكلمة فى الشطر الأول وجاء حرف منها تعويضا عنها ، والتقدير إن شرا فشر. وحذف الكلمة فى الشطر الثانى وجاء حرف منها تعويضا عنها إلا أن تشاء فيصبح الوقوف على حرف واحد من

الكلمة ويوصل بالألف للوقف وقد أورده سيبويه تحت عنوان (باب إرادة اللفظ بالحرف الواحد من ابواب التسمية) (٢٠٣)

٣- التعويض بالكلمة :

الفعل تعويض بعد لو :

تختص (لـو) بوقوع الفعل بعدها ، فإذا لم يقع بعدها وجب كون خبرها فعلا ليكون عوضا عن الفعل المحذوف كما فـى قوله تعالى (لو أنتم تملكون خزائن رحمة) (٢٠٤) فعلى تقدير فعل محذوف . ويعترض بعضهم بورود لو من غير فعل تعويض كما فى قوله تعالى (لو ان ما فى الأرض من شجرة) (٢٠٥) ويحذف خبر لو اكتفاء بما يدل عليه الكلام ، وثقة بفهم المخاطب كما يذهب الثعالبـى الى ذلك (٢٠٦) وهو الرأي الراجح

الألف عوض عن عشر مئة :

تمييز مئة يأتى مفردا مجرورا، وقيل فى تفسير ذلك أن المائة تشمل على العشرة والعشرين فاجتمع فيها ما تفرق فيهما فأخذت من الأولى الإضافة ومن الثانية الإفراد وأما لفظ الألف فيأتي عوضا عن عشر مائة فعومل معاملة المائة (٢٠٧)

فعل الأمر تعويض عن جملة الشرط :

وذلك فى مثل قولهم زرني أزرك فأصله زرني فإنك إن تزرني أزرك ، فحذفت جملة الشرط، وجعل فعل الأمر عوضا منها (٢٠٨)

المفرد تعويض عن الجملة :

ويكـون ذلك فى باب التوكيد حيث يأتى عوضا عن تكرار الفعل كقولنا ضربت ضربا هو بمنزلة ضربت . ضربت، فعدلوا عن ذلك واعتاضوا عن الجملة بالمفرد (٢٠٩)

الضمير المنفصل تعويض عن المتصل :

مـن قواعـد النحاة أنه إذا أمكن الإتيان بالضمير متصلا لا يجوز العدول عنه إلى الضمير المنفصل وذلك لأنه أكثر اختصارا وأيسر ولكن فى مثل قوله :

بالباعث الوارث الأموات قد ضمنت .. إياهم الأرض فى دهر الدهارير

فى قوله ضمنتهم استعمل المنفصل موضع المتصل والغالب هو استعمال المتصل فجاء استعمال المنفصل موضعه تعويضا له عن غلبة المتصل عليه كما يقول ابن جنى (٢١٠)

تكرار الاسم عوضا عن ذكر الفعل فى التحذير :

وفـى هـذا الباب مسألتان الأولى أن التكرار يقوم فيه أحد الاسمين بالتعويض عن الفعل (الأسد الأسد) والثانية أن أحد الاسمين عوض من الواو أما الأولى فلا يجوز اظهار الفعل إذا كرر الاسم فى التحذير لان احدهما كالعوض منـه فلا يجمع بينهما ، وهناك تفسير اخر لحذف الفعل وهو كثرة استعماله فى كلام

العـرب وهـناك علاقـة حميمة بين كثرة الاستخدام والحذف ، ونلمح تفسيرا أخر يذهب الى أن الموضع تحذيـر فهـو موضـع تعجـل لا يحتمل إطالة الكلام حتى يقع الخوف بالمخاطب قبل تمام الكلام (٢١١) والأجـود فى مثل (إياك أن تقرب الأسد) أن نلحق به الواو إياك وأن تقرب الأسد لأن (أن) مع الفعل بمـنزلة المصدر ، واذا ظهر الفعل نلاحظ الفرق بين الجملتين دلاليا ، حيث أن ظهور الفعل يخرج العبارة من أساليب التحذير.

تلك تعويض عن تالك :

تلـك وتـالك للإشارة للبعيد ، ولأن (تالك) استعمالها أقل من استعمال (تلك) فقد جعلوا كثرة استعمال تلك تعويضا عن استعمال تالك (٢١٢)

المصدر عوض عن المفعول به :

يتسـع فـى المصدر فيأتي منصوبا على أنه مفعول به وذلك في المصدر المتصرف وهذا الاتساع نوعان لفظـي وذلـك يجـوز اجتماعه مع المفعول الأصلي ، ومعنوى بأن يوضع بدل المفعول به فلا يجوز أن يجـتمع معه لأنه عوض منه وذلك مثل (ضرب الضرب) على معنى ضرب الذى وقع به الضرب ضربا شديداً) واذا جمع بينهما يكون المفعول منصوبا نصب التشبيه بالمفعول به.(٢١٣)

إذا تعويض عن الفاء في جواب الشرط :

ذهب أبو حيان وبعض النحاة إلى عدم جواز الجمع بين إذا الفجائية والفاء الرابطة للجواب نحو (إن تقم فـإذا زيد قائم)وذلك لأن إذا جاءت عوضا منها ولا يجوز الجمع بين العوض والمعوض منه ولكن هناك الكثير من النصوص التى تعارض ذلك وتجمع بينهما كما فى قوله تعالى (حتى إذا فتحت يأجوج وماجوج وهـم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فإذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا) (٢١٤) واجتماع إذا والفاء لتأكيد الربط (٢١٥)

صفة مجرور (رب) تعويض عن الفعل :

ذهـب كثير من النحاة الى وجوب وصف مجرور رب إما بالمفرد (رب رجل صالح) وإما بالجملة (رب رجل لقيته) والزموها هذه الصفة لتكون كالعوض من حذف العامل ، وعارض الآخرون ذلك وذهبوا الى أن العـامل محـذوف لكثرة ذلك ، ولأن السماع ورد بخلاف ما ذهبوا إليه ولدلالة الحال عليه (٢١٦) . وهو الصحيح

المصدر عوض من الفعل :

وذلـك قولهـم (عذيـرك مـن فلان) جاء المصدر منصوبا بفعل مقدر (هات عذيرك) فوضع المصدر موضـع الفعـل وأصبح عوضا من اللفظ به ، فلذلك لا يجوز إظهار الفعل معه وهناك فرق بين المنصوب بإضـمار فعل ، إذا لم يجعل المنصوب عوضا من الفعل يجوز إظهار الفعل وإضماره أي اجتماعهما معا . والمنصـوب الـذي يأتى عوضا من الفعل المحذوف لا يجوز إظهار الفعل معه حتى لا يجمع بين العوض

والمعــوض ، وذلك فى مواضع تحفظ ولا يقاس عليها . وهى المواقع التى جاءت فيها المصادر منصوبة ولــم يســمع لها أفعال مثل (مرحبا - أهلا وسهلا) فالعرب جعلت هذه الأسماء عوضا من الأفعال لكثرة الاســتعمال وذلــك مثل (هنيئا مريئا - كرامة وحسرة - سقيا ورعيا) وهى مصادر أهملت أفعالها فى الاســتعمال بقيت هذه المصادر مستعملة بدلا من أفعالها ومادام المفعول المطلق قد استعمل بدلا من فعله وجب عدم ذكر الفعل (٢١٧)

عشر تعويض عن النون / التنوين :

تحــذف نــون المثنى والجمع للإضافة حذفا لازما مثل حذفها مع اثنين واثنتين عند تركيبهما مع عشر أو عشرة فكلمة عشر أو عشرة عوض عن النون بعد حذفها، لذلك كلمة عشر اسم مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ومن أحد عشر الى تسعة عشر مبنى إلا صيغة المثنى تعرب لمشابهة المضاف فى سقوط الــنون ، والجــزء الثاني من المركب فى (اثنى عشر) قام مقام النون فصار التركيب كلا تركيب ، وفى تفســير بــناء لفــظ (عشر) أقوال منها أنه قام مقام النون من اثنين فلما قام مقام الحرف وجب بناؤه، والدليل على أن لفظ (عشر) قام مقام النون عدم جواز إضافته للمالك مثل إضافة خمسة عشر وأخواته، فلا يقال (اثنى عشرك) كما تقول (خمسةعشرك) (٢١٨)

الحال عوض من الخبر :

وذلــك فــى مثل (ضربي زيدا قائما) هناك خلاف حول إعراب كلمة قائما ، وهى حال سدت مسد الخبر وجــاءت عوضــا منه ، والدليل أن العرب لا تجمع بينهما ، ويفهم من عدم اجتماعهما قصد العوضية . وذهب علماء البصرة الى أن الخبر محذوف ، والحال سدت مسده وأغنت عن ذكره (٢١٩)

عشرون تعويض :

اشــتق مــن لفظ الثلاثة والأربعة الى آخرها ألفاظ (الثلاثين والأربعين والخمسين والستين الى آخرها) وذلــك باستثناء الاشتقاق من لفظ الاثنين ، وتفسير ذلك عند بعض النحاة بأن الاشتقاق من اثنين يستلزم زيادة واو ونون أو ياء ونون ، مما يؤدى الى أن يكون له إعرابان وذلك ممتنع فلم يبق من الآحاد شيء يشتق منه إلا العشرة فاشتقوا من لفظها عددا عوضــا من اشتقاقهــم من لفــظ الاثنين فقالــوا (عشرون) (٢٢٠)

المضاف اليه الموجود تعويض عن المضاف اليه المحذوف :

وذلــك فى مثل (زيد زيد اليعملات) هناك من ذهب الى حذف المضاف إليه من الثاني مع وجود المضاف الفاصل بين المتضايفين . والمضاف اليه المذكور فى اللفظ عوض من المضاف اليه المحذوف (٢٢١)

المضاف عوض من اللام أو من :

الخفض فى المضاف إليه بالحرف المقدر اللام أو من ، وحسن حذفه لأن المضاف ناب عنه وصار عوضا عنه فى اللفظ وان كان ليس بمنزلته فى العمل (٢٢٢)

المضاف اليه عوض من التاء :

وذلك فى مثل المصادر على مثال إقامة ، فأن التاء لا تحذف منها إلا إذا أضيفت ، وجاء المضاف إليه عوضا من حذف التاء ، كما فى قوله تعالى (وإقام الصلاة) (٢٢٣) وذلك لأنها حرف أصلى والتعويض عنه واجب ، وعد عدم التعويض عنه قبيح فى العربية .

الضمير المجرور عوض عن التنوين :

من المسائل الخلافية بين أهل البصرة والكوفة عدم العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار ، فمنعه البصريون وأجازه الكوفيون قياسا على الضمير المنصوب ، ولكن هناك فروقا بين المجرور والمنصوب عددها النحاة ، منها أن الضمير المجرور يكون عوضا من التنوين فى مثل غلامي ، وغلامك وغلامه ، وكما لا يعطف على التنوين كذلك لا يعطف على ما حل محله (٢٢٤)

المضاف إليه عوض من المضاف الضمير:

وذكر ذلك فى تفسير قوله تعالى (وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين) (٢٢٥) وقد اختلفت الآراء حول خبر (لا أبرح) ومن هذه الآراء أن التقدير (لا يبرح سيرى حتى يبلغ) فحذف المضاف وجعل ضمير المتكلم إليه عوضا منه ، وأسند الفعل إليه (٢٢٦)

المفعول به تعويض عن جملة :

وذلك كما فى قوله تعالى (إن أرضى واسعة فإياي فاعبدون) (٢٢٧) فحذف الشرط وعوض منه تقديم المفعول المفيد للاختصاص ، ويكون التقدير على ذلك : فإن لم تخلصوا لي العبادة فى أرض فاخلصوا فى غيرها (٢٢٨)

خبر كان تعويض عن سلب دلالة الحدث :

وذلك على اعتبار أن كان وأخواتها ليست أفعالا حقيقية ولذلك فهى مسلوبة الدلالة على الحدث وتقتصر دلالتها على الزمن كما أن خبر كان وأخواتها يأتى تعويضا عن مصادرها ولذلك لا يجتمعان (٢٢٩)

٣- التعويض بجملة :

وذلك فى مثل (ليت شعري هل قام زيد) فهل قام زيد جملة نابت عن خبر ليت وصارت عوضا منه فلا تظهر فى هذا الموضع (٢٣٠)

جواب لولا تعويض عن الخبر :

وذلك فى مثل (لولا زيد لقمت) جعل جواب لولا عوضا من خبر المبتدأ ، ولذلك وجب حذفــه ، ويرجــع ذلك الى كثرة الاستعمال حتى رفض ظهوره ولم يجز استعماله وهذا الحذف لازم لطول الكلام بــالجواب ، ولدلالة الحال عليه (٢٣١)

الجملة تعويض عن جواب الشرط :

فى مثل قولهم (أنت ظالم إن فعلت) تقديره إن فعلت ظلمت ، حذف جواب الشرط وجعلت الجملة المقدمة فيه عوضا من المحذوف ، ولا يجوز أن تكون الجملة المذكورة هى الجواب لعدم جــواز تقــديم جــواب الشرط.(٢٣٢)

الجملة تعويض عن خبر لعمري :

تأتى جملة جواب القسم تعويضا من خبر المبتدأ فى مثل قولهم (لعمرك لأفعلن) (وأيمن الله لأفعلــن)، فالخبر هنا واجب الحذف ولا يجوز ذكره لقيام جواب القسم عوضا منه فلا يجوز الجمع بينهما، لأن طول الكلام بجواب القسم صار عوضا عن الخبر (٢٣٣)

الجملة (كلام سابق أو لاحق) تعويض عن جواب القسم :

يحذف جواب القسم إذا تقدم عليه ما يغنى عن الجواب ، كما فى قولهم (أنت والله ناجح) ، كما يحــذف إذا جاء القسم بين أمرين متلازمين مثل محمد والله صادق، فما سبق على القسم او لحقه كالعوض عــن الجواب فلا يجتمعان وتنعكس القضية فترى جملة القسم يجوز حذفها بأركانها جميعا وذلك إذا كان جوابها دالا عليها (لأسافرن) وذلك لدلالة الحال والتقدير (أقسم بالله لأسافرن) حيث اجتمع فى جوابها اقترانه باللام وتأكيده بالنون كما يحذف جواب القسم جوازا إن جاء بعده ما يدل عليه ويعوض منه كما فى قوله تعالى (والنازعات غرقا .. يوم ترجف الراجفة)(٢٣٤) فالتقدير لتبعثن يوم ترجف الراجفة كما يحــذف جواب القسم جوازا إن سبق القسم ما يدل على جوابه ويغنى عنه فى نحو قـــــولهم (زيد قائم والله) (٢٣٥)

٤ ـ التعويض بشبه الجملة :

لم يجز النحاة الفصل بين كم الاستفهامية وتمييزها الا على قبح ، وذلك مثل قولهم كم فى الدار رجــلا ؟ والفصل بشبه الجملة مثل كم عندي كتابا ؟ والفصل بين كم الاستفهامية ومميزها بشــبه الجملــة جــاء تعويضا لكم من منعها من التصرف فى الكلام بالتقديم والتأخير لأن كم لها الصدارة فى جملتها لتضمنها معنى الاستفهام ، فلما منع عنها ذلك جعل الفصل عوضا لها من منعها من التمكن (٢٣٦)

المستوى الثاني من التعويض ويضم التعويض بالحركة ، وبالمد ، وبالتنوين والتشديد :

التعويض بالحركة :

البناء على الضم تعويض عن الإضافة :

معظــم الأســماء المبنية على الضم يأتى البناء تعويضا لها عن الإضافة ، وذلك كما فى قوله تعالى (لله الأمر من قبل ومن بعد) (٢٣٧) فالبناء على الضم تعويض لما حذف وتقوية له (٢٣٨)

اعتلال العين تعويض عن صحتها :

القــياس تصــحيح العيــن وإعلال اللام إذا كانا حرفي علة ، وذلك فى مثل آياة ، وغاياة ، ولكن عكست المسألة كما ذكر ابن جنى وذلك لكثرة اعتلال اللام مع صحة العين (٢٣٩)

النصب تعويض عن حذف حرف الجر :

ذهب الكوفيون إلى أن (ما) النافية لا تعمل شيئا فى لغة أهل الحجاز ، والمنصوب على إسقاط الباء حيث لــم تــرد عن العرب إلا بالباء ، فإذا حذفت هذه الباء جاء النصب تعويضا عنها كما هو معتاد عند حذف حروف حرف الجر كما فى قوله تعالى (ما هذا بشرا) (٢٤٠)

تطويل الباء عوض عن حذف الألف :

حذفت الألف فى الخط وان كانت قد أثبتت فى قوله تعالى (إقرأ باسم ربك) (٢٤١) وذلك لكثرة الاستعمال، وجاء تطويل الباء عوضا من حذف الألف ويروى أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال لكاتبــــــه : (طول الباء واظهر السينات ودور الميم) (٢٤٢)

الكسرة عوض عن السكون :

عند التقاء الساكنين تأتى الكسرة حركة مفضلة وفى تفسير ذلك أقوال مختلفة ، منها أن السكون عوض فى الفعل من الكسرة فى الاسم ، فعوض الكسرة من السكون أيضا فاختيار الكسرة جاء من طريق العوض ، وعلى قانون المقاصة أن يعوض الكسر من السكون (٢٤٣) .

حركة العين تعويض عن حذف اللام :

هناك كلمات مثل يد وغد أصلهما يدي وغدو بسكون العين ، وحذفت اللام وعوض منها حركة العين وتأتى الكلمة تامة فى الشعر كما فى قوله :

إذا غاب غدوا عنك بلعم لم يكن . . جليدا ولم تعطف عليك العواطف

حذفت لام الغد من غير عوض ولا يأتي تاما ألا فى الشعر (٢٤٤) .

الجزم تعويض عن الجر :

الجزم فى الفعل عوض من الجر فى الاسم فيستحيل الجمع بين العوض والمعوض منه لذلك يمتنع دخول الجر فى الفعل (٢٤٥)

الضمة تعويض عن لام الكلمة :

ضمة الهمزة فى (أخت) جاءت عوضا من اللام المحذوفة وذلك على مذهب الخليل وسيبويه ، حيث التاء عندهما للتأنيث وليست بدلا من الواو المحذوفة (٢٤٦)

التعويض بالمد :

التعويض بمد حرف اللين عند الحذف والتحريك :

يــتم الــتعويض بمد حرف اللين مدا لازما (ست حركات) عند حذفه او تحريكه ، والمقصود بالمد اطالة الصــوت بحــرف مــن حــروف اللــين ، ولهذا المد وظائف مختلفة منها سعة الكلام أو لين الصوت او الــتعويض عــن شيء محذوف وذلك نحو دابة ويأتي المد تعويضا مما كان يجب لها من التحريك بسبب التقاء الساكنين (٢٤٧) .

التعويض بالتشديد :

التشديد تعويض عن لام الكلمة :

تشــديد أب وأخ تعويــض عــن لامــيهما .فاصلهما أبو و أخو، ونلاحظ أن التعويض فى هذا الباب باب الأســماء يأتي بوسائل مختلفة مثل التعويض بالحروف ، ويقال فى التشديد أخ ، و اخة ، ولعل تشديدها لغة من لغاتها ، ومن تشديد فم ما أنشده الأصمعي :

يا ليتها قد خرجت من فمه . . حتى يعود الملك فى أسطمه

ونلاحــظ وجود الظاهرة وامتدادها إلى العلمية (دم – أخ) ولعله استمرار لهذه اللغة (٢٤٨) واثر من آثارها .

التشديد تعويض من الهمزة :

وذلــك فــى مثل ياء (برية) جاء التشديد تعويضا من الهمزة المحذوفة على أن أصلها برأ . وقرئت فى قولـه تعالى (أولئك هم شر البرية) (٢٤٩) بتشديد الياء . وعلى القراءة بالتخفيف لا تعويض ،على ان أصلها (براه الله) يبروه بروا (٢٥٠)

التشديد تعويض عن الياء :

ويكون ذلك فى المثنى الموصول بنوعيه (اللذان واللتان) كما ذكره ابن مالك فى قوله ·

والنون من ذين وتين شددا . . أيضا وتعويض بذاك قصدا

وقد قرئ الموصول المثنى فى القران بالتشديد ، كما فى قوله تعالى (ربنا أرنا اللذين أضلانا) (٢٥١) بتشــديد الــنون ، وكذلك قوله تعالى (واللذان يأتيانها منكم) (٢٥٢) وجاء التشديد تعويضا عن الياء الموجــودة فــى المفرد (الذي) كما ذهب إلى ذلك بعض النحاة ، وقد حذفت من أجل التثنية. وقد جاءت الكلمتان (اللذان ، واللتان) بالتخفيف والتشديد ، وهناك تفسيرات أخري للتشديد . منها انه تأكيد للفرق بيــنه وبيــن المعرب فى التثنية (لان اللذين واللتين كلمتان مبنيتان) ومنها أن التشديد للتمييز بين نون

....

الـتعويض عـن حـركة وتنوين . والنون المعوضة عن حرف من أصل الكلمة والتفسير الأخير أن العلة الصحيحة هى استعمال العرب لها (٢٥٣) وهو ما نميل إلى ترجيحه.

التشديد تعويض عن الألف :

ويكـون ذلـك فـى المثنى من أسماء الإشارة (هذان وهاتان) وقد جاءت بالتشديد هذان وهاتان بتشديد الـنون تعويضـا عن الألف المحذوفة من (هذا) فى المفرد ، وتثنية الإشارة مع التشديد عند البصريين يكـون مع الالف فقط أي فى حالة الرفع ، ويكون التشديد مطلقا فى الرفع والنصب والجر عند الكوفيين ، وذهب بعضهم إلى أن التشديد يكون للمتوسط ومع الكاف للبعيد ولكنهما مترادفان عند بعض النحاة ومن ذلـك قراءة قوله تعالى (إن هذان لساحران) (٢٥٤) بتشديد النون عوضا من (ألف) هذا التى سقطت من أجل حرف التثنية وقد قرئت الآية أيضا بتخفيف النون (٢٥٥) .

التعويض بالتنوين :

التنوين تعويض عن الإضافة :

هـناك عـدد من الظروف مثل قبل وبعد إذا قطعت عن الإضافة عوضت عن ذلك القطع بالتنوين كما فى قو له تعالى (ولله الأمر من قبل ومن بعد) (٢٥٦) وكذلك فى قوله تعالى (أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسـنى) (٢٥٧) جاء التنوين تعويضا من المضاف إليه ، وما زائدة للإبهام المؤكد. والتقدير (اي هذيـن الاسمين سميتم وذكرتم فله الأسماء الحسنى) وقد ذكرنا فى موضع آخر أن (ما) جاءت تعويضا عـن الإضـافة ويطلق النحاة على هذا النوع من التنوين (تنوين عوض عن كلمة محذوفة) وهو الذي يلحـق بعض الأسماء الملازمة للإضافة عوضا عن المضاف إليه المحذوف مثل كل فى قوله تعالى (وكل أتـوه داخريـن) (٢٥٨) حيث جاء تنوين كل تعويضا عن المضاف إليه ، و التنوين فى كل عوض من المضـاف إليه ، أى كل ما فى السموات و الأرض، وكذلك تنوين الأعداد يكون تعويضا عن المضاف إليه كمـا فى قوله تعالى (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج و سبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة)(٢٥٩) عشرة جاءت منونة تعويضا عن حذف المضاف إليه (٢٦٠)

التنوين تعويض عن الفتحة :

وذلـك فـى بعـض الكلمات مثل (عرفات واذرعات) حيث قيل فى تفسيره أقوال كثيرة منها أن التنوين تنويـن صـرف لفظـا وصورة ، ومنها أن التنوين عوض عن الفتحة فى حالة النصب والغالب فى هذه الكلمات ان تأتى منونة (٢٦١)

التنوين تعويض عن المد :

وهو تنوين الترنم ، وتنوين الترنم هو الذي يلحق القوافي المطلقة عوضا من حرف الاطلاق وبدلا منـه (نلاحـظ تناوب المصطلحات) وهى القافية المتحركة التى تولد عن حركتها احد حروف المد واللين فهو تنوين يلحق الروي المطلق عوضا عن مدة الإطلاق وذلك فى لغة تميم وقيس . ومنه قول الشاعر :

أقلي اللوم – عادل – والعتابن . . وقولي – إن أصبت – لقد اصابن

جاء التنوين بدلا وعوضا من الألف وذلك بسبب الترنم وهناك من يرى أن هـــذا التنوين ليس بتنوين و إنما هو نون تتبع الحرف الأخر عوضا عن المدة ، ولذلك فإن حكمه يكون عكس حكم التنوين لانه يلحق الفعل وهو من خواص الاسم فنجده يثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل بخلاف التنوين (٢٦٢)

<u>التنوين عوض عن حرف :</u>

وهـــو تنويـــن العوض وهو الذي يلحق الأسماء المعربة والمبنية ، وذلك لأغراض مثل الخفة والبعد عن الـــثقل ، وهذا التعويض يأتي تعويضا عن حرف محذوف من الكلمة عند سيبويه، وقيل انه يأتي تعويضا عـــن الحركة التى عليه وهو رأى المبرد والزجاج ، ويلحق تنوين العوض صيغة منتهى الجموع اذا كانت اســـما منقوصا فى آخره ياء لازمة مشددة قبلها كسرة وذلك فى حالتي الرفع والجر مثل (مساع) كما فـــى قوله تعالى (ومن فوقهم غواش) (٢٦٣) والدليل على أنه تنوين تعويض من الياء عدم اجتماعهما مـــثل (تراق) وفائدة هذا التعويض كما ذكرنا الهروب من الثقل إذا وقعت الضمة أو الكسرة على حرف الـــياء فتحذف ويعوض عنها بالتنوين ، فالجموع تستثقل فإذا كان فيها ياء تخفف بوسائل منها : البدل . القلب ، والحذف كما فى ليال (٢٦٤)

<u>التنوين تعويض عن جملة :</u>

وهـــو الـــذي يلحـــق كلمـــات مثل (إذ) ، إذا ، وإذن وغيرها ، ومن أمثلة اذ قوله تعالى (وأنتم حينئذ تنظرون) (٢٦٥) اى حين كان ذلك ، وقلما توجد إذ المتصلة بالزمان مضافة غير منونة . وقد جاءت إذ وحدها فى قول الشاعر :

نهيتك عن طلابك أم عمرو . . بعافية وأنت إذ صحيح

فـــإذ تلزم الإضافة إلي جملة سواء أكانت اسمية أو فعلية فإذا حذفت الجملة يعوض عنها بالتنوين . وإذا لـــم تتقدم الظرف جملة يصلح ان يكون التنوين عوضا منها فتقدر الجمنة مما يصلح من ذلك قوله تعالى (هـــل أتـــاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة) (٢٦٦) ان لفظة الغاشية تنحل إلى : التى غشيت . وهـــى الجملـــة التى عوض منها التنوين أي يوم غشيت ويأتي التنوين تعويضا عن جمل مجتمعة وليست جملـــة واحـــدة كما فى قوله تعالى (يؤمئذ تحدث أخبارها)(٢٦٧) المحذوف المعوض عنه ثلاث جمل ويكـــثر فـــى القـــرآن الكريم حذف الجملة المضاف إليها الظرف (إذ) والتعويض منها بالتنوين ، وتقدر الجملة المحذوفة مما قرب من الظرف كما فى قوله تعالى (ويوم تقوم الساعة يؤمئذ يخسر المبطلـــون) (٢٦٨) والـــتقدير (إذ)وسبب بناء (إذ) افتقارها إلى ما بعدها من الجمل او لما عوض منها وهو التنوين. وكذلـــك يـــتم الـــتعويض بالتنوين عن الجملة فى كلمة (إذن) وذلك فى مثل (إذن أكرمك) التقدير : إذا جئتنـــي أكـــرمك فحذفت الجملة وعوض منها التنوين ، وقد ذهب الجمهور الى ان (إذن) يوقف عليها بالألف المبدلة من النون وهو ما اجمع عليه القراء والتقدير : يوم اذ تقوم الساعة فهى عند بعض النحاة

(إذا) الظرفـية ، فهـناك خلاف حول حرفية (إذن) واسميتها ، وهل هى اذا الظرفية او غيرها ومن رأى انهـــا (إذا) ذهـب إلى أنه إذا حذف المضاف إليها من الجملة عوض عنها التنوين ، وغاية ذلك جعلهـا صـــالحة لجميع الأزمنة الثلاثة بعد ما كان مختصا بالمعنى كذلك لفظ (أوان) تحذف الجملة بعده ويأتى التنوين عوضا عنها كما فى قوله :

طلبوا صلحنا ولات أوان . فأجبنا أن ليس حين بقاء

جـاء تنويـن (أو ان) عوض عن جملة كالذي يلحق (إذ) ، والأصل ولات أو ان طلبوا صلحنا فحذفت الجملة الفعلية وعوض عنها بالتنوين . (٢٦٩)

<u>المستوى الثالث : التعويض بمفاهيم :</u>

١) التعدي ٢) الجمعية ٣) التقديم ٤) التفخيم

<u>التعدي تعويض عن الجمود :</u>

المعـتاد في اللغة أن صيغة (فعل) إذا كانت لازمة كانت صيغة (أفعل) متعدية . وذلك لأن الهمزة أكثر مـا تجئ للتعدية ونلاحظ ذلك كثيرا في (فعل وأفعل) مثل صددته وأصددته وجد في الأمر وأجد ، وهذه الغلبة غلبة تعدى أفعل على (فعل) جاء التعويض عنها بتعدي (فعل) وجمود (أفعلت) مثل أجفل الظليم وجفلته الريح وأنزف البئر إذا ذهب ماؤها ونزفتها (٢٧٠)

<u>التعدي عوض عن حذف الواو :</u>

ذهـب نحـاة الكوفة إلى أن الواو في مثل (بعد ، ويزن) حذفت للفرق بين الفعلين اللازم والمتعدى في حيـن ذهب نحاة البصرة الى أنها حذفت لوقوعها بين ياء وكسرة ، ولأنهما يختلفان في اللزوم والتعدى ويـتفقان فـي وقوع فائهما واوا وجب التفريق بينهما في الحكم فأبقوا الواو في مضارع اللازم وحذفوا الـواو مـن المتعدى مثل (وعد ، يعد) وكان المتعدى أولى بحذف الواو ، لأن التعدي أصبح عوضا من حـذف الـواو وعارض أهل البصرة ذلك ، وعللوا الحذف باجتماع الياء والواو والكسرة وذلك مستثقل، فحـذف واحـد مـنها للتخفيف ، كما أن هناك كثيرا من الأفعال اللازمة قد حذفت منها الواو مثل (وكف البيت يكف) وقد جعل تعدى (فعلت) وجمود (أفعلت) كالعوض لفعلت من غلبة أفعلت لها على التعدي مثل جلس وأجلسته (٢٧١)

<u>الجمعية تعويض :</u>

مـن معانـي العوض أن يكون مختصا بشيء لا يكون لما لم يحذف منه . فكذلك تخصيص ارض بالجمع بـالواو والـنون عوض عما لحقها من حذف تاء التأنيث الثابتة في أخواتها . فجاء الجمع بالواو والنون بهدف تخصيصها بشيء وكذلك قوله تعالى (الذين جعلوا القرآن عضين) (٢٧٢) جاءت لام الفعل من عضـين عـوض عـنها بالواو والنون ، وهو جمع السلامة ومختص بمن يعقل تعويضا لها عن اخواتها وجمـع لغـة لغـات ، وتجمع على لغون ، فألحقوها بجمع المذكر السالم جبرا لما فاتها من رد لامها في

....

الجمـــع كمـــا هو الشأن في الجموع . ومثلها سنون، كما أن هذا التعويض نوع من التخفيف والتكريم له بجمـــع الـــذى لا يكـــون إلا للعـــاقل المكرم فالتعويض بمفهوم الجمعية الذى يكون لمن يعقل وهو الجمع المفضـــل حيـــث قدم على سائر المخلوقات بتكريم الله تعالى لهم (٢٧٣) وفي قوله تعالى (وكل أتوه داخرين) (٢٧٤) وغيرها جاء الخبر جمعا بالواو والنون لأنه يحمل على كل باللفظ فيأتي الكلام مفردا ، ويحمـــل علـــى كل بالمعنى فيأتي الكلام جمعا ، وعندما أتت (كل) غير مضافة ولما لم تضف لجماعة جـــاء الـــتعويض عـــن ذلك بذكر الجماعة في الخبر ، فلم يأت الكلام (كل له قانت) لأنه يعنى عدم ذكر الجمـــع مطلقا بينما في قوله (وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) (٢٧٥) لما جاء لفظ الجماعة ضميرا في الإضافة استغنى به عن ذكر الجماعة (٢٧٦)

<u>التقديم تعويض :</u>

فـــي تفسير قوله تعالى (يهب لمن يشاء إناثا) (٢٧٧) أن الأصل أن يقدم الذكور ويؤخر الإناث لأنهم الأصل والأغلب ولكن لما كثر في الذكور تقديمهم دائما عوض الإناث بتقديمهم عليهم في الآية الكريمة . ولم يترك الذكور هو الآخر بدون تعويض وإنما جاء إناثا رغم تقدمه نكرة ، وعوض الذكور بسبب تأخره - غير المعهود - بالألف واللام (٢٧٨)

ولهـــذا القـــانون أو القاعدة قاعدة المذكر والمؤنث ، وتغليب المذكر ، ثم قاعدة التقديم وارتباطها بالرتبة أهمية كبيرة في مباحث النحو العربي وعلاقته بمباحث الفقه مما نعد لها بحثا مستقلا إن شاء الله .

<u>التفخيم تعويض :</u>

مـــن المفاهيم التي تستخدم وسيلة للتعويض ، مفهوم التفخيم الذي يأتي تعويضا عن التخفيف والترقيق . وغالـــبا مـــا نجـــد هذا المفهوم في الأصوات فيأتي الصوت الأشد عوضا عن الصوت الأخف . مثال ذلك تفضـــيل الصاد على السين في مثل قولهم (شمر عن صاقه) عوضا عن ساقه ، وكذلك قولهم (أفلطنى الـــرجل) بالطـــاء عوضا عن أفلتني إفلاتا وغير ذلك . غير أننا نجد تفسيرا آخر لهذا المفهوم وهو انه يعـــود في معظمه الى اختلاف لهجات العرب من ناحية أو الى قوانين صوتية من ناحية أخرى (٢٧٩). وهو ما يؤيده الواقع اللغوي.

الخلاصة

وبعـد، فلقـد رأينا ظاهرة التعويض من خلال المباحث النحوية والصرفية وكذلك استعرضنا بعض ملامحهـا فـى العلوم العربية والإسلامية، وامتدادها ووجودها على ألسنة المحدثين فى الدراسات الحديثة فهى ظاهرة تفرض وجودها فى الفكر العربى، ولها من الأهمية الكثير، وهى تشكل آلية من آليات التفكير العربى.

وقـد ألـف ابـن جنى كما يذكر لنا السيوطى كتابا خاصا يناقش الظاهرة ويقارن بينها وبين البدل، فكثـيرا مـا يـتم التناوب بين المصطلحين وَإذا حاولنا أن نستعرض بعض ما كشفت عنده دراسة الظاهـرة فيمكـن أن نـرى أن كثيرا من الأبواب فى مبحث التعويض يمكن ردها إلى قواعد معينة تفسـر حـدوث التعويض نذكر منها كثرة الاستعمال، وتصلح قاعدة هامة للتفسير وذلك فى ابواب كثـيرة مـنها النداء والقسم (فالشيء إذا كثر استعماله كان حذفه كذكره لأن كثرته تجريه مجرى المذكـور) ومـنها أيضاً (دلالة الحال)، وهو مبدأ اعتمد عليه النحاة كثيرا مثل ترك الخبر إذا كان فى الكلام دليل عليه كما فى قولنا (كل رجل وضيعته) ومنها ايضا ما يذكره الثعالبى فى فقه اللغة مـن الحذف، ثقة بفهم المخاطب، ونلاحظ هنا التفاته لدور المخاطب فى عملية الكلام، ومنحه دورا هامـا فـى وصل ما حذف من الخطاب، وتقديره، كذلك نجد قاعدة التخفيف تصلح لتفسير كثير مما ذهـب إلـيه النحاة فى مبحث التعويض، والهروب من الثقل فى الحروف أو الكلمة أو الجملة، وقد ذكـره بعـض الـنحاة رافضين التعويض فى بعض مباحثه، أيضا مبدأ الاختصار والبعد عن الطول يصـلح قـاعدة لرد بعض ما ذهبوا إليه ، ويلعب اختلاف اللهجات دورا كبيرا فى رد بعض مباحث الـتعويض أيضا مثل الكشكشة والكسكسة، وغيرها ولا أثر للتعويض هناك، وكذلك (أم) المعرفة، كمـا نلاحظ تزيد النحاة من أجل الوصول للمعوض والمعوض عنه إلى الدرجة التى نكاد نصل معها إلى شيء فارغ الدلالة، وقد لاحظنا أن العنصر الواحد يقع تعويضا لأشياء مختلفة، وأكثر ما وجدنا ذلـك فـى حرف (الألف)، وفى حرف (الهاء)، كذلك تنعكس المسألة فنلاحظ أن الشيء الواحد يعـوض عـنه بأكـثر من عنصر مثل الأسماء الستة، وفعل القسم، مما يكشف عن تضارب مفاهيم الـنحاة و تصـوراتهم لهذا المبحث، وهناك معايير حددها النحاة للتفريق بين التعويض والبدل من أهمهـا العلاقـة المكانـية فالـبدل والمـبدل منه فى مكان واحد، وليس التعويض كذلك، والتواجد والاجتماع فلا يتواجد العوض والمعوض منه معاً وقد لعبت هذه القاعدة أى عدم الجمع بين العوض والمعـوض مـنه دورا كبـيرا أساسيا فى معظم مباحث التعويض فهى العلة الجامعة وحيثما تعذر الجمع بينهما برز التعويض كتفسير وحيد لذلك.

كمـا وضـع الـنحاة معايير لتحديد الحرف المحذوف إذا كان هناك أكثر من حرف منها الاستثقال، والـزيادة، وألا يكون هو الحرف المبدوء به وإنما المكرر وألا يكون هو الحرف المعوض، وأخيرا

أن يكـــون في طرف الكلمة ونهايتها، ولكن يلاحظ وقوف النحاة أمام العنصر الواحد مواقف متعددة ومتبايـــنة مثل (الياء) في المضاف إليه فمرة تذكر في الكلمات وأحيانا تحذف ولا عوض عنها، ثم تحـــذف ولابـــد من التعويض عنها في رأيهم (يا أبت) وأخيرا تنقلب ألفا، ولاحظنا أنه لا يلزم أن يشـــبه العـــوض المعوض عنه من حيث النوع كما في مثل (يا أبت) حذفت ياء الإضافة وهي اسم وعوض عنها تاء التأنيث وهو حرف، وأيضا عند مواجهة عدد كبير من التغيرات تحدث في الكلمة الواحدة يفسرها النحاة كما في باب النسب أن الأعلام يحدث فيها تغيير كثير بمبدأ مؤداه أن التغيير يؤنس بالتغيير، كذلك لاحظنا تناوب المصطلحات عند النحاة كثيرا جدا وبخاصة في مبحث التعويض كالعوض والبدل والنيابة وغيرها ولعل أكثر مصطلحين تم التناوب بينهما هما البدل والعوض فيأتيان مترادفيـــن فـــي نفس الجملة للتعبير عن الشيء الواحد ولعل ذلك ما يفسر اهتمام ابن جني بتأليف كـــتاب يـــناقش الظاهرتين معاً للتداخل بينهما، وصعوبة التفريق، كما وجدنا النحاة يقومون بتفسير الظاهرة الواحدة بالقانون ونقيضه معا، فتارة يذكرون التعويض ويفرضونه لأن من سنن العرب إذا حذفـــوا أن يعوضـــوا، فلا تترك الحروف الأصلية بلا تعويض، فذلك قبيح عند العرب وفي مواضع أخرى عندما تستدعي التعويض حسب قواعدهم ولا يوجد يذهبون إلى أنه (إن شئت لم تعوض لأن مـــن كـــلام العرب أن يحذفوا ولا يعوضوا) كذلك وجدنا أن كثيراً من مباحث التعويض تنصب على الحروف يليها الاسم وبعد ذلك الفعل ثم الجملة وشبه الجملة.

ولعـــل ذلـــك يرجع الى أن حروف الكلمة قابلة للتغيير والزيادة والحذف على امتداد الزمان والمكان نتـــيجة للتغيرات النطقية وغيرها، وأكثر ما يأتي التغير في أواخر حروف الكلمة، لأن نهاية الكلمة كما يقولون عرضة للسقوط أكثر من اى حرف آخر فهو ضعيف ولابد من التعويض عن هذا الحرف الأخـــير لقـــوة طلـــب الكلمـــة للامها الذى هو من سنخها كما يذكر السيوطي بخلاف الحرف غير الأصلي.

ونلمـــح تفسيرات مختلفة لظاهرة التعويض عند النحاة، منها عدم الالتباس عند عدم التعويض كما فـــي باب النداء حتى لا يلتبس النداء بالخبر، ومن وظائفه حفظ التوازن بين حروف الكلمة وإعادة التســـاوي لها، ومنها تقاص الحروف كما في التعويض بالواو من الياء، ومنه ما ذكرنا من الخفة، ولعـــل قـــيام الحـــرف المعوض بما يقوم به المعوض عنه من العمل يغنينا عن تقدير حرف مضمر وإســـناد العمـــل له، وذلـــك كمـــا في إضمار (أن) الداخلة على الفعل المضارع ونصب الحروف الموجـــودة له دون تقديـــر لإعمال (أن) مضمرة، وفي ذلك رفع العناء في مباحث نصب المضارع بحرف مضمر والتعويض عنه بظاهر، وعلى الوجه الآخر يرى بعض النحاة أن التعويض في بعض مباحـــثه لا فـــائدة مـــنه كما في لفظ (الله، واللهم، وإله) وكذلك في لفظ (أناس، والناس)، كذلك نلاحظ أن التعويض يأتي في باب فيطبق على باب آخر وإن لم يرد فيه سماع كما في زيـــــــادة

....

(عـن) والتعويض عنها بأخرى، فذهبوا الى زيادة (من) والتعويض عنها بأخرى، وإن لم يرد بها سماع وإنما أجيز ذلك قياسا على ماورد فى (عن، وعلى، والباء) ، وكذلك نلاحظ أن ما ذهب إلـيه الـنحاة من عدم جواز الجمع بين العوض والمعوض منه حكم أغلبى وليس مطلقا، حيث جاء الواقـع بما يعارضه، وذلك فى غير الضرورة الشعرية كما يقولون، وقد أجاز ذلك المبرد فى مثل قولهـم (أما كنت منطلقا انطلقت)، فذكر العوض.والمعوض منه فى غير ضرورة، وهكذا قد يكون الـتعويض مهمـا فـى الجملة ويكمل بعض ما حذف منها ولكن ليس بهذه الحتمية التى ذهب اليها الـنحاة، وليس بهذا التعسف والفرض، ولعل المعنى هو الذى يقوم كثيرا بهذا الدور التعويضى فى الجملـة، ولـم يلتفـت إليه النحاة إلا فى القليل النادر ويتضافر المعنى مع السياق وتدخل المخاطب بـدوره الهـام فى تقدير ما حذف من الكلام وتعويض الجملة شعرية أو نثرية بما سقط من الألفاظ منها طبيعيا أو بطريق العمد.

كذلك لاحظنا عدم اتفاقهم فى كثير من الأمور التى تتعلق بهذا المبحث، ولذلك أسباب كثيرة تطرقنا إلـى بعضـها ونشـير هنا الى مسألة الحذف وارتباطها الوثيق بمبحث التعويض، فهناك حذف ولا تعويـض وحذف عشوائى اعتباطى، وحذف إجبارى ، وأحد الأسباب المهمة وراء هذا المبحث هو سـعى النحاة الحثيث إلى تحقيق النمط المعيارى للجملة وللكلمة، فيقدرون المحذوفات بشكل قسرى دون الالتفات إلى المعنى أو السياق العام، ودون أن يضيف هذا القدر أية دلالة معنوية جديدة.

الهوامش

١ لسان العرب :مادة عوض . والمعجم الوسيط .
٢- السيوطي : الأشباه والنظائر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٤ م ، جـ ١ ص١٤٦
٣- السابق جـ ١ / ص ١٤٧ .
٤- السابق جـ ١ / ص ١٤٦ ، ١٤٨ .
٥- السابق جـ ١ / ص ١٤٤
٦- السابق جـ١ / ص ١٤٥ ، ١٤٦
٧- شرح ابن عقيل جـ ١ ص ٢٨٩ .
٨- ابن الأنباري : الانصاف في مسائل الخلاف، دار الفكر ، بيروت د.ت. جـ٢ ص ٣٤٥
٩- الأشباه جـ١ / ص١٤١،١٥٧
١٠- السيوطي : الأشباه جـ٢ ص ١٣٢ .
١١- السابق جـ١ ص ١٥٨ .
١٢- الآية ٧٣/ الأنبياء .
١٣- السيوطي : الإتقان في علوم القرآن مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة مصر ، الطبعة الثالثة جـ٢ ص ٦٠ .
١٤- ابن جني : الخصائص تحقيق محمد على النجار ، دار الكتاب العربي بيروت ، لبنان جـ٢ ص ٣٨١ .
والحلل للبطليوسي تحقيق مصطفى امام ، الدار المصرية للطباعة والنشر القاهرة ١٩٧٩ م ص ٣٥٣ .
١٥- الرماني : كتاب معاني الحروف تحقيق د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي دار الشروق ، جدة، الطبعة الثالثة،١٩٨٤ ص ٦١
١٦- السابق : ص ٦١ . وكذلك الانصاف لابن الأنباري جـ١ ص ٣٨٣ ، ٣٩٦ .
١٧- الأشباه : جـ ١ / ١٤٥
١٨- ابن الأنباري : أسرار العربية تحقيق بهجة البيطار نشر مجمع دمشق ١٩٥٧م ص ٢٢٨ .
١٩- د. عبد العال سالم مكرم : ظواهر لغوية . مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٨ م ص ٤٤ . ٨٤ .
٢٠- د. ابراهيم أنيس : دلالة الألفاظ ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ، الطبعة السادسة ١٩٩١م ص٤٣ .
٢١- لسان العرب والمعجم الوسيط مادة (بدل) .
٢٢- الأشباه : جـ١ ، ص ١٠٧ ، ص ١٤٦
٢٣- شرح المفصل ابن يعيش عالم الكتب ، بيروت ، لبنان جـ ١ /١٢٧، والأشباه جـ١/١٤٦
٢٤- الآية (٨١) الكهف .
٢٥- تفسير الجلالين ص ٢٥١ .
٢٦- اللسان والمعجم الوجيز مادة (خلف) وكذلك الخصائص لابن جني جـ ٣ ص ٢٦٠ ، ٢٦١
٢٧- الآية ٦٢ من الفرقان
٢٨- مختصر تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٦٣٧
٢٩- اللسان مادة خلف . والنهاية في غريب الحديث والأثر جـ٢/٦٦
٣٠- ابن جني الخصائص جـ٢ ص ٣٨١
٣١- الآية ١٠٣/ البقرة .
٣٢- اللسان مادة ثوب
٣٣- د . صبري المتولي : منهج اهل السنة ص ٢٣٧ .
٣٤- اللسان : مادة (جزى) والمعجم الوجيز
٣٥- الآية (١٢) من الانسان
٣٦- د. صبري المتولي : منهج أهل السنة ص ١٨٤
٣٧- اللسان (جبر) والخصائص لابن جني جـ ١ ص ٥٢٧، ٥٢٨ . والأشباه جـ١/١٥١
٣٨- الآية ٢١ /البقرة
٣٩- مختصر ابن كثير جـ١ ص ٣٦٠
٤٠ منهج اهل السنة ١٧٨ . ١٧٩
٤١- الآية ٤٩ / الشورى
٤٢- الزركشي . البرهان في علوم القرآن . دار الفكر ، بيروت ، لبنان د.ت جـ٣ ص ٢٥٢
٤٣- اللسان مادة (نوب)
٤٤- عباس حسن . النحو الوافي ، دار المعارف ، القاهرة الطبعة الثالثة . ١٩٧٤، جـ١ ص ٥١٥
٤٥- ابن يعيش . شرح المفصل ، عالم الكتب ، بيروت – لبنان . د. ت جـ ١ ص ١٢٧

٤٦- الأشباه جـ ١ ص ١٥٤ ، ٣٨٢، جـ٢ ص ١٢٢ .
٤٧- اللسان مادة (عقب) .
٤٨- الآية (١١) من سورة الرعد .
٤٩- مختصر ابن كثير جـ٢ ص ٢٧٣ .
٥٠- اللسان مادة (عوض) ، ومادة (أجر)
٥١- المرادي : الجنى الداني ص ٤١.
٥٢- الآية (١٧٤) البقرة.
٥٣- مختصر تفسير ابن كثير جـ١/٨٨، ١٥٢، ٢٩٣
٥٤- الآية (٣٢) / سورة النحل
٥٥- الزركشي : البرهان جـ٢ ص ٦٢.
٥٦- ابن ماجة : السنن ، المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان د.ت تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي جـ١ ص ٥٠٩
٥٧- الأشباه جـ١ ص ١٢٩
٥٨- السيوطي : الإتقان جـ٢ ص ٥٧
٥٩- ابن جني :الخصائص جـ٢ ص ٢٧٤
٦٠- الآية ٢٨ / التوبة.
٦١- مختصر تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ١٣٥
٦٢- السيوطي : الأشباه جـ١ ص١٢٩ ، ١٥٥.
٦٣- عباس حسن : النحو الوافي جـ٢ ص ٧٦.
٦٤- الآية (٢٣٦) من البقرة
٦٥- ابن كثير : مختصر تفسير ابن كثير تحقيق محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، لبنان الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ ، جـ١ ص ٢١٧.
٦٦- الآية (٣٥) / القصص.
٦٧- تفسير الجلالين ٣٤٢
٦٨- السيوطي : الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ، عمادة شئون المكتبات ، جامعة الملك سعود ، الرياض ١٩٨٣ م ص ١٨٩.
٦٩- د. صبري المتولي : منهج أهل السنة ص ١٧٨ ، ١٧٩.
٧٠- الآية (٢٦) / البقرة
٧١- عطية نصر : غاية المريد في علم التجويد ، مكتبة الحرمين ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ ص ١٩١.
٧٢- الآية (١) / النصر
٧٣- عطية نصر : غاية المريد ص ١١٨ ، ٢١٣.
٧٤- ابراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٩٠ ص ٩٠، ٩١
٧٥- د. صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة ، دار العلم للملايين الطبعة الثانية عشرة ١٩٨٩م ص ٨١،٨٢، ٩٤، ١٠٢
٧٦- د. صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة ص ٢٦٠، ٢٦٣.
٧٧- د. كمال بشر : دراسات في علم اللغة ، دار المعارف مصر ، الطبعة التاسعة ١٩٨٦ ص ٦٩
٧٨- د. تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ١٩٧٣، ص ٢٠٨.
٧٩- د. عاطف مدكور : علم اللغة بين القديم والحديث دار الثقافة ، القاهرة ١٩٨٦ ص ١٥٤.
٨٠- . صبحي الصالح : فقه اللغة ص ١١٨.
٨١- الأشباه جـ١ ص ٣٨٣
٨٢- د. شكري فيصل : المجتمعات الإسلامية في القرن الأول دار العلم للملايين ، بيروت الطبعة الرابعة ١٩٧٨ ص ٣١٩ ، ٣٣٦ ، ٣٥٠ ، ٣٩٧.
٨٣- الآية ١٠٦/ المائدة
٨٤- الأشباه جـ١ ص ١٥٥، والحلل للبطليوسي ص ١٨٥، ١٩٠
٨٥- حاشية الخضري جـ١ ص ١٨٢.
٨٦- الآية ١٩ / الحاقة.
٨٧- الخصائص جـ٢ ص ٣٨
٨٨- الأشباه جـ١ ص ١٤٥ والخصائص جـ٢ ص ٣٨
٨٩- ابن الأنباري : أسرار العربية ص٤، ٥ وكذلك الأشباه للسيوطي جـ٢ ص ١٧٧.
٩٠- ابن جني : الخصائص جـ٢ ص ٢٨٥.
٩١- السيوطي : الأشباه جـ١ ص ١٣٧.

٩٢- الاية ٥٦ / الزمر
٩٣- تفسير الجلالين دار الفكر ، بيروت ، لبنان د.ت، ص ٣٠٢
٩٤- عباس حسن : النحو الوافى جـ٤ ص ٨٧.
٩٥- البرهان للزركشى جـ٣ ص ٩، ١٠
٩٦- الأشباه جـ١ ص ١٤٩.
٩٧- الأشباه جـ١ ص ١٣١.
٩٨- ابن هشام : المغنى جـ٢ ص ٤٠
٩٩- لسان العرب (باب الهمزة) .
١٠٠- السيوطى : الأشباه جـ١ ص ١٤٧ ، جـ٣ ص ٤٣.
١٠١- حاشية الخضرى جـ١٤٥/٢.
١٠٢- الأشباه جـ١ ص ١٤٩.
١٠٣- الأشباه للسيوطى جـ١ ص ١٥١.
١٠٤- المقتصد فى شرح الإيضاح للجرجانى تحقيق كاظم بحر المرجان ، دار الرشيد للنشر ، العراق جـ١ص ١٨٣
١٠٥ـ فقه اللغة وسر العربية : الثعالبى ، تحقيق سليمان سليم البواب ، دار الحكمة دمشق ، سوريا، الطبعة الثانية ١٩٨٩م، ص ٣٧٨.
١٠٦- الآية ٤١ من البقرة
١٠٧- تفسير الجلالين ص ٨ ، وانظر الإتقان جـ١ ، ١٥٩
١٠٨- الأشباه جـ١ ص ١٤٢، والجنى الدانى للمرادى ص ٣٨٠
١٠٩- حاشية الخضرى جـ٢ ص ١٤٥
١١٠- الآية (١٥٦) من آل عمران
١١١- المعجم الوجيز مادة (وثق)
١١٢- الآية (١٤٨) البقرة، وانظر شرح ابن عقيل جـ٢٢٤/١
١١٣- الآية٧٣/ الأنبياء، والآية ٣/ الروم، وانظر تجديد النحو/١٠٧
١١٤- معانى القرآن للفراء جـ٢ ص ٣١٩
١١٥- الأشباه جـ٢ ص ١٥٨ ، وانظر لسان العرب مادة (ثوب)
١١٦- الآية ٧٢ من الفرقان
١١٧- الأشباه جـ١ ص ١٣٢ ، ١٤٠ ، ١٤٢ جـ٢ ص ١٥٨
١١٨- الآية ٧٣/ الأنبياء
١١٩- الأشباه جـ١ ص ٤٨ ، ٤٩ ، ١٤١ وتجديد النحو للدكتور شوقى ضيف ص ١٠١.
١٢٠- الأشباه جـ١ ص ١٤٠
١٢١- الخصائص جـ ١ ص ١١٤، والخصائص جـ٣٠٩/٢ والأشباه جـ١ ص ١٤٠ ، جـ٢ ص ١٥٧
١٢٢- الأشباه جـ١ ص ١٤٣
١٢٣- الإنصاف لابن الأنبارى جـ١ ص ٤٤
١٢٤- الأشباه جـ١ ص ١٣٠
١٢٥- الآية ١٥٠ / البقرة
١٢٦- الآية (٤٤) من سورة مريم.
١٢٧- الآية (١٠٢) من الصافات
١٢٨- الأشباه جـ١ ص ١٤٩ ، ١٥٧ ، ١٦١ والنحو الوافى لعباس حسن جـ١ ص ٢٠١
١٢٩- الأشباه جـ١ ص ١٠٨، ١٣٦
١٣٠- الآية ٥٧ من الأنبياء
١٣١- الانصاف جـ١ ص ٣٨١، ومباحث فى علوم القران/٢٩١
١٣٢- الأشباه جـ١ ص ١٥٥ ، ٣٩٩ والخصائص جـ٣ ص ٢٦٠ ، ٢٦١
١٣٣- الهمع جـ١ ص ٣٨، والخزانه٤١٠/٢، وشرح الكافية١٦/٢
١٣٤- الأشباه جـ١ ص ٣٤٠
١٣٥- الآية ٨٩ من طه
١٣٦- الآية ٢٠ من المزمل
١٣٧- الأشباه جـ١ ص ١٥٤ ، وانظر الإنصاف لابن الأنبارى جـ١ ص ٢٠٤
١٣٨- الأشباه جـ١ ص ١٢٤
١٣٩- الأشباه للسيوطى جـ١ ص ١٢٤ ، ١٤٩
١٤٠- فصول فى فقه العربية : د. رمضان عبد التواب مكتبة الخانجى ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٨٣م ، ص ١٤٨

١٤١- الخصائص جـ٢ ص ٣٠٥ ، والجنى الدانى للمرادى/٤٧٨
١٤٢- الجنى الدانى للمرادى ص ٢٤٨، ٢٥٢
١٤٣- الإنصاف جـ١ ص ٢٠٤ ، ٢٠٥
١٤٤- الآية (١) / البقرة
١٤٥- الأشباه جـ١ ص ١٥٠ ، ١٧٢
١٤٦- الآية ٢٦ من النساء
١٤٧- الآية ١٧٩ من آل عمران
١٤٨- الأشباه جـ٢ ص ٣١٥ ، ونتائج الفكر فى النحو /٣١٨
١٤٩- الأشباه جـ١ ص ٣٦
١٥٠- اسرار العربية للانبارى ص ٢٣١ ، والأشباه جـ١ ص ٣٣٤ ، انظر فى قواعد الساميات ، رمضان عبد التواب مكتبة الخانجى ، ١٩٨٣ ، ص ٩٤ ، ١٣٩.
١٥١- اللسان : مادة تيم
١٥٢- الأشباه جـ٢ ص ١١٢، وشرح الفريد للاسفراييني /١٣٨
١٥٣- الآية ٥٠ / ص
١٥٤- الآية ٤١ / النازعات
١٥٥- الأشباه جـ٢ ص ٤٤ والبرهان للزركشى جـ٤ ص ٣٨، والجنى الدانى/١٩١، ١٩٩
١٥٦- الاية ٨٩ من طه
١٥٧- الإنصاف للانبارىجـ١ ص ٢٠٤، والأشباه جـ٤/٣١٤
١٥٨- الأشباه للسيوطى جـ٤ ص ٣١٤ ، والإنصاف جـ١/٢٠٤
١٥٩- الأشباه جـ١ ص ٢٩٥ ، ٢٦٩ ، والانصاف للانبارى جـ١ ص ٧١
١٦٠- الخصائص لابن جنى جـ٢ ص ٤١٥
١٦١- الآية ٢٦ من آل عمران
١٦٢- الانصاف للانبارى جـ١ ص ٣٤١
١٦٣- الأسرار لابن الانبارى ص ٢٣٢ ، والأشباه جـ٢ ص ١٣١
١٦٤- الخصائص لابن جنى جـ١ ص ٢٣٦
١٦٥- الأشباه جـ١ ص ١٤١
١٦٦- مغنى اللبيب جـ١ ص ١٥٢
١٦٧- الكتاب لسيبويه جـ١ ص ٢٧٠، والحلل للبطليوسى/٣٥٣
١٦٨- الايه ٢٨ من القصص
١٦٩- الأشباه جـ١ ص ١٤٨، والجنى الدانى/٣٣٣، والإنصاف جـ١ / ٧١،جـ٢/٤٦٠
١٧٠- اللسان : مادة (أنن) ، والأشباه جـ١ ص ١٥٣
١٧١- الأشباه جـ١ ص ١٥٣ ، ومعانى الحروف للرمانى ص ١٢٩ ، ١٣٠
١٧٢- الأشباه جـ ١ ص ٣٦
١٧٣- الأشباه جـ١ ص ٢٠٢، ونتائج الفكر السهيلى /١١٠
١٧٤- الهمع جـ٢ ص ٧٦
١٧٥- الأشباه جـ١ ص ٣٣٩، ٣٤٠
١٧٦- السابق جـ١ ص ٣٣٩، ٣٤٠
١٧٧- الأشباه جـ٣ ص ١٤٢
١٧٨- الأشباه جـ١ ص ١٥٥ ، والإنصاف جـ١ ص ٣٩٦
١٧٩- فقه اللغة د. على عبد الواحد وافى ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ص ١٠٥
١٨٠- الآيه ١ / الليل
١٨١- الأشباه جـ١ ص ١٥٥ ، ومباحث فى علوم القرآن/٢٩١
١٨٢- الأسرار للانبارى ص ٦٢ ، والأشباه جـ١ ص ١٦٢ ، ١٦٣
١٨٣- الخصائص جـ١ ص ٣٠٧ ، جـ٢ ص ٢١٥ ، ٢٣١
١٨٤- الهمع للسيوطى جـ٢ ص ٢٣٩
١٨٥- الإنصاف جـ١ ص ٣٠٧ ، ٣٧٦ ، والأشباه جـ١ ص ١٢٧
١٨٦- الانصاف جـ ٢ ص ٤٨ ، ٤٩؛ والنتائج للسهيلى/٣١٧، والحلل للبطليوسى/٤٨،٤٩
١٨٧- الأشباه جـ١ ص ١٥١، ٣٦٠
١٨٨- الأشباه جـ١ ص ١٥٢ ، ١٥٣
١٨٩- الإنصاف جـ١/٤٣

١٩٠- الآية ١٩٨/ الشعراء
١٩١- الأشباه/ جـ١/١٤١
١٩٢- الأشباه جـ١ ص ١٤١،٤/ ٢٣٨
١٩٣- الأشباه جـ١ ص ١٣٢ ، الخصائص جـ٢ ص ٧٥ ، ٧٦ ، ٢٨٩
١٩٤- الأشباه جـ١ ص ١٥١
١٩٥- شرح المفصل جـ١ ٢٥
١٩٦- الأصوات د. ابراهيم أنيس ص ١٥٠، ٢٤٤ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠
١٩٧- الآية ٣٨ من البقرة
١٩٨- شرح ابن عقيل جـ٢ ص ٧٣ ، وحاشية الخضرى جـ٢ ص١١، والكتاب لسيبويه جـ٣ ص ٤١٤
١٩٩- الأشباه جـ١ ص ١٤٠ ، جـ٣ ص ٨٨ ، الكتاب لسيبويه جـ٤ ص ٢٩٠
٢٠٠- الأشباه جـ١ ص ١٥٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، جـ٢ ص ٣١٠
٢٠١- الاية ٢٩ / يوسف
٢٠٢- الإتقان للسيوطى جـ٢ ص ٦٠ ، ٦٢ ، والأشباه جـ١ ص ١٥٨ ، جـ٢ ص ٥٥
٢٠٣- الكتاب لسيبويه جـ٢ ص ٦١
٢٠٤- الآية ١٠٠ / الإسراء
٢٠٥- الآية ٢٧ / لقمان
٢٠٦- الإتقان جـ١ ص ١٧٤ ، والإنصاف جـ٢ ص ٤٦٠ ، وفقه اللغة للثعالبى ص ٣٤٤
٢٠٧- حاشية الخضرى جـ٢ ص ١٣٦
٢٠٨- الأشباه جـ١ ص ١٥٤
٢٠٩- البرهان للزركشى جـ٢ ص ٣٩٢
٢١٠- الخصائص جـ١ ص ٢٠٧ ، جـ٢ ص ١٩٤ ، ١٩٥
٢١١- الأشباه جـ١ ص ١٥٢ ، ٣٣٣، خزانة الأدب جـ ٣ ص ٦٤
٢١٢- الأشباه جـ٢ ص ٢٩٢
٢١٣- الأشباه جـ١ ص ١٩ ، ٢٠
٢١٤- الآية (٩٦ ، ٩٧) من الأنبياء
٢١٥- الأشباه جـ١ ص ١٥٠
٢١٦- الأسرار للانبارى ص ٢٦١ ، ٢٦٢
٢١٧- الأشباه جـ١ ص ١٥٥ ، ١٥٦ ، ٣٣٥
٢١٨- النحو الوافى جـ١ ص ١٥٧ ، والأشباه جـ٣ ص ٦٠
٢١٩- الأشباه جـ٤ ص ٣٣٤
٢٢٠- الأسرار للانبارى ص ٢٢٠، والجنى الدانى / ٤٥٠
٢٢١- الأشباه جـ١ ص ٥٠
٢٢٢- الأشباه جـ١ ص ١٥٢
٢٢٣- الآية ٧٣ من الأنبياء
٢٢٤- الإنصاف جـ٢ ص ٤٦٧ ، والأشباه جـ٢ ص ٣٠٧
٢٢٥- الآية (٦٠) / سورة الكهف
٢٢٦- الكشاف جـ٢ ص ٤٩٠
٢٢٧- الاية ٥٦ / العنكبوت
٢٢٨- التبيان ص ١٤٩
٢٢٩- الأشباه جـ١ ص ١٥٣، وشرح المقتصد جـ١/٣٩٨
٢٣٠- الأشباه جـ١ ص ١٥٥، والمغنى/ جـ٢/ص٤٨
٢٣١- الأشباه جـ١ ص ٨١ ، ٨٢ ، ١٥٤ ، ٣٣٠
٢٣٢- الأشباه جـ١ ص ١٥٤
٢٣٣- الخصائص جـ١ ص ٣٩٣ ، والأشباه جـ١ ص ١٥٤ ، وشرح ابن عقيل جـ ١ ص ٢٥٢
٢٣٤- الآية ١ / النازعات
٢٣٥- المغنى جـ٢ ص ٧٤، والكشاف ١٩٩/٤، والإملاء للعكبرى جـ٢/٢٤١
٢٣٦- الإنصاف للانبارى جـ١ ص ٣٠٧ ، والهمع جـ١ ص ٢٥٤
٢٣٧- الآية ٤ / الروم
٢٣٨- الأسرار للانبارى ص ٣١
٢٣٩- الخصائص جـ٢ ص ٤٨٦

...

٢٤٠- الآية ٣١ من يوسف وانظر الإنصاف جـ١ ص ١٦٦، والهمع جـ٢ ١٠٩، ١١٠
٢٤١- الآية(١) / سورة العلق
٢٤٢- فقه اللغة للثعالبي ص ٣٦٨
٢٤٣- دراسات في علم اللغة د. كمال بشر ص ١٥٤ ، ١٥٥
٢٤٤- الأشباه جـ١ ص ١٥٥ ، والأسرار للانباري ص ٤٢٨
٢٤٥- الأشباه جـ١ ص ١٥٦ ، ٣١٤
٢٤٦- حاشية الخضري جـ٢ ص ١٧٤ ، واللسان مادة (أخخ)
٢٤٧ غاية المريد/ص١٠٧ وما بعدها
٢٤٨- حاشية الخضري جـ١ ص ١٦٢ ، واللسان مادة (فوه) ، والأشباه جـ ١ ص ١١٩ ، ١٤٢ ، ١٤٣
٢٤٩ - الآية ٦/ البينة
٢٥٠- معاني القرآن للفراء جـ٣ ص
٢٥١- الآية ٢٩ من فصلت
٢٥٢- الآية ١٦ من النساء
٢٥٣- شرح ابن عقيل جـ١ ص ١٠٣ ، ١٠٦ والنحو الوافي لعباس حسن جـ١ ص ٣٤٥
٢٥٤- الآية ٦٣/طه
٢٥٥- الأشباه جـ١ ص ١٤٣، وشرح ابن عقيل جـ١ ص ١٠٦
٢٥٦- الآية ٤ /الروم
٢٥٧- الآية ١١٠ /الإسراء
٢٥٨- ٨٧ /النمل
٢٥٩- الآية ٩٦ /البقرة
٢٦٠- تفسير الجلالين ص ٤١ والنحو الوافيجـ١ / ص ٤٠
٢٦١- الأشباه جـ١ ص ٣١٦
٢٦٢- الجنى الداني ص ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ وشرح ابن عقيل جـ١/ص٢٢
٢٦٣- الآية ٤١ / الأعراف
٢٦٤- النحو الوافي جـ١ ص ٣٨ ، ٣٩ ، والأشباه جـ١ ص ١٤٩
٢٦٥- الآية ٨٤ / الواقعة
٢٦٦- الآية ٢ / الغاشية
٢٦٧- الآية ٤ / الزلزلة ، وانظر الخصائص جـ٢ ص ٣٧٧
٢٦٨- الآية ٢٧ من الجاثية
٢٦٩- الأشباه جـ٢ ص ٢١٠ ، والإتقان جـ١ ص ١٤٨ ، والنحو الوافي ص ٤٠، والجنى الداني١٨٦، ٣٦٣
٢٧٠- الأشباه جـ١ ص ٣٨٢ ، والخصائص جـ١ ص ٨٧ ، ٣٠٣ ، جـ٢ ص ٢١٥ ، ٢٣١
٢٧١- الإنصاف جـ٢ ص ٣٨٣
٢٧٢- الآية (٩١) الحجر
٢٧٣- الأسرار للانباري ص ٥٨ ، والمزهر جـ٢ ص ٢٧٣و المقتضب جـ١/١٩٤، ١٩٥
٢٧٤- الآية (٨٧) النمل
٢٧٥- الآية ٩٥/ النمل
٢٧٦- الخصائص جـ٣ ص ٣٣٥ ، ٣٣٦
٢٧٧- الآية ٤٩ / الشورى
٢٧٨- البرهان للزركشي جـ٣ / ص٢٥٢
٢٧٩- فقه اللغة للثعالبي ص ٤١١

قائمة المصادر :

١- ابراهيم انيس : الأصوات اللغوية، الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٩٠م.
- دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة السادسة،١٩٩١م
٢- ابن الأثير (أبو السعادات المبارك بن محمد)
النهاية فى غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر احمد الزاوى ومحمود محمد الطناحى، ط٢، دار الفكر ١٣٩٩ هـ /١٩٧٩م
٣- الاسفرايينى (عصام الدين الاسفراييني)
شرح الفريد، تحقيق نورى، ياسين حسين. مطبعة الفيصلية، مكة ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥م
٤- ابن الأنبارى (كمال الدين أبو البركات)
- الإنصاف فى مسائل الخلاف، ودار الفكر، بيروت د.ت
- اسرار العربية، تحقيق بهجة البيطار، نشر مجمع دمشق،١٩٧٥م
٥- البطليوسى (عبد الله بن محمد)
الحلل فى إصلاح الخلل من كتاب الجمل، تحقيق مصطفى امام، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧٩م
٦- البغدادى (عبد القادر بن عمر)
خزانة الأدب، تحقيق عبد السلام هارون، المطبعة السلفية، ١٣٤٧ هـ
٧- تمام حسان
اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م
٨- الثعالبى (ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل)
فقه اللغة وسر العربية، تحقيق سليمان سليم البواب، دار الحكمة، دمشق، سوريا، الطبعة الثانية،١٩٨٩
٩- الجرجانى (عبد القاهر بن عبد الرحمن)
المقتصد فى شرح الإيضاح، تحقيق كاظم بحر المرجان، دار الرشيد للنشر، العراق ١٩٨٢
١٠- ابن جنى (أبو الفتح عثمان)
الخصائص، تحقيق محمد على النجار، دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان، (د.ت)
١١- الخضرى (محمد الخضرى على)
حاشية الخضرى على ابن عقيل، المطبعة الأزهرية، القاهرة (د.ت).
١٢- الرضى (محمد بن حسن)
شرح الكافية، مطبعة مجمع الرضى، المطبعة العامرة، بولاق،١٢٧٥ هـ
١٣- الرمانى (أبو الحسن على بن عيسى)
كتاب معانى الحروف، تحقيق د. عبد الفتاح اسماعيل شلبى، دار الشروق، جدة، ط٣، ١٩٨٤
١٤- رمضان عبد التواب : فصول فى فقه العربية، مكتبة الخانجى، القاهرة، ط٢، ١٩٨٣
قواعد الساميات، مكتبة الخانجى، القاهرة ١٩٨٣.
١٥- الزركشى (بدر الدين محمد بن عبد الله)
البرهان فى علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، (د.ت)
١٦- الزمخشرى (أبو القاسم محمود بن عمر)
الكشاف، نشر المكتبة التجارية، ١٣٥٤ هـ
١٧- السهيلى (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله)
نتائج الفكر فى النحو، تحقيق د. محمد ابراهيم البنا، دار الرياض للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٨٤م
١٨- سيبويه (ابو بشر عمرو بن عثمان)
الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م
١٩- السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن)
- الإتقان فى علوم القرآن، ط٣ مصطفى البابى الحلبى، مصر، ١٩٥١م
- الأشباه والنظائر فى النحو، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط١ ١٩٨٤م
- تفسير الجلالين بالاشتراك مع جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت).
- الدرر المنتثرة فى الأحاديث المشتهرة، عمادة شئون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض،١٩٨٣

-المزهر فى علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر، بيروت
-همع الهوامع، تحقيق وشرح د. عبد العال سالم مكرم دار البحوث العلمية، الكويت ، ط٢، ١٩٨٠م
٢٠-شكرى فيصل : المجتمعات الإسلامية فى القرن الأول، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤ ١٩٧٨م
٢١-شوقى ضيف : تجديد النحو، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢.
٢٢- صبحى الصالح : دراسات فى فقه اللغة، دار العلم للملايين، ط١٢، ١٩٨٩م
٢٣-صبرى المتولى : منهج أهل السنة فى تفسير القرآن الكريم مكتبة دار زهراء الشرق، القاهرة ١٩٩٨
٢٤-الطيبى (شرف الدين حسين بن محمد)
كتاب التبيان فى علم المعانى والبديع والبيان، تحقيق د. هادى عطية مطر الهلالي، عالم الكتاب، ومكتبة النهضة العربية ، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
٢٥-عاطف مدكور : علم اللغة بين القديم والحديث، دار الثقافة، القاهرة ١٩٨٦م.
٢٦-عباس حسن : النحو الوافى، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٧٤
٢٧-عبد العال سالم مكرم : ظواهر لغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
٢٨-عطية قابل نصر : غاية المريد فى علم التجويد، مكتبة الحرمين، الرياض، ط٢، ١٩٩٠
٢٩-على عبد الواحد وافى : فقه اللغة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٣م.
٣٠-ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله)
شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، مراجعة د. محمد أسعد النادرى، المكتبة المصرية، بيروت، ١٩٩٥م.
٣١-العكبرى (أبو البقاء عبد الله بن الحسين)
إملاء ما من به الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت)
٣٢-الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد)
معانى القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاتى ومحمد على النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٨٠م.
٣٣-ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل)
مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق محمد على الصابونى، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٧٨م.
٣٤-كمال بشر : دراسات فى علم اللغة، دار المعارف مصر، ط٩، ١٩٨٦م.
٣٥-ابن ماجة (أبو عبد الله محمد بن يزيد)
السنن ، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان
٣٦-مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز، القاهرة، ١٩٨٠م.
- المعجم الوسيط ، الطبعة الثانية
٣٧-المرادى (الحسن بن قاسم)
الجنى الدانى فى حروف المعانى، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٣م.
٣٨-مناع القطان : مباحث فى علوم القرآن ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣٢، ١٩٩٧م.
٣٩-ابن منظور (جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم)
لسان العرب، دار المعارف ، ١٩٨١م.
٤٠-ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين)
مغنى اللبيب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة محمد على صبيح، القاهرة، د.ت
٤١-ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن على)
شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت ، لبنان ، (د.ت)



تدريبات علي العود : ذو الرقبة الطويلة

د . عبد المنعم خليل إبراهيم*

تتمتع آلة العود بأهمية خاصة في الموسيقى العربية، من حيث أنها أهم الآلات وأقدمها وأحبها لجميع الشعوب العربية.

وقد وضعت نظريات الموسيقى العربية على أساس أوتار وأبعاد آلة العود كما حاول الكثيرون الاهتمام بالآلة وتطور صناعتها من حيث نوعية الأخشاب وأوزانها وأشكالها وأحجامها وأوتارها.

وعلى التوازى من ذلك ، تحسين الصوت، وزيادة إمكانياتها الصوتية، ومساحتها في العزف بحيث لا يؤثر ذلك على طبيعتها.

وقد توالت التطويرات في صناعة الآلة، وتكنيكاتها والمهارات الخاصة بالعازفين والمؤلفات.

فأصبحت هناك مساحة للعزف لم تكن تستخدم من قبل في إطار الاستخدام العملى.

---

* مدرس بالمعهد العالى للموسيقى العربية / أكاديمية الفنون.

ولكن المشكلة هى انه بالرغم من ان العود ذو الرقبة الطويلة يمتلك امكانيات كبيرة في المساحات الصوتيه وسهولة عزف الدرجات الحادة إلا انه لاتوجد تمارين تمهد للتعرف على هذه الأمكانيات ومن نتائج رسالة الباحث للدكتوراه وتوصيتها بتشجيع التأليف الموسيقى (مقطوعات موسيقية وتدريبات للعود) .

فكان هدف البحث هو وضع تمارين تساعد في التعرف على تلك الامكانيات وتتبع اهمية هذا البحث في الاستفاده من امكانيات العود ذو الرقبة الطويلة .

ويتبع هذا البحث المنهج الوصفى.

وحدود البحث العود ذو الرقبة الطويلة:

عينة البحث .. اختار الباحث مقامى (العجم والحجاز) في الوضع الثاني.
كما اختار الباحث مقامى (النهاوند والكرد) في الوضع الثالث.

حيث ان هذه المقامات ذات درجات ثابته لاتحتوى على ثلاث ارباع الدرجة.

كما ان الوضع الثانى والثالث تعزف بطريقة العفق وهو ما يحتاجة العازف على رقبة العود وليست الدرجات المطلقة التى لاتعزف إلا في الوضع الاول غالبا.

من النقاط الأساسية فى العود ذو الرقبة الطويلة الآن ما يلى :

-أن عدد الأوتار (٦) ستة أوتار وذلك بإضافة الوتر السادس (ج الجهاركاه) بصفة أساسية ودائمة .

-تضبط الأوتار جميعها على مسافة (الرابعة التامة) .

-البنجق أصبح مثل بنجق العود التقليدى من الخشب ، وذلك لصعوبة الحصول على مفاتيح معدنية (جيتار أو ماندولين) .

-طول الوتر ٦٠سم / طول الرقبة ٣٠سم.

-**الخطوات:**

للوصول الى الوسائل التي تجعل من اليسير التعرف على كيفية أداء السلالم أو التمارين على الرقبة الطويلة كان من الضرورى أخذ ما يلى فى الاعتبار :

١ الترقيم لمحاولة الوصول الى اسهل الترقيمات ، مع حرية العازف المتميز فى الانتقال بين هذه الترقيمات .

٢-كل التمارين تعزف ببطء لأن الاهتمام الأول هو معرفة اماكن العزف (العفق) .

-ان التدريب على الأوضاع position بطريقة العفق على النغمات وليست الأوتار المطلقة يساعد على تثبيت الوضع .

-بدأ الباحث المقامات المختارة من درجة الراست حتى ييسر على العازف الانتقال من مقام إلى آخر ويربط بين الترقيمات ليعرف الفروق اليسيره بينها خاصة وانها تعزف بطريقة العفق.

وقد رتبت التمارين كما يلي:

-سلم بالوضع الأول

-سلم على وترين

-تثبيت وضع الإصابع والانتقال على مختلف الدرجات بنفس الترقيم من خلال نفس التمرين.

-تصوير التمرين على درجات مختلفة بنفس ترقيم الأصابع.

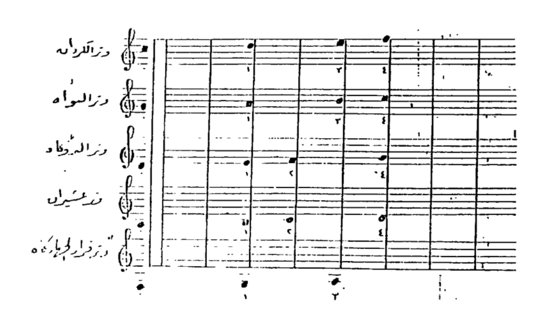
-تمارين في درجات السلم صعودا وهبوطا

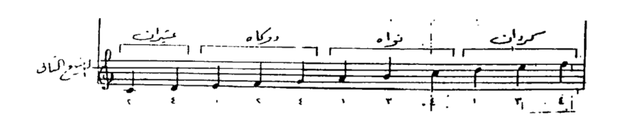
-تمرين شامل.

-أربيجات أوكتاف واحد ثم أوكتافين ثم الجمع بين الأوضاع.

ترقيم الأصابع ومواضع عفق درجات مقام العجم (ما ـــــور

على أوتار العود، فى الوضع الثانى(1)



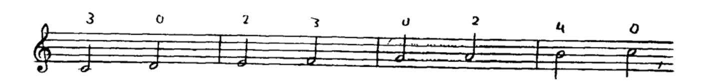


---

(1) حورية عزمى ، جورج ميشيل ، جمعة محمد على . تدريبات آلة العود الجزء الثانى، الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية ، مطبعة دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٧٦ .

مقام عجم تبريز
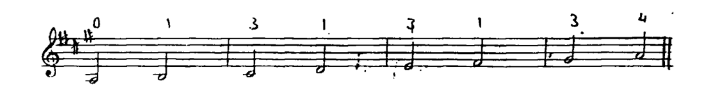
- سلم بالوضع الأول



سلم على وتر واحد:

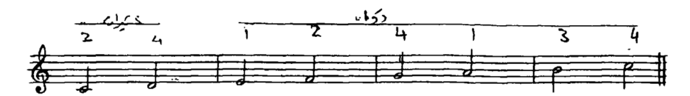
يهدف هذا التمرين الى التعرف على درجات السلم على نفس الوتر مما يساعد على حفظ واماكن النغمات على رقبة العود.

- **سلم على وتر واحد** مصور على وتر مطلق عشيران



سلم على وترين:

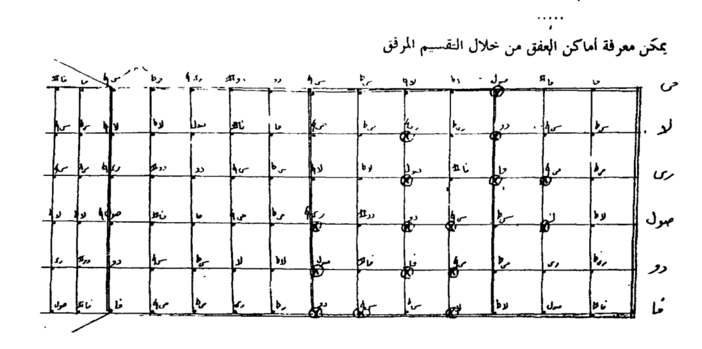
يهدف هذا التمرين الى التعرف على درجات السلم على وتر واحد ثم اماكن عزف الدرجات المتممه على الوتر التالى يساعد هذا التمرين ايضا على حفظ اماكن النغمات على رقبة العود.
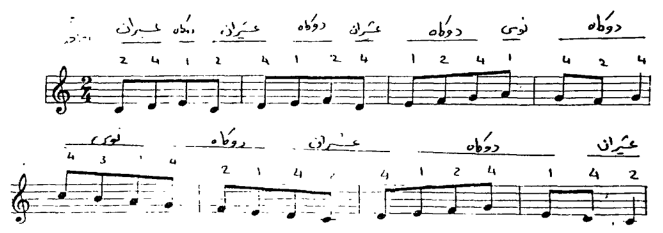


......

......

يمكن معرفة أماكن العفق من خلال التقسيم المرفق
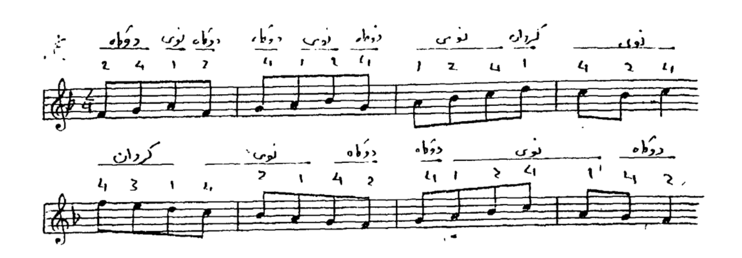


-الاستفاده من الوضع الثاني في عزف درجات السلم كاملة.
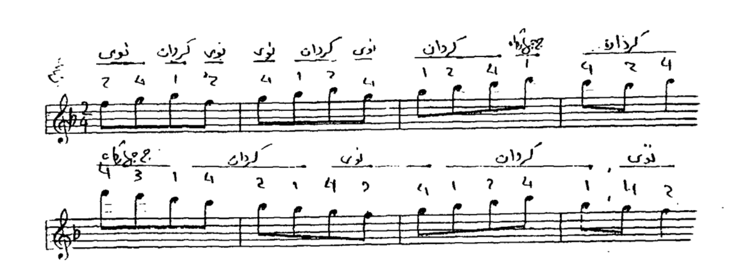
يهدف هذا التمرين الى التعرف على درجات السلم وتثبيت الاصابع في عزف ديوان كامل بنفس الوضع.. ويساعد ايضا على حفظ اماكن النغمات على رقبة العود.
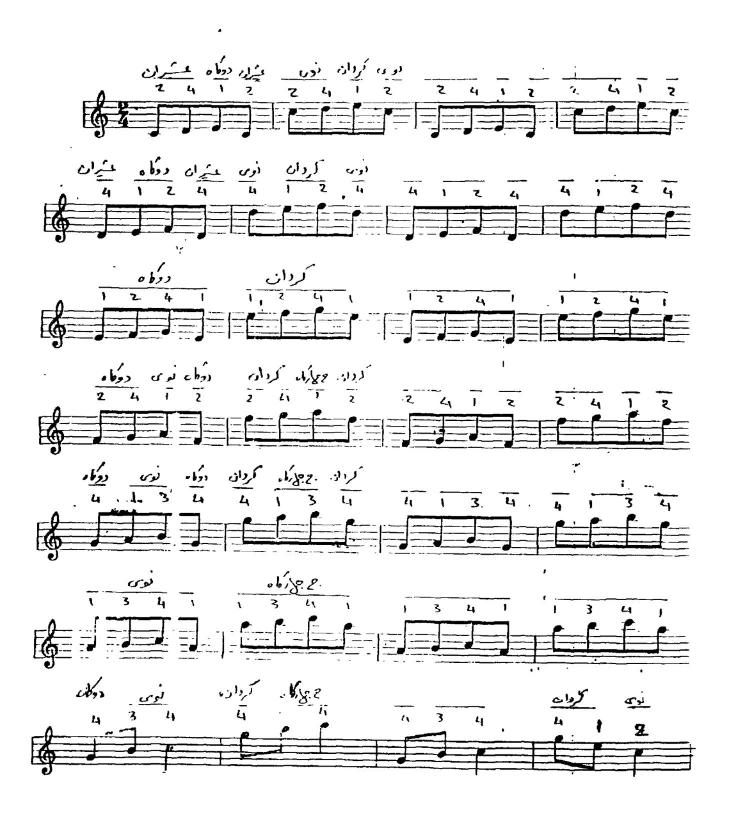


-مصور على درجة الجهاركاه



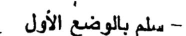
-مصور على درجة الماهوران
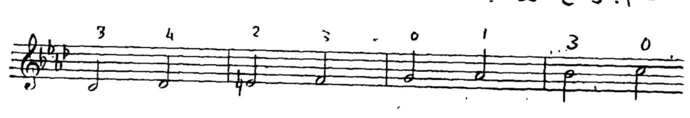


تمرين شامل



هشام حجار
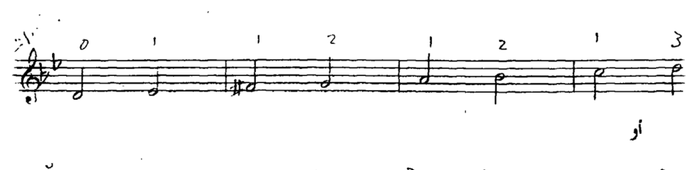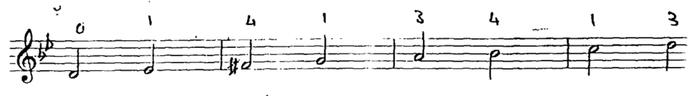


- سلم بالوضع الأول .



سلم على وتر واحد:
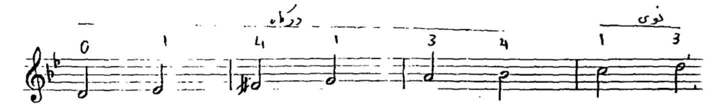
يهدف هذا التمرين الى التعرف على درجات السلم على نفس الوتر مما يساعد على حفظ واماكن النغمات على رقبة العود.



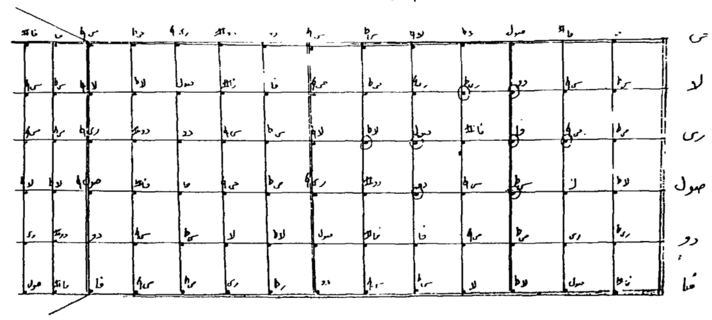


سلم على وترين:

يهدف هذا التمرين الى التعرف على درجات السلم على وتر واحد ثم اماكن عزف الدرجات المتممه على الوتر التالى يساعد هذا التمرين ايضا على حفظ اماكن النغمات على رقبة العود.
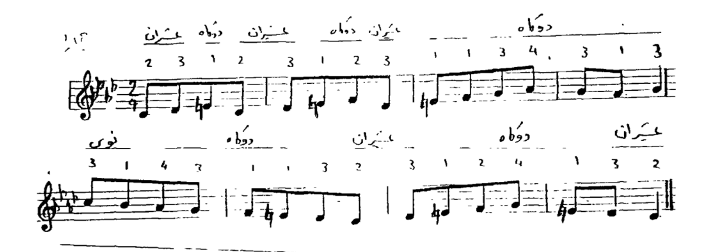


يمكن معرفة أماكن العفق من خلال التقسيم المرفق
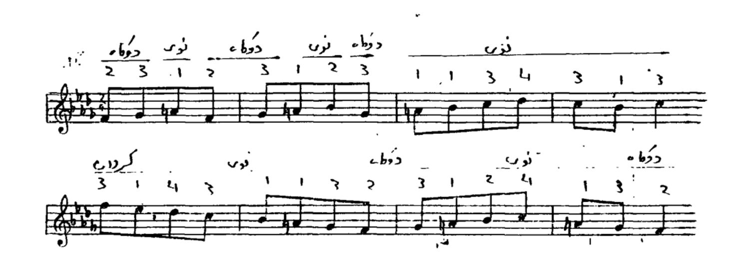


*

-الاستفاده من الوضع الثاني في عزف درجات السلم كاملة.

يهدف هذا التمرين الى التعرف على درجات السلم وتثبيت الاصابع في عزف ديوان كامل بنفس الوضع.. ويساعد ايضا على حفظ اماكن النغمات على رقبة العود.
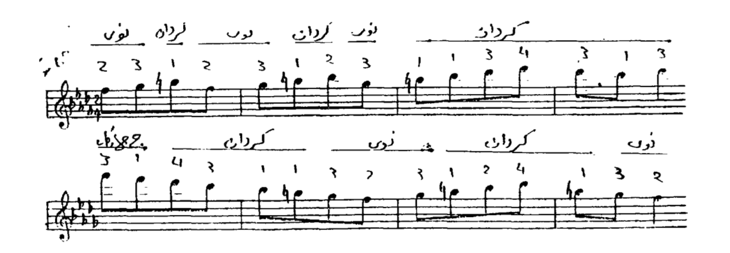


• هذا الترقيم من وضع الباحث
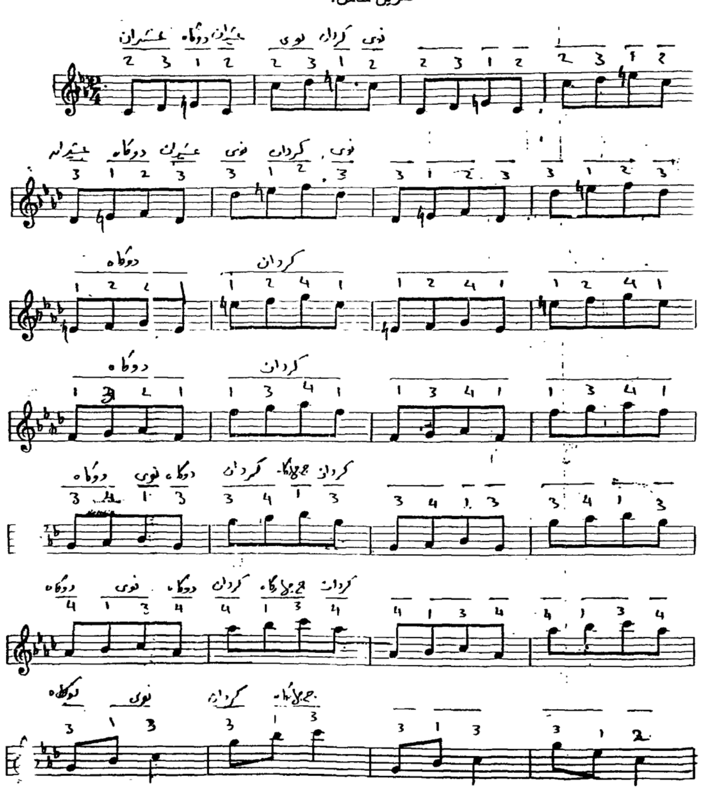
-مصور على درجة الجهاركاه

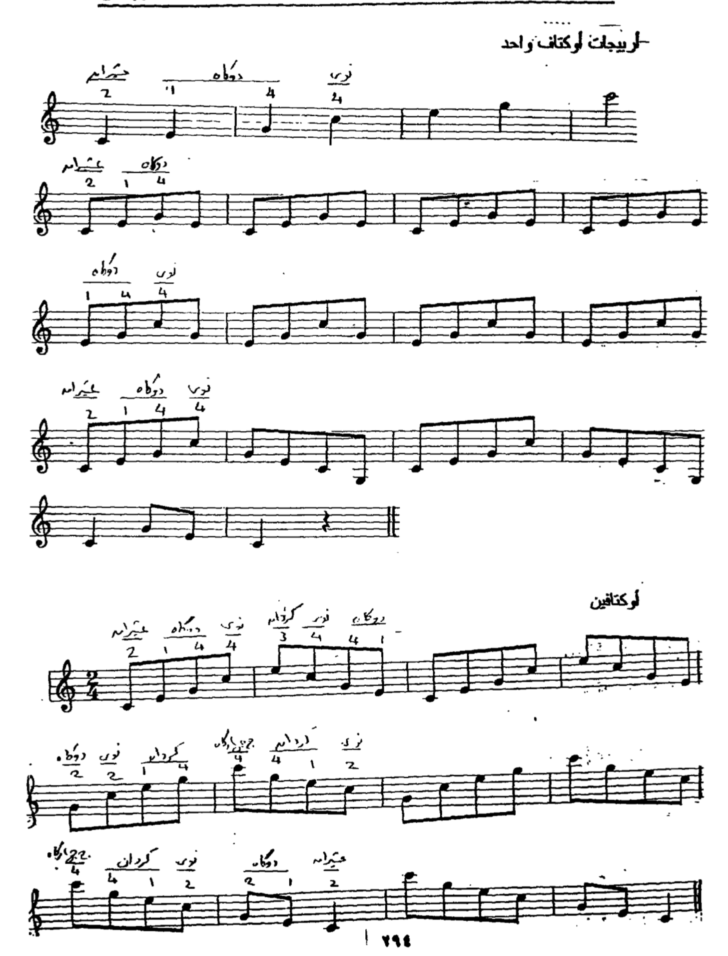


-مصور على درجة الماهوران
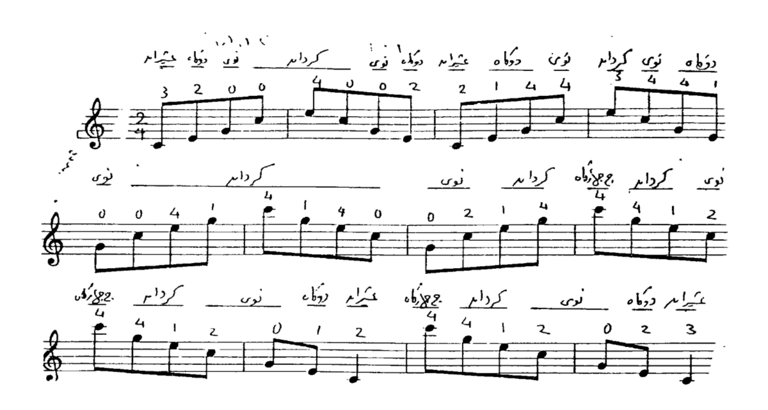


تمرين شامل.




اربيجات لوكتاف واحد
لوكتافين

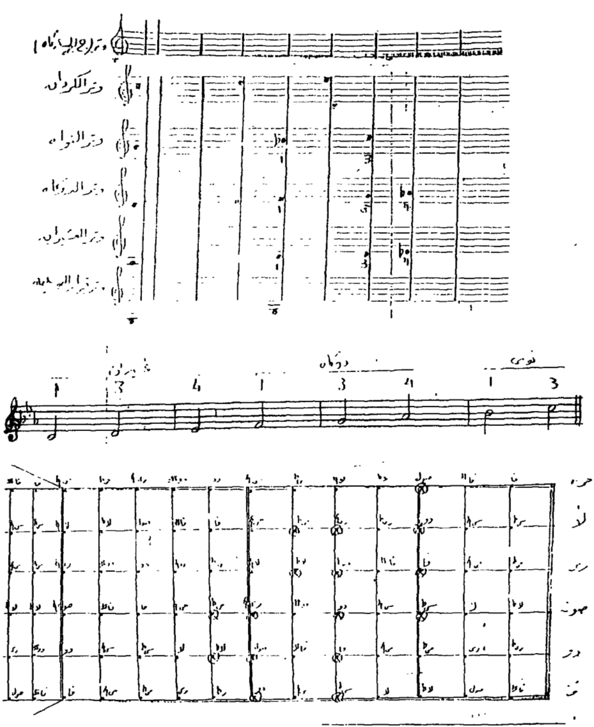
الجمع بين الأوضاع.



-لسهولة الانتقال بين الاوضاع

-والاستفادة بالترقيمات المعروفة بالاضافة الى الترقيمات الجديدة
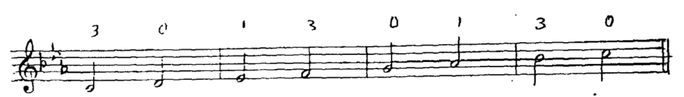
الوضع الثالث *



* هذا الوضع يختلف عن الوضع الثالث في تمرينات آلة العود بأن درجة الراست تعفق بالأصبع الأول على وتر العشيران **الباحث**

مقام أثارنا

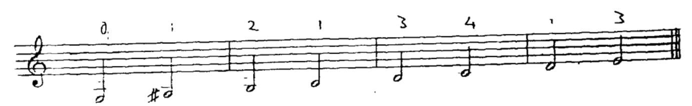
- سلم بالوضع الأول



سلم على وتر واحد:

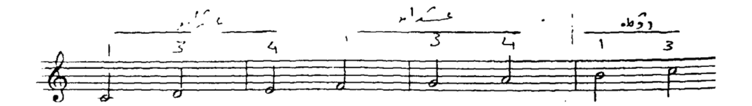
يهدف هذا التمرين الى التعرف على درجات السلم على نفس الوتر مما يساعد على حفظ واماكن النغمات على رقبة العود.

- **سلم على وتر واحد** .مصور على وتر مطلق قرار بوسليك



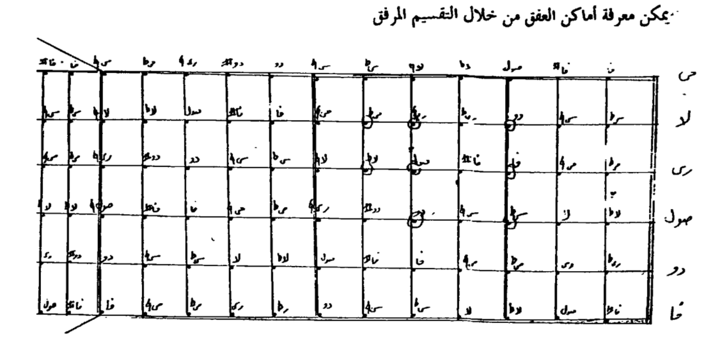
سلم على وترين:

يهدف هذا التمرين الى التعرف على درجات السلم على وتر واحد ثم اماكن عزف الدرجات المتممه على الوتر التالى يساعد هذا التمرين ايضا على حفظ اماكن النغمات على رقبة العود.
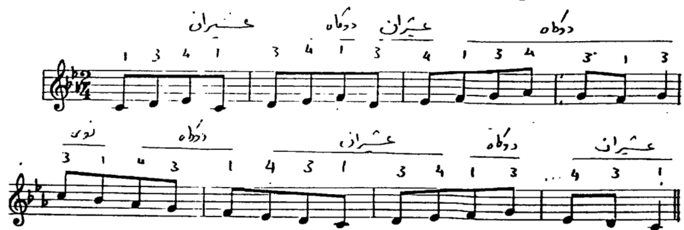


.....

-يمكن معرفة أماكن العفق من خلال التقسيم المرفق
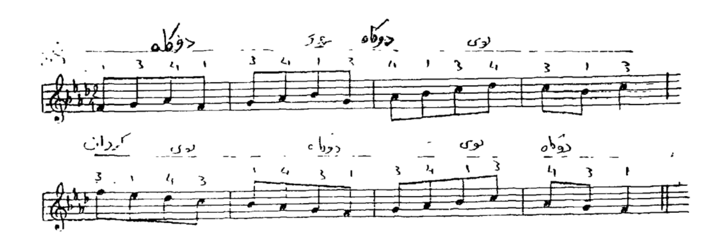


-الاستفاده من الوضع الثالث في عزف درجات السلم كاملة.

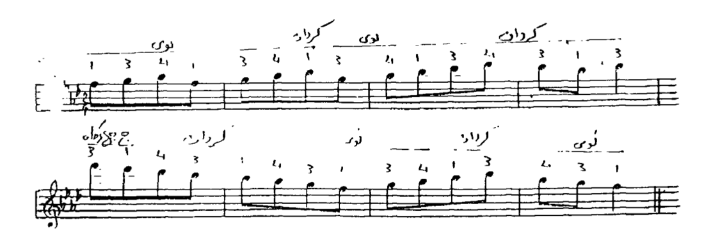
يهدف هذا التمرين الى التعرف على درجات السلم وتثبيت الاصابع في عزف ديوان كامل بنفس الوضع.. ويساعد ايضا على حفظ اماكن النغمات على رقبة العود.
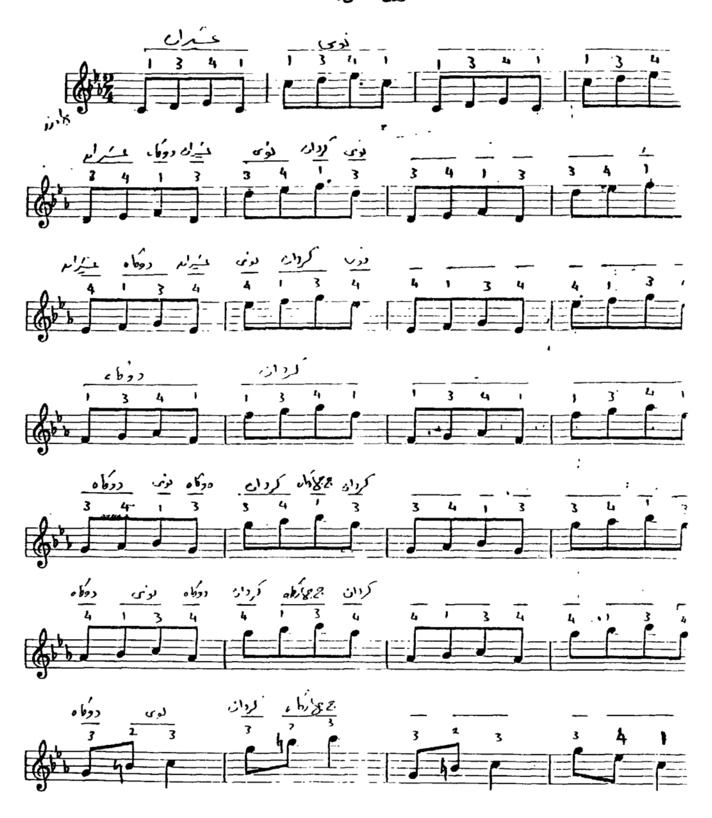


مصور على درجه الجهاركاه



مصور على درجة الماهوران
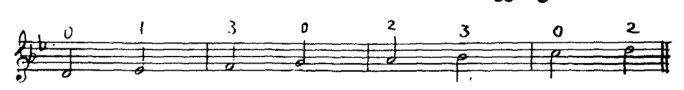


تمرين شامل.



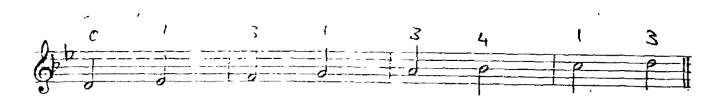
مقام كرد

- سلم بالوضع الأول
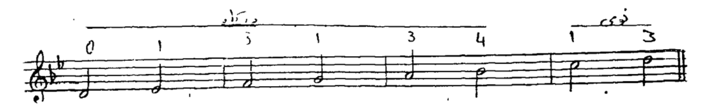


سلم على وتر واحد:

يهدف هذا التمرين الى التعرف على درجات السلم على نفس الوتر مما يساعد على حفظ واماكن النغمات على رقبة العود.



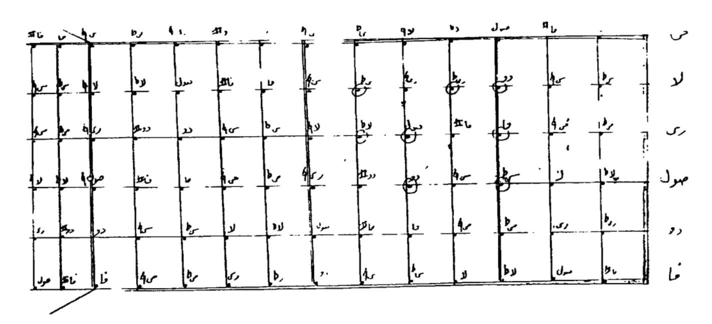
سلم على وترين:

يهدف هذا التمرين الى التعرف على درجات السلم على وتر واحد ثم اماكن عزف الدرجات المتممه على الوتر التالى يساعد هذا التمرين ايضا على حفظ اماكن النغمات على رقبة العود.
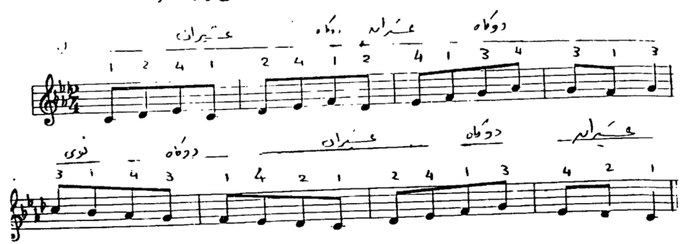


.....

يمكن معرفة أماكن العفق من خلال التقسيم المرفق
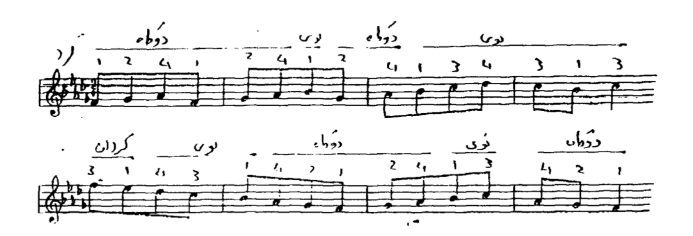


-الاستفادة من الوضع الثالث في عرف درجات السلم كاملة.
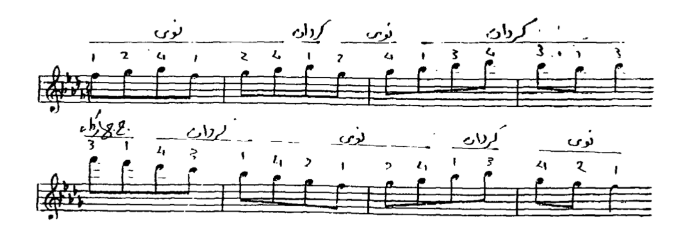
يهدف هذا التمرين الى التعرف على درجات السلم وتثبيت الاصابع في عزف ديوان كامل بنفس الوضع.. ويساعد ايضا على حفظ اماكن النغمات على رقبة العود



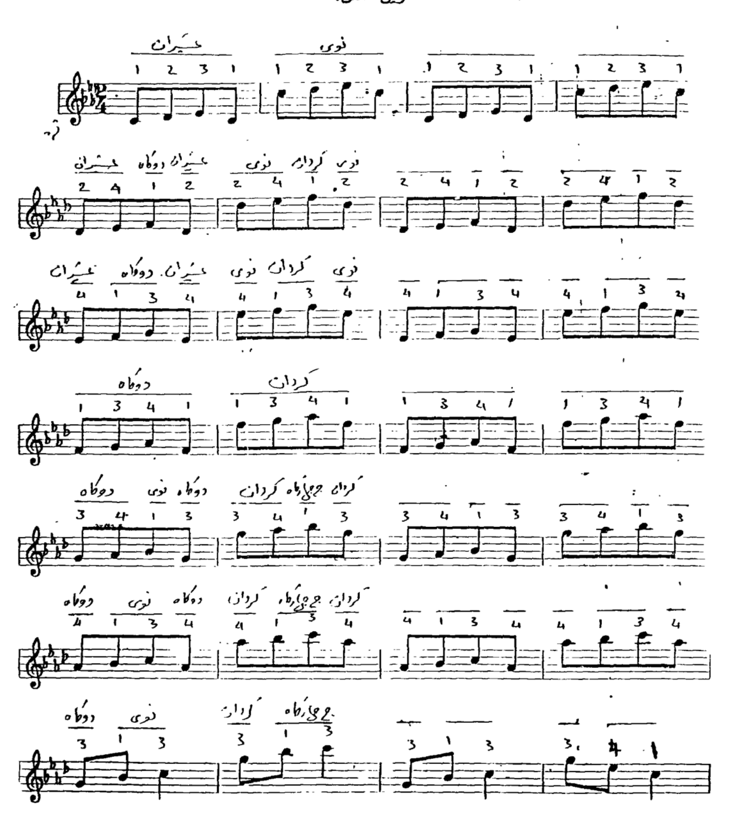
-مصور على درجة الجهاركاه



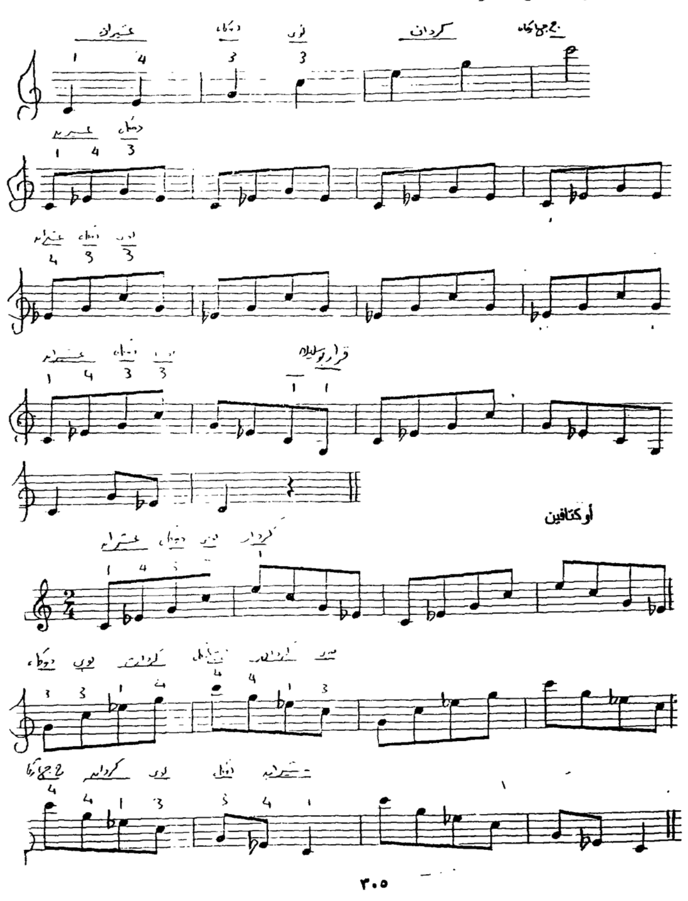
-مصور على درجة الماهوران
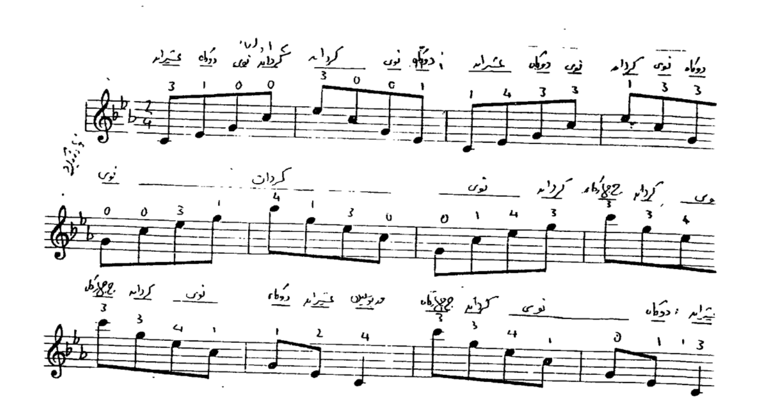


تمرين شامل.



-أربيجات أوكتاف واحد



الجمع بين الأوضاع.



-لسهولة الانتقال بين الأوضاع

-والاستفادة بالترقيمات المعروفة بالإضافة إلى الترقيمات الجديدة

النتائج

- وضع تمارين لـ العود ذو الرقبة الطويلة .

-ترقيم الدرجات لسهولة عزف المقامات .

- الأبعاد المتساوية بين جميع الأوتار المطلقة ييسر عزف المقامات على وتر واحد وتكرارها بنفس الترقيم على باقي الأوتار .

- التدريب على الاوضاع بطريقة العفق على النغمات وليست الأوتار المطلقة يساعد على تثبيت الوضع.

-تثبيت الاوضاع بيسر معرفة اماكن النغمات وعزف مختلف المقامات.

- الأوضاع الجديدة تفيد سهولة عزف المقامات المختلفة على جميع الدرجات بنفس الترقيم

- أن ترقيم بعض المقامات متماثل تماماً باستثناء درجة واحدة مثل (الكرد والنهاوند).

-جميع مقامات مثل مقامى (العجم - الحجاز) في الوضع الثاني بيسر عزفهما.

-جميع مقامات مثل مقامى (النهاوند والكرد)في الوضع الثالث بيسر عزفهما.

-ترقيم وتثبيت بعض الاوضاع وعزف بعض المقامات :

أ) يفتح المجال لمعرفة اماكن النغمات على العود ذو الرقبة الطويلة.

ب) يفتح المجال لوضع تمارين لباقى المقامات.

جـ) يجعل الاستفادة اكبر من امكانيات العود ذو الرقبة الطويلة.

-الانتقال من وضع الى اخر ومن اوكتاف الى اخر يساعد على حفظ اماكن النغمات وسهولة الانتقال بينها خاصة بنفس الترقيم.

المراجع

-حوريــة عزمى ، جورج ميشيل ، جمعه محمد على : تدريبات آلة العــود ، الجــزء
انى ، الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليميـــة ، مطبعــة دار
لال ، القاهرة ، ١٩٧٦.

-عبدالمنعم خليل ، تعديل مقترح لتحسين صناعة آلة العود ، رســالة دكتــوراه (غــير
نشوره) المعهد العالى للموسيقى العربية ، اكاديمية الفنون ، القاهرة ١٩٩٤.

أسلوب الأداء الغنائى عند فيروز خصائصه وسماته

د. ماجدة عبد السميع *

تقديم :

من خلال التتبع التاريخى لفن الغناء العربى لوحظ الدور الهام والبارز الذى يقوم به ذلك الفن فى حياة الشعوب ، فهو أقرب الفنون وأشدها قرباً ونفاذاً إلى أعماق النفس البشرية ، فهو يبث فينا من الأحاسيس ما يعجز عنه أى فن آخر ومن هنا جاءت أهمية الغناء فى حياتنا . وكان اهتمام الباحثين أيضاً بهذا الفن وخاصة فى مصر فى الفترة من نهاية القرن التاسع عشر وخلال القرن العشرين ، لما تميزت به تلك الفترة من ثراء غنائى قديم ، تم حفظه بالتلقين ، ومن ثم تم تدوينه فى وقت متأخر ، وقد وصلت تلك الأبحاث إلى رواد الغناء العربى لتلك الفترة ، الذين أصبحوا فيما بعد مدرسة للغناء لها تلاميذها[1].

كما أثارت تلك الأبحاث نقطة هامة وهى أنه على الرغم من أن النهضة الغنائية فى مصر قد قامت على أكتاف عمالقة الأدباء وجهابذة الملحنين ، إلا أن الأعمال الغنائية الخالدة والناجحة يرددها العلمة بأسماء من قاموا بأدائها ، ومن هنا جاءت أهمية المغنى . وترى الباحثة أن تلك الأهمية لم تأت من فراغ ولكن جاءت نتيجة لما يحتويه ذلك الفن العربى من سمات خاصة به وجماليات فى الأداء وتعبير وزخارف تحتم على المؤدى له أن يكون ملماً ومتمكناً من تلك الأصول والتقنيات بالإضافة إلى جمال الصوت . هذا وقد تناولت الأبحاث السابقة خصائص أسلوب الأداء الغنائى عند بعض كبار المغنيين للوصول لأسلوب أداء أمثل لرفع مستوى الأداء الغنائى لدارسى الغناء اليوم ، ولكن لم تقم دراسة علمية متخصصة تتناول خصائص وسمات أسلوب

---

* أستاذ مساعد بقسم الغناء العربى بالمعهد العالى للموسيقى العربية أكاديمية الفنون .

1 ماجدة عبد السميع عبد الحميد – دراسة تحليلية لمدارس الغناء العربى فى مصر خلال القرن العشرين – رسالة ماجستير غير منشورة – المعهد العالى للموسيقى العربية – أكاديمية الفنون – ١٩٨٥.

الأداء الغنائي عند فيروز ، على الرغم من تميزها في أدائها الغنائي لمختلف القوالب الغنائية وعبور صوتها من بلادها (لبنان) ليمتد فيؤثر على المنطقة العربية بأسرها ، مما جعل من صوتها ظاهرة تستحق الدراسة .

ويهدف هذا البحث إلى التعرف على تقنيات الأداء الغنائي عند فيروز من خلال تحليل أسلوب أدائها الغنائي لعينة من أعمالها الغنائية كمحاولة لتذليل الصعوبات التقنية التي تواجه دارسي الغناء العربي عند أدائهم لمختلف القوالب الغنائية ولذلك وضع البحث السؤال التالي :

ما هي خصائص وسمات أسلوب الأداء الغنائي عند فيروز ؟

وينقسم البحث الى ثلاثة أجزاء :

الإطار النظري .

الدراسة التحليلية .

نتائج البحث

أ) الإطار النظري :

مقدمة :

لما كان الصوت الجميل هبة من الله يهبها لمن يشاء من عباده ، وصاحب الموهبة يتميز بالصوت السليم ذي الأبعاد والمسافات من طبقات متعددة ، إلا أن الموهبة وحدها لا تكفي لأنها لا تضمن الاستمرارية لنجاح الصوت الغنائي ، فلابد من صقلها بالدراسة العلمية ، ومن تلك الأصوات التي استطاعت أن تجمع بين الموهبة والدراسة هو صوت المغنية اللبنانية فيروز ، حيث يتميز صوتها بالرقة والنعومة ، هذا بالإضافة إلى تمتعها بالجمع بين الثقافة العربية والغربية في الأداء الغنائي ، حتى أنه قد ينطبق عليها قول " محمد بن الحسن " : إن الصوت يعتبر جميلاً إذا أثبت قدرته على الترنم بجميع نغم الصدر والحلق والرأس ، ومن فقد جزءا من هذه الخصائص لا يقال فيه رخيم ولا يعد صاحبه من المغنيين المجيدين فيه (١) وصوت فيروز كان له دور كبير في إنجاح الأغنية ، ولذا سوف تحاول الباحثة أن تعرض بإيجاز بعض جوانب نشأتها ودراستها الموسيقية ومراحل حياتها الفنية وبعضاً من أعمالها الغنائية

---

(١) محمد بن الحسن الحايك – طبعة مصورة – مكتبة الرشاد – المغرب سنة ١٩٧٢ ص ٧٢٦ .

وذلك كمحاولة للوصول لأهم العوامل التي جعلت من صوتها ظاهرة فنية بكل المقاييس حتى أصبحت فيروز من رواد الفن الغنائي العربي المعاصر .

نشأة فيروز :-(١)

ولدت فيروز في إحدى القرى اللبنانية في عام ١٩٣٥ و الاسم الحقيقي هو " نهاد حداد " وهي الابنة الكبرى لعامل بسيط في مطبعة • ولها شقيقتان هما (المطربة هدى والأخرى ، آمال وشقيق هو " جوزيف ") • وقد نزحت الأسرة من القرية إلى حي قديم في بيروت (زقاق البلاط) كانت تسكنه العائلات البسيطة .

المرحلة الفنية الأولى لصوت فيروز : (التقليد)

كانت فيروز تتمتع بموهبة طبيعية وهي جمال الصوت وحب الغناء ، ولما كانت أسرتها لا تملك جهاز راديو فقد كانت تجلس في نافذة منزلها لتستمع إلى راديو الجيران وكانت تطرب في تلك المرحلة السنية لأغاني أسمهان وليلى مراد ، وترى الباحثة أن ذلك يرجع إلى قرب طبيعة أداء أسمهان وليلى مراد من صوت فيروز .
كان الجيران هم أول المستمعين لفيروز وهي صغيرة في ليالي الشتاء الباردة .

مرحلة التعليم :

كان والد فيروز بالرغم من رقة حاله مادياً فأنه كان يدخر لتعليم أبنائه ، و قد الحق ابنته فيروز بالمدرسة البطريكية . وقد ظهرت موهبة فيروز وهي طالبة في غنا الأناشيد المدرسية وغيرها .

في عام ١٩٤٧ : أستمع مدرس الموسيقى (محمد فليفل) في المدرسة لصوت فيرو فأكتشفها كموهبة جديدة تغني الأغاني التي تذاع في الراديو آنذاك ، وتعهد برعايتها لإحساسه بأن صوتها سوف يكون له شأن كبير ، ونصحها بضرورة المحافظة على صوتها .وقام بتعليمها قواعد القراءة السليمة والإلقاء (كانت تتدرب على إلقاء الشعر عدة ساعات يوميا) كما قام بإعدادها لتلتحق بالكونسيرفتوار ، حيث حصلت على دبلوم الغناء ، كما لعبت الكنيسة دورا كبيرا في تربية صوت فيروز ، فكان أداء الترانيم والأغاني الدينية بمثابة تكنيكيات للأداء الغنائي ، تمكنت فيروز من خلاله أن تعال

(١) http //www.fairoz net/history htm

التفاصيل الفنية لأغانيها ٠ وتلك الاستفادة جاءت بعد أن قامت الكنائس الشرقية باستخدام اللغة العربية بجانب اللغة السريانية الأساسية (١) .

التحقت فيروز بالكونسيرفتوار وحصلت على دبلوم الغناء .

مرحلة الممارسة العملية :

التحقت فيروز للغناء بالإذاعة مع مجمّوعة الكورال في فرقة "الأخوين فليفل " التي كانت تقدم الأناشيد الوطنية في الإذاعة اللبنانية ، وبعدها تقدمت إلى لجنه الاستماع بالإذاعة وأعجب بها حليم الرومي (مسئول في الإذاعة) وغنت أمامه أغنية لفريد الأطرش " يازهره في خيالي " وموال لأسمهان ، فأعجب وتأثر بصوتها كصوت ذات شخصية مستقلة يمكن أن تغني بمفردها ٠ وقد أطلق عليها اسم فيروز بعد أن كان يطلق عليها " فتاة الجبل " ٠ وبدأت العمل في الإذاعة كمرددة في كورس الإذاعة وترى الباحثة أن تلك الفترة التي كانت تعمل بها في كورال الإذاعة قد أعطتها الخبرة في المعرفة والاستفادة من الأساليب المختلفة في أداء المطربين آنذاك .

- في عام ١٩٥٠ ، كانت أغنيتها الأولى من تلحين حليم الرومي (تركت قلبي) وأذيعت على الهواء ٠
- في عام١٩٥١ ، قدم حليم الرومي فيروز إلى عاصي الرحباني كصوت واعد ولكن لم يتم التعاون في ذلك الوقت .

في تلك الأثناء كان هناك تسجيل لأعمال الموسيقار الأرجنتيني (ادوارد بيانكو) مع فرقة الموسيقى الأوركسترالية في الإذاعة ، فرأى مراقب الموسيقى والغناء " صبري الشريف " بإذاعة الشرق الأدنى (كانت أقوى الإذاعات في ذلك الوقت) أن يقدم تجربة جديدة للغناء العربي وهو أن يجمع بين صوت فيروز وأداء أوركسترا " إدوارد بيانكو" لتغني بمصاحبته بعض الألحان العالمية الراقصة مثل لحن " الكمبرسيتا " الشهيرة – وقد وافق الموسيقار الأرجنتيني بعد أن قام بتجربة صوت فيروز.

---

(١) صميم الشريف – الأغنية العربية – منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي – دمشق ١٩٨١ – ص ١٦٧ ، ١٧٠ .

- في عام١٩٥٢، قامت بتسجيل عدة أسطوانات تجارية لشركة بيضا الأصلية ثم الكثير من الأغنيات الشعبية الخفيفة الراقصة والقصائد من تلحين "حليم الرومي" ولم يكتف بذلك بل كلف عددا من ملحني الإذاعة وغيرهم بالتلحين لفيروز قاصدا عدم التقيد بذوق واحد ، ولإيمانه بطاقاتها الصوتية ٠ وقد قدمت في تلك المرحلة عددا من الأغنيات منها " يا حمام " و " عاش الورد "

فيروز والرحبانية :–

كان أول لقاء بين عاصي الرحباني وفيروز هو لحن " غروب " ثم توالت الألحان . وقد كانت فيروز تشارك في الغناء مع مطربة أخرى (حنان) في أداء ألحان الأخوين رحباني للإذاعة ، ومنذ ذلك الوقت بدأ الارتباط الفني بين عاصي وفيروز وكانت لهم زيارات متعددة معا إلى سوريا لتسجيل أغانيهم هناك ، ثم لم يلبث أن تحول التعاون الفني إلى ارتباط زواج في يوليو ١٩٥٤ م ، وقد استقرت فيروز في زواجها وأنجبت أربعة أبناء (هلا – ليالي – ريم – زياد) .

كانت فيروز لا تميل للظهور في وسائل الإعلام والأحاديث الصحفية وكانت تولي فنها وأولادها كل اهتمامها .

فيروز والرحبانية وتجربة الأغاني " الفرانكو آراب "

بعد أن نجحت فكرة الألحان العالمية التي نفذتها فيروز مع الموسيقار الأرجنتيني بدأت فيروز في تسجيل ألحان عالمية شهيرة بكلمات عربية نظمها وأعد توزيعه الأخوين رحباني . وهنا يمكن القول بأن فيروز ومعها عاصي ومنصور الرحباني قد كونوا معا معادلة فنية جديدة على الموسيقى العربية لم تكن مألوفه من قبل * ، فقد كانت تلك الألحان العالمية الراقصة منظومة بحليات عربيه في زمن قصير لا يتعدى أربع دقائق. في اعداد من التوزيع الآلي الذي مزج فيه الأخوين رحباني بين الآلات الغربية والعربية الأصيلة بالإضافة لصوت فيروز ، فقدموا شكلا جديدا للأغنية العربية ولم يكتفوا بذلك بل قدموا ألحانا عربية فلكلورية من التراث الشعبي اللبناني في إطار

***كانت هناك تجربة سبقت الرحبانية في مصر وهي تجربة الموسيقار مدحت عاصم مع أسمهان فيي أغنيت " يا حبيبي تعالى الحقني "**

عالمي ، وقد لاقت أغانيهم لتلك الفترة رواجا وشهرة كبيرة ، ومن تلك الأغاني " بنت الشلبية – نحن والقمر جيران – يا حلو يا قمر – يا مائلاً على الغصون وغيرها " .
وترى الباحثة أنه يمكن القول أن النهضة الغنائية التي قامت في لبنان في النصف الثاني من القرن العشرين قد أستمدت فكرها الموسيقي والثقافي من التراث الشعبي اللبناني .

فيروز و فن الموشحات:

قامت فيروز بإعادة تقديم الموشحات الأندلسية ذات اللحن العربي الأصيل في صورة جديدة من التوزيع الآلي للرحبانية فجاءت في شكل جذاب جديد على الأذن العربية ولاقت نجاحاً كبيراً حتى إنها كثيرا ما كانت تغني في المهرجانات مثل موشح " جاءك الغيث إذا الغيث هما يازمان الوصل بالأندلس " .

فيروز والأغاني الدينية والقومية :

يصعب الفصل بين أغاني فيروز الدينية والقومية لأنها كانت تغني للقومية العربية من خلال أغانيها الدينية

- كانت معظم أغانيها تخاطب مشاعر ووجدان العالم والقضية الفلسطينية . وليست حماسية بالمعنى المفهوم ، ولكنها مليئة بالعاطفة وغير مرتبطة بمناسبة معينة (١).
- كانت أغاني فيروز القومية متطورة وتواكب كل العصور مثل (ردني إلى بلادي سنرجع يوماً – مصر عادت – لا تهملني – ثم ناطورة المفاتيح (لحن على شكل طقوس بيزنطية) .
- في عام ١٩٥٥ ، في افتتاح إذاعة فلسطين غنت (راجعين) وقد تم تقليدها مفتاح المدينة المقدسة ، ثم غنت القدس العتيقة ، و في عام ١٩٥٧ ، غنت زهرة المدائن ثم جسر العودة .(٢)
- أسهم صوت فيروز في الغناء الديني (أغاني الميلاد) وغنت للقدس وبيت لحم والمسجد الأقصى ، كما غنت لمكة وكان غناؤها صرخة وهي تستنجد بالمروءة

---

(١) صميم الشريف – مرجع سابق ، ص ١٦ : ١٧ .

2- http://www.fairoz.net/history.htm

العربية لتمسح الآلام عن الشعوب العربية المقهورة فأصبح الغناء الديني عند فيروز غناء دينيا عربيا قوميا .

فيروز والمسرح الغنائي اللبناني : [١]

- في عام ١٩٥٥ ، زارت فيروز مصر مع زوجها ، وقد قام محمد حسن الشجاعي • باصطحابهما في زيارة للمسرح الغنائي (أوبريت لسيد درويش) ، ومن هنا جاءت فكرة إنشاء المسرح الغنائي في لبنان •وكانت البداية لفيروز والرحبانية •وقد استمرت فرقتهم الغنائية الاستعراضية تقدم أعمالها لمدة خمسة عشر عاما ، في كل عام عمل جديد • وقد احتلت فرقتهم مكانة كبيرة في الوطن العربي •وكانت تقدم عروضها على مسرح بعلبك بلبنان •
- خلال السنوات الأولى للحرب الأهلية في لبنان أحرقت القذائف بعض المخطوطات لمسرحيات غنائية بتوزيعاتها الموسيقية .[٢]
- كانت فيروز تغني داخل الأوبريت العديد من القوالب الغنائية ، وكانت تتناول قضايا الإنسان والطبيعة ، ومن تلك الأعمال (صحي النوم – المحطة – هالة والملك – ميس الريم – وغيرها) • وكانت عروض فيروز وفرقتها الاستعراضية تعتمد على التسجيلات الصوتية لبرامجهم الموسيقية والغنائية وفي إطار الحوار الغنائي المسرحي على طريقة الدوبلاج وخاصة في عروض المسارح المكشوفة .

فيروز والأفلام السينمائية :

قامت فيروز بالتمثيل في ثلاثة أفلام منها بياع الخواتم ولكنها لم تستمر في هذا المجال بسبب حبها الشديد للمسرح •

فيروز والمطربات في عصرها :

عند ظهور فيروز لم تكن وحدها على عرش الغناء في لبنان فقد كانت هناك أصوات نسائية أخرى منافسة لها وناجحة مثل المطربة حنان ولينا ، ولكن بعد أن

1- http://www.fairoz.net/history.htm

• مسئول في الإذاعة المصرية

(٢) عبد الحميد توفيق ذكي – المعاصرون من رواد الموسيقى العربية – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٣ – ص ٢٨٤ •

رسخت أقدام فيروز أصبح وجودها يعوق ظهور أو تقدم مطربات أخريات .

فيروز والشعراء :

جسدت فيروز بصوتها صوراً شعرية مثل شعر " أبو نواس " (من العصر القديم) – جبران خليل جبران – أحمد شوقي – مرسي جميل عزيز – محمود حسن إسماعيل – الرحبانية وابنها زياد .

فيروز والملحنين :

لم يقتصر صوت فيروز بالغناء للرحبانية فقط بل غنت لملحنين آخرين مثل سيد درويش (طلعت يا محلا نورها – الحلو دي – زوروني) ومحمد عبد الوهاب (سكن الليل – يا جارة الوادي – مر بي – إسهار) ونجيب حنكش (أعطني الناي) فليمون وهبة (يا مرسال المراسيل) .

جولات فيروز الفنية :

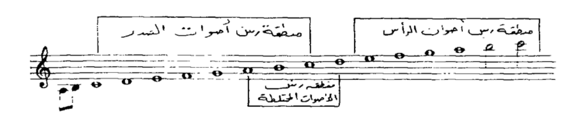
كان لفيروز جولات فنية كثيرة منها (مصر – دمشق – بغداد – الجزائر – عمان – تونس – فيلادلفيا – ريودي جانيرو – بيونس أيرس – نيويورك – سان فرانسيسكو – منتريال – لندن باريس) ، كما غنت في المغرب أمام الملك الحسن ٠

فيروز والانفصال عن الرحبانية :

هناك عدة أسباب وراء قلة إنتاج فيروز منذ منتصف السبعينات ومنها : مرض زوجها عاصي عام ١٩٧٢ ، ثم جاءت الحرب الأهلية بين الطوائف مما جعلها ترفض الغناء بلبنان وهي مقسمة لكي لا تستغلها إحدى الطوائف ضد الأخرى وعاهدت نفسها أن لا تغني إلا للبنان وهي موحدة ، وقد كانت آخر أغنية غنتها فيروز لعاصي وهو في المستشفى " سألوني الناس " تلحين زياد الرحباني ٠ ثم كان الانفصال بين الزوجين عام ١٩٨٣ ٠ وقد حاول كل منهما تقديم إنتاج بدون الأخر ٠ ولكن التجربة أثبتت أن فيروز والرحبانية ، ظاهرة فنية متكاملة تمثلها فيروز بصوتها الملائكي وعاصي بألحانه ومنصور بأشعاره .

ب) الدراسة التحليلية :

تقوم الباحثة بتحليل أسلوب الأداء الغنائي لفيروز من خلال بعض اعمالها الغنائية وذلك للوصول إلى خصائص وسمات أسلوب أدائها الغنائي وذلك كمحاولة منها لتذليل الصعوبات التقنية التي تواجه دارسي الغناء العربي عند أداء القوالب المختلفة ٠
وصوت فيروز من الناحية التصنيفية يمكن أعتباره ميتزوسبرانو METZZO SOPRANO وهو الصوت الأوسط للنساء ، وقد يختلط الأمر أحيانا بينه وبين السبرانو العميق المعبر " SOPRANO DRAMATICO " لما له من خاصية المرونة والسهولة في أداء النغمات الحادة في مناطق رنين الميتزوسبرانو (١)



شكل رقم (١)

مناطق رنين صوت الميتزوسبرانو

أما أغنى منطقة في الميتزوسبرانو فهى التي تنحصر بين نغمتي (مي) على السطر الأول و(مي) في رابع مسافة للمدرج الموسيقي ٠



شكل رقم (٢)

أغنى نغمات صوت الميتزوسبرانو

وهذا التحديد للمنطقة البشرية هو تحديد للصوت بصفة عامة ، وعليه نجد أنه يمكن أن يعلو أو ينخفض بنغمات أحد أو أغلظ ٠ و يلاحظ في أثناء تحليل أسلوب الأداء الغنائي للمغني العربي بصفة عامة أنه ليس من المفضل أداء المغني للنغمات الحادة ، وذلك لعدم المساس بطبيعة وصفات الحروف العربية ، وقد اختارت الباحثة بعضا من أعمال

1-MARI R.M Coscienza Della Voce Minang Ed Cupci. 1980. P 86 90

فيروز الغنائية ، منها (طير الوروار – سألتك حبيبي – لا انت حبيبي – يــــا أنـــا – سكن الليل) ، وذلك كمحاولة للوصول إلى خصائص وسمات أسلوب الأداء الغنـــــائي لفيروز من خلال تلك الأعمال ، وسوف تعتمد الباحثة في التحليل على النقاط التالية :-

المساحة الصوتية – تقنيات الأداء الغنائي – التنفس السليم – استخدام مناطق الرنين والتعبير الغنائي (استخدام الظلال Nuance) – مراعاة مخارج الحروف العربية

(أولا) : شرح وتحليل لأسلوب الأداء الغنائي لفيروز من خلال بعض الجمل الغنائية لطقطوقة (طير الوروار) ٠

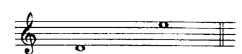
عناصر التحليل :

نوع القالب : طقطوقة

تألــــيف : منصور الرحباني / تلحين : عاصي الرحباني

المقــــام : عجم على الراست / الميــزان : $\frac{4}{4}$

المساحة الصوتية : من درجة رى (دوكاه) إلى(مي`) جواب البوسليك
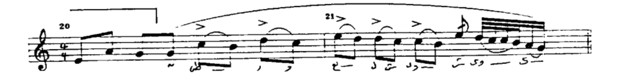


شكل رقم (٣)

مساحة صوت فيروز في طقطوقة " طير الوروار "

النموذج الأول :

من م ٢٠ : ٢١

النص : " نطير ونعلي شويه شويه "



شكل رقم (٤)

الضغط القوي " Accent " والتقسيمات الداخلية

• راعت سلامة الخط الغنائي وتجانس لون الصوت بالرغم من اختلاف النسيج اللحني
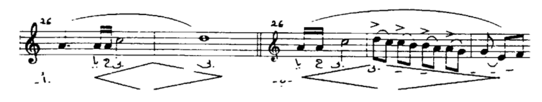
وكان أداؤها متصلا لاستخدامها النفس العميق الذي يعد القوة الدافعة التي يستند عليها الصوت في أداء الجمل الغنائية الطويلة .

- راعت الضغط القوي (Accent) على بداية كل نوار لإظهار التتابع اللحني (Sequence) لإعطاء الحيوية للأداء أثناء الهبوط ، كما أدت القفزات بنعومة وأيضا الحليات .
- أداء النغمات الحادة بدون قوة مفتعلة فحافظت على وضع الصوت أثناء الهبوط ولم ينقص من قوته كما ساعد على تنمية الخط الغنائي .
- لم تتأثر قوة صوتها في أداء السلم الهابط وراعت ضبط النغمات والأداء المتصل .
- أدائها لحلية الأتشيكاتورا (Acciacatura) بشكل سليم بإظهارها والضغط عليها كما أدت التقسيمات الداخلية بوضوح .
- مخارج الحروف واضحة وراعت ضبط آخر كل كلمة .

النموذج الثاني :

من م ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨

النص " يا حبيبي "



شكل رقم (٥)

(تنوع الأداء للجملة الواحدة)

التنويع (أ) النغمة الممتدة والمحافظة على لون الصوت .
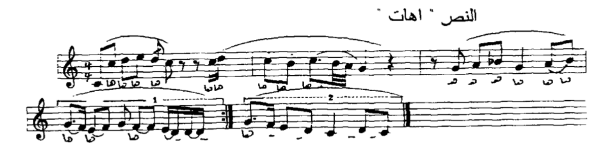
التنويع (ب) تنويع على النغمة الممتدة باستخدام السلم الهابط تتابع نغمي Sequence ولم يؤثر الضغط (Accent)على بداية كل نوار على قوة الصوت في النغمة التي تليها ، كما راعت ضبط النغمة المكررة .

- في م ٢٨ قامت بعمل (Portamento) كتراخي في الأداء مقصود للتمهيد لإعادة المذهب وكان برقة ونعومة ، وكان أدؤها متصلا .

النموذج الثالث :

من م٣ : ٧ تعاد مرتين

النص " اهات "



شكل رقم (٦)

(الأداء المتقطع للنغمات الحادة)

- أدت النغمة في البداية بقوة غير مفتعلة فحافظت على استمرارية الخط الغنائي .
- أدت النغمات الحادة بأداء متقطع (Staccato) بخفة وعذوبة ودفء لكي تقرب أداؤها من صوت طائر الوروار وقد ساعدها على ذلك استخدامها السليم لأماكن الرنين
- م ٧ أدت الهبوط السلمي أداءا ناعما بأسلوب (Portamento) لخدمة المعنى .
- عند انتقالها من الأداء المتقطع إلى الأداء المتصل حافظت على لون الصوت فانتقلت بحرفية فائقة ، وذلك بمراعاتها ضبط أول درجة صوتية من الأسلوب الثاني من الأداء ، مما ساعد على عدم تسرب كميات كبيرة من الهواء أثناء الانتقال من الأداء المتقطع إلى المتصل ، وبالتالي لم يتغير لون الصوت .
- بالرغم من وجود سكتات تفصل بين العبارات فأنها حافظت على عدم تسرب هواء الزفير فلم يتغير لون الصوت ، وهذا أيضا انطبق على أدائها للأداء المتقطع .

(ثانيا) : شرح وتحليل لأسلوب الأداء الغنائي لفيروز من خلال بعض الجمل الغنائية لطقطوقة " سألتك حبيبي "

عناصر التحليل

نوع القالب : طقطوقة

تأليف : منصور الرحباني / تلحين : عاصي الرحباني

المقام : كرد العشيران/الميزان : $\frac{4}{4}$

• المساحة الصوتية لصوت فيروز في الطقطوقة من درجة لا قرار { حسيني عشيران لدرجة ري (المحير) }
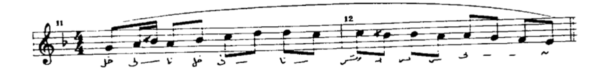


شكل رقم (٧)

مساحة صوت فيروز في طقطوقة " سألتك حبيبي "

النموذج الأول :

م ١١ ، م١٢

النص " خلينا خلينا وتسبقنا السنين "



شكل رقم (٨)
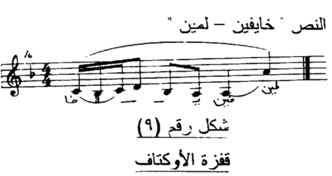
السلم الصاعد والهابط

• راعت تساوى قوة الصوت عند أداء (Phrase) صاعد وهابط ، كما كان أداؤهامتصل (Legato) للجملة الطويلة ، كما لمست بياتي الحسيني واللامي.

النموذج الثاني :

م ١٦

النص " خايفين – لمين "



شكل رقم (٩)

قفزة الأوكتاف

• الدقة وعدم التطريب في أداء التقسيمات الداخلية .

• اداء قفزة الأوكتاف بخفة وليونة وعدم الشدة في اداء النغمة العليا للمحافظة علـــى سير اللحن

(ثالثا) : شرح وتحليل لأسلوب الأداء الغنائي لفيروز من خلال بعض الجمل الغنائية لطقطوقة " لا أنت حبيبي "

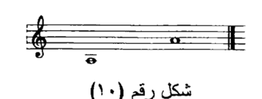
عناصر التحليل

نوع القالب : طقطوقة

تأليف : منصور الرحباني / تلحين : عاصي الرحباني

مقـام : نهاوند ذوالحساس / الميزان : $\frac{4}{4}$

- المساحة الصوتية لصوت فيروز في طقطوقة " لا انت حبيبي " من درجة الحسيني عشيران (لا القرار) إلى درجة الحسيني (لا)
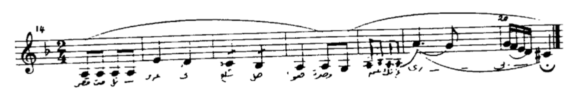


شكل رقم (١٠)

مساحة صوت فيروز في طقطوقة " لا أنت حبيبي

النموذج الأول

م ١٤ : م ٢٠

النص " قصتنا الغريبة شلعها الهوى صرت عنك غريبة "



شكل رقم (١١)

استخدام أسلوب (Portamento)

- أدت العبارة الغنائية الأولى في منطقة القرارات مستخدمة أمـــاكن رنيـــن الصـــدر فأعطت الدفء والإحساس بالمعنى للأداء ، ثم نفس خاطف للعبـــارة الجديـــدة وقفـــزة أوكتاف أدتها بنعومة وخفة وبدون ضغط على النغمة العليا فحافظت على عـــدم كســـر الخط الغنائي وقد أنتقلت بأدائها لمنطقة الرنين الأوسط بسهولة ، وأكملت باقي العبـــارة
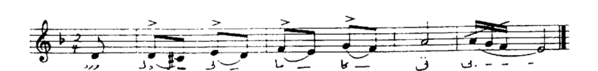
بنفس أسلوب التراخي (Portamento) . ونكر محافظة على وضوح الكلمة والنغمة أثناء هبوطها السلمي فجاء أداؤها ناعما ولينا ومتصلا .

- لم يتغير لون الصوت بعد استخدامها للنفس الخاطف بين العبارتين .

<u>النموذج الثاني :</u>

م ٥٠ : ٥٤

النص (ورد لي مكاتبي)



<u>شكل رقم (١٢)</u>

<u>المحافظة على لون الصوت</u>

- قامت بعمل ضغط على بداية كل نوار في أدائها للتتابع للنغمات الهابطة ، ولم يتغير لون الصوت أو قوته .
- حافظت على الخط الغنائي في أدائها للتسلسل الكروماتيكي .
- أدت حلية الجروبتو الثلاثية (Grupettot) بخفة ورشاقة وتلك الحلية منتشرة في موسيقانا العربية ، وقد أدت الحلية بعيدا عن التطريب لتناسب المعنى .

<u>(رابعاً)</u> : شرح وتحليل لأسلوب الأداء الغنائي لفيروز من خلال بعض الجمل الغنائية لطقطوقة (يا أنا) وهي معربة عن السيمفونية رقم ٤٠ " لموتسارت " .

<u>عناصر اللحن</u>

النوع : طقطوقة

تأليف : منصور الرحباني / تلحين : زياد الرحباني

مقام : نهاوند الدوكاه / ميزان : $\frac{4}{4}$

المساحة الصوتية لصوت فيروز في طقطوقة " يا أنا " من درجة لا قرار (حسيني عشيران) : درجة دو' (كردان)
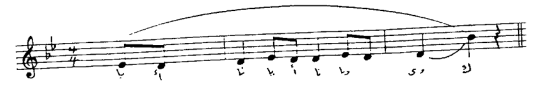


شكل رقم (١٣)

مساحة صوت فيروز في طقطوقة " يا أنا "

النموذج الأول : ويتكون من ثلاثة أشكال للأداء :

(أ) م ٥ ٤ : ٧ – النص (يا أنا يا أنا وأنا وياك)



شكل رقم (١٤ / أ)

تأدية الألحان الغير تطريبية بشكل ميلودى

تتمثل الصعوبة في الشكل السابق في تكرار موتيفات صغيرة وهذا غير مألوف على الأصوات البشرية وخاصة في الغناء العربي .

(ب) م ٧ ، م ١٤ – الكلمة " وياك ، إنك "
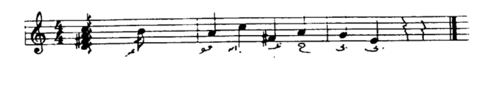


شكل رقم (١٤/ب)

أداء القفزات

أدت القفزات الصاعدة والهابط بنعومة وحافظت على الخط الغنائي وتنميته .

(ج) م ١٣ ٤ : ١٥ – النص " عرفوا أنك حبيبي "
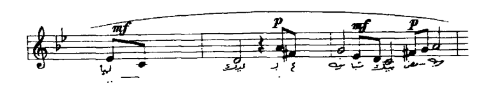


شكل رقم (١٤/ج)

أدت التألف (خامسة بسابعتها) المفكك (Proken Cord) أداءا متقطعا بخفة وبدون ضغط على النغمات ٠

(د) م ٢٨ : ٣٠

النص " لياليك بعنيه شبابيك مضوية "



شكل رقم (١٤/د)

تطور الفكرة الواحدة

أدت الموتيفة المستخدمة في تأليف السوناتا وهي تطور الفكرة الواحدة بإيقـــاع واحـد بنغمات على بعد الدرجة الثانية ، وقد تكرر أداؤها أربع مرات ، وهذا غير متناول فـي التأليف للصوت البشري ، وبالتالي الصوت العربي ٠

(خامسا) : شرح وتحليل لأسلوب الأداء الغنائي لفيروز من خلال بعض الجمل الغنائية لقصيدة " سكن الليل "

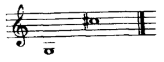
عناصر اللحن :

نوع القالب : قصيدة

تاليـــف : جبران خليل جبران / ألحــــان : محمد عبد الوهاب

المقـــام : كرد الحسيني مع لمس راست الدوكاه/الميزان : $\frac{4}{4}$

- المساحة الصوتية لصوت فيروز في قصيدة سكن الليل من درجة اليكاه (صول القرار) إلى درجة رى[1] (المحير) ٠



شكل رقم (١٥)

مساحة صوت فيروز قصيدة " سكن الليل "
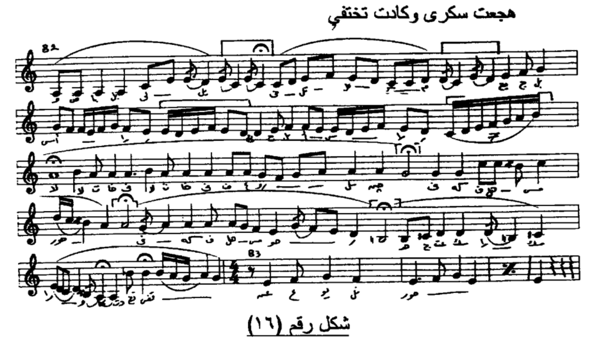
<u>النموذج الأول :</u>

من م ٨٢ أدليب " أداء حر غير موقع ثم في نهايته تتحول إلى أداء موقع بميزان $\frac{4}{4}$ من م ٨٣ : ٨٦

النص : وضباب الليل في تلك الكروم يحجب الأسرار

لا تخافي فعروس الجن في كهفها المسحور

هجعت سكرى وكادت تختفي



<u>شكل رقم (١٦)</u>

<u>آداء غنائي حر Adlib</u>

♦ بدأت الغناء في النموذج بأداء مسترسل (Adlib) من م ٨٢ بجنس عجـــم علــى درجة الراست تنتهي بقفله نصفية على درجة النوى ، ثم ينتقل لجنس راســت النــوى وفي نهاية الأدليب تغني عجم على الحسيني عشيران ، ثم نهاوند النوى وقـــد انتقلــت بصوتها إلى الأداء الموقع بسهولة .

♦ الأداء بأسلوب المحاكاة الوصفية في منطقة القرارات والمنطقة الوسطى حتى كلمة " الجن " والأداء كان محكماً ودقيقاً لكي لا تبتعد عن المعنى ولم تستسلم للأداء الحر بمعناه المفهوم .

♦ الأداء جاء باستخدام لأماكن رنين الصدر في منطقة القرارات فأعطي الدفء .

♦ حافظت على لون الصوت بالرغم من وجود لزم موسيقية كثيرة في الأدليب ووجود علامة الإطالة (Corona) .

• استخدمت التعبير الديناميكي في أداء النموذج Adlib وكان من منظورها وإحساسها من أداء قوي (F) وخافت (P) والتدرج بينهما فتمكنت بذلك من أداء النموذج صولفائيا وتكنيكيا وتعبيريا .

• الأداء المتصل لكل عبارة مراعية أماكن الرنين الصحيحة مما ساعد على عدم كسر الخط الغنائي واستمراريته .

• لم تستخدم حليات في النوت الطويلة لكي لا تغير من المعنى وراعت أداء النغمة الطويلة في كلمة (لا) على درجة الحسيني بدون ارتعاش (Vibration) كما راعت ضبط النغمة الصوتية .

• النموذج مليء بالزخرفة اللحنية سواء الأتشيكاتورا (Acciacatura) المنفردة أو المزدوجة والثلاثية ، وقد راعت أن يكون الضغط القوي (Accant) على الحلية وابتعدت عن الطرب لخدمة المعنى .

• قامت بتغيير لون صوتها لخدمة المعنى بعد تمهيد الآلات بالإيقاع السباعي بنغمات صاعدة فجاء صوتها قويا في كلمة " لا تخافي " بعد أن كان غناؤها محاكاة وصفية وذلك لإعطاء القوة " ولكن بقوة غير مفتعلة " لكي تحافظ على استمرار الخط الغنائي

• أدت كلمة في " كهفها المسحور" مرتين الأولى بأسلوب الوصف والثانية بأسلو التأكيد على الأسى والخوف .

• إعادة الكلمة الواحدة (سكرى) بأكثر من حلية وكان الأداء يتميز بالخفة والدقة وراعت الضغط (Accant) على الحلية لكي لا يشعر المستمع بالملل .

• في نهاية الأدليب أدت قفزة تاسعة من درجة لا القرار " العجم عشيران " إلى درجة سb (العجم) بدون قوة مفتعلة للنغمة العليا فحافظت على تنمية الخط الغنائي كما انتقلت من رنين الصدر إلى رنين الرأس بحرفية ، و أجادت أيضا استخدام علامة الإطالة فلم يرتعش صوتها .

• هبطت بعد القفزة هبوطا سلميا بأداء ناعم لين بأسلوب (Portamento) في كلمة " تختفي " .
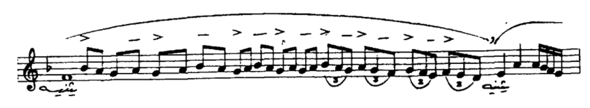
• أعطت لكل حرف حقه من مد وسكون وخاصة ضبطها لآخر كلمة في كل عبار وأظهرت الغنة في كلمة " الجن " ذات النون المشدودة في حالة الوقوف عندها .

- حرصت على عدم انزلاق صوتها إلى منطقة الزور عند أدائها الحروف الحلقية مثل (هـ – ع – خ – ح) .

النموذج الثاني :

أداء غنائي حر من م ٩٣

كلمة : " يثنيه "



شكل رقم (١٧)
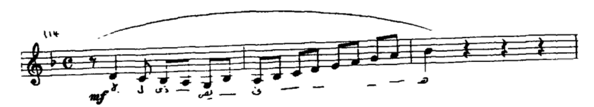
التحكم في التنفس

- بدأت الغناء بنوتة طويلة زمن الروند وبها علامة إطالة (Corona) فراعت عدم إطالة المد الزمني لخدمة المعنى واستمرارية الخط الغنائي .
- جملة غنائية طويلة (جنس راست) وقد راعت أداء الضغط (Accent) لإعطاء الحيوية في الأداء .
- حافظت على استمرار الخط الغنائي بالرغم من طول الجملة الغنائية واختلاف النسيج اللحني ، وهذا يرجع إلى استخدامها للتنفس العميق الذي يعد بمثابة القوة الدافعة التي يستند عليها الصوت البشري أثناء الغناء .
- استخدمت التنفس الخاطف عند إعادة الكلمة بنهاية كل عبارة لتبدأ عبارة جديدة .
- راعت عدم انزلاق الصوت إلى منطقة الزور عند أداء المد بالياء للعبارة الطويلة في كلمة" يثنيه "

النموذج الثالث :

م ١١٤ ، ١١٥

النص " بالذي يضنيه "



شكل رقم (١٨)

السلم الصاعد

• أدت التسلسل النغمي الصاعد بتدرج في القوة (Crescendo) ولـــم تقـــم بدفـــع الصوت مرة واحدة كما أدت النغمات الموسيقية بدون تقسيم والأداء متصل(Legato)

نتائج البحث :

١. لون صوت فيروز من الناحية التصنيفية ميتزوســـبرانو (METZZO SOPRANO) غني بمساحاته ومقاماته ، وقد وصلت في أدائها لبعض الأعمـــال الغنائيـــة إلـــى الحدود الصوتية للسوبرانو درامتيك (SOPRANO DRAMATICO) .

٢. لعبت الكنيسة ومدرسة الراهبات دورا كبيرا في تربية صوت فيروز منذ أن كانت في مرحلة سنية مبكرة بأدائها الترانيم الكنائسية وخاصة بعد أن قـــامت الكنـــائس الشرقية بتعريب الترانيم فاستخدمت اللغة العربية بجانب اللغـــة الســـريانية فـــي ترنيمها وأغانيها الدينية [1].

٣. تأثرت في بداية حياتها بالأداء الغنائي لأسمهان وليلى مراد ثم سرعان ما أصبـــح لها أسلوب أداء مميز .

٤. استطاعت فيروز دمج تقنيات وأساليب الأداء الغنـــائي العربـــي والغربـــي معـــا وتوصلت بذلك لمعالجة التفاصيل الفنية لأي عمل غنائي مما جعلها تصـــل للمســـتوى الأمثل في الأداء الغنائي وأصبح لها أســـلوب أداء ممـــيز ، وتمثلـــت تلـــك التقنيـــات والأساليب في الآتي :–

أ. التحكم في عملية التنفس مما أعطى لصوتها المرونة .

ب. الاستخدام السليم لمناطق الرنين أعطى لصوتها القوة والرخامة والدفء .

ت. التعبير الغنائي (القدرة على تلوين صوتها بما يناسب المعنى) .

---

(١) صميم الشريف –مرجع سابق – ص ١٦٧ ، ١٦٨ .

ث. سهولة الأداء مما صعب المسار اللحني .

ج. أجادت تقنيات الأداء الغنائي الغربي المتمثل في السلالم والأربيجات والأداء المتقطع والمترابط .

ح. أجادت استخدام التعبير الديناميكي من أداء قوي (F) وأداء خافت (P) .

٥. أدت فيروز أغلب القوالب الغنائية العربية (موال – قصيدة – مونولوج – ديالوج – الأغنية الشعبية – طقطوقة – كما قامت بأداء الأغاني المعربة) .

٦. بدايتها كعضو في كورال الإذاعة أكسبها الخبرة في معرفة أساليب الأداء المختلفة لكبار المغنيين التي كانت تقف خلفهم ثم جعلت لنفسها أسلوبا مميزا فيما بعد.

٧. جعلت فيروز من الغناء الديني غناء دينيا قوميا عربيا .

٨. أغاني فيروز الوطنية ليست حماسية ولكنها عاطفية تخاطب وجدان العالم وليست مرتبطة بمناسبة معينة أي متطورة وتواكب كل العصور .

٩. بلغ المسرح الغنائي في لبنان أعلى المراتب بالأداء الغنائي لفيروز مع ألحان الأخوين رحباني وكانت تعالج فيها قضايا الإنسان كما كانت تؤدي فيها العديد من القوالب الغنائية .

١٠. كانت فيروز تشعر بكيانها ووجودها على خشبه المسرح أكثر من السنيما .

١١. قالب الطقطوقة شغل حيزا كبيرا في الأعمال الغنائية لفيروز .

١٢. أدت فيروز أغنيات لملحنين وشعراء غير الرحبانيه فكان لها لقاء مع أغاني سيد درويش . وترى الباحثة أن اللقاء الهام كان لفن القصيدة:مع محمد عبد الوهاب (يا جارة الوادي – سكن الليل – مر بي) .وقد انتصرت فيروز بصوتها بأدائها المميز لقصائد محمد عبد الوهاب وذلك لمكانة مصر في فن القصيدة آنذاك .

١٣. استطاعت فيروز أن تصل للعالمية بالأغنية العربية دون أن تفقدها مصداقيتها العربية وذلك يرجع لذكائها في دمج تقنيات الأداء الغنائي الغربي بالتقنيات الغنائية العربية ، فأصبح صوتها قادرا على أداء الأساليب اللحنية المختلفة في آن واحد .

١٤. كانت تؤدي بصوتها كل ما يكتب لها من ألحان عربية وأخرى مأخوذة عن الموسيقي الغربية الآلية مثل لحن " يا أنا " من السيمفونية (٤٠) لموتسارت .

١٥. من خلال تحليل عينة البحث لوحظ أن أغلب النماذج اللحنية التي أدتها فيرور تصلح كتدريب غنائي عربي يستفيد منه دارسوا الغناء العربي لاحتوائها على تطبيق عملي يعالج كل التفاصيل الفنية في الأداء الغنائي .

١٦. يمكن اعتبار فيروز مدرسة لها طابعها الخاص في الأداء الغنائي ، وقد ظهرت في الخمسينيات من القرن العشرين وتميزت بأنها بدأت من حيث انتهى الآخرون .

قائمة المراجع :

أولاً : المراجع العربية :

١- إبراهيم علي درويش الحريري – فيروز والأخوين رحباني – دار الشرق العربي – بيروت – لبنان .

٢- أحمد بيومي – القاموس الموسيقي – وزارة الثقافة – المركز الثقافي القومي – دار الأوبرا – ١٩٩٢ .

٣- صميم الشريف – الأغنية العربية – منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي – دمشق ١٩٨١ .

٤- عبد الحميد توفيق زكي – المعاصرون من رواد الموسيقى العربية – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٣ .

٥- محمد بن الحسن الحايك – طبعة مصورة – مكتبة الرشاد - المغرب- ١٩٧٢ .

٦-

ثانياً : الرسائل العلمية :

١- ماجدة عبد السميع عبد الحميد – دراسة تحليلية لمدارس الغناء العربي في مصر خلال القرن العشرين – رسالة ماجستير غير منشورة – المعهد العالي للموسيقي العربية – أكاديمية الفنون – ١٩٨٥

ثالثاً : المراجع الأجنبية :-

1- MARI R.M. Coscienza Della Voce . Minang . Ed. , Cupci, 1980, P. 86 – 90.

رابعاً : مصادر أخرى : الانترنت

http://www.fairoz.net/history.htm

المادة غير العربية

* البحث
* المقال النقدى



ملخص
تحقيق الذات والحب

فى رواية (غرور وكبرياء) للكاتبة :جين أوستن .

د/ جيهان المرجوشي * .

تعتـــبر قصة (غرور وكبرياء) ١٨١٣ للكاتبة جين أوستن من أشهر قصص القرن التاسع عشـــر فى الأدب الإنجليزى ، وهذه الرواية تتميز بحوارها الساحر وأسلوبها الجميل ، وتشتمل عـــلى شخصية محورية تدعى (اليزابيث) . وعلى الرغم من كونها شخصية عاقلة وناضجة بالمقارنـــة لـــباقى أفـــراد عائلـــتها – فإنهـــا تفتقر إلى الحكمة والقدرة على التمييز الصحيح للشخصـــيات الـــتى تقابـــلها وتؤثـــر فى حياتها ، ولأنها لا تستطيع أن تحكم على الأشخاص بموضوعية – فهى تحكم على (دارسى) وهو رجل ثرى ونبيل أصلا – بأنه مغرور وأنانى إلى أن تثبت لها الأحداث عكس ذلك .

ويقـــدم البحث معالجة جديدة لشخصية اليزابيث – تعتمد على نظرية ، المدرسة النسائية الحديـــثة كعلم النفس ، ومن روادها د.و. وينكوت ، ودانيال ستيرن ، وآخرون ، تعتمد هذه المدرسة على أن الشخص لا يستطيع أن يحب حبا حقيقيا إلا عن طريق المعرفة الحقيقية للذات . هـــذه المعرفة لن تتحقق إلا عن طريق حب الأم أو حب مماثل لحب الأم . إن هذا النوع من الحـــب وفقـــا للنظرية النسائية المعاصرة للتحليل النفسى هو الحب الحقيقى لأنه غير مشروط ، وليســـت بـــه أى توقعات أو قيود من أجل إسعاد الطرف الأخر . ومن هذا المنطلق لا يكون الحبيب بديلا عن الأب كما كان يؤمن فرويد .

ونجـــد (اليزابيث)تمتلك وجهة نظر غير حقيقية عن (دارسى) سبب إهانته لكبريائها ، وكذلـــك كانـــت رؤية (دارسى) لشخصية اليزابيث . وقد تغيرت رؤية كل منهما للأخر بـــتطور أحـــداث الراوية ، وعلى الأخص رؤية اليزابيث ، حتى يتمكنا من إقامة علاقة سوية ناضجة مع بعضهما . وهى العلاقة التى حررتهما من القيود .

وتفصـــح الرواية فى النهاية عن زواجهما الذى يرضى القارئ ، لأنه زواج مبنى على وعى وإدراك كل منهما لحقيقة الأخر. وهو الإدراك المبنى على المعرفة وتحقيق الذات . ولذلك نرى أن الذى ربط بين الاثنين حب حقيقى . عكس زيجات الشخصيات الأخرى فى الرواية . ومن هذا المنطق يأخذ (دارسى) و (اليزابيث) دورهما التوجيهى ، باعتبار أن فكرهما قدوة لباقى شخصيات الرواية عندما يقعون فى مشكلة تحتاج منهما الحل المناسب.

* مدرس بقسم اللغة الإنجليزية ، كلية البنات ، جامعة عين شمس

Nardine, Jane.(1993) "Children and Their families in Jane Austen's Novels" in *Women and Literature*, New Series,Vol.3, eds. Jannet Todd, Holmes& Meier Publishers, Inc.NY

Paris, Bernard J.(1988). *Character and Conflict in Jane Austen's Novels: A Psychological Approach*. Detroit: Michigan State University Press.

Southam, B.C.(1978). *Jane Austen: The Critical Heritage*. London & New York: Routledge&Kegan Paul.

Stern, Daniel. (1985). *The Interpersonal World of the Infant: A View from Psychoanalysis and Developmental Psychology*. New York: Basic Books.

Van Ghent, Dorothy. (1961) *The English Novel: Form and Function*. New York: New York.

Watt, Ian. (1963) *Jane Austen: A Collection of Critical Essays*. N.J: Princeton-Hall: Inc., Inglewood Cliffs.

Winnicott, D.W.(1963) *The Maturational Process and The Facilitating Environment*.New York: International Universities Press.

Periodicals:

Measham, D.C. (1972). Sentimentality and Sentimental Psychology. *Renaissance and Modern Studies*, 15, 61-85.

Moles, Kenneth L. (1967). Pride and Prejudice: Jane Austen's Patrician Hero. *ELN*, 7, 505-508

ONLINE:

Moses, Felix. "Learning Romance the Jane Austen Way: The Cemic Code at Work in Persuasion and Pride and Prejudice." The Victorian Web.http: 65.107.211.206/previctorian/austen/moses 1.html. Online.Internet.5 Jan.2002.

33. Daniel Stern, The Interpersonal World of the Infant: A View from Psychoanalysis and Developmental Psychology (New York: Basic Books, 1985) 83.

34. ......, 97.

35.Winnicott, 128.

36.........., 159.

37. Nardine., 154- 68.

38. ...., 82.

39. D.C.Meacham, " Sentiment and Sentimental Psychology", *Renaissance and Modern Studies*, 16 (1972): 61-85.

40. Kenneth L.Moles, " Pride and Prejudice: Jane Austen's Patrician Hero," *ELN*,7 (1967): 505.

41.Watt.,72.

42. ...., 72

Works cited:

Austen, Jane.(1967). *Pride and Prejudice.* London: Pan Books. .

Benjamine, Jessica.(1988). *The Bonds of Love: Feminism and the Problem of Domination.*New York: Pantheon Books.

Chodorow, Nancy.(1978) *The Reproduction of Mothering: Psychoanalysis and the Sociology of Gender*. Berkeley: University of California Press.

Fergus, Jan.(1983). *Jane Austen and the Didactic Novel: Northanger Abbey, Sense and Sensibility and Pride and Prejudice*. New Jersey: Barnes and Nobles,

Freud, Sigmund. (1953-74). "Female Sexuality, "in *Standard Edition of the Complete Psychological Works.* (pp.223-43). Vol. 21. London: Hogarth Press.

Jordan, Judith.(1991). "Empathy and Self-Boundaries,"in Judith Jordan, Alexander Kaplan et al.eds. *Women's Growth in Connection: Writings from the Stone Center.* (pp.67-80). New York: The Guilford Press.

Mitcham, Margaret. (1999). *Jane Austen: Feminism in Fiction*. Brighton: Harvester Press.

Nancy Chodorow, "Gender, Relation and Differences in a Psychological Perspective," in Hester Einstein & Alice Jardine, eds. The Future of Difference (New Brunswick, N.J., Rutgers University Press, 1997) 28-52.

16. Chodorow 32.

17. Jessica Benjamine, The Bonds of Love: Psychoanalysis, Feminism, and the problem of Domination (New York: Pantheon Books,1996) 52.

18. ------, 54.

19. ------57

20. ------ 52-63.

21. D.W. Winnicott, The Maturational Process and the Facilitating Environment (New York: International Universities Press, 1975) 123.

22. Jane Nardine, "Jane Austen: New Perspectives" in Children and Their Families in Jane Austen's Novels, *Women and Literature*, New Series, Vol. 3, ed., Jannet Todd, Holmes & Meir Publishers, Inc. N.Y. 1990) 73.

23. Felix Moses, "Learning Romance The Jane Austen: The Semic Code at Work in Persuasion." The Victorian Web.http:// 65.107.211.206/previctorian /austen/moses 1.html. Online. Internet.5 Jan. 2003.

25. Jane Austen, Pride and Prejudice (London: Pan Books,) 67. (All further reference to this book will be included in the text).

26. Bernard J. Paris, Character and Conflict in Jane Austen's Novels: A Psychological Approach (Detroit: Michigan State University Press, 1988) 123

27. . .....,129-30.

28........., 123.

29. Margaret Mitcham, Jane Austen, Feminism and Fiction (Brighton and New Jersey: Harvester Press, 1999) 48.

30.. . 51-52.

31. B.C. Southam , ed., Jane Austen: The Critical Heritage. 59.

32. . 63

ENDNOTES:

1 J.E.Leigh-Austen, A Memoir of Jane Austen, ed. R.W. Chapman,1926; rpt.Oxford,W.A.Craik, Jane Austen: The Six Novels (Methuen&Co.LTD.1965) 62.

2. Jan Fergus, Jane Austen and the Didiactic Novel: Northanger Abbey, Sense and Sensibility and Pride and Prejudice (New Jersey: Barnes and Nobles.1983) 87

3 Nancy Chodorow, The Reproduction of Mothering: Psychoanalysis and the Sociology of Gender (Berkeley: University of California Press, 1978) 10.

4 Dorothy Van Ghent, The English Novel: Form and Function (New York: NewYork University Press.1961) 105.

5. Ian Watt, ed., Jane Austen: A Collection of Critical Essays (Princeton-Hall Inc., Englewood Cliffs, N.J., 1963) 3.

6. -----, p.3.

7 -----, p.5.

8. -----, p.6.

9 -----,p.8-9.

10. -----.,p.9.

11 E.M.Forester, Aspects of the Novel, in Jane Austen: The Critical Heritage, ed. B.C.Southam (London &New York: Routledge & Kegan Paul, 1978) 21.

12 Geoffrey Gorer, "The Myth in Jane Austen". In Watt , A Collection of Critical Essays,p.11

13 Chodorow 57.

14 Sigmund Freud, "Female Sexuality," Standard edition Of the Complete Psychological Works, Vol.21 London: Hogarth Press, 1953-74).223-43.

15 Judith Jordan, "Empathy and Self-Boundaries," in Judith Jordan, Alexandra Caplan et al, eds. Women's Growth in Connection: Writings from the Stone Center (New York: The Guilford Press, 2000) 67-80.

NOTES:

* The body of psychological literature called object-relations theory presents a different picture of self-development from the one that Freud tells. His paradigm ignores the early relationship between infant and mother. The story he tells really begins when the father becomes a dominant presence in the child's life and consciousness. It depends on absolute autonomy. But if dependence and empathy, (which are initiated in the pre-oedipal period by the mother) are necessary for the self to form, his theory looks like a psychological disorder or even a myth. Empathy and dependence are the process through which the child and mother establish their dynamic off attachment and also discrimination.

Object-relations theory is different from that because it views human development as interpersonal; selfhood as implicated in relation to others. It focuses on the bond between mother and child in the pre-oedipal period because this is usually the first primary relationship in a person's life. It tells us of the necessary interaction between the self and an "object" — that is, another person who is the object of the self's attention and love. From the beginning there is a self and there is an other; it is through the constant dynamic of their interaction that growth occurs. In the "facilitating environment" of the mother infant relation, the baby is recognized. The mother's empathy permits her to see what the other person is. Their is interaction between them . This interaction is called "attunement" in which feeling states are shared and reinforced between mother and child by behavior that is matching but not the same. It is what is defined as mutual recognition. It is this space of safety and energy that helps a sense of self to develop.

A transitional object for Winnicott is something that is created by the self but that also belongs to the outside world. It could be, for example, a child's stuffed bear that holds enormous personal importance to him/her, but at the same time is not imaginary. The mother's breast or the mother herself could be used in the same way This kind of relationship which occurs in a "facilitating environment" prepares the child to engage with the outside world.

Jessica Benjamine, The Bonds of Love (50-78) and
Winnicott, The Maturational Process and the Facilitating Environment.(120-23)

> probably never felt before; and he expressed himself on that occasion as sensibly and as warmly as a man violently in love can be supposed to do. Had Elizabeth been able to encounter his eye, she might have seen the expression of heart-felt delight, diffused over his face, became him; but though she could not look, she could listen, and he told her of feelings, which in proving of what importance she was to him, made his affection every moment more valuable. (272)

Their conversation shows that their relationship is the kind of relationship that true love, according to Jane Austen, produces. It is mutual, unconditional and nurturing to both of them. Elizabeth and Darcy achieve their happy marriage in a world that is very strongly patriarchal where good marriages are rare. As Meacham, says , "the author gives to them alone the chance along maternal lines."(39) Darcy falls in love with Elizabeth because she is witty, intelligent and also romantic. She finds a lover who is like that too: fearless and pleasant, quick witted and fast on his feet. She meets and matches him. Such a man may not sound much like a mother figure but that is exactly where the fantasy lies. Together and from there, they get to be intimate and learn to care for each other because they recognize one another.

The marriage of Elizabeth and Darcy is gratifying to us because it is not just centered on them. They take care of others too: Mr Bingley and Jane, the rest of her family, and Georgina, Darcy's sister, who comes to live with them. And as Moles says, although they themselves had been badly parented, "they have been given the gift of self development by their author, and now a quiet revolution is in process, in which they as parents will be able to nurture properly, the first time around." (40)

Structurally, Jane Austen's novels are a series of variations upon the basic "comic movement from threatening complications to a happy ending."(41) The happy ending consists in the heroine's gaining the love of a good man, the security and prestige of a desirable marriage, and the recognition of personal worth which she deserves. The obstacles to Elizabeth's desire "form the action of the comedy and the overcoming of the comic resolution."(42) The blocking forces in Austen's actions may be primarily internal, primarily external, or some combination of both. In the case of Elizabeth Bennet and Darcy, there are external blocking forces to their happiness; but the chief obstacle to their happiness lies in themselves, and they had to undergo an internal change to gain their reward.

- asteriks are for notes
- Numbers are for footnotes

> such its impression on her was of a sort to be encouraged, as by no means unpleasing, though it could not be exactly defined. She respected she esteemed, she was grateful to him, she felt a real interest in his welfare; and she only wanted to know how far she wished that welfare to depend on herself, and how far it would be for the happiness of both that she should employ the power which her fancy told her she still possessed, of bringing on the renewal of his address.(195)

Elizabeth's feelings of gratitude, are a response to his caring about her and her family. It is the cause behind true love, which is what Elizabeth is interested in. Because of her feelings of gratitude, she begins to encourage Darcy, whenever they meet.

The love of Darcy to Elizabeth is tested when he comes upon Elizabeth reading a letter from her sister Jane telling her of her younger sister's eloping with Wickham.

> Her pale face and impetuous manner made him start, and before he could recover himself enough to speak she, in whose mind every idea was superseded by Lydia's situation, hastily exclaimed, " I beg your pardon, but I leave you,....I have not an instant to lose
>
> "Good God! What is the matter?" cried he, with more feelings than politeness; then recollected himself; I will not detain you a minute."

He tells her to send the servants or even he himself would go after Mr. and Mrs. Gardiner, whom she wanted to see at that specific moment. She looked so "miserably ill, that it was impossible for Darcy to leave her or to refrain from saying, in a tone of gentleness and commiseration, "let me call your maid. "He expresses his concern for her and waits "in passionate silence."

When she tells him what had happened, he responds by pacing up and down the room gloomily. She thinks he is thinking about her embarrassing and disgraceful family, and naturally congratulating himself on having escaped from having any connection with this family. It is at this moment that she understands her feelings for him fully; for "never had she so honestly felt that she could have loved him, as now, when all love must be in vain."(293-295). Elizabeth feels her love for him because she feels how tender he is with her at the moment when she is most vulnerable, and also because she realizes she has just lost his love for ever.

They are forced to part at this moment; but this marks the beginning of a new stage for them. Though she asks him to leave her and goes back to her family in Longbourn, we discover later that Darcy uses the time to help Lydia, the sister of the woman he loves, and Wickham, in spite of the harm that Wickham had tried to do to him previously

In the final part of Pride and Prejudice, Lydia and Wickham's alliance is solved by the marriage of Lydia and Wickham, and this was the only possible solution possible. After it takes place, Darcy and Bingly come once again to visit the Jane and Elizabeth. Finally we get the second proposal, and finally also Elizabeth accepts Darcy

> The happiness which this reply produced, was such as he had

> neither formal, nor falsely adorned. Elizabeth was delighted. She had never seen a place for which nature had done more, or where natural beauty had been so little counteracted by an awkward taste...at that moment she felt, that to be mistress of Pemberley might be something. (180)

What Elizabeth sees is beauty and good taste that is based on what is natural, not artificial, i.e. like Mr. Darcy himself. She learns from his housekeeper what a sweet-tempered and generous-hearted man he is. "In what an amiable light does this place put him!" thinks Elizabeth.

> As she stood before the canvas, on which he was represented, and fixed his eyes upon herself, as she thought of his regard with a deeper sentiment of gratitude than it had ever raised before; she remembered the warmth, and softened its impropriety of expression. (180)

When Mr. Darcy shows up suddenly, Elizabeth is now ready to see him for what he truly is for the first time. Whatever had blinded her before is gone, and she begins to see him in a new perspective. "Never in her life had she seen his manners so little dignified, never had he spoken with such gentleness as on this unexpected meeting." (193). Afterwards we see how, for the first time she longs to know his inner reality, what lies beyond the surface: "She longed to know what at that moment was passing through his mind; in what manner he thought of her, and whether, in defiance of everything, she was still dear to him."(194)

W e see clearly that he still loves her as she also learns to love him in a new way. Her love for him is based on recognition of his true self. It is real love, unlike the love that she had for Wickham. The changes in Elizabeth are carefully shown to us:

> ... She certainly did not hate him. No; hatred had vanished long ago, and she had almost as long been ashamed of ever feeling a dislike against him, that would be so called. The respect created by the conviction of his valuable qualities, though at first unwillingly admitted had for some time ceased to be repugnant to her feelings; and it was now heightened into somewhat of a friendlier nature, by his by the testimony so highly in his favour, and bringing forward his disposition into so amiable a light, which yesterday had produced. But above all, above respect and esteem, there was a motive within her of good will which could not be overlooked. It was gratitude. Gratitude, not merely for once having loved her but for loving her still well enough, to forgive her all the petulance and acrimony of her manner in rejecting him and all the unjust accusations accompanying her rejection.(195)

Rather than avoiding her as his greatest enemy, he is seeking her out, she thinks, and making himself pleasant to her friends, even introducing her to his sister.

> Such a change in a man of such pride, excited not only astonishment but gratitude—for to love, ardent love, it must be attributed, and as

goes for Darcy, whose pride and prejudice are still as strong as his love. They both have a long way to go yet. The second important thing which takes place in the novel is Darcy's handing Elizabeth the letter in which he tells her he has no intentions of renewing his proposal, but he does want to justify his conduct, his character

Winnicott has a great deal to say about the ability of the mother to survive the attempts of the infant to "destroy" her in anger. The baby needs to do so in order to understand that it did not create the object—the mother---but that the object has existence in the real world. But, of course, contingent upon this development is the object's capacity to survive destruction. A good mother has this capacity to survive destruction. She is "essentially adaptive because of love," says Winnicott and she has established the essential confidence related to her dependability that is needed before any further attempt to "use" the object can take place. It is only because this environment *has* been established that the infant can destroy the mother with anger. It is, says Stern, a necessary form of establishing the objects reality outside of the self and must be undertaken so that the object can be used.[34]

Winnicott's ideas help us understand what is happening to Elizabeth at this point. He describes a fear of annihilation that is the response of an infant who has not experienced the prerequisite recognition and holding environment. We see here that Elizabeth's reaction to Darcy, on the contrary, is appropriate because such a "facilitating environment" has been established: after all, Darcy does not go away as it would have been expected.

Now Elizabeth is entering a new stage. That is what Winnicott calls "transitional object relating," which is explained as "a space for negotiating the tricky relationship between internal and external reality."[35] In other words, the mother now needs to let her infant know that she is not the child's own personal creation, although she remains loving, gentle, dependable and nurturing to it. She has a reality of her own even though she may still "belong" to the infant. This is what is meant by transitional, it is a change in the kind of the relationship, but it is a safe change because it is still the maternal environment, not the real world. [36]

In Pride and Prejudice, Mr. Darcy, and symbols for him---his house, Pemberly— who represent the mother, act as transitional objects. [37] From the moment that Elizabeth reads his letter, in which he explains his conduct to her, she begins to re-evaluate his personality and see the difference between how she had seen him and how he is being revealed to her.[38] She reads and re-reads his letter, she compares between what she learns and what she had thought had happened, and how she had interpreted it, and after a long fight, which results in a new kind of self consciousness, she comes to the conclusion that "Till this moment I never knew myself." (P.P.155)

Not long after that she finds herself on a trip to Derbyshire with her aunt and uncle, visiting a famous local landmark, which happens to be Mr. Darcy's house, Pemberly. It is a large handsome stone building on rising ground, surrounded by woody hills:

> and in front, a stream of some natural importance was swelled
> into greater, but without any artificial appearance. Its banks were

Darcy, from the very beginning followed Elizabeth with his eyes, which we later get to interpret as a sure sign of his love to her. He says "In vain have I struggled; it will not do. My feelings will not be repressed."(142) Early on, when he realized he was in danger of falling in love with Elizabeth, "he had wisely resolved to be particularly careful that no sign of admiration should *now* escape him, nothing that could elevate her with the hope of influencing his felecity; sensible that if such an idea had been suggested, his behaviour in the last day must have material weight in confirming or crushing it.(58-60). This idea provides a new turn to the plot.

Darcy in his first proposal tells Elizabeth about "the strength of that attachment which, in spite of all his endeavours, he had found impossible to conquer". She responds quickly with, "the feelings which, you tell me, have long prevented the acknowledgement of your regard, can have little difficulty in overcoming it after this explanation…you choose to tell me you liked me against your will, against your reason, and even against your character (142-44). Darcy by continuing to speak about Elizabeth's "inferiority", "the degradation", "the family obstacles, judgment had always opposed to inclination"(143) is only telling her an actual, brutal truth. These ideas reappear in Lady Catherine's wonderful confrontation with Elizabeth. Lady Catherine was extremely insolent and beside herself with passionate anger; she calls herself "almost the nearest relation Darcy has in the world.," but still she has no right to interfere in Darcy's affairs. The union she planned from the cradle between Darcy and her daughter makes her even appear more ridiculous than she already is. "Do not expect to be noticed by his family or friends says Lady Catherine "if you willfully act against the inclination of all. You will be censured , slighted , and despised by every one connected with him. Your alliance will be a disgrace; your name will never be mentioned by any of us". Elizabeth crushes Lady Catherine completely when she responds by saying: "these are heavy misfortunes …But the wife of Mr. Darcy must have such extraordinary sources of happiness necessarily attached to her situation, that she could, upon the whole, have no cause to repine"(.263). Lady Catherine insists that the alliance would not be a proper one. Elizabeth's resistance is made all the more striking to us because she *is* a poor young woman after all, but she resents being called "a young woman of inferior birth." She claims she is equal to Darcy: "He is a gentleman, I am a gentleman's daughter: so far we are equal"(264). Lady Catherine thinks this marriage will make Darcy the contempt of the world (184) but Elizabeth insists that Darcy has a right to choose. As Jocylyn Harris says, Elizabeth risks everything by defending his liberty to choose, and she gains everything by Lady Catherine's interference. And even though Elizabeth does not expect Darcy to renew his proposal, he does, telling her that "one word from you will silence me on this subject forever (272). Darcy's proposal is brief and indirect. Elizabeth hears Darcy express himself with her eyes cast down and her tongue not fluent. She hears Darcy express himself "as sensibly and as warmly as a man violently in love can be supposed to do" (260)

But just before the visit of Lady Catherine to Elizabeth, something else, which is important, happens. First, Elizabeth's telling Darcy how arrogant, conceited and selfish she thinks he is, is an important and necessary step in their getting to understand each other. It is important that she tells him no. But it is far from the end, which is signified by marriage. It is clear that neither one of them is ready for marriage at this point. Elizabeth is beginning to establish a self, and also the same

man she vowed to hate. She may be attracted to him because he sees her true self, but also angry because he sees that true self which she always attempted to hide.

The climax in their relationship, and what critics consider as the most important scene in the novel, is when Darcy proposes to Elizabeth and she rejects him. At that time, she neither likes nor respects him, because she does not see that he can give her the happiness she wants. This is the obstacle of the plot, and what is needed is that Elizabeth discover her mistakes about Darcy and would therefore, change her views of him just as Darcy himself has to change in such a way as to overcome Elizabeth's remaining objections, and then for these changes in him and in her to be communicated to each other.

The obstacles to Elizabeth's marriage to Darcy are partly internal and external in both of the protagonists. As soon as Darcy finds himself attracted to Elizabeth, he begins to experience inner conflict. He admires Elizabeth for her personal qualities, but he feels it would be demeaning to connect himself to her family. His proposal derives from the same source as Mr. Collins's (he tells her " in vain ...have I struggled" against the "degradation" (P.P.148) and fails for the same reasons. Darcy confidently declares his love to Elizabeth in the same way that Collins did, and resents her refusal which is based on her dislike of his manner and personality. She could see that he was insultingly confident of her acceptance, " he had no doubt of a favourable answer. He spoke of apprehension and anxiety but his countenance expressed real security." He does not permit her to reply, and this comes naturally from his feeling of superiority. " Could you expect me to rejoice in the inferiority of your connections? To congratulate myself on the hope of relations, whose condition of life is so decidedly beneath my own?" he asks. His sneer at her relations only wound her to the heart and she rejects him saying she "never desired (his) good opinion." He starts, pauses to recover his composure and asks, "I might, perhaps wish to be informed why. .I am rejected with so little endeavour at civility."(143)

Elizabeth accuses Darcy of "so evident a design of offending and insulting me". And in return Darcy sarcastically says, "My faults, according to this calculation, are heavy indeed! We see how disturbed he is in every feature of his face. "And this," cried Darcy, as he walked with quick steps across the room"is your opinion of me! This is the estimation in which you hold me! I thank you for explaining it so fully." Elizabeth accuses him that he was not "gentleman-like" and points to his "arrogance, your conceit, your selfish disdain of the feelings of others". She explains that her dislike of him is "immovable" because it is "not merely this affair... on which my dislike is founded". We remember such sharp sentences she said about him as "You have a very high opinion of yourself. You may have reason for it; since you must know yourself, and your own heart, better than I can pretend to do."(32) Or earlier on in their acquaintance when she said " I am perfectly convinced that Mr. Darcy has no defect; he owns it himself without disguise"(29). Darcy, "with his eyes fixed on her face, seemed to catch her words with no less resentment than surprise.... The pause was to Elizabeth's feelings dreadful (28-9) Later Elizabeth will feel very ashamed of herself for ever having a "dislike against him that could ever be so called."(265) She says also "I had not known you a month before I felt that you were the last man in the world whom I could ever be prevailed on to marry."(142) But, ironically enough, she marries the man she had vowed not to marry after finding out how wrong she was.

At the same time, Elizabeth communicates with Darcy also. They meet frequently and they fight. Their interactions are clever, intense and somehow satisfying to both of them They argue about everything especially about who they are.

> Mr. Darcy is not to be laughed at!" cried Elizabeth. "That is an uncommon advantage, and uncommon I hope it will continue, for it would be a great loss to *me* to have many such acquaintances. I dearly love a laugh."
> "Miss Bingley," said he, " has given me credit for more than can be. The wisest and best of men, nay, the wisest and best of their actions, may be rendered ridiculous by a person whose first object in life is a joke."
> "Certainly," replied Elizabeth---"there are such people, but I hope I am not one of *them*. I hope I never ridicule what is wise and or good. Follies and nonsense, whims and inconsistencies *do* divert me, I own, and I laugh at them whenever I can.---But these, I suppose, are precisely what you are
> without."
> "Perhaps that is not possible for anyone. But it has been the study of my life to avoid those weaknesses which often expose a strong understanding to ridicule."
> "Such as vanity and pride."
> "Yes vanity is a weakness indeed. But pride---where there is real superiority of mind, pride will always be under good regulation."
> Elizabeth turned away to hide a smile. (P.P.42)

We see in such scenes between Elizabeth and Darcy how bright and clever she is when challenging what she sees as his arrogance. But equally important is the fact that he wont let her get away with it. He gives back as good as he gets so that Elizabeth is challenged for the first time in her life. This naturally irritates her because she is not winning as she used to before with her "hurried and rapid truisms."[32] This is good for both of them since in the give and take between them, they get to know one another more intimately.

Although their talk is about their differences we see how similar they are. They are equally intelligent, articulate and also equally proud and prejudiced. And for all their verbal battles, we cannot help but see that they are both content because they are getting to know and recognize each other. This as Chadorow says, "is the facilitating environment that the mother establishes for her infant. The self of the infant is able to grow in this environment of closeness, identification, dependence, and differentiation.." In other words it is the mother infant interaction which Daniel Stern describes as "equally excited, joyful, and intense." [33] Because they are both challenging each other, they shine. And the result is that their feelings for each other are promoted. Each knows that the other is taking him/her seriously enough to confront him/her . In other words, the other deserves the time and attention that we give to them because they are important enough to us. But this does not mean that the attraction between them is maternal. It gets transformed into a mature relation between a man and a woman. Despite herself Elizabeth is attracted to Darcy, the very

Mr. Darcy had first scarcely allowed her to be pretty; he had looked at her without admiration at the ball; and when they next met, he looked at her only to criticize. But no sooner had he made it clear to himself and his friends that she had hardly a good feature in her face, than he began to find that it was rendered uncommonly intelligent by the beautiful expression of her dark eyes. To this discovery succeeded some others equally mortifying. Though he had detected with a critical eye more than one failure of perfect symmetry in her form, he was forced to acknowledge her figure to be light and pleasing; and in spite of asserting that her manners were not those of the fashionable world, he was caught by their easy playfulness. Of this, she was perfectly unaware;—to her he was only the man who made himself aggreable nowhere, and who had not thought her handsome enough to dance with. (48)

The beauty that is mentioned here is no longer about physical appearance, but about inner qualities as intelligence, or eyes, (also known as the windows of the soul) that have a "beautiful expression" Mr. Darcy sees Elizabeth as she truly is, he sees her inside, he sees her true hidden self and he falls in love with her. Now, he finds everything about her pleasing, because he is seeing her in a new way. He sees her as a mother might see her child, and takes delight in it because she knows it and accepts it unconditionally. Elizabeth, however, does not know the change that has occurred in him; in fact all her attention is centered on finding more evidence to consolidate her hastily formed judgement of him

For Elizabeth to recognize him Jane Austen makes Elizabeth get involved with two other men who try what we can call her true self: there is Mr. Collins and Mr. Wickham. Mr. Collins ridiculous proposal is one of the most highly enjoyable scenes in the book. His treatment of her as an object is a caricature of masculine tendencies.

> To her emphatic refusal of his pontificating offers, he responds, "You are uniformly charming!"(85)

Mr. Collins, however, as Jane Austen informs us in her first mention of him,

> "was not a sensible man." It does not take much to resist these questionable charms. Elizabeth vexes her mother and pleases her father in the process, a situation she is used to; it reinforces in her the status quo of her emotional life.[30]

In the case of Mr. Wickham, the situation is a bit more difficult. He shows up the first time she sees him in a dashing uniform, with a great deal of easygoing small talk, and what is even more attractive to Elizabeth is his readiness to say nasty things about Darcy. Elizabeth finds what he says about Darcy's wickedness delightful and is completely taken in by him, "Whatever he said, was said well; and whatever he did, done gracefully. Elizabeth went away with her head full of him."(P.P.130)

With Wickham, Austen is "testing the patriarchal romance premise of love at first sight." This relationship is based on superficialities, and Elizabeth as we see from the very beginning of the novel is all, too good at that. ......says that Elizabeth actually prefers it. "Always trying to protect her private hidden true self, she is not particularly interested in coming into contact with anybody else's."[31] She is clever but she is not wise because she likes to show off with her quick judgements.

withdrawing from any active participation in family life and allowed himself to be "content with laughing" at the follies of his wife and his younger daughters without trying to correct their behaviour. (P.P. 213) Mr. Bennet is amusing, and he deserves our sympathy because he paid so heavily for his mistake in marriage, but his irresponsibility towards his family is extremely wrong.

Elizabeth finds herself in trouble because through hereditary and environmental influences, she grows up resembling one, or even both of her seriously flawed parents. Her task therefore, is to develop a critical perspective concerning the family, which has formed her. Her guide who helps her develop this new perspective is her future husband Darcy, who is the product of a different family. His world is different from Elizabeth's, but just as Elizabeth has a silly mother we find that he also has an aunt, Lady Catherine, who is selfish and a bully.

Elizabeth is her father's daughter. Though she says that "I never ridicule what is wise and good," like Mr. Bennet she has acquired the habit of laughing off things which should be taken seriously.(43) When her friend Wickham attempts to contract an objectionable selfish and mercenary marriage, Elizabeth is ready with an exculpatory witticism: "handsome young men must have something to live on, as well as the plain"(74) Her father often encourages her to joke even when she is rightly reluctant to feel amused. "Your sister is crossed in love," Mr. Bennet jokes when he and Elizabeth discuss the failure of Jane's romance, "I congratulate her. Next to being married, a girl likes to be crossed in love every now and then"(137). However, Elizabeth, deeply sympathetic with Jane and well aware that such a remark could not be applicable to Jane's heroic suffering, answers lightly. To please her father, she shares in his ridicule of her favourite sister Jane who is described to us as wise and good. But, also, she does try to turn the joke away from Jane towards herself: "We must not all expect Jane's good fortune"(138). Elizabeth becomes increasingly aware of her father's irresponsibility as a serious matter and she gradually becomes less able to laugh with him. She can "only force one most reluctant smile" when he teases her about her romance with Darcy, with no sense that the subject might be a sensitive issue to her.(138).

The most important issue in Pride and Prejudice is Elizabeth's search for happiness. She must find a man who is, at least, her equal in intelligence, who can give her a suitable social and economic position, and who does not object to making an alliance that is disadvantageous to him. Mr. Collins, Wickham, and colonel Fitzwilliam are all ruled out because they do not fit what she wants. In fact Jane Austen is very careful to draw our attention to the danger of what lovers call, love at first sight. That is what almost happens between Elizabeth an Wickham, and what actually happens between Wickham and Elizabeth's sister Lydia. For Wickham and Lydia we expect terrible results. But the only potentially suitable husband for Elizabeth is Darcy. However, for both Darcy and Elizabeth a significant change is needed, which means that they have to go through a long process of confrontation and then understanding of each other.

Elizabeth meets Darcy again at another ball after the first ball in which he had hurt Elizabeth's pride, and Jane Austen allows us to see what he is thinking of with regard to Elizabeth and how his attitude had changed from what it was when he first met her:

Pride, as said in the words of Mary, Elizabeth's sister, at the beginning of the novel, "human nature is particularly prone to pride"(13).In the novel, pride prevents the characters from seeing the truth of a situation and from achieving happiness in life. Pride is one of the main barriers that create obstacles to Elizabeth and Darcy's marriage. Darcy's pride in his position in society leads him to scorn anyone who is outside his own social circle. Elizabeth's vanity clouds her judgement, makes her prone to think in a negative way of Darcy and to think well of Wickham. In the end Elizabeth's rebukes of Darcy help him to realize his fault and to change, as we see in his genuinely friendly treatment of the Gardiners, whom he previously would have scorned because of their low social class. Darcy's letter shows Elizabeth that her judgements were wrong and she realizes that they were based on vanity, not on reason.

Prejudice is closely related to pride in the novel. As critic A. Walton Litz comments, "In Pride and Prejudice one cannot equate Darcy with pride, or Elizabeth with prejudice; Darcy's pride of place is founded on social reasons while Elizabeth's initial prejudice against him is rooted in pride of her own quick perceptions."[26] Darcy, having been brought up in such a way that he began to scorn all those outside his social circle, must overcome his prejudice in order to see that Elizabeth would be a good wife for him and to win Elizabeth's heart. The overcoming of his prejudice is demonstrated when he treats the Gardiners,who are a much lower class than him, with great civility. The Gardiners are a much lower class than Darcy, because Mr. Gardiner is a lawyer and must practice a trade to earn a living, rather than living off the interest of an estate as gentlemen do.[27] From the beginning of the novel Elizabeth prides herself on her keen ability for perception. Yet this supposed ability is often lacking as Elizabeth's judgment of Darcy and Wickham shows.

In this novel, Austen emphasizes the role of the family and thus we must know her heroine's family background. A few members of the family are included in the novel. For the purpose of the plot, they have to be credible as the heroine's point of origin, yet they must fail to guide her so that her coming to maturity would be interesting to us. Her family background must explain the good traits, as well as her serious flaws.

Elizabeth is the product of a misalliance. Her mother is silly and solipsistic and Mr. Bennet hides from responsibility behind the screen of irony .Her character has been thus influenced, more deeply than she realizes, by her father's character, whom she naturally resembles. Her quick intellect and sharp wit come to her from her father, and she is his favourite daughter precisely for this reason. Elizabeth's mother ..perhaps because of jealousy, or because she cannot dominate her clever daughter as she can not dominate her elusive husband ...finds Elizabeth "the least dear to her of all her children".[28] Mrs. Bennet prefers the daughters who most resemble her: Jane, who is beautiful and Lydia who is thoughtless and high-spirited. But in spite of this tension between them Elizabeth does resemble her mother in one important trait: they both tend to judge people unfairly, on the basis of how they affect her own ego or interests. But Mrs. Bennet's misjudgments are crude, while Elizabeth's are clever, and mostly due to perversity.[29]

It is this element of clever perversity in her judgements that Elizabeth derives from her father whom she loves. Mr Bennet reacted to his disappointment in marriage by

its best, and we see that ultimately the well mothered daughter tries to use any opportunities that come her way to act as a mother herself, and to nurture those who need her love. When this love that fosters the growth of identity is not provided by the mother, the daughter goes to the father. If it is not provided by the father also, the daughters go anywhere else to get it.

Because her focus is on solid, middle-class people and her mode is that of domestic realism, Jane Austen never uses the device of the unprotected orphan that was used by other sentimental and gothic novelists of her time, to provide excitement. She always shows the development of her subject's maturation, within the context of a protective and enveloping family. [23] The tensions and conflicts which the central characters must deal with, come from their own families and not from the absence of family protection as we find, for example, with the heroine of Charlotte Bronte's novel Jane Eyre.

Elizabeth Bennet, the heroine in Pride and Prejudice is not an orphan, or so it appears at the beginning of the novel, but she has been forsaken in a strange way. Her "unmothered" condition is very clear from the beginning. On the surface it seems that she is cared for, but what is inside her is contempt. She's got a mother, who is foolish and perhaps dimwitted, and her father is bookish and intelligent, and he loves her more than any of his children who are unfortunately daughters. But, in fact we soon get to discover that she *is* an orphan. We get to see how both her parents do not love her for who and what she is. Mrs. Bennett wants her to be the silly and beautiful woman she herself is, and Mr.Bennet wants her to be himself. In fact, he picked her out among his daughters as the one most like him—intelligent and witty, and he has tried to make of her another version of himself, especially that he has no son. As he dealt with the failures and flaws of his culture by withdrawing from it, he expects Elizabeth to do the same too. He married a woman who was not intelligent like him because he found her, for a brief time, physically beautiful. He spent the rest of his life making fun of her, and belittling his responsibilities toward her and towards his children. This is his legacy to his favourite daughter: she learns to ignore any aspirations that she might have toward deep feeling, toward care or connecting with others. This is how we find Elizabeth at the beginning of the novel: a woman who seeks only the love of her father by trying to imitate him.

Thus, we find that she has developed a false self in order to protect her true self that is not recognized or wanted in her family; although she is attractive and intelligent, she is alone and is hiding her true self within. However, ironically she thinks that she is challenging and strong. She thus appears in the book from the very beginning as unmothered and unnurtured. Her true self remains hidden and carefully protected...a self that needs to love and to be loved in spite of the fact that she masks her own desire for romance and love.[24] This love which she desires must be true love, and which she also knows, is a rare thing. So she protects herself from anything, including Mr. Darcy, who had snubbed her on their first meeting and we quite agree with her when she says: " I could easily have forgiven *his* pride, if he had not mortified mine."[25]

of identification, according to Chadorow, is conceptual, not physical. It fosters independence, and is suspicious of connection. For Freud, the idea is that leaving home, not finding it, is the path to adulthood. To be self-sufficient means to be powerful; intimacy is fearful and demanding. [16] In Freud's story love and identity do not go together.

When this pattern is applied to girls as even Freud himself noticed, it does not work as well. He thought that the girl would want to transfer her love for her mother into anger for not having given her daughter " the only proper genital organ" and to desire not to be her father but to have his child. Since she cannot and should not perform this act with her father, Freud reasoned that her desire becomes heterosexuality and she is ready to be the woman that a man will love. But also Freud had difficulty with the idea that women have trouble making the transition in their relationship to their fathers. In other words they maintain their relation or attachment to their mothers and so end up in that misty place that he saw as an unrealized female identity.

But Freud's theory ignores the child's early relationship to its mother. What he says is true when the father becomes a dominant presence in the child's life and consciousness. But if the mother is the one who initiates the beginnings of identity, and dependence and empathy are necessary for the self to form in the secure and loving presence of the mother, Freud's theory about absolute autonomy "becomes a myth or a psychological disorder." [17] Thus we can say that the culture's prescription for femininity, based on its ideal of masculinity, which is based on the dominance of the father, seems to be off base all together.

The body of psychological literature called "object relations theory"* which is at the core of contemporary feminist psychology, presents a different picture of self-development from the one that was just outlined: it views human development as interpersonal, that is, "it is a self that is implicated in relationship with others." [18] It focuses on the bond between infant and mother in the pre-oedipal period, because this is usually the first primary relationship in a person's life. It tells us of the necessary interaction between a self and an "object" —that is, another person who is the object of the self's attention and love. Jessica Benjamin explains " From the beginning there is a self and there is an other; it is through the constant dynamic of their interaction that growth occurs. In the facilitating environment of the mother-daughter relation the baby is recognized." [19] Thus, the mother's empathy is important because it helps her realize who that other person is and likewise " the baby's empathy permits her to see who the mother is." [20] This interchange or interaction between mother and child is like a dance, it is a give and take relationship. This interaction is called "attunement", says Benjamin, and in it the feelings are shared and reinforced between mother and child by behavior that is matching but not the same. [21]

Recognition and loving support—what Winnicott calls "holding" form the basis of facilitating environment. In that space of safety and energy, a sense of self develops. This sense of self, of achieving an identity or of maturation, as has been pointed out before, occurs within the mother-child relationship in the pre-oedipal period. We see an example of this in the language learning process. "Language,...one marker for socialization is traditionally taught to the child by the mother, a process that occurs well before the child's Oedipal crisis. [22] This mother- daughter bond, is true love at

> The writers of the so-called Bloomsbury Group were warm advocates of the eighteenth century view of life, of the value of wit, style, restraint, reason, skepticism; and this combined with their emphasis on personal relationships as of ultimate importance, provided a favorable basis for a fuller appreciation of Jane Austen. Virginia Woolf and Katherine Mansfield were great admirers of her work. But it was E.M.Forester who was an "unqualified admirer and certainly her greatest literary disciple." (10)

His discussions of Jane Austen in Aspects of the Novel are of great interest. He praises the way in which the characters in Jane Austen's novels are organically related to their environment and to each other. He also uses her as an example of a writer who created what he calls "round" as opposed to "flat" characters, that is, characters who are able to develop, or to surprise us convincingly: "All her characters," he declares, "are round, or capable of roundity. (11)

During the thirties and forties the widespread influence of Freud led critics to see Jane Austen in a new perspective. The anthropologist Geoffrey Gorer wrote an essay "The Myth in Jane Austen," in which he tries to uncover the mystery of the cult that grew around her and was called "The Janeites"(made up of such writers as E.M.Forster, Katherine Mansfield, Virginia Woolf and other fans). He tries in this essay to uncover the mystery of their unconscious identification with the Freudian pattern he attributed to the four central novels, Sense and Sensibility, Pride and Prejudice, Mansfield Park and Emma. In all of them there is a reversal of the usual Oedipal situation: the heroine hates her mother, loves her father, rejects a worthless suitor who stands for reprehensible sexual prowess, and eventually accepts a dependable lover who is really a father substitute. (12)

The story of true love that is our concern here begins with a heroine who is lively and intelligent, she is not what could be described as pretty, but has wonderful eyes. What is more important is that she is immature, and the novel is about her growing up to maturity, it is about her journey toward realizing who and what she is.. She meets her lover, the hero, and of course does not know that he is the one for her. In the process of her maturity, she meets more than one lover, but they prove to be not the real thing: the real thing being, "love and recognition with a person, perhaps the mother or someone else who can love unconditionally as a mother should." (13)

In many cases when a mother's unconditional love is missing the daughter turns to the father, seeing all the power he has and hoping he will share it with her. This as it is well known, and which has become part of our culture, is the Oedipal crisis that Freud found to be the basis of identity formation. Freud's theory tells us that the path to maturity is a struggle towards separation, independence, and autonomy. (14) Distances between people must be established, so that the adult will be strong. This process is first completed through the Oedipal crisis, the point in a young child's growth in which he ceases to identify with his mother and models himself on his father. In this way the child avoids the possibility of incest, since as Freud believes, too close an attachment to the mother would surely lead to sex with her. Also, the child gains access to the wonderful powers that the father is seen to possess over the mother, over the child, and even over the world at large. The maternal body and any closeness to it is rejected, and the father, although he becomes a model, is a distant god. (15) This kind

social class, cause pain and suffering before they each realize the true value of the other. They both have their pride chastened through the discovery of their error. The strong love that they develop for each other is the only influence strong enough to loosen the ties that bind them to their families.

The current view of Jane Austen is that first and foremost she is a critical observer of humanity who uses irony as a means of moral and social judgement, who enlarges the reader's understanding of experience through making him realize how limited is that of her fictional characters.[4] But this attitude is limited to the present century only. Jane Austen had many admirers in the nineteenth century, but they did not see her novels as "a microcosm of some larger moral universe; their aprobation, rather, came from their enthusiasm for Jane Austen's scrupulous and initiated fidelity to ordinary social experience."[5]

But in spite of the public and private homage to Jane Austen's position in the early nineteenth century world of literature, the Romantic movement and also the Victorian, were not favorable to Austen's classical sense of order and control. All the Romantics were seeking in some way to transcend the limitations of actuality, to go beyond the bounds of society, reason, and individual experience whether through political reform, through the imagination, or through spiritual self-exploration; and so it was not surprising that we find Keats, Shelley or Byron silent about Jane Austen. Unlike these, Wordsworth read and commented on Austen's novels, says Sara Coleridge, and though he admitted that her novels were "an admirable copy of life, he could not be interested in productions of that kind; unless the truth of nature were presented to him clarified, as it were, by the pervading light of the imagination, it had scarce any attraction in his eyes." [6] Wordsworth's characteristic gravity also played a part in his lack of enthusiasm: as Sara Coleridge remarked, Wordsworth "never in his life appreciated any genius in which (humour) is a large element. Hence his disregard for Jane Austen's novels." [7]

Therefore, we can safely say that reaction to Jane Austen's novels can be roughly classified as the antithesis between the "head"and the "heart." Admirers such as Scott, Whately or Macualay, who were mainly dominated by the head, are content to see the exquisite operation of reason and intelligence and judgment in Jane Austen's novels, Even though they deal with limited subjects; while advocates of the reason of the "heart" such as Charlotte Bronte, interpret limitation as "synonymous with an unimaginative and complacent acceptance of the intolerable confinements of mundane reality." [8] These two schools of thought divide most of the Romantic and Victorian response to Jane Austen. Both schools agreed that Jane Austen presented rather limited areas of experience; they disagreed in their estimate of her only because of the different demands which they made on life. The literary implications of these different demands can be summed up in Horace Walpole's famous assertion: "This world is a comedy to those that think, a tragedy to those that feel." Jane Austen's novels are comedies, and probably they would not have much appeal to those who believe thought inferior to feeling.[9]

In the twentieth century, the literary and critical climate became more favorable to Jane Austen, especially in England where the Victorians soon became out of fashion

Love and Identity in Jane Austen's Pride and Prejudice

Dr. Gehan Al Margoushy

Jane Austen (1775-1817) the author of Pride and Prejudice, published four novels anonymously during her lifetime: Sense and Sensibility (1811), Pride and Prejudice(1813), Mansefield Park(1814), Emma(1815).Two novels, Northanger Abbey and Persuasion were published posthumously, in 1817. These novels are prominent of satiric depiction of English society and manners. If not Jane Austen's best novel, Pride and Prejudice is certainly her most popular one, and has always been so. It has always been a favourite with readers, just as it was a favourite of Jane Austen's. It was her 'own darling child': "I must confess that I think (Elizabeth) as delightful a creature as ever appeared in print, and how I shall be able to tolerate those who do not like her at least I do not know. [1]

Though Pride and Prejudice is no less serious in intention than any of her other books, its method is livelier and more humorous. This is mainly because Elizabeth, the heroine, is a lively and humorous person. Austen has a heroine whose judgement has limitations, which naturally she cannot perceive. Elizabeth is the sole interest in the novel, but not the only one; the title of the novel itself shows this: "pride" and "prejudice"can easily be made to stand for Darcy and Elizabeth. [2]

In Pride and Prejudice, Mr. and Mrs. Bennet have five unmarried daughters, and Mrs. Bennet is especially eager to find suitable husbands for them. When the rich, single gentlemen Mr. Darcy and Mr. Bingley come to live nearby, the Bennets have high hopes. But pride, prejudice, and misunderstandings all combine to complicate their relationships and to make happiness difficult.

The central thesis of this paper is to show that the story in Pride and Prejudice is a story in which love and identity go together, and the heroine experiences self-development in the context of learning how to love. During that experience she finds true love. True love as defined here, and as used for the purpose of this paper, according to the well-known contemporary psychoanalysts like D.W. Winnicut, Daniel Strern, Nancy Chadorow, Judith Jordon, and Jessica Benjamine, being a version of mother love. It is "an idea of recognition, of unconditional and nourishing care that is projected out of that earliest experience into the adult future; he female version of true love as I understand it is a version of mother love."[3]

According to that theory the lover is not a father but a mother substitute. It is important that at the beginning of the novel we find Elizabeth in some way immature, her "life" has not really begun yet. The plot is about her journey to selfhood. Both Darcy and Elizabeth need to learn from each other, and to unlearn attitudes that they unconsciously learnt or absorbed from their parents. They both want personal fulfillment, but the lack of proper authority (as in the case of the Bennet family) and the haughty attitude of Darcy who can not respect those who are from a different

Love and Identity in Jane Austen's Pride and Prejudice

Dr Gehan Al Margoushy

Dr. Gehan Al Margoushy is lecture at Women's College, Ein Shams University.

مخلص



وصف المكان في رواية (La Porte Etroite) للكاتب أندرية جيد: دراسة لمعانى ودلالات المكان

د . منيرة مصطفي *

قد تبدو دراسة «الباب الضيق» لأندرية جيد قديمة بعض الشيء في يومنا هذا، وذلك لكثرة الدراسات التى أجريت على هذه الرواية. ولكن عند الاطلاع على الأعمال النقدية للرواية وجدنا أن عنصر المكان لم يدرس بدرجة كافية. وخاصة إذا أخذنا فى الاعتبار عنوان الرواية، فـ «الباب الضيق» مع العلم بأنه مأخوذ من نص دينى إلا أنه يعبر عن مكان ضيق، يسمح بالمرور خلاله، كما وجدنا أيضا أن الرواية تقوم على اللقاءات المتكررة بين أبطالها وكذلك على تبادل الرسائل بينهم عن بعد مما يلفت النظر إلى أهمية دلالات وصف المكان للقارئ أو المتلقى.

ومع القراءة الدقيقة والمتأنية للرواية وجدنا أن اللحظات والأحداث القوية للقصة مرتبطة بأماكن معينة ومميزة، لذلك فقد اتجهنا إلى دراسة الأماكن الموجودة فى الرواية والعمل على اظهار ما تحتويه من معان وما تدل عليه في القصة. وقد اعتمدنا فى دراستنا على أعمال على أعمال Adam وخاصة على نظرياته الموجودة فى كتابه (النص الوصفى) وعلى وجه الخصوص الجزء الخاص بدلالات ومعانى المكان الموصوف.

وقد وجدنا أن الرواية تحتوى على أماكن مفتوحة تفوق فى عددها الأماكن الأخرى المغلقة، لها دلالاتها ومعانيها فى الرواية، كما وجدنا وصفا لأجزاء كاملة للمكان وأخرى

* أستاذ الأدب الفرنسى المساعد، بقسم اللغة الفرنسية وآدابها، كلية البنات، جامعة عين شمس.

مدرجة فى النص، وكثيرا من العناصر الوصفية المتفرقة فى الرواية. وأخذنا فى الأعتبار ابعاد رؤية الناظر للمكان الموصوف. وتبعًا لنظريات Adam عملنا على إظهار الأماكن الحقيقة فى الرواية مثل باريس والهافر، والأخرى التى توحى بأنها حقيقة مثل (فنجزمار). كما عملنا على إظهار الطرق المختلفة التى يتبعها الكاتب والتى تعبر عن وجهة نظره وكذلك العمل الذى يقوم به المكان. وقد وجدنا أن هناك علاقة متبادلة بين وصف المكان وشخصيات الرواية، وصف المكان والأحداث، وصف المكان والنص. فهو إما أن يقوم بدور الوسيط بين الأشخاص ومشاعرهم أو يعبر عن الموقف الذى يوجدون فيه أو يوحى بالأحداث القادمة، ولذا فإن المكان الموصوف والنص يعملان معا فى تناسق وتوافق تام. فالمكان يدعم عمل الرواية ويساندها فله دلالاته الرمزية الكثيرة والمهمة للمتلقى، فضلا عن أنه مكان لأحداث الرواية.

- **POUILLON, (Jean)** : Temps et roman, Minuit, 1989.
- **REUTER, (Yves)** : Introduction à l'analyse du roman, Bordas, 1991.
- **TODOROV, (Tzvetan)** : Théories du symbole - Seuil, 1977.

IV. Revue :

- Novembre 1951. La Nouvelle Revue Française. Hommage à André Gide. 1869-1951, Gallimard, 1951.

- **BUILLES, (Jean-Michel)** : Manuel de linguistique descriptive. Le point de vue fonctionaliste, Nathan, 1998.
- **COURTES, (Joseph)** : Introduction à la sémiotique narrative et discursive, Hachette, 1976.
- **FONTAINE, (David)** : La Poétique, Nathan, 1993.
- **GREIMAS, (A.-J.)** :
  * Essais de Sémiotique poétique, Larousse, 1972.
  * Sémantique Structurale, Larousse, 1966.
- **HAMON, (Philippe)** :
  * Introduction à l'analyse du descriptif, Hachette, 1981.
  * La description littéraire, Macula, 1991.
  * Du descriptif, Hachette, 1993.
- **JOUVE, (Vincent)** : La poétique du roman, SEDES, 1997.
- **KLINKENBERG, (Jean-Marie)** : Précis de sémiotique générale. De Boeck & Larcier S.A., 1996.
- **LINTVELT, (Jaap)** : Essai de typologie narrative : le point de vue, Corti, 1981.
- **LUKACS, (Georges)** : La théorie du roman, Gonthier, 1975.
- **MAINGUENEAU, (Dominique)** :
  * L'Analyse du discours, Paris, Hachette, 1994.
  * Analyser les textes de communication, Dunod, 1998.

III. Ouvrages Généraux :

- **ADAM, (J.-M.) :**
  - Le texte narratif, Nathan, 1985.
  - Les textes : types et prototypes, 1992.
- **ADAM, (J.-M.) et JEAN, (A. Petit)** : Le texte descriptif, Nathan, 1989.
- **BARTHES, (Roland) :**
  - S/Z, Seuil, 1970.
  - L'empire des signes, Skira, 1970.
  - Poétique du récit, Seuil, 1977.
  - Introduction à l'analyse structurale des récits, Seuil, 1981.
  - L'aventure sémiologique, Seuil, 1985.
  - Fragments d'un discours amoureux, Critica, 1996.
- **BAYLON, (Christian) et MIGNOT, (Xavier)** : Initiation à la Sémantique du langage, Nathan (H.ER.2000).
- **BELLEMIN-NOEL, (Jean) :**
  - Psychanalyse et littérature, PUF. Coll. "Que Sais-je ?", 1978.
  - Vers l'Inconscient du texte, Paris, PUF, 1979.
- **BERTRAND, (Denis)** : Précis de Sémiotique littéraire, Nathan, 2000.

- **LAMBERT, (Jean) :** *Gide familier*, Julliard, 1958.
- **MAHIAS, (Claude) :** *La Vie d'André Gide*, Gallimard, 1955.
- **MALLET, (Robert) :** *Une Mort Ambiguë*, Gallimard, 1955.
- **MARTIN, (Claude) :** *André Gide par lui-même*, Seuil, 1963.
- **MARTIN DU GARD, (Roger) :** *Notes sur André Gide*, Gallimard, 1951.
- **MATORE, (Georges) :** *L'Espace Humain*, Librairie Nizet, 1975.
- **MAURICE, (Lime) :** *Gide, tel que je l'ai connu*, René Julliard, 1952.
- **MAUROIS, (André) :** *De Gide à Sartre*, Perrin, 1965.
- **NAVILLE, (Arnold) :** Bibliographie des Ecrits d'André Gide. E. Guy Le Prat.
- **PIERRE-QUINT, (Léon) :** *André Gide*, Delamain et Boutelleau, 1952.
- **SCHLUMBERGER, (Jean) :** *Madeleine et André Gide*, Gallimard, 1956.
- **THIERRY, (Jean-Jacques) :** *André Gide*, Hachette, 1986.

Bibliographie

I. **Ouvrages de Gide :**

- **GIDE, (André)** : *La Porte Etroite*, Mercure de France, 1959.

II. **Ouvrages Critiques sur Gide :**

- **ALAIN CHEVALIER, (Claude)** : *La Porte Etroite*, Nathan, 1993.
- **BACHELARD, (Gaston)** : *La poétique de l'Espace*. Presses Universitaires de France, 1960.
- **BEIGBEDER, (Marc)** : *André Gide*, Classiques du XXème siècle, Ed. Universitaires, 1954.
- **BOISDEFFRE, (Pierre de)** : *Vie d'André Gide*, (Tome I), Hachette, 1970.
- **DESCHODT, (Eric)** : *Gide. Le Contemporain capital*, Librairie Académique Perrin, 1991.
- **FONVIEILLE-ALQUIER, (François)** : *Gide*, Pierre Charron, 1972.
- **HERBART, (Pierre)** : *A la recherche d'André Gide*, Paris, Gallimard, 1952.

Comme dans tout roman, l'espace est la composante qui sert à ancrer le récit dans le réel ou à donner l'illusion du réel. Ouvert ou fermé, l'espace dans le roman "*La Porte Etroite*" de Gide est donc le lieu que les personnages perçoivent et où ils évoluent. C'est l'espace-témoin de leur histoire et de leur intériorité. Il paraît doté, à la faveur de stratégies diverses d'écritures, d'autres fonctions comme on a pu le constater au cours de notre analyse.

Miroir reflétant les sentiments des personnages à un moment précis de leur histoire, en prenant la relève de la narration, l'espace devient un lieu d'interaction entre le personnage et le récit.

La description se trouve détournée la plupart du temps de la seule fonction de représentation pour y associer autre chose : un autre discours se fait entendre sous cette suite d'éléments descriptifs d'un espace qui s'offre au regard du narrateur, un discours que seul son récepteur appréhende.

Ainsi, la description de l'espace et l'espace lui-même deviennent producteurs d'un autre sens et sont par là-même signifiants ou même sursignifiants.

sa vie passée qui se meurt comme le jour mourant. D'autre part, cette position (à genoux) annonce une nouvelle image d'Alissa : celle qui se voue surtout à sa vie spirituelle au détriment de sa vie affective. C'est à la suite de ce passage que Jérôme s'éprend pour elle d'un amour mystique et s'engage à la protéger sa vie durant

"*contre la peur, contre le mal, contre la vie*"(1).

La même fonction indicielle se présente à la page 150 concernant une autre fois la description de la chambre d'Alissa :

"*L'ombre bleue des rideaux aux fenêtres et autour du lit, les meubles de luisant acajou, l'ordre, la netteté, le silence, tout racontait à mon coeur sa pureté et sa pensive grâce*"(2).

De ce processus énumératif, jaillit l'image des qualités de l'être aimé : la netteté, la pureté, l'innocence, la sérénité.

.

. .

---

(1) Op.Cit., *La Porte Etroite*, p.24.

(2) Ibid., p.150

L'atmosphère d'intimité qu'indiquent ces détails descriptifs répond à cette autre intimité entre la tante Bucolin et le jeune lieutenant. Ce sont des indices agissant comme un opérateur tonal et dotant le texte d'une fonction indicielle prospective.

Quant à la description de la chambre à coucher d'Alissa, elle assume également une fonction à la fois indicielle et prospective.

> "*La chambre est déjà si sombre que je ne distingue pas aussitôt Alissa; elle est au chevet de son lit, à genoux, tournant le dos à la croisée d'où tombe un jour mourant*"(1).

Là, un champ de signification se présente. "*La chambre sombre*" illustre certes l'état de dépression, peut-être même d'humiliation, par lequel passe Alissa qui est consciente de la liaison qui commence à s'établir entre sa mère et le jeune lieutenant. On peut même parler d'un tournant crucial par lequel passe Alissa, étant donné qu' "*elle est au chevet de son lit, à genoux, tournant le dos à la croisée d'où tombe un jour mourant*". C'est à partir de ce moment qu'Alissa tournera le dos à

(1) Op.Cit., *La Porte Etroite*, p.23.

D'autre part, le monde fermé reflète l'atmosphère d'angoisse qui règne à l'intérieur de la maison. En effet, les rares détails concernant cet intérieur se réduisent presque aux grandes fenêtres. Ces fenêtres, qui en principe représentent une ouverture vers le monde extérieur, semblent au contraire isoler cette maison : Elles soulignent ainsi la différence entre le "*dedans*" et le "*dehors*" (espace ouvert et espace fermé), entre la liberté, la franchise du monde extérieur d'une part et l'inquiétude et la détresse qui marquent le dedans, l'espace fermé(1).

Dans la séquence descriptive de la page 22, les éléments qui meublent la chambre à coucher de la tante Bucolin, permettent une mise en relation avec une situation future des personnages.

> "*au milieu de la chambre aux rideaux clos, mais où les bougies de deux candélabres répandent une clarté joyeuse, ma tante est couchée sur une chaise longue; à ses pieds, Robert et Juliette; derrière elle, un inconnu jeune homme en uniforme de lieutenant*"(1).

---

(1) Rappelons que le seul événement relié à la description de la maison de l'intérieur est associé à l'adultère de la mère d'Alissa et au désarroi ressenti

(2) Op.Cit., *La Porte Etroite*, p.22

semble suivre le récit de la liaison des personnages. Cette sorte d'éclipse d'un moment du soleil semble réfléchir leur histoire d'amour : en effet, interrompue pendant quelques temps, elle reprend avec une splendeur et une force qui les envahissent, comblant ainsi ce vide du coeur qu'ils ont connu lors de leur séparation. Mais ce bonheur ne tarde pas à disparaître

> "*envahissant d'un luxe frémissant, les champs vides et comblant d'une profusion subite l'étroit vallon qui s'ouvrait, puis disparut*"[1].

Enfin, certaines descriptions d'espace sont dotées en plus d'une valeur indicielle. Il s'agit de la représentation de la maison Bucolin qui vise à dramatiser le récit. Ainsi une triple impression du puritanisme, d'angoisse et d'isolement se dégage-t-elle de la description de la maison. Le puritanisme est connoté par la couleur (blanche) [2] par l'altitude (deux étages) [3], par le style ancien sans caractère spécifique (ressemble à beaucoup de maisons de campagne du siècle avant-dernier)[4].

---

(1) On peut noter l'hypallage constitué par l'expression "*extase dorée*" rassemblant ces deux univers celui du monde extérieur et du monde intérieur, soleil éblouissant (doré) extase (dorée).

(2) Op.Cit., *La Porte Etroite*, p.9.

(3) Idem.

(4) Idem.

pureté étaient celles du coeur de Jérôme avant d'être des traits caractérisant le ciel "*le ciel était comme ma joie /.../*".

Un procédé d'assimilation semblable se présente à la page 165, lors d'une nouvelle rencontre avec Alissa après une séparation de trois ans, passé à l'Ecole Française d'Archéologie d'Athènes.

> "*Le soleil déclinant, que cachait depuis quelques instants un nuage, reparut au ras de l'horizon, presque en face de nous, envahissant d'un luxe frémissant les champs vides et comblant d'une profusion subite l'étroit vallon qui s'ouvrait à nos pieds, puis disparut. Je demeurais, ébloui, sans rien dire; je sentais m'envelopper encore, et pénétrer cette sorte d'extase dorée où mon ressentiment s'évaporait et je n'entendais plus en moi que l'amour*"(1).

Ne pouvons-nous pas parler ici d'une narrativation du descriptif ? En effet, à suivre de près les traits descriptifs de l'espace perçu par les personnages, le récepteur du texte

(1) Op.Cit.. *La Porte Etroite*, p 165.

attacher l'un à l'autre : "*les arbres dépouillés ne nous étaient d'aucun abri*".

A l'encontre de ce paysage, nous trouvons dans quelques pages plus loin une autre entrevue entre les deux jeunes gens. Après l'échec de l'entrevue de la route d'Orcher, Jérôme veut, dans une nouvelle tentative, se rapprocher d'Alissa dans des conditions plus favorables.

> "*Je m'acheminai vers ce rond-point, étroitement entouré de buissons, à cette époque de l'année tout en fleurs, lilas, sorbiers, cytises, weigelias /.../. Le ciel était comme ma joie, chaud, brillant, délicatement pur*"(1).

Un processus de symbolisation marque le début du passage descriptif. Il y a d'une part l'intimité du rond-point qui les a toujours rassemblés (rond-point, étroitement entouré de buissons), d'autre part, l'énumération des types de fleurs, de couleur et d'odeur diverses (lilas, sorbiers, cytises, weigelias) qui sert de médiation pour traduire cette profusion de sentiments qui envahit Jérôme. Un phénomène d'assimilation se produit même à la fin du passage : la joie, la chaleur, la beauté et la

---

(1) Op.Cit., *La Porte Etroite*, p.137

Une stratégie semblable est suivie dans un autre passage du roman. C'est lors d'une entrevue préparée par tante Plantier, afin que Jérôme et Alissa se revoient après une séparation de deux ans, durant lesquels ils correspondaient par lettres. L'entrevue a lieu sur la route d'Orcher. La tante Plantier avait choisi le lieu, vu sa beauté et la longue route qui le caractérise. Elle les amène avec sa voiture, les laisse faire à pieds le reste de la route.

> *"Il faisait chaud pour la saison. La partie de la côte où nous marchions était exposée au soleil et sans charme; les arbres dépouillés ne nous étaient d'aucun abri"*(1).

Ici, les éléments du site décrits dramatisent encore plus la situation. La chaleur prématurée, le lieu exposé au soleil, les arbres dépouillés connotent le malaise, la gêne, la sécheresse du coeur qu'éprouvent Jérôme et Alissa. Jérôme en effet refuse la situation qu'il considère comme fausse. Il désapprouve cette rencontre avec Alissa. A l'image de la route sans charme, il n'éprouve plus comme auparavant le charme des rencontres avec sa jeune cousine. Bien plus, rien ne semble les réunir, les

---

(1) Op.Cit. *La Porte Etroite*, p 127

Les épines qui remplissent les rosiers, le désordre qui marque certains d'entre eux, la chute de certains autres qui manquent de soutien et de force, sont certes ceux qui caractérisent la liaison de deux jeunes gens qui est devenue à la fois épineuse et fragile.

D'autre part, les éléments descriptifs de la page 88, insérés dans la narration et retenus par le regard, deviennent médiateurs entre le personnage actant Jérôme et ce moment émotionnel par lequel il passe.

> "*Le soir tombait et le brouillard de mer cachait la ville; les arbres étaient sans feuilles, la terre et le ciel paraissaient immensément désolés*"(1).

Rappelons que Juliette vient d'avouer son amour à Jérôme et son désir de l'épouser, avec le consentement d'Alissa, qui se sacrifie ainsi pour le bonheur de sa soeur cadette.

"*Le brouillard*", qui "*cachait la ville*" focalisé par le narrateur Jérôme, semble décrire les ténèbres qui couvrent sa vie et la perplexité dans laquelle il vit. Quel avenir peut-il envisager ? Il se sent démuni de toute protection, vidé comme le sont "*les arbres sans feuilles*" et la désolation, la détresse envahissent tout son être.

---

(1) Op.Cit., *La Porte Etroite*, p.88.

excuses faites et les prétextes fournis :

> "*Nous étions assis à présent sur le mur des châssis ouverts, qui laissaient déborder au hasard d'énormes tiges de concombre dont les derniers fruits étaient cueillis*"(1).

Ces derniers fruits cueillis, ne parlent-ils pas des derniers moments de bonheur goûtés par Alissa et Jérôme, avant l'instant des adieux ?

Le même processus se retrouve dans la séquence descriptive de la page 140. Ses détails insérés dans la narration semblent prendre la relève de l'analyse de la situation critique où se trouvent les deux personnages.

Dans une tentative de rapprochement, Jérôme propose à Alissa d'arranger ensemble le jardin comme ils en avaient l'habitude.

> "*Des rosiers étaient mal taillés; certains, à végétation puissante, restaient encombrés de bois mort; d'autres, grimpants, croulaient, mal soutenus; des gourmands en épuisaient d'autres*"(2).

---

(1) Op.Cit. *La Porte Etroite*, p.68
(2) Ibid p 140

ne tiédissait qu'à peine les espaliers, mais le ciel était orientalement pur" (1).

Là, et comme on le sait, les fleurs de chrysanthèmes ont une valeur ambivalante. Elles sont à la fois liées à l'idée de la mort et à l'immortalité. On peut parler d'une isotopie formée par (chrysanthème, feuilles mortes, automne, soleil froid sans chaleur et sans vie).

Une sorte d'interaction s'établit ainsi entre ce moment du récit narré et le contexte spatial où se trouve le personnage. Le thème de la mort est sous-jacent aux éléments descriptifs de l'espace qui prennent ainsi en charge l'analyse de la situation dans laquelle se trouvent les personnages : celle de la mort de leur amour et de la perspective d'une vie spirituelle pure, dégagée de toutes les préoccupations matérielles.

La même fonction se retrouve dans une autre séquence descriptive de l'espace. Il s'agit toujours d'une mise en rapport avec l'instant vécu par les deux jeunes gens. Rappelons que Jérôme, dans un moment d'hésitation se trouve incapable de proposer à Alissa les fiançailles officielles. Alissa, de son côté, redoute un changement dans l'attitude de Jérôme, vu les

---

(1) Op.Cit., *La Porte Etroite*, p.65.
(2) Idem.

également de plus en plus "*resserré*" (1) pour finalement "*s'étrangler*" (2).

Si la plupart des détails ont une valeur symbolisante comme "*les cygnes*" (3) ou "*le ruisseau intarissable*" (4), ils peuvent être considérés comme amorces prévisionnelles des événements futurs. Ainsi, c'est toute l'histoire de Jérôme et d'Alissa qui semble ici être narrée : une liaison d'abord heureuse, mais qui finit par se dessécher dans le coeur de Jérôme pour sombrer dans le malheur en entraînant la mort d'Alissa.

Dans le même ordre d'idées, les descriptions de l'espace peuvent en d'autres moments doubler le récit et deviennent ainsi informatrices et même narrativisantes.

Jérôme vient à la recherche d'Alissa, à la suite d'une lettre qu'elle lui a adressée :

> "*Elle était au fond du verger, cueillant au pied d'un mur les premiers chrysanthèmes qui mêlaient leur parfum à celui des feuilles mortes de la hêtraie. L'air était saturé d'automne. Le soleil*

---

(1) Op.Cit., *La Porte Etroite*, p.178
(2) Idem.
(3) Idem.
(4) Idem

là-même, une fonction informative.

Rappelons que c'est à la suite de ce passage qu'Alissa a renoncé définitivement à son amour terrestre. Jérôme ne lui laisse pas d'autre alternative que de sublimer son amour non partagé en un amour de Dieu.

A d'autres moments du récit, certaines descriptions qui viennent doubler la fonction symbolisante, assument d'autres fonctions. Il s'agit du paysage que perçoit Alissa à partir de la maison des Teissières.

Deux sortes de détails sont à retenir dans cette description, ceux qu'on peut qualifier d'euphoriques et ceux qui, par contre, sont disphoriques. Il y a d'abord une image riante, celle de la pelouse et des canards avec leurs ébats joyeux, image que couronne la présence des deux cygnes, et le ruisseau intarissable (image de Jérôme et d'Alissa et l'amour de cette dernière pour son jeune cousin). Là, se produit une rupture correspondant à une rupture dans les relations des deux amants. En effet, le décor change et par un jeu d'opposition, le paysage se transforme : "*le ruisseau fuit*" (1), "*la garrigue est sèche*" (2), "*le bosquet est de plus en plus sauvage*" (3) et le jardin est

(1) Op.Cit., *La Porte Etroite*, p.178.
(2) Idem.
(3) Idem.

finit dans la détresse et la solitude la plus totale que représente ce rond-point.

La même fonction symbolisante se retrouve à la page 162. Après une absence de trois ans, Jérôme, de passage au Havre, gagne Fongueusemare.

> *"un jardinier que je ne reconnais pas ratissait une allée et bientôt s'écarta de ma vue. Une barrière neuve fermait la cour. Le chien en m'entendant passer aboya. Plus loin, où l'avenue finissait, je tournai à droite, retrouvant le mur du jardin [...]. La porte était close [...]"*[1].

Les détails descriptifs du passage représentent l'hostilité du lieu. Jérôme se retrouve étranger à cet espace qui lui était pourtant familier. Une isotopie se présente (la barrière, le mur, la porte close). Ces détails symbolisent les obstacles qui s'interposent entre le jeune homme et son passé.

Le thème du refus et du rejet, inclus aux éléments descriptifs de l'espace, représente ainsi le refus d'Alissa. L'espace devient ici le porte-parole de la jeune fille et acquiert par

---

(1) Op.Cit., *La Porte Etroite*, p.162.

Ainsi, ne pouvons-nous pas dire que la porte n'est citée dans le chapitre inaugural que pour annoncer le dilemme devant lequel se retrouveront les personnages, le salut par les sacrifices ou la perdition par la luxure ?

Le rond-point situé au fond du jardin, cité 16 fois dans le roman qui est toujours lié à la présence d'Alissa, aux moments forts et cruciaux de l'histoire a également une valeur symbolique. Il symbolise en effet le cercle étroit dans lequel vit Alissa sans vouloir en sortir. C'est l'univers fermé, représenté par l'ancienne maison, le jardin, les enseignements à domicile. C'est aussi l'éducation religieuse austère qui a marqué sa vie toute entière et le sort qui pèse sur elle. Encore enfant, elle a enduré seule comme fille aimée la faute de sa mère, assume la responsabilité de sa famille, s'enferme à côté de son père blessé. Le rond-point renvoie aussi à son amour pour Jérôme. Rappelons que sa liaison avec Jérôme est assez ambiguë. Elle commence par l'amour et finit par la fraternité de la part de Jérôme.

Alissa restera enfermée dans cet amour impossible jusqu'à la fin de sa vie. Le rond-point symbolise ainsi ce cercle vicieux où tourne Alissa, refusant tout changement du rythme de sa vie et prisonnière de ces incertitudes concernant les sentiments que nourrit Jérôme à son égard, incertitudes qui la mènerait inexorablement à sa mort. Ainsi, c'est tout le drame et même si nous pouvons le dire, le tragique de cette vie râtée qui

comme étant ouverte ou fermée, c'est une simple (porte à secret) et qui troue le mur, et c'est dans ces caractérisants que se trouve condensée la signifiance de la porte : la porte étroite, c'est la voie de l'évasion et du salut par laquelle on se sauve de l'étau étroit de la vie matérielle pour se libérer et atteindre la félicité éternelle obtenue grâce aux sacrifices, aux mortifications et à l'ascétisme, c'est là où réside son secret "*porte à secret*". Par ailleurs, faisant suite à l'allée et à la porte du jardin, la description se poursuit comme nous l'avons vu et s'ouvre sur cet autre espace ouvert, celui du salut :

(A l'horizon, pas très distant, l'église d'un petit village /.../) (1).

Nous retrouvons ainsi "*l'église*", c'est-à-dire la quiétude et la sincérité d'une âme sauvée de l'incertitude et de l'angoisse.

Par contre, en ce qui concerne la porte de la chambre de la tante, le narrateur précise qu'elle est ouverte(2). Rappelons que la tante se trouve allongée dans la chambre sur une chaise longue ayant à ses côtés ses enfants, et le jeune lieutenant qui deviendra son amant et avec qui elle s'enfuiera. Cette porte ouverte acquiert ainsi une valeur symbolique, celle de l'adultère et du péché.

---

(1) Op.Cit., *La Porte Etroite*, p 10
(2) Ibid., p.22

sait, une allée est le passage qui mène d'un lieu à un autre, la voie qui donne accès d'un plan à un autre, d'un état à l'autre. Une voie qui peut tout aussi être fermée ou ouverte devant l'être qui l'emprunte. Ici, peut-on donc lier ces deux allées aux deux voies devant lesquelles se trouveront les deux protagonistes du roman Alissa et Jérôme : une (riante) menant au bonheur, le choix de la vie spirituelle pour Jérôme, ainsi que pour Alissa; alors que l'allée noire représente la peur, l'angoisse, l'échec, l'inconnu et peut-être même la perdition.

Un autre détail essentiel, et ayant la même fonction symbolique, est celui de la porte : au fond du potager, une petite porte à secret qui "*troue le mur*"(1). Il est évident que cette porte "*à secret*" se rapporte au titre même du roman et se réfère à la porte étroite dont parle le Christ et évoquée au cours du récit :

"*Efforcez-vous d'entrer par la porte étroite*"(2).

Dans la description du jardin, la porte n'est point qualifiée

(1) Op.Cit., *La Porte Etroite*, p.9.
(2) Ibid., p.26. Un texte lu dans la petite chapelle de la ville, par le pasteur Vautier, au lendemain de la fuite de la tante Bucolin avec son amant, et qui constitue un moment, une étape cruciale dans la vie et le choix des personnages.

"*réel*" et ses fonctions à l'intérieur du texte[1].

Comme tout espace dans un texte narratif, celui que nous rencontrons dans "*La Porte Etroite*" assume donc certaines fonctions : Il est à la fois informateur, indiciel, expressif, l'espace peut surtout avoir une valeur métaphorisante et symbolique.

Dans la description du jardin des Bucolin à Fongueusemare, quelques détails descriptifs retenus par le regard narrateur métaphorisent de façon prospective le sens que prennent ces détails au niveau narratif :

> "*Une allée de sable et de gravier fait le tour /.../ une allée riante de fleurs /.../. Une autre allée, le long du mur du nord /.../. Ces deux allées mènent au potager /.../*"[2].

Il faut noter les caractéristiques associées à ces deux allées, l'une est (riante, de fleurs)[3], la seconde est l'allée "*noire, comme les cousines l'appelaient*"[4]. Or, comme on le

---

(1) REUTER, (Yves) : *Introduction à l'analyse du roman*. Bordas, 1991, pp.54-55.
(2) Op.Cit., *La Porte Etroite*, pp.9-10.
(3) Ibid., p.9.
(4) Ibid., p.10.

ment, d'apprentissage, de rencontre[1], de confidence, de discussion, de refuge, de repos moral, d'attente, de méditation, de contemplation, des moments de bonheur, des moments de malheur, le jardin est ainsi témoin de presque toute l'histoire de "*la Porte Etroite*".

.

. .

Passons à présent aux fonctions qu'assume l'espace dans le texte, ce qui nous permet de parler de la signifiance de l'espace dans "*La Porte Etroite*".

Dans son oeuvre "*Le texte descriptif*", Adam voit que narration et description vont ensemble. Les descriptions informent autant la narration qu'elles sont informées par elle[2].

De son côté, Reuter, dans son ouvrage "*L'Introduction à l'Analyse du roman*" souligne que l'espace, mis en scène par le roman, peut s'appréhender selon ses relations avec l'espace

---

(1) Alissa et son père discutent les qualités de Jérôme, ils s'interrogent sur son avenir. Jérôme discute avec Juliette ses futurs projets (écriture, voyages, ouverture sur le monde, remise des fiançailles). Jérôme discute également avec son ami Abel la psychologie de la femme. Plus d'une fois, il discute avec Alissa ses propres idées, la possibilité de leur engagement qui ne sera jamais réalisé.

(2) Op.Cit., *Le Texte Descriptif*, p.5.

l'espace ouvert sur l'espace fermé. Nous avons dénombré 49 cas de textes descriptifs, séquences descriptives insérées dans le récit ou simples éléments descriptifs narrativisés concernant l'espace ouvert contre 11 pour l'espace fermé et qui, à l'exception de la maison, ne sont que simplement mentionnés comme nous venons de le noter.

Toute l'importance est ainsi accordée à l'espace ouvert et en particulier à sa meilleure représentation qui est "*le jardin*". En fait, c'est le jardin qui réunit les membres de la famille, à part tante Bucolin, tous les soirs. C'est là que Jérôme et ses cousins, d'abord enfants, ensuite adolescents, jouent ensemble sur le gazon frais, sous l'ombre des arbres, jouissent de l'air pur, des parfums qui embaument le lieu, se promènent à pieds durant des heures et des heures.

C'est sur le banc de la marnière, leur siège préféré qu'ils s'adonnent à leurs lectures de l'Evangile, de la poésie, des grands classiques.

C'est également ce lieu qui voit les premiers symptômes d'amour de Jérôme et Alissa, et de Juliette pour Jérôme et d'Abel pour Juliette. C'est là aussi que leur histoire d'amour a pris fin. Le lieu devient ainsi le témoin de leurs menus instants de bonheur mais surtout de leur désespoir, de leur déchirement et de leur échec. Lieu unique de passe-temps, de divertisse-

Une perspective verticale (à ses pieds), une perspective en approche (derrière elle) se présentent. Les détails propres à la chambre se limitent à la présence (des rideaux clos et des bougies de deux candélabres) et la (chaise longue) n'existe qu'en fonction du personnage (ma tante est couchée sur une chaise longue), c'est plutôt la présence humaine qui intéresse plus le narrateur dans la description :

> *"Par crainte d'être vu, j'hésite un instant, me dissimule, et, plein de stupeur, je vois ceci /.../"*(1).

Nous trouvons ainsi quatre personnages : Tante Bucolin, Juliette, Robert et un inconnu. L'énonciateur se trouve évidemment présent dans son texte, il est dévoilé par le verbe de perception (je vois ceci) une évaluation euphorique (une clarté joyeuse) et un déictique personnel (ma) et spatial (ceci). Quant aux autres chambres de la maison, elles ne sont que citées au cours du récit. Même la petite chapelle de la ville, cet espace fermé si important pour ce qu'il représente et qui sous-tend et nourrit toute la signification du roman, elle ne donne lieu à aucune description.

Par conséquent, un fait est à retenir : la primauté de

---

(1) Op.Cit., *La Porte Etroite*, p.22

description de l'espace ouvert qui est également un jardin.

De même, l'espace fermé représenté par (la maison Plantier) au Havre, n'est mentionné que pour le situer géographiquement, par rapport au grand espace ouvert où il se trouve :

> " *"La maison Plantier", comme on disait au Havre, n'était pas dans la ville même, mais à mi-hauteur de cette colline qui domine la ville et qu'on appelle "la côte"* "(1).

Aucun détail relatif à l'intérieur de la maison n'est noté.

Toutefois, une place particulière doit être accordée à la chambre à coucher de la tante dans la maison Bucolin. C'est presque le seul lieu qui bénéficie de certains détails.

> "*au milieu de la chambre aux rideaux clos, mais où les bougies de deux candélabres répandent une clarté joyeuse, ma tante est couchée sur une chaise longue; à ses pieds, Robert et Juliette; derrière elle, un inconnu jeune homme en uniforme de lieutenant*"(2).

---

(1) Op.Cit., *La Porte Etroite*, p.21
(2) Ibid., p.22.

petits carreaux : quelques-uns, récemment remplacés, paraissent trop clairs, parmi les vieux qui, auprès, paraissent verts et ternis ..."(1).

Quant à la maison, elle n'est proprement dotée que de deux détails descriptifs :

"*la couleur blanche et la maison à deux étages*"(2).

Là, la présence du narrateur est révélée par le "*on*" impersonnel qui accompagne le verbe de perception au présent (l'arbre qu'on regarde) (3) et le modalisateur (brusquement) (4).

Cette importance accordée à la description des fenêtres au détriment de l'espace fermé qui est l'intérieur de la maison est assez significative. Ces fenêtres constituent en effet une sorte de transition entre l'espace ouvert et fermé, qui lui apparaît comme l'élément primordial.

De même, dans la séquence consacrée à la maison des Teissières à Nîmes, celle-ci n'est désignée que par un seul élément phrastique "*maison à l'italienne*"(5), glissé dans la

---

(1) Op.Cit., *La Porte Etroite*, p.9.
(2) Idem.
(3) Idem.
(4) Idem.
(5) Op.Cit., *La Porte Etroite*, p.178.

Quant à l'espace fermé dans "*La Porte Etroite*", il n'occupe dans le récit qu'une place excessivement limitée. Seule la maison de Fongueusemare est décrite, une fois de l'extérieur et une seconde fois de l'intérieur.

La plus longue description de la maison des Bucolin occupe 13 lignes(1). Elle se trouve comme incorporée dans celle du jardin qui s'étend devant et derrière la maison. Aucune distinction ne caractérise la demeure :

> "*[elle] ressemble à beaucoup de maisons de campagne du siècle avant-dernier*"(2).

C'est sur l'extérieur que le narrateur fixe son regard, seules les fenêtres sont décrites, comme si c'est l'accès à l'espace ouvert qui l'intéresse le plus. Ce sont ces nombreuses ouvertures donnant sur le jardin qui sont présentées avec leurs menus détails :

> "*Elle ouvre une vingtaine de grandes fenêtres sur le devant du jardin, au levant; autant par derrière; elle n'en a pas sur les côtés. Les fenêtres sont à*

---

(1) Voir page 9.
(2) Op.Cit., *La Porte Etroite*, p.2.

Comme dans le cas précédent, la présence du narrateur actant se manifeste textuellement par la présence non point d'isotopies euphoriques mais disphoriques : "*mal soutenus*", "*croulaient*"(1).

Outre ces séquences qui se présentent, développant, interrompant et arrêtant le cours du récit, l'espace ouvert dans "*La Porte Etroite*" de Gide n'est souvent mentionné ou décrit que par quelques touches limitées et entièrement intégrées à la trame du récit :

"*Le jardin est tout embaumé; l'air est tiède*"(2).

"*Que les meules, sous l'ardent soleil, étaient belles*"(3).

.
. .

---

(1) Le même procédé est appliqué dans d'autres cas du roman. Citons à titre d'exemple ceux des pages 65, 68 et 88.

(2) Op.Cit., *La Porte Etroite*, p.108.

(3) On peut également se référer aux pages suivantes : 17, 32, 33, 49, 51, 52, 54, 55, 61, 62, 63, 65, 66, 69, 86, 87, 109, 119, 122, 141, 142, 150, 155, 157, 158, 161, 164, 165, 177, 183, 191, 195, 196, 197, 198 et 201.

lilas, sorbiers, cytises, weigelias; /../ j'avançais lentement; le ciel était comme ma joie, chaud, brillant, délicatement pur"(1).

Les éléments de cet espace ouvert sont perçus par le narrateur focalisateur qui arrive sur les lieux. Il adopte par conséquent une perspective en approche (elle était au fond du jardin. Je m'acheminai vers ce rond-point). Sa présence est évoquée par maintes modalisations : des déictiques personnels (je, m'), la présence d'isotopies euphoriques (délicatement), des jugements subjectifs (l'air ... frais) (le ciel ... pur) (2).

Les rapports presque relâchés entre Alissa et Jérôme à la suite d'une longue séparation donnent lieu à une séquence descriptive, celle du cadre où se rencontrent les deux jeunes gens :

"*Des rosiers étaient mal taillés, certains, à végétations puissantes, restaient encombrés de bois mort; d'autres, grimpants croulaient, mal soutenus, des gourmands en épuisaient d'autres*"(3)

---

(1) Op.Cit., *La Porte Etroite*, , p.137

(2) Notons également le recours au processus énumératif concernant les fleurs (lilas, sorbiers, cytises, weigelias) et processus comparatif (le ciel était comme ma joie, chaud, brillant, pur).

(3) Op.Cit., *La Porte Etroite*, p.140

Plus loin, où l'avenue finissait, je tournai à droite, retrouvant le mur du jardin, et j'allais gagner cette partie de la hêtraie parallèle à l'avenue quittée lorsque, passant devant la petite porte du potager /.../"(1).

Après une perspective verticale (le regard qui plonge), le narrateur focalisateur passe ensuite à une perspective en approche (plus loin), celle-ci cède la place à une perspective latérale (à droite), qui cède à son tour la place à une autre perspective en approche (devant). La présence du narrateur se distingue par les embrayeurs personnels en abondance (je, m', ma), les déictiques spatiaux (à droite), une statique utilisée comme sujet d'un verbe actif (une barrière fermait).

De même, la description faite du même jardin, dans un autre moment du récit, suit le même processus descriptif.

"*Alissa t'attend dans le jardin, me dit mon oncle, après m'avoir embrassé.*

Elle était au fond du jardin. Je m'acheminai vers ce rond-point, étroitement entouré de buissons, à cette époque de l'année tout en fleurs,

---

(1) Op.Cit., *La Porte Etroite*, p 162

A la page 165, une autre représentation de l'espace ouvert de six lignes se présente : celle du coucher du soleil et de l'horizon qui s'ouvre devant le narrateur. Cette description est effectuée selon une perspective en approche (en face de nous) et elle est prise en charge par un "*je*" qui se manifeste par divers marqueurs de subjectivité. Nous trouvons ainsi des déictiques personnels (nous, nos, je) et par la forme évaluative (un luxe frémissant).

> "*Le soleil déclinant, que cachait depuis quelques instants un nuage, reparut au ras de l'horizon, presque en face de nous, envahissant d'un luxe frémissant les champs vides et comblant d'une profusion subite l'étroit vallon qui s'ouvrait à nos pieds; puis disparut*"(1).

Les mêmes procédés se retrouvent dans d'autres séquences, plus restreintes, et qui concernent toujours l'espace ouvert :

> "*Je connaissais un point de talus d'où le regard pouvait plonger dans le jardin; là je montai /.../.*

---

(1) Op.Cit . *La Porte Etroite*, p.165.

personnage du roman (Juliette sommeille sur une chaise-longue près de moi), (Juliette sans quitter sa chaise, peut voir) et celle du personnage narrateur essentiel du récit (Alissa). La présence de cette dernière est implicite dans le texte :

> "[...] *Juliette, sans quitter sa chaise-longue, peut voir la pelouse se vallonner jusqu'à la pièce d'eau où s'ébat un peuple de canards bariolés et où naviguent deux cygnes. Un ruisseau qui ne tarit, dit-on, aucun été l'alimente, puis fuit à travers le jardin qui devient bosquet toujours plus sauvage, resserré de plus en plus entre la garrigue sèche et les vignobles, et bientôt complètement étranglé*"(1).

Maintes formes modales dévoilent la présence du narrateur : la voix rapportée (dit-on), les statiques utilisées comme sujets de verbes actifs, ainsi que le procédé de métaphorisation (le ruisseau fuit), (la pelouse se valonne), (naviguent deux cygnes). Notons la présence d'un plan spatial et temporel envisagé par une multiplication d'adverbes et d'indicateurs de temps et d'espace (Puis, bientôt, toujours).

---

(1) Op.Cit., *La Porte Etroite*, p.170.

choix des termes utilisés : (allée riante), (regard admiré), (allée noire). L'espace acquiert ainsi son caractère subjectif. Cette subjectivité se poursuit quand, adoptant une vue panoramique, le narrateur décrit, à partir de sa position dans le jardin, un autre espace ouvert :

> "*A l'horizon, pas très distant, l'église d'un petit village [...] et, le soir, quand l'air est tranquille, les fumées de quelques maisons*"(1).

Signalons l'importance accordée à "*l'allée*", répété trois fois et relayé par "*l'avenue*" : Ainsi l'attention est centrée sur ces petites voies traversant un autre espace plus grand et permettant le déplacement d'un lieu à un autre.

Une autre séquence entièrement descriptive de onze lignes se rencontre à la page 177. Il s'agit du jardin des Téissières à Nîmes. Là, le regard d'Alissa se fixe sur un paysage déterminé dont les composants ne dépassent point quelques éléments mais qui, dans l'ensemble, donnent l'aspect d'un jardin à l'état libre, c'est-à-dire sauvage. Nous trouvons une triple focalisation, celle du narrateur scripteur, celle de Juliette, un

---

(1) Op.Cit., *La Porte Etroite*, p.10.

Dès le premier moment, le narrateur tend à donner une vision globale du jardin. Il adopte une perspective d'ensemble. Le jardin est décrit ensuite par rapport à la maison, selon ses différents plans : un avant-plan (le jardin, forme devant la maison). Il passe à l'arrière-plan lui accordant plus d'importance, vu les nombreux détails qu'il nous donne : (une allée), (une autre allée), (ces deux allées mènent /.../). Il adopte alors une perspective en approche (devant la maison), (derrière la maison), (du fond du potager), (de droite et de gauche). Il passe à une perspective verticale (par-dessus).

Notons que, malgré le souci apparent de rendre la description objective, nous retrouvons des formes modales qui révèlent la présence du "*je*", celui du narrateur actant. ,

Ainsi, nous avons d'une part le déictique personnel (nos parents), un verbe de perception (qu'on regarde) et des éléments statiques utilisés comme sujets de verbes actifs : (Le jardin forme devant la maison), (le jardin se développe), (le mur s'abaisse). D'autre part, l'utilisation de certains éléments modaux, contribuent à manifester la présence de l'énonciateur : des tours tels que la non personne (on trouve), (après qu'on a descendu), (le regard, par-dessus).

Dans ce début de la séquence, le narrateur semble vouloir particulariser ce jardin par rapport aux autres jardins de la région. Mais cette particularisation se trouve réintégrée par le

manière du pays.

Derrière la maison, au couchant, le jardin se développe plus à l'aise. Une allée, riante de fleurs, devant les espaliers au midi, est abritée contre les vents de mer par un épais rideau de lauriers du Portugal et par quelques arbres. Une autre allée, le long du mur du nord, disparaît sous les branches. Mes cousines, l'appelaient "l'allée noire", et, passé le crépuscule du soir, ne s'y aventuraient pas volontiers. Ces deux allées mènent au potager, qui continue en contre-bas le jardin, après qu'on a descendu quelques marches. Puis, de l'autre côté du mur que troue, au fond du potager, une petite porte à secret, on trouve un bois-taillis où l'avenue de hêtres, de droite et de gauche, aboutit. Du perron du couchant le regard, par-dessus ce bosquet retrouvant le plateau, admire la moisson qui le couvre. A l'horizon, pas très distant, l'église d'un petit village et, le soir, quand l'air est tranquille, les fumées de quelques maisons"(1).

(1) Op.Cit . *La Porte Etroite*, pp.8,9 et 10

du jardin (31 lignes) qui semble ainsi focaliser l'intérêt du narrateur.

"Dans un jardin pas très grand, pas très beau, que rien de bien particulier ne distingue de quantité d'autres jardins normands, la maison des Bucolin, blanche, à deux étages, ressemble à beaucoup de maisons de campagne du siècle avant-dernier. Elle ouvre une vingtaine de grandes fenêtres sur le devant du jardin, au levant; autant par derrière; elle n'en a pas sur les côtés. Les fenêtres sont à petits carreaux : quelques-uns, récemment remplacés, paraissent trop clairs parmi les vieux qui, auprès, paraissent verts et ternis. certains ont des défauts que nos parents appellent des "bouillons"; l'arbre qu'on regarde au travers se dégingande; le facteur, en passant devant, prend une bosse brusquement.

Le jardin, rectangulaire, est entouré de murs. Il forme devant la maison une pelouse assez large, ombragée, dont une allée de sable et de gravier fait le tour De ce côté, le mur s'abaisse pour laisser voir la cour de ferme qui enveloppe le jardin et qu'une avenue de hêtres limite à la

quentes. Si, pour les besoins de narration, Gide nous présente certains espaces, ces descriptions ne constituent généralement que quelques petites séquences. Le plus souvent, quelques éléments descriptifs sont insérés dans la narra tion elle-même.

La plus grande de ces séquences descriptives se trouve au début du roman, selon les impératifs de la narratologie traditionnelle : Fongueusemare (lieu essentiel de l'histoire) est décrite tant de l'extérieur que de l'intérieur. La description de la maison et du jardin constitue ainsi un texte ancré dans la situation, elle est motivée par un élément implicite du récit :

> "*Vers la mi-juin, nous partons pour Fongueusemare, aux environs du Havre, où mon oncle Bucolin nous reçoit chaque été*"(1).

A cette phrase s'enchaîne la séquence descriptive. Elle se présente comme constituée de deux parties, dont l'une est le double de l'autre. D'abord celle de la maison, c'est-à-dire, d'un espace fermé. Elle s'étend sur treize lignes(2) et elle s'insère dans la description d'un espace plus grand, celui

---

(1) Op.Cit., *La Porte Etroite*, p.8
(2) Ibid., pp.8-9

véritable correspond, d'une part, à un besoin d'authentifier le récit narratif et, d'autre part, à une stratégie permettant le déroulement événementiel de ce récit, sans que ces espaces ne donnent lieu à de véritables précisions qui les concernent.

Quant à la deuxième catégorie d'espace, c'est celle du cadre où se déroule presque la totalité du récit. Gide choisit un espace fictionnel : une propriété familiale, Fongueusemare, qu'il situe près du Havre. Gide tient à donner au récepteur cette illusion du réel qui constitue un élément important du récit narratif.

•

• •

Parler de Fongueusemare nous amène à parler d'une sous-catégorie d'espace. Il s'agit de l'espace ouvert et de l'espace fermé; en d'autres termes : l'espace bâti ou limité et celui qui est non bâti ou délimité.

Comment sont-ils représentés dans le roman ?

Nous commençons notre analyse par l'espace ouvert. Si toute série événementielle qui constitue un récit a besoin de l'espace pour s'y dérouler, l'espace, comme nous l'avons déjà dit, ne peut s'expliciter en tant que "*fonctionnement référentiel*" que par le biais de cette composante du récit qu'est la description. Disons tout de suite que les descriptions ne sont pas fré-

Une autre ville citée dans le roman est Paris. C'est à Paris que Jérôme et sa mère s'installent après la mort du père pour que Jérôme puisse terminer ses études. C'est de là qu'une correspondance s'établit entre lui et Alissa. Ce dialogue à distance ne fait que les rapprocher l'un de l'autre, en confiant réciproquement leurs aspirations, leurs réflexions sur la vie et même les détails de leur vie quotidienne. C'est de Paris également qu'on reçoit la nouvelle de la mort d'Alissa, décédée dans la solitude totale dans une maison de santé parisienne. Donc, entre Fongueusemare et Paris, c'est un perpétuel va et vient.

Le village d'Aigues-Vives à Nîmes est le lieu d'une séquence du roman. En effet, Juliette vient s'y installer avec son mari qu'elle vient d'épouser. Les membres de sa famille, ainsi qu'Alissa, y viendront passer de courts séjours.

Outre ces espaces cités, d'autres noms de sites sont évoqués dans le roman. Il s'agit des pays visités par Jérôme lors de ses voyages et d'où il envoie des lettres à Alissa. C'est ainsi que les noms d'Italie et de certaines de ses villes, telles que : Orvieto, Pérouse, Assise et Pise sont cités; même la Palestine(1) est mentionnée. Le recours à une toponymie

(1) Nous trouvons aussi Londres, Southampton où voyage Abel et d'où il envoie ses lettres

"Le soleil déclinant, que cachait depuis quelques instants un nuage, reparut au ras de l'horizon, presque en face de nous, envahissant d'un luxe frémissant les champs vides et comblant d'une profusion subite l'étroit vallon qui s'ouvrait à nos pieds, puis, disparut"(1).

"Devant la fenêtre ouverte, le jardin est tout embaumé, l'air est tiède"(2).

En effet, nous avons toujours un point focal, changeant de séquence en séquence selon le "*je*" en présence.

Quant aux types d'espace rencontrés dans le roman, nous pouvons les répertorier en deux catégories :

La première concerne l'espace à toponymie véritable, c'est-à-dire ayant un nom propre figurant sur la carte réelle de la France. Nous avons aussi le Havre, cité à plusieurs reprises, lieu d'origine du père de Jérôme et un des pôles de ses déplacements. Il faut souligner ici qu'aucun événement important du récit ne s'y passe.

---

(1) Op.Cit., *La Porte Etroite*, p.165.
(2) Ibid., p.108.

"Dès les premiers jours d'été, nous partons pour Fongueusemare, aux environs du Havre, où mon oncle Bucolin nous reçoit chaque été.

Dans un jardin pas très grand /.../"(1).

"J'errai assez longtemps dans le jardin à la recherche d'Alissa / /

Elle était au fond du verger /. ./"(2)

"Alissa t'attend dans le jardin, me dit mon oncle [...]. Elle était au fond du jardin"(3).

Nombreux sont aussi les cas où les descriptions de l'espace sont introduites par un déictique spatial.

"<u>Là, près</u> du toit de chaume d'une marnière abandonnée, mon oncle, ma mère et Miss Ashburton s'asseyaient; <u>devant nous</u>, la petite vallée s'emplissait de brume et le ciel se dorait au- dessus, du bois plus lointain"(4)

---

(1) Op Cit *La Porte Etroite* p 8
(2) Ibid p.65.
(3) Ibid p 138
(4) Ibid p 10

personnelle des événements racontés ou des objets décrits. C'est donc à partir d'un point focal représenté par le "*je*" que le tableau nous est présenté.

En somme, dans ce roman autodiégétique, la focalisation est toujours de type interne. Et même si la présence du narrateur semble parfois occultée, elle est le plus souvent explicitée par un élément du texte.

Par ailleurs, l'auteur narrateur a recours à plusieurs stratégies d'écriture pour annoncer ce regard. Dans la plupart des cas, les descriptions sont introduites par des verbes de perception introducteurs (Je vois ceci)(1), (Juliette peut voir)(2). Dans d'autres cas, elles sont introduites par un élément narratif, donnant accès à l'espace décrit :

> "*J'attends un instant [...]. Je pousse la porte qui cède silencieusement*"(3)

> "*J'espérais revoir Juliette [...] j'ai poussé la porte de la chambre*"(4).

---

(1) Op.Cit., *La Porte Etroite*, p.22.
(2) Ibid., p.178.
(3) Ibid., p.23.
(4) Ibid., p.90.

concerne la sémiotique du texte descriptif.

Nous nous proposons donc de traiter les points suivants Tout d'abord, nous chercherons à établir une typologie de l'espace tel qu'il se présente dans le roman, tout en abordant les problèmes de focalisation et de perspectives qui sont étroitement rattachés à la représentation de l'espace. Ceci nous amène à étudier la manière dont il est représenté Nous chercherons ensuite à appréhender les différentes fonctions de l'espace dans le roman afin de dégager la signifiance de cet espace.

Avant d'établir une typologie des différentes sortes d'espace rencontrées dans le roman, il serait peut-être intéressant d'étudier le problème de la focalisation. Le récit lui-même est pris en charge par un "*je*". C'est un "*je*" qui se présente. Mais il faut noter que ce "*je*" se refère tantôt à Jérôme, et tantôt à Alissa, dans son journal intime.

D'autre part, nous savons que la structure du roman se présente ainsi : Un récit fait par Jérôme, interrompu par le journal intime d'Alissa qui constitue une sorte de récit intercalé (presque le 1/7ème du roman), suivi d'une sorte de postface dont le narrateur est Jérôme

Soulignons en plus que, dans les lettres échangées entre Alissa et Jérôme, d'une part, et entre Jérôme et son ami Abel, d'autre part, nous avons de toute évidence un narrateur, émetteur du discours, c'est-à-dire un "*je*" qui nous donne sa vision

comme nous l'avons dit, constitue une composante essentielle du récit. Il convient peut-être de rappeler que la sémiotique est, selon le petit Robert, la science qui étudie la vie des signes au sein de la vie sociale (F. de Saussure) et science étudiant les systèmes de signes (langues, codes, signalisations, etc.). Tandis que le petit Larousse l'explique ainsi : théorie et science générale des signes. Mais nous nous fonderons surtout sur les travaux d'Adam qui reprend ceux de Greimas et de Hamon. Les sémioticiens, écrit Adam(1), constatent que les récits ne peuvent se passer d'un minimum de décor et d'acteurs : les événements (série temporelle de la narration) ont besoin de l'espace (série spatiale qui retiendra notre attention). En d'autres termes, la description semble avoir pour fonction essentielle de permettre le récit en assurant son fonctionnement référentiel.

C'est pourquoi, seules les descriptions de cet espace(2) seront retenues dans notre étude. De même, notre démarche suivra les théories d'Adam, dans ses ouvrages "*Le Texte narratif*"(3) et "*Le Texte Descriptif*"(4) et, en particulier, ce qui

---

(1) ADAM, (J.-M.) et JEAN, (A Petit) *Le Texte Descriptif* Nathan, 1989, p 4

(2) Certains passages descriptifs seront repris plus d'une fois au cours de l'étude selon les impératifs du point traité

(3) ADAM, (J -M.) *Le Texte narratif* Nathan 1985.

(4) Op Cit *Le Texte Descriptif*

roman(2). Comme nous le constatons, il s'agit donc toujours d'un déplacement dans l'espace qui devient un élément primordial de la stratégie narrative de l'auteur.

Mais qu'est-ce qu'on entend par espace ? Comme on le sait, l'espace est le milieu dans lequel baigne toute représentation esthétique. Le personnage actant d'un roman comme tout être humain, ne peut exister que dans un espace déterminé dans lequel il se trouve, se meut, un espace qui l'entoure et dans lequel il baigne et vit. Espace figé ou en mouvement, il peut être perçu comme il peut être vécu.

Mais quelle approche adoptons-nous pour notre étude ? L'espace étant généralement chargé d'une signifiance dans un texte romanesque, nous avons choisi de présenter une étude sémiotique de l'espace dans "*La Porte Etroite*" de Gide et qui,

---

(1) Rappelons que le roman raconte l'histoire de deux cousins germains, Jérôme Palissier et Alissa Bucolin, de deux ans plus âgée. La découverte de l'infidélité de la mère d'Alissa qui s'enfuit avec son amant, sera l'événement crucial qui perturbe non seulement l'équilibre psychique et moral des deux jeunes gens, mais tout leur avenir En effet, ayant reçu une éducation puritaine et profondément troublée par le sermon du pasteur autour de la "*La Porte Etroite*", et ayant assimilé le mal à l'amour physique et charnel, Jérôme sera tiraillé entre son attachement à Alissa, surtout à la suite de l'adultère de la mère et son véritable désir de se libérer d'elle afin de s'aventurer à travers le monde, nourrissant et enrichissant ses idées et ses écrits Déçue et désespérée, Alissa qui l'aime, renonce au bonheur terrestre, préfère l'union des âmes en Dieu à l'union des corps, à travers la mort Elle meurt seule à l'âge de vingt-huit ans dans une maison de santé

Parler aujourd'hui de Gide et de son roman "*La Porte Etroite*"(1) peut paraître périmé. Pourquoi donc en parler ?

A notre connaissance, l'espace n'a pas été suffisamment étudié, bien que le titre implique déjà cette notion d'espace. Il est vrai que "*La Porte Etroite*" est une phrase tirée de l'Evangile, mais son choix comme un des éléments essentiels du paratexte, à savoir le titre, ne peut qu'orienter le lecteur : une porte, c'est ce qui donne accès d'un espace à un autre. Grande, petite, étroite, ouverte ou fermée, la porte est en somme ce qui sépare ou relie deux univers ayant chacun sa spécifité, ses caractéristiques, ses fonctions et ses significations.

En outre, la structure du roman est étroitement liée à l'espace : Ce sont les rencontres des deux protagonistes (Jérôme et Alissa) ou, dans une moindre mesure, les lettres échangées entre eux qui, en fait, structurent le roman. C'est à l'occasion, soit des retours de Jérôme à la maison de son oncle, soit à travers leur correspondance alors qu'il se trouve loin de la maison familiale, que se nouent et se dénouent les liens qui l'attachent à sa cousine Alissa et qui constituent le thème essentiel du

---

(1) GIDE, (André) *La Porte Etroite* Mercure de France, 1959.

La Description de l'Espace dans "La Porte Etroite" d'André Gide : Etude Sémiotique

Présentée par

Mounira Moustafa

Professeur adjoint

Faculté de Jeunes Filles

Université Ain Shams

2002

يطلب من

• مكتبة الأنجلو المصرية

١٦٥ ش محمد فريد القاهرة - ت: ٣٩١٤٣٣٧

• مكتبة زهراء الشرق

١٦ ش محمد فريد - القاهرة : ٣٩٢٩١٩٢

• مكتبة منشأة المعارف بالإسكندرية

٤٤ ش سعد زغلول تليفاكس : ٤٨٣٣٣٠٣

• مكتبة دار البشير بطنطا

٣٣ ش الجيش عمارة الشرق ت : ٣٣٠٥٥٣٨٠

• مكتبة الآداب

٤٢ ش الأوبرا القاهرة ت : ٣٩٠٠٨٦٨٠ - ٣٩١٩٣٧٧

• مكتبة دار العلم

الفيوم - حي الجامعة. ت: ٢٤٥٨١٣

رقم الإيداع	٢٠٠٣/٤٧٥٥

مطبعة العمرانية للأوفست

الجيزة ت : ٧٧٩٧٥٥٠

المحمدية



للكمبيوتر

صف وتنسيق : أحمد حسن

ت: ٥٨٥٨٤٥٧

FIKR WA IBDA'

- LA DESCRIPTION DE L'ESPACE DANS
  " La Porte Etroite "
  d'André Gide : Etude Sémiotique.

- LOVE AND IDENTITY IN
  Jane Austen's Pride and Prejudice.

No. (18)

MAR 2003

